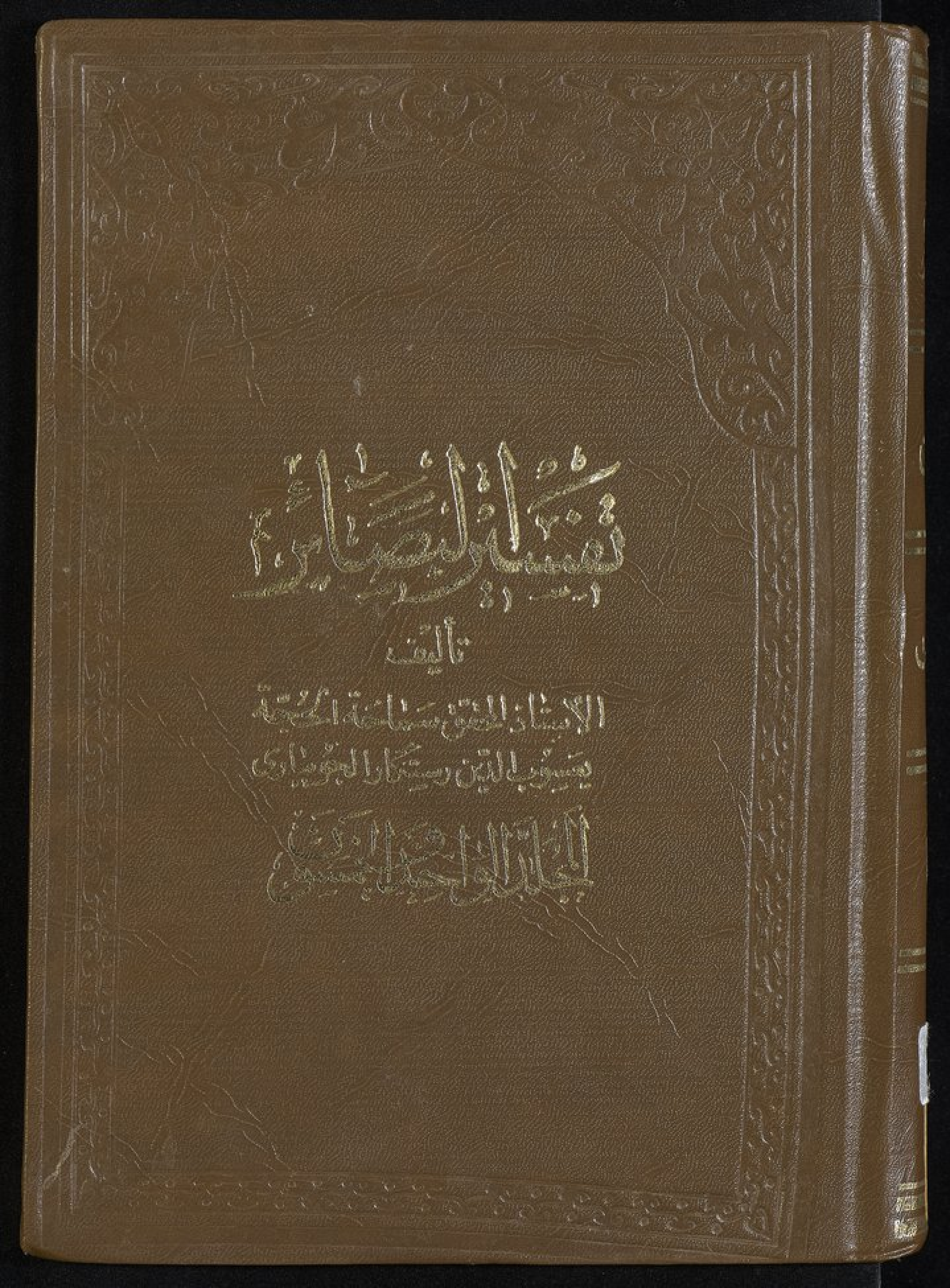
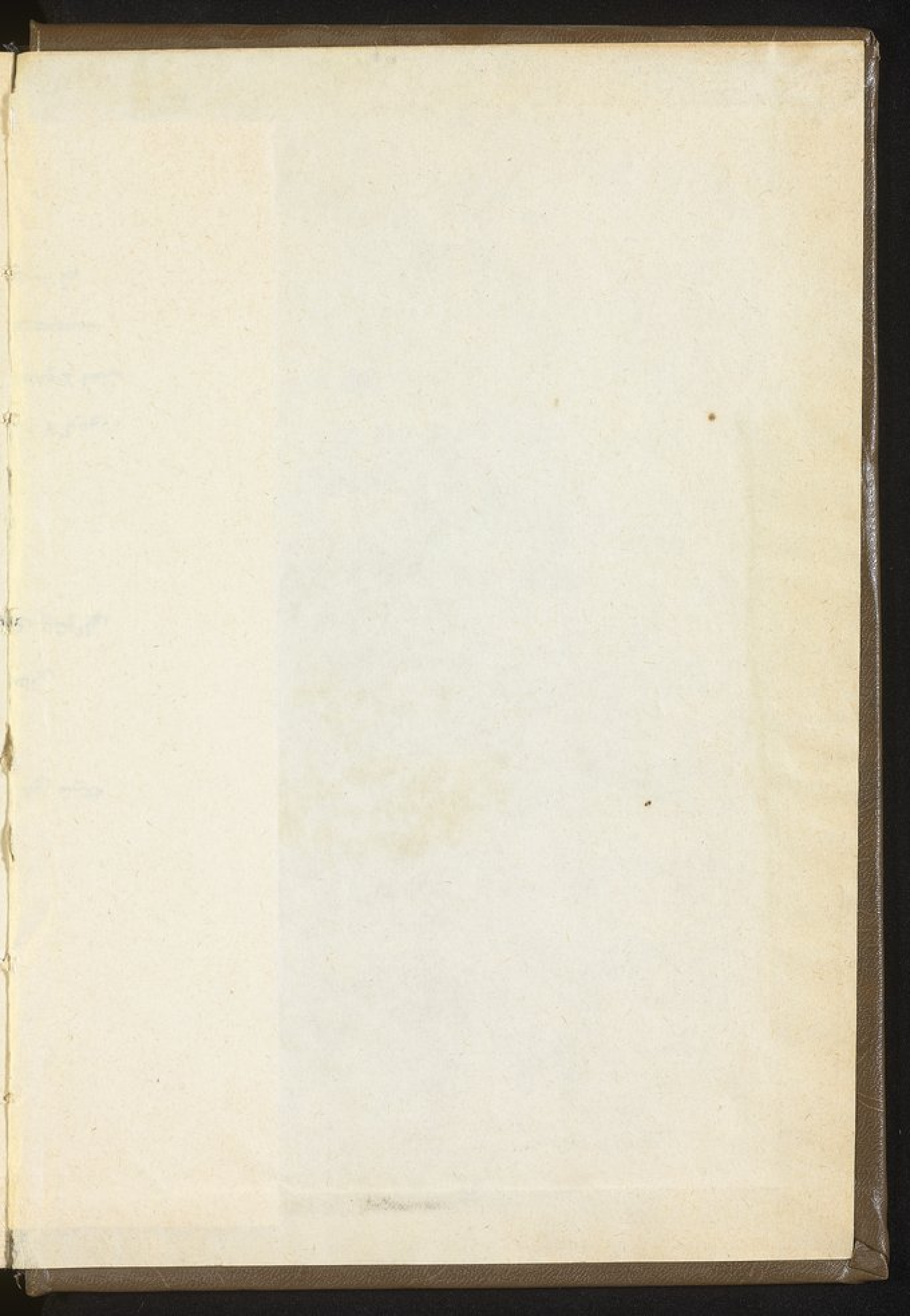
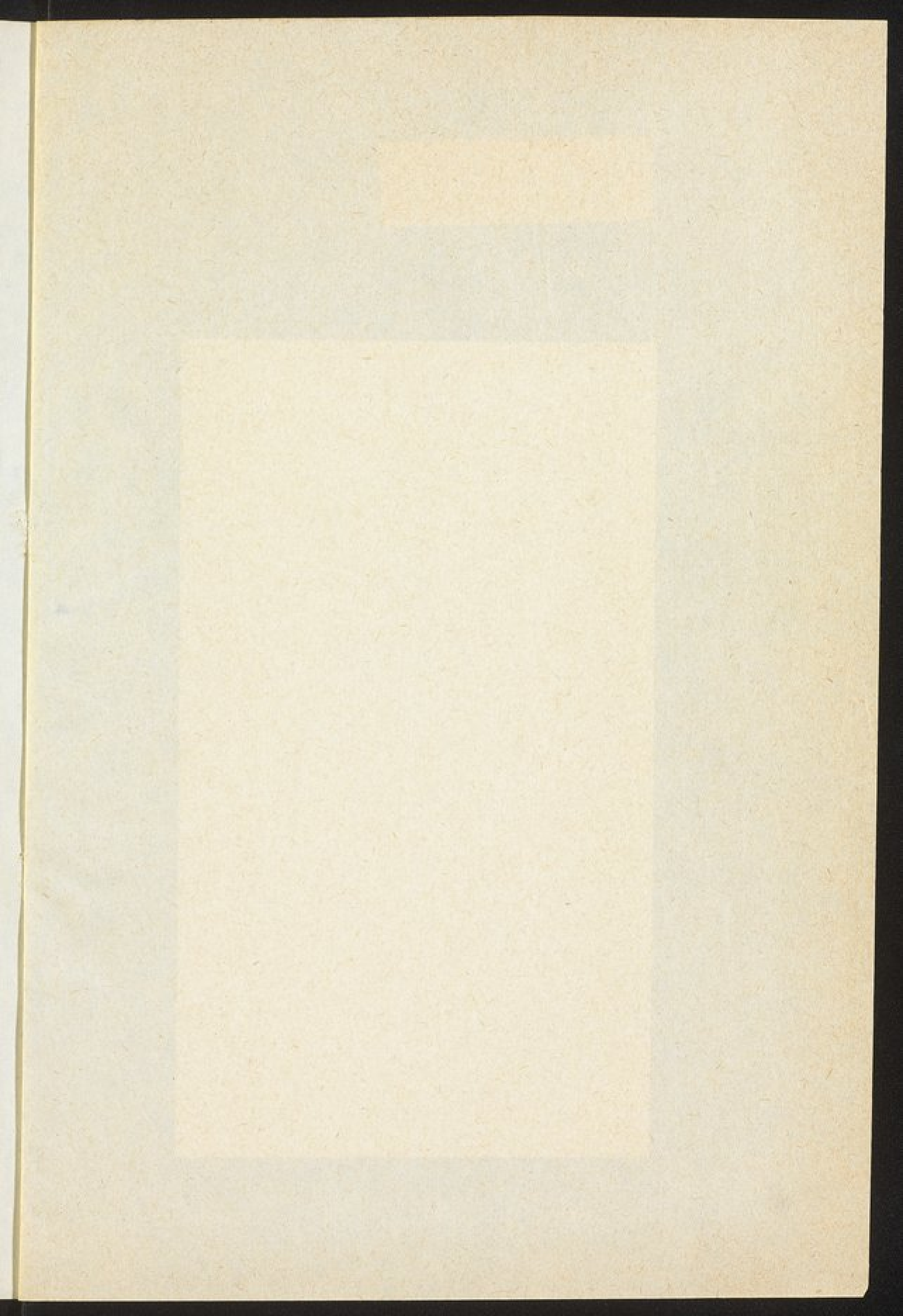

تفسير البصائر
تأليف
الأستاذ المحقق سماحة الحجة
يعسوب الدين رستكار الجويباري
المجلد الواحد والعشرون




PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 015592205

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.



Juybari

المجلد الواحد والخمسون

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباری

حقوق الطبع والتقليد محفوظة

للمؤلف

ایران - قم ١٤٠٢ هـ ق = ١٣٦٠ هـ ش

(Arab)
BP130
.4
.J89
mujallad 51



هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴿١﴾ إنا خلقنا الإنسان من نطفة
أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴿٢﴾ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴿٣﴾ إنا أعتدنا
للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا ﴿٤﴾ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ﴿٥﴾
عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ﴿٦﴾ يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا
﴿٧﴾ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴿٨﴾ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا ﴿٩﴾ إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ﴿١٠﴾ فوقاهم الله شر ذلك
اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ﴿١١﴾ وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ﴿١٢﴾ متكئين فيها على الأرائك
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ﴿١٣﴾ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ﴿١٤﴾
ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ﴿١٥﴾ قواريرا من فضة قدروها تقديرا ﴿١٦﴾



ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا ﴿١٧﴾ عينا فيها تسمى سلسبيلا ﴿١٨﴾ ويطوف عليهم

ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ﴿١٩﴾ وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا

كبيرا ﴿٢٠﴾ عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا

طهورا ﴿٢١﴾ إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ﴿٢٢﴾ إنا نحن نزلنا عليك القرآن

تنزيلا ﴿٢٣﴾ فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا ﴿٢٤﴾ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴿٢٥﴾

ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴿٢٦﴾ إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم

يوما ثقيلا ﴿٢٧﴾ نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ﴿٢٨﴾ إن

هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ﴿٢٩﴾ وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله

كان عليما حكيما ﴿٣٠﴾ يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما ﴿٣١﴾

﴿ فضلها و خواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن جبير العزرمي عن أبي جعفر عليه السلام قال :

من قرأ : « هل أتى على الانسان » في غداة خميس زوّجه الله من الحور العين ثمان مأة عذراء و أربعة آلاف ثيّب حوراء من الحور العين و كان مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

رواه الطبرسي في المجمع والبحراني في البرهان والحويزي في نور الثقلين والمجلسي في البحار وشيخ المحدثين الحر العاملي في وسائل الشيعة .

وفي البرهان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من قرء هذه السورة كان جزاؤه على الله جنة وحريراً ومن أدمن قرائتها قويت نفسه الضعيفة و من كتبها و شرب مائها نفعت وجع الفؤاد وصحّ جسمه وبرء من مرضه .

وفيه : قال الصادق عليه السلام : قرائتها تقوّي النفس وتشدّ و إن ضعف في قرائتها كتبت ومحيت وشربها منعت عن النفس (كذا) ويزول ضعفها عنه باذن الله تعالى

اقول : إن التدبر في غرض السورة وما وصف الله تعالى فيها المؤمنين به، وما بشرهم من الجنة ونعيمها يدفع ماقد يعتري على بعض من التلجلج في الروايات الواردة في المقام .

وأما قيد الخميس فمن المحتمل أن يكون لتقارن الزمان نوع عناية على تحريك الانسان إلى فعال الخير من وفاء النذر وإطعام الطعام وما إليهما من وجوه البر في الجمعة: ليلها ونهارها .

ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ماورد في الروايتين الاخيرتين
وروى الشيخ الطوسي قدس سره في أماليه باسناده عن علي بن عمر العطار
قال : دخلت على أبي الحسن العسكري عليه السلام يوم الثلثاء فقال : لم ارك أمس ؟ قال:
كرهت الحركة في يوم الاثنين قال : يا علي من أحب أن يقيه الله شر يوم الاثنين
فليقرأ في أول ركعة من صلاة الغداة : « هل أتى على الانسان »
ثم قرء أبو الحسن عليه السلام : « فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا »



﴿الغرض﴾

غرض السورة تقرير لخلق الانسان بعد مالم يكن له وجود أصلاً وتذكير بمنحه العقل والاختيار لاختباره وبما هداه إلى مافيه خيره وصلاحه برسالة النبى ودعوته ﷺ إلى ماتقتضيه القوة المودعة فيه من قابلية التمييز والاختيار فالدعوة والرسالة تذكير وايقاظ للانسان فلاجبر ولاإبرام .

فمن شاء تذكر واتعظ ، فسلك على مايدعوه العقل إليه و استحق رضاه ومن شاء إتخذ إلهه هواه وله العذاب الأليم .

وعندئذ تحزّب الناس بحزبين : حزب الهدى و هم المؤمنين ، وحزب الضلال وهم الكافرون .

ووصف الابرار بوفاء النذر والخوف والاطعام إبتغاء لوجه الله تعالى وبشرهم بالجنة ونعيمها لما كانوا يعملون .

ووصف الكفار بحب الدنيا وأعراضها ، وإستغراقهم فيها وإهمالهم التفكير فى اليوم الاخر الآتى الهائل الشديد وأنذرهم بالاغلال والسلاسل والسعير .

مع تثبيت النبى الكريم ﷺ فى موقفه وتهوين أمر الكفار عليه .

﴿النزول﴾

سورة الانسان مدنية نزلت بعد سورة الرحمن وقبل سورة الطلاق .

وهى التاسعة والتسعون نزولاً والسادسة والسبعون مصحفاً .

وتشتمل على إحدى وثلاثين آية ، سبقت عليها/ ٥٦٩٦ آية نزولاً و/ ٥٥٩١ آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على/ ٢٤٠ كلمة و/ ١٠٥٤ حرفاً و قيل : / ١٠٥٣ حرفاً على ما فى بعض التفاسير .

ولهاأسماء ثلاثة : أحدها ـ الدهر .ثانيها ـ الانسان . ثالثها ـ الابرار .

فى تفسير القمى : عن عبدالله بن ميمون القدّاح عن أبى عبدالله عليه السلام قال: كان عند فاطمة سلام‌الله عليها شعير فجعلوه عصيدة فلما انضجوها و وضعوها بين أيديهم جاء مسكين .

فقال المسكين : رحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله فقام على عليه السلام فأعطاه الثلث ، فمالبث أن جاء يتيم فقال اليتيم : رحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله ، فقام على عليه السلام فأعطاه ثلثها الثانى فمالبث أن جاء أسير فقال الأسير :

يرحكم الله أطعمونا مما رزقكم الله ، فقام على عليه السلام فأعطاه الثلث الباقى وماذا قوها ، فأنزل‌الله فيهم هذه الاية : « ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً و يتيماً وأسيراً ـ إلى قوله ـ وكان سعيكم مشكوراً »فى أمير المؤمنين عليه السلام وهى جارية فى كل مؤمن مثل ذلك لله عزوجل .

و فى شرح ابن أبى الحديد ما لفظه :

و أما السخاء والجود : فحاله فيه ظاهرة ، و كان يصوم و يطوى و يؤثر بزاده و فيه أنزل : « و يطعمون الطعام على حبّه مسكيناً و يتيماً و أسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء و لا شكوراً » .

ثم قال و روى المفسرون انه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلاً و بدرهم نهاراً و بدرهم سرّاً و بدرهم علانيـة فأنزل فيه : « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً و علانية » .

و روى الواحدى النيسابورى فى أسباب النزول عن إبن عباس : و ذلك ان على بن ابيطالب رضى الله عنه نوبة أجر نفسه يسقى نخلا بشىء من شعير ليلة حتى أصبح وقبض الشعير وطحن ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوا يقال له: الخزيرة .

فلما تمّ إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام ثم عمل الثلث الثانى فلما تمّ إنضاجه أتى يتيم فسئل ، فاطعموه ثم عمل الثلث الباقى فلما تمّ إنضاجه أتى أسير من المشركين ، فاطعموه وطووا يومهم ذلك فأنزلت فيه هذه الاية .

و فى الكشاف عن إبن عباس : ان الحسن والحسين عليهما السلام مرضا ، فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ناس معه فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك .

فنذر علىّ و فاطمة و فضة جارية لهما إن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا و ما معهم شىء ، فاستقرض علىّ من شمعون الخيبرى اليهودى ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعاً ، و اختبزت خمسة أقراص على عددهم ، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا .

فوقف عليهم سائل فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم مسكين من مساكين المسلمين أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه و باتوا لم يذوقوا إلا الماء .

و أصبحوا صياماً فلما أمسوا و وضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم

فآثروه و وقف عليهم أسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي عليه السلام بيد الحسن والحسين و أقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أبصرهم و هم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع .

قال: ما أشدّ ما يسؤني ما أرای بکم ؟ وقام فانطلق معهم ، فرای فاطمة فی محرابها قد إلتصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه صلى الله عليه وآله ذلك فنزل جبرئيل و قال : خذها يا محمد هنأك الله فی أهل بيتك فاقرأه السورة .

اقول : رواه جماعة من أعلام العامة :

١ ـ إبن الاثير فی (اسد الغابة ج ٥ ص ٥٣٠ ط مصر سنة ١٢٨٥ هـ)

٢ ـ محمود الزمخشری الحنفی فی (ربيع الابرار ص ٢٠٩)

٣ ـ البغوی الشافعی فی (معالم التنزيل ج ٧ ص ١٥٩ ط القاهرة)

٤ ـ محمد بن طلحة الشافعی فی (مطالب السئول ص ٣١)

٥ ـ إبن حجر العسقلانی فی (الاصابة ج ٤ ص ٣٧٦ ط دار الكتب المصرية)

٦ ـ سبط إبن الجوزی فی (التذكرة ص ٣٢٢ ط الغری)

٧ ـ إبن أبی الحديد فی (شرح النهج ج ٢ ص ٣٧٠ ط القاهرة)

٨ ـ الخطيب الخوارزمی فی (المناقب ص ١٧٩ ط تبريز)

٩ ـ الكنجی الشافعی فی (كفاية الطالب ص ٢٠١ ط الغری)

١٠ ـ إبن العربی المالكی الاندلسی فی (محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ج ١ ص ١٠٣ ط مصر بمطبعة الشعراوی)

١١ ـ محب الدين الطبری فی (ذخائر العقبی ص ١٠٢ ط مصر)

١٢ـ إبن حجر العسقلانی فی (الكاف والشاف ص ١٨٠ ط مصطفی مصر)

١٣ ـ الصفوری البغدادی فی (نزهة المجالس ج ١ ص ٢١٣ ط القاهرة)

١٤ ـ إبن كثير الدمشقی فی (البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٢٩ ط السعادة بمصر)

١٥ـ إبن المغازلی الواسطی فی (المناقب)

١٦ ـ القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ٢١٢ ط اسلامبول)

١٧ ـ البرزنجى فى (مقاصد الطالب ص ١١)

١٨ ـ الامر تسرى فى (أرجح المطالب ص ١٦٥ ط لاهور)

١٩ ـ أبوبكر الشيرازى فى (رسالة الاعتقاد)

٢٠ـ محب الدين الطبرى أيضا فى (الرياض النضرة ص٢٢٧ط محمدأمين الخانجى)

٢١ ـ النظام النيشابورى فى تفسيره (غرائب القرآن)

٢٢ ـ أبوحيان الاندلسى فى تفسيره (البحر المحيط ج ٨ ص ٣٩٥ ط مطبعة السعادة بمصر)

٢٣ ـ الفخر فى تفسيره (مفاتيح الغيب)

٢٤ ـ البيضاوى فى تفسيره (أنوار التنزيل)

٢٥ ـ أبوالسعود العمادى فى تفسيره (إرشاد عقل سليم)

٢٦ ـ الآلوسى فى تفسيره (روح المعانى)

٢٧ ـ أبوطيب صديق بن الحسن بخارى هندى فى تفسيره (فتح البيان)

٢٨ ـ محمد محمود الحجازى فى تفسيره (الواضح) و غيرهم تركنا للاختصار ثم قال الحجازى ما لفظه :

« هذا هو الايمان الصحيح السليم من كل شائبة يطعمون الطعام على حبه قائلين بلسان الحال لابلسان المقال قالوا: انانخاف من ربنا يوم تعبس فيه الوجوه من كثرة ما تلاقى يوما عبوساً لشدة هوله و عظيم خطره على العباد » .

و **روى السيوطى** فى الدر المنثور عن إبن عباس : قوله تعالى: « و يطعمون الطعام على حبه » الاية نزلت فى على بن أبيطالب و فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رواه الشوكانى فى تفسيره (فتح القدير)

اقول : ولله درّ من قال :

إلى مَ الامَ و حتى متى	أُعاتب فى حب هذا الفتى
و هل زوّجت فاطم غيره	و فى غيره هل أتى هل أتى

هذا كلام إمام الشافعية محمد بن ادريس المطلبى الشافعى نقله الآلوسى فى تفسير روح المعانى و فى أوله: إلى م الى م و حتى متى ـ الخ بعينه.

وقال القرطبى فى تفسيره (الجامع لاحكام القرآن) ما لفظه :

و قال أهل التفسير : نزلت فى علىّ و فاطمة رضى الله عنهما و جارية لهما إسمها فضّة.

وفيه : و قال إبن عباس : بينما أهل الجنة فى الجنة إذ رأوا نوراً ظنّوه شمساً قدأشرقت بذلك النور الجنة، فيقولون : قال ربنا: «لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً » فما هذا النور ؟ فيقول لهم رضوان : ليست هذه شمس ولاقمر ولكن هذه فاطمة وعلىّ ضحكا فأشرقت الجنان من نور ضحكهما وفيهما أنزل الله تعالى: « هل أتى على الانسان » و أنشد :

أنـا مـولى لفتى	أنزل فيـه هل أتى
ذاك علىّ المرتضى	و ابن عم المصطفى

و روى الصدوق رحمة الله تعالى عليه فى الامالى باسناده عن مسلمة بن خالد عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام فى قوله عزوجل : «يوفون بالنذر» قال: مرض الحسن والحسين عليهما السلام وهما صبيان صغيران فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و معه رجلان.

فقال أحدهما: يا أباالحسن لو نذرت فى إبنيك نذراً ان الله عافاهما، فقال : أصوم ثلاثة أيام شكراً لله عزوجل و كذلك قالت فاطمة عليها السلام و قال الصبيان : و نحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام و كذلك قالت جاريتهم فضة.

فألبسهماالله عافية ، فاصبحوا صياماً وليس عندهم طعام، فانطلق على عليه السلام إلى جار له من اليهود يقال له : شمعون يعالج الصوف فقال : هل لك أن تعطينى جزة من صوف تغزلها لك إبنة محمد بثلاثة أصوع من شعير قال : نعم فأعطاه فجائه بالصوف و الشعير و اخبر فاطمة عليها السلام فقبلت و أطاعت ثم عمدت فغزلت

ثلث الصوف .

ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته و عجنته و خبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً وصلّى على عليه السلام مع النبى صلى الله عليه وآله المغرب ثم أتى منزله فوضع الخوان و جلسوا خمستهم فأوّل لقمة كسرها على عليه السلام إذا مسكين قد وقف بالباب ، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد أنا مسكين من مساكين المسلمين أطعمونى مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة فوضع اللقمة من يده ثم قال :

فاطم ذات المجد واليقين يا بنت خير الناس أجمعين
أما ترين البائس المسكين جاء إلى الباب له حنين
يشكو إلى الله و يستكين يشكو إلينا جائعاً حزين
كل امرء بكسبه رهين من يفعل الخير يقف سمين
موعده فى جنة رهين حرمها الله على الضنين
و صاحب البخل يقف حزين تهوى به النار إلى سجين

شرابه الحميم والغسلين

فأقبلت فاطمة عليها السلام تقول :

امرك سمع يابن عم و طاعة مابى من لوم ولاوضاعة (ولاضراعة)
غذيت باللب و بالبرعة أرجو إذا اشبعت من مجاعة
ان الحق الاخيار والجماعة و ادخل الجنة فى شفاعة

وعمدت إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين و باتوا جياعاً وأصبحوا صياماً لم يذوقوا إلاّ الماء القراح ثم عمدت إلى الثلث الثانى من الصوف فغزلته ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته و عجنته و خبزت منه خمسة أقرصة لكل واحد قرصاً ، و صلى على المغرب مع النبى صلى الله عليه وآله ثم أتى منزله .

فلما وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم فأوّل لقمة كسرها على عليه السلام إذاً يتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب فقال : السلام عليكم يا أهل

بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعمونى مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة فوضع على عليه السلام اللقمة من يده ثم قال :

فاطم بنت السيد الكريم ـ بنت نبى ليس بالزنيم ـ قد جائنا الله بذا اليتيم)

من يرحم اليوم فهو رحيم ـ موعده فى جنة النعيم ـ حرمها الله على اللئيم)

وصاحب البخل يقف ذميم ـ تهوى به النار إلى الجحيم ـ شرابها الصديد والحميم)

فأقبلت فاطمة عليها السلام و هى تقول :

فسوف اعطيه و لا أبالى ـ و اوثر الله على عيالى ـ امسوا جياعاً وهم اشبالى)

اصغرهما يقتل فى القتال ـ بكربلا يقتل باغتيال ـ لقاتليه الويل مع و بال)

يهوى فى النار إلى سفال ـ كبوله زادت على الاكبال

ثم عمدت فاعطته جميع ما على الخوان و باتوا جياعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح و أصبحوا صياماً و عمدت فاطمة عليها السلام فغزلت الثلث الباقى من الصوف و طحنت الصاع الباقى و عجنته و خبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً و صلّى على عليه السلام المغرب مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم أتى منزله فقرب إليه الخوان و جلسوا خمستهم فأوّل لقمة كسرها على عليه السلام إذاً أسير من أسراء المشركين قد وقف بالباب فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد تأسروننا وتشدوننا ولاتطعموننا ، فوضع عليه السلام اللقمة من يده ثم قال :

فاطمة يابنت النبى أحمد ـ بنت النبى سيد مسود ـ قدجاءك الأسير ليس يهتدى)

مكبلا فى غله مقيد ـ يشكو إلينا الجوع قد تقدد ـ من يطعم اليوم يجده فى غد)

عند العلى الواحد الموحد ـ ما يزرع الزارع سوف يحصد ـ فاعطى (فاعطنه) و لا تجعليه ينكد) .

فأقبلت فاطمة عليها السلام و هى تقول :

لم يبق مما كان غير صاع ... قد دبرت كفى مع الذراع

شبلاى والله هما جياع ... يا رب لا تتركهما ضياع

أبو هما للخير ذو اصطناع عبل الذراعين طويل الباع
و ما على داسى من قناع إلا عباً نسجتها بصاع

و عمدوا إلى ما كان على الخوان فأتوه و باتوا جياعاً وأصبحوا مضطرين ، و ليس عندهم شيء قال : شعيب فى حديثه و أقبل على بالحسن والحسين عليهما السلام نحو رسول الله وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع ، فلما بصر بهم النبى صلى الله عليه وآله قال :

يا أباالحسن شد ما يسؤنى ما أراى بكم انطلق إلى إبنتى فاطمة فانطلقوا إليها و هى فى محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع و غارت عيناها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله ضمها إليه .

وقال: واغوثاه بالله أنتم منذ ثلث فيما أرى ، فهبط جبرئيل فقال: يامحمد خذ ما هيأ الله لك فى أهل بيتك قال : و ما آخذ يا جبرئيل ؟ قال : « هل أتى على الانسان حين من الدهر » حتى إذا بلغ « ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا » .

و قال الحسن بن مهران فى حديثه ، فوثب النبى صلى الله عليه وآله حتى دخل منزل فاطمة عليها السلام فراى ما بهم فجمعهم ثم انكب عليهم يبكى و يقول : أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم فهبط عليه جبرئيل بهذه الايات: « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً » .

قال : هى عين فى دار النبى صلى الله عليه وآله يفجر إلى دور الانبياء والمؤمنين « يوفون بالنذر » يعنى علياً و فاطمة والحسن والحسين و جاريتهم « ويخافون يوماً كان شره مستطيراً » يقولون عابساً كلوحاً « و يطعمون على حبه » على شهوتهم للطعام و ايثارهم له مسكيناً من مساكين المسلمين و يتيماً من يتامى المسلمين و أسيراً من أسارى المشركين .

ويقول: إذا اطعموهم «إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولاشكوراً»

قال: والله ماقالواهذا لهم ولكنهم اضمروه في أنفسهم فأخبر الله باضمارهم يقولون: لانريدجزاء تكافوننا به ولاشكورا تثنون علينا به ولكنا إنما اطعمناكم لوجه الله و طلب ثوابه.

قال الله تعالى ذكره: « فوقيهم الله شر ذلك اليوم ولقيهم نضرة » في الوجوه «وسرورا» في القلوب « وجزاهم بماصبروا جنة » يسكنونها «وحريرا» يفترشونه و يلبسونه متكئين فيها على الأرائك والاريكة: السرير عليه الحجلة « لايرون فيها شمساً و لا زمهريراً ».

قال إبن عباس: فبينا أهل الجنة في الجنة إذ رأوا مثل الشمس قد أشرقت لها الجنان فيقول: أهل الجنة يارب انك قلت في كتابك: «لايرون فيهاشمساً» فيرسل الله جل إسمه إليهم جبرئيل فيقول: ليس هذه بشمس ولكن علياً و فاطمة ضحكا فاشرقت الجنان من نور ضحكهما و نزلت « هل أتى » فيهم إلى قوله تعالى: « و كان سعيكم مشكوراً ».

اقول: روى الحاكم الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل ج٢ص٢٩٨ -٣١٥ط مؤسسة الاعلمي ببيروت سنة ١٣٩٣هـ) أكثر مما أوردناه في هذا الباب فان شئت فراجع.

ولله درماقال يحيى بن سلام بن حسين بن محمد أبوالفضل الخطيب الحصكفي:

قوم أتى في مدحهم هل أتى	ما شك في ذلك إلا ملحد
قوم لهم في كل أرض مشهد	لابل لهم في كل قلب مشهد

اقول: انجرى هذه السورة على خلاف عادة القرآن يلهم القارى المتدبر فيها على ان الذين وصفوا فيها بكونهم أبراراً طائفة خاصة غير منفكين عن الايمان نزلت آيات منها فيهم.

وذلك لان عادة القرآن الكريم جرت في وصف المؤمنين بالصفات الحسنة والاخلاق الفاضلة و بالخير والصلاح أن يصفهم بالايمان أولاً ثم يصفهم على ما يقتضيه المقام ثانياً.

﴿القراءة﴾

قرأ أبو جعفر ونافع (سلاسلا) بالتنوين وصلاً وبالألف وقفاً ، ولصرفه وجهان : أحدهما - للسماع من العرب ثانيهما- لشباهته بالآحاد لكونه جمع الواحد المنصرف فجعل الجمع في حكم المفرد في الصرف .

وقرأ إبن كثير وحمزة (سلاسل) بغير الألف وصلاً وبالألف وقفاً ، ودخول الألف فيه وقفاً كدخولها في « الظنونا » و « السبيلا » و « الرسولا » لشباهته بالقوافي لا لانصرافه .

و قرأ نافع (قواريرا قواريرا) بتنوينهما وصلاً وبالألف وقفاً ، و قرأ حفص بغير التنوين فيهما والوقف على الاول بالألف وعلى الثاني بالاسكان و قرأ حمزة بغير التنوين فيهما والوقف عليهما بالسكون، والكلام في صرفهما وعدمه هو الكلام المتقدم في (سلاسل) .

وقرأ الشعبي و عبيد بن عمير (قدّروها) مبيناً للمفعول أي ان ذلك قدّر لهم أي قدّرها الله تعالى لهم ،والقراءة المشهورة (قدّروها) مبيناً للفاعل وضمير الجمع راجع إلى الخزان أو الملائكة أي قدّروها لهؤلاء الابرار فلا ينقص من ذلك ولا يزيد عليه .

وقرء حمزة وأبو جعفر ونافع (عاليهم) بسكون الياء و كسر الهاء والباقون بفتح الياء وضم الهاء

وقرء أبو جعفر وإبن عامر (خضر) بالرفع (واستبرق) بالجر لان خضراً صفة

مجموعة لموصوف مجموع وهو ثياب ، وأما استبرق فجرّ لكونه جنساً اضيف إليه الثياب كما اضيف إلى سندس كما يقال : ثياب خز و كتان ، ويدل على ذلك قوله تعالى : « ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق » الكهف : ٣١) .

وقرء إبن كثير (خضر) بالجر و(استبرق) بالرفع على أن خضراً صفة لسندس و عطف (استبرق) على ثياب كأنه قيل : ثياب سندس و ثياب استبرق محذوف المضاف واقيم المضاف إليه مقامه ،وقرء نافع برفعهما وقرأ حمزة بجرّهما فتدبر

وقرأ أبو عمرو وإبن عامر وإبن كثير (ومايشاؤون) بالياء لقوله تعالى :«فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا » .

والباقون بالتاء على أنه خطاب للكافة أي و ما تشاؤون الطاعة والاهتداء والاستقامة وفعال الخير (إلاّ أن يشاء الله) .



﴿الوصل والوقف﴾

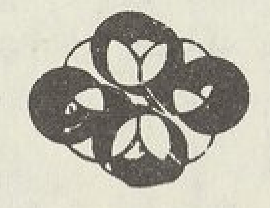
(أمشاجلا) وقد قيل : يوقف عليه لئلايوهم أن « نبتليه » صفةله لانه حال من « خلقنا » أى خلقناه مريدين إبتلاءه ،والصواب ان الوهم مدفوع لان ضمير المفعول فى (نبتليه) واحد والامشاج جمع .

(كافوراج)لاحتمال أن يكون (عينا) بدلاً من كافور، و(سروراج) للعطف ولتمام الكلام ، و(على الارائك ط) لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف .

(زمهريراج) لاحتمال أن يكون « دانية» عطفاً على « متكئين » فالتقدير : وجزاهم متكئين فيها على الارائك غير رائين فيهاهواء مؤذياً ودانيةعليهم الظلال، فدخلت الواوفى الثالثة للدلالة على الاجتماع كأنه قيل : وجزاهم جنةمتكئين فيها على الارائك جامعين فيها بين البعد عن الحر والبرد وبين الدنومن الظلال، وأن يكون عطفاً على « جنة » لانهم وصفوا بالخوف ، وقدقال الله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » الرحمن : ٤٦) ، فالتقدير « وجزاهم جنة اخرى دانية عليهم ظلالها » و (قواريرلا) لان (قوارير) الثانى بدل منه ، و (زنجبيلاج) لما مرّ فى (كافورا) و (سلسبيلاج) لاحتمال عطف مابعده والاستيناف .

(استبرقك) لاختلاف الجملتين مع أن وجه الحال فى الواوواضح أىوقد حلّوا ، و(فضةج) لاحتمال الوا والحال والاستيناف ، والأخير هو الاولى لافراد هذهالنعمة عن سائر النعم ، و (طهوراط) لتمام الكلام ، و (تنزيلاج) للآية مع

الفاء ، و (اصيلاج) للاية و إحتمال العطف ، و (اسرهم ج) لتمام الكلام و إحتمال العطف ، و (تذكرة ج) لتمام الكلام مع الفاء ، و (أن يشاء الله ط) لتمام الكلام و إحتمال علّة مابعده ، و (فى رحمة ط) لتمام الكلام و عطف مابعده .



﴿ اللغة ﴾

٣٧ - أمشاج - ١٤٣٥

مشج الشيء يمشجه مشجاً ـ من باب ضرب ـ : خلطه بغيره .

ويقال : للشيء المخلوط : مشج ومشج ومشيج وتجمع هذه الثلاثة على أمشاج كسبب وأسباب .

ويقال : عليه أمشاج من غزول أي برد منسوج من ضروب وألوان من الغزل ومن هنا اطلق الامشاج على الألوان والانواع .

ولماكانت النطفة التي يكون منها الحيوان يختلط فيها منيّ الذكر ومنيّ الانثى وصفت بانها أمشاج إذكان فيها نطفتان مختلطان ووقع المفرد بالجمع .

ويقال في صفة المولود : « ثم يكون مشيجا أربعين ليلة » المشيج: المختلط من كل شيء مخلوط ، وجمعه : أمشاج .

ومنه حديث الامام علي عليه السلام : « ومحطّ الامشاج عن مسارب الاصلاب» يريد المني الذي يتولد منه الجنين .

وقوله تعالى : « من نطفة من أمشاج » لان ماء الرجل يختلط بماء المرأة دمها يكون مشيجاً أربعين ليلة ، وفي الحديث : « ان الله خلق الناس أمشاجاً »

وفي اللسان : المشج والمشج والمشيج : كل لونين اختلطا .

والامشاج : أخلاط الكيموسات الاربع وهي : المرار الاحمر والمرار الاسود والدم والمنيّ .

وقال فى حديث على عليه السلام: أراد بالمشج: إختلاط الدم بالنطفة .هذا أصله.

و فى شرح القاموس : قال إبن السكيت :الامشاج : الاخلاط يريد النطفة لانها ممتزجة من أنواع ولذلك يولد الانسان ذا طبائع مختلفة .

٧٢ - السلسلة والسلسال والسلسبيل - ٧٣١

سلسل الشى بالشىء يسلسل سلسلة وسلسالاً - رباعى نحو دحرج -: وصله به بوساطة سلسلة ونحوها .

السلسلة : حلق من حديد ونحوه يدخل بعضها فى بعض على طريقة الطول وجمعها سلاسل

قال تعالى : « ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » الحاقة : ٣٢)

وقال : « إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً » الانسان : ٤)

وشىء مسلسل : متصل بعضه ببعض ومنه سلسلة الحديد وسلسلة الحديث .

والسلسل والسلسال والسلسبيل: ماكان من الشراب غاية فى السلالة وسهولة: الانحدار فى الحلق . والسلسبيل هو عين فى الجنة .

قال تعالى : « عيناً فيها تسمى سلسبيلاً » الانسان : ١٨)

قيل : سميت بذلك لانها سلسلة فى الاصاغة والمذاق .

السلاسة إسم من السلس بمعنى السهولة والانقياد . وسلاسة اللفظ : رقته و إنسجامه .

تقول : فى كلامه سلاسة .والسلس أيضاً: إسم من السلس وهو عدم استمساك البول .

فى المفردات : تسلسل الشىء : إضطرب كأنه تصور منه تسلّل متردد ، فردّد لفظه تنبيهاً على تردد معناه ، ومنه السلسلة .

وماء سلسل : متردّد فى مقرّه حتّى صفا قال الشاعر :

« اشهى إلىّ من الرحيق السلسل ».

١ - الكأس - ١٢٧٤

الكأس : القدح وهى مؤنث .

وجاءت فى القرآن الكريم بمعنى الاناء التى يشرب منها أهل الجنة. ويقال سقاه كأس الموت و كؤوس المنايا إذا قتله .

ويستعار الكأس فى جميع ضروب المكاره تقول : سقاه كأس من الذلّ .

و جمعها : اكؤوس و كؤوس و كأسات و كئاس .

ويقال : شرب فلان كأسا من الحب و كأس من الفرقة .

قال امية بن أبى صلت: من لم يمت عبطة يمت هرما ـ للموت كأس والمرء ذائقها.

فى المفردات : الكأس : الاناء بمافيه من الشراب وسمى كل واحد منهما بانفراده كأسا ، يقال : شربت كأساً و كأس طيبة يعنى بها الشراب .

وفى اللسان : الكأس : الزجاجة مادام فيها شراب والكأس: الشراب بعينه.

٢٨ - المزج والمزاج - ١٤٢٦

مزج يمزج مزجاً ومزاجاً ـ من باب نصر ـ : خلط .

مزّج السنبل : إصفرّ بعد الخضرة . مازجه : فاخره و خالطه ، تمازجا : تخالطا : يقال : تمازجوا تمازج الماء والصهباء .

والمزاج ـ بالكسر ـ : مصدروما يمزج به كالماء فى الشراب وما اسس عليه البدن من الطبائع ، جمعه أمزجة .

رجل مزّاج : لايثبت على خلق ، إنما هو ذو أخلاق ، وقيل : هو المخلّط الكذّاب.

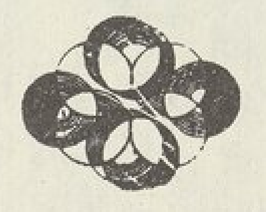
المزج - بكسر الميم وفتحها - : اللوز المرّ والعسل قيل : سمى به لانه يختلط بالشراب .

و مزاج البدن : ما ركب عليه من الطبائع الاربع و هى : الماء والنار والهواء والتراب ، فيتولد من برودة الماء وحرارة النارفتور، ومن رطوبة الهواء ويبوسة التراب حالة متوسطة .

و كل نوعين إمتزجا فكل واحد منهما لصاحبه : مزاج ومزج ، و مزاج البدن : ما اسس عليه من مرّة .

ومزاج الجسم ما اسس عليه البدن من الدم والمرّتين والبلغم .

والمزاج عند الحكماء : كيفية حاصلة من كيفيات متضادة ويقال :هوصحيح المزاج وفاسده ، وهوما اسس عليه البدن من الاخلاط وأمزجة النساء مختلفة .



﴿ كلام في معنى الكافور ﴾

الكافور: عين ماء في الجنة طيب الريح، قال الله تعالى: «كان مزاجها كافوراً عينا فيها تسمى سلسبيلاً» الانسان : ٥)

الكافور من أخلاط الطيب : مادة عطرية الرائحة مرّة الطعم شفافة بلورية الشكل يميل لونها إلى البياض تتخذ من شجر كبير يسمى بلوروس ينبت في جزيرتي سومترا و بورنيو وفي جزيرة سيلان وفي بلاد الصين واليابان والهند.

و أما خواص الكافور فذكرها الباحثون كثيرة . . .

منها : ان الكافور قد جرب من وجهة فيزيولوجية فتقرر انه إذا استعمل بمقادير معتدلة إنتج تسكيناً و تبريداً و إذا تعوطي بمقادير كبيرة انتج سباتاً و هبوطاً عميقاً للقوى .

و ان الكافور مضاد للتشنج و مزيل للالتهابات في إبتدائها و قد عدّ من أعظم المسكنات للامراض العصبية و قد اشتهر الكافور بأضعافه للباء .

وقد قال بعض الكيماوي ان قطعة من الكافور تقوم مقام جميع فواعل المادة الطبية ، و قد اسس ذلك على أن جميع الامراض سببها وجود حيوانات في البنية و ان الكافور قاتل لها ، فصار بذلك مفيداً لجميع أمراض البنية على الاطلاق .

٦٤ - قمطرير - ١٢٥٦

قمطر القربة يقمطرها قمطراً ـ من باب دحرج ـ : ملأها وشدّها بالوكاء .

قمطر الشيء : إجتمع ، و جمعه لازم و متعد ، و قمطر العدوّ : هرب .

و اقمطرّ اليوم : طال و اشتدّ ، و القمطرير من الايام : الشديد المظلم ، و من الرجال : الشديد العبوس .

قال الله تعالى حكاية عن الابرار: « إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً » الانسان : ١٠) .

أى طويلاً شديداً و هو يوم القيامة .

القمطر : المقطرة و هى خشبة تجعل فى أرجل المجرمين .

إقمطرّت العقرب : عطفت ذنبها و جمعت نفسها .

إمرأة قمطرة : قصيرة عريضة ، والقمطرى: الرجل القصير الضخم ، ويقال : يمشى القمطرى مشية فى إجتماع ،وقمطر : ما يصان فيه من الكتب ، ويقال بالفارسية : صندوقچه .

والقمطر : الجمل القوى السريع ، وقيل : الجمل الضخم القوى و اقمطرّ عليه الشيء : تزاحم ، و اقمطرّ للشر : تهيّاء ،و يقال : إقمطرّت عليه الحجارة : أى تراكمت و أظلّت .

٥٣ - النضرة - ١٥٢٨

نضر الورق ينضر نضرة و نضوراً و نضراً و نضارة ـ من باب نصر ـ : إخضرّ و ظهر حسنه .

النضرة : النعمة والعيش والغنى والحسن والرونق واللطف ، ونضر الوجه : حسن و كان عليه رونق و طراءة ،و نضرة النعيم : بهجته و بريقه .

قال الله تعالى : « لقاهم نضرة و سروراً » الانسان:١١) النضرة عن الوجه والسرور فى القلب الجمع : النضار بكسر النون والانضر .

ويقال فى كل لون مبالغة : إخضر ناضر ، و إحمر ناضر و اصفر ناضر أى

الناعم الذى له بريق فى صفائه .

والنضرة : السبيكة من الذهب ، والنضار كغراب : الذهب والفضة ، و قد غلب على الذهب والجواهر الخالص من التبر .

فى المفردات: النضرة : الحسن كالنضارة قال تعالى: «نضرة النعيم» أى رونقه.

والنضر والنضير: الذهب لنضارته ، وقدح نضار خالص كالتبر ، و قدح نضار بالاضافة متخذ من الشجر .

و فى النهاية : النضارة في الاصل : حسن الوجه والبريق ، و إنما أراد حسّن خلقه و قدره .

والنضار : الخالص من كل شيء .

و فى اللسان : فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « نضّر الله عبداً سمع مقالتى فوعاها ثم أدّاها إلى من يسمعها » .

و إذا قلت : نضّر الله امرأ أى نعّمه .

٢٦ - الأريكة والأرائك - ٢٦

أرك يأرك أروكاً - من باب أمر - : قام و أقام يتعدى ولا يتعدى الأريكة: إسم ، جمعها أرائك: سرير فى حجلة . قال الله تعالى: « متكئين فيها على الارائك » الانسان : ١٣) .

والحجلة بيت كالقبّة يستر بالثياب و ينجّد و يزّين .

و قيل : كل ما اتكىء عليه من سرير أو فراش أو منصّة .

فى المفردات: الأريكة : حجلة على سرير وتسميتها بذلك إما لكونها فى الارض متخذة من أراك و هو شجرة أو لكونها مكانا للاقامة من قولهم : أرك بالمكان أروكاً .

وأصل الأروك : الاقامة على رعى الأراك ثم تجوّز به فى غيره من الاقامات.

وفي القاموس وشرحه : الأريكة كسفينة : سرير في حجلة من دونه ستر ولا يسمى منفرداً أريكة ، و إذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة .

و في اللسان : الأراك : شجر معروف وهو شجر السواك يستاك بفروعه .

٢٧ - زمهرير - ٦٤٤

زمهر يزمهر زمهرة ـ من باب قشعر ـ : إشتدّ برده .

يقال : زمهرت العين : إحمرّت غضباً .

إزمهرّ اليوم إزمهراراً : إشتدّ برده .

الزمهرير : شدة البرد . قال الله تعالى: « لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً » الانسان : ١٣) .

الزمهرير : القمر في لغة طيّ .

إزمهرّت الكواكب : لمعت و زهرت و لمحت ، و قيل : إشتدّ ضوءها ، والمزمهرّ : الشديد الغضب ، و وجه مزمهرّ : كالح .

والمزمهر أيضاً : الضاحك السن تشبيهاً بازمهرار الكواكب .

٤٩ ـ القطف والقطوف ـ ١٢٤١

قطف الثمرة يقطفها قطفاً وقطفاناً وقطافاً ـ من باب ضرب ـ : قطعها وجناها و جمعها .

و قطف الشيء : أخذه بسرعة و خطفه ، و قطف فلاناً : خدشه ، و قطفت الدابة : ضاق مشيها ، وأساءت السير وأبطأت ، والقطف ـ بكسر القاف ـ يجيىء لمعنيين :

احدهما ـ مايقطف من الثمر ، وهو مما جاء على فعل بمعنى مفعول كالقطع والذبح ، والطحن بمعنى المقطوع والمذبوح والمطحون .

ثانيهما ـ ما أينع من الثمر وحان قطافه ، وجمعه : قطوف .

وبالمعنى الثانى فسّر قطوف فى قوله تعالى : « فى جنة عالية قطوفها دانية » الانسان : ١٤)

القطاف ـ بكسر القاف وفتحها ـ : أوان قطف الثمرة، ويقال: حان القطاف: حضر وقته ، و بضمها : مايسقط من العنب إذا قطف . المقطف : المنجل الذى يقطف به وأصل العنقود، والقطيفة : دثار مخمل جمعها: قطائف ، وقطف بضمتين، واقتطف المتكلم الكلام : اخذ خلاصته .

فى المفردات : يقال : قطفت الثمرة قطفاً ، والقطف : المقطوف منه ، و جمعه : قطوف .

فى النهاية : قال الحجاج لعنه الله : أرى رؤوساً قد انيعت وحان قطافها .

و فى اللسان : « قطوفها دانية » أى ثمارها قريبة التناول يقطفها القاعد و القائم

٥٤ـ الكوب والاكواب ـ ١٣٢٧

كاب الشيء يكوب كوباً ـ من باب قال ـ : دقّ بالفهر .

كوّب الشيء : دقّه بالفهر و قيل : الكوبة : الفهر ـ بالكسر ـ : الحجر الصغير قدر ملأ الكف.

كاب يكوب : إذا شرب بالكوب .

الكوب : كوز مستدير الرأس لا عروة له ويتخذ وعاء للشراب وجمعه أكواب وهى آنية تقدم فيها الاشربة لاهل الجنة .

وهذا من قبيل التمثيل فانه لا يعلم أحد غير الله تعالى حقيقة هذه الاكواب ولا حقيقة مايشرب فيها اهلها .

الكوب ـ بفتحتين ـ : دقّة العنق و عظم الرأس . الكوبة ـ بفتح الكاف ـ :

الحسرة على مافات .

الكوبة ـ بالضم ـ : الزدفى كلام أهل اليمن .

فى المفردات : الكوبة : الطبل الذى يلعب به .

وفى النهاية : في الحديث : « ان الله حرّم الخمر والكوبة » هي الزدو قيل: الطبل وقيل : البربط .

ومنه حديث على عليه السلام : « أمرنا بكسر الكوبة »

وفى مجمع البحرين قوله تعالى: «وا كواب موضوعة »أى على حافاة العيون الجارية كلما أراد المؤمن شربها وجدها مملؤة و يشربون بها مايشتهونه من الاشربة ويتمتعون بالنظر إليها لحسنها .

وفي الحديث : « أكوابه ـ يعنى الكوثر ـ عدد نجوم السماء »

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنها كم عن الكوبات »

١٨ - زنجبيل - ٦٤٥

الزنجبيل : نبات عشبى يزرع فى البلاد الحارة وسوقه الأرضية حريفة تحذئ اللسان وهى التى يستعملها الناس وكانت العرب تستلذها .

و فى اللسان : الزنجبيل : مما ينبت فى بلاد العرب بأرض عمان و هو عروق تسرى في الارض .

ونباته شبيه بنبات الراسن ، وليس منه شيء برّياً ، وليس بشجريؤ كل رطباً كما يؤكل البقل ويستعمل يابساً ، و أجوده ما يؤتى به من الزنج و بلاد الصين .

والعرب تصف الزنجبيل بالطيب وهومستطاب عندهم جداً .

وفى القاموس و شرحه : ومربا الزنجبيل أجود المربيات ،له قوّة مسخنة هاضمة ملينة يسيرا باهية جالية للبلغم مذكية للعقل مفرحة للنفس ، وان خلط

برطوبة كبد المعز، وجفف وسحق وا كتحل به أزال الغشاوة وظلمة البصر عن تجربة

وماورد عن الباحثين : ان زنجبيل أصل هذا الاسم هندى وضع لتعيين جذر النبات المسمى باللسان النباتى اموموم زنجبير .

وهذا النبات يكثر بالهند وجزيرة الفلبين والصين .

وله أنواع ومانحن بصدده انه يوجد فى التجارة نوعان منه :

أحدهما - الزنجبيل السنجابى وطعمه حريف فلفلي ورائحته عطرية قوية فلفلية ومسحوقه أصفر .

ثانيهما - الزنجبيل الابيض ورائحته أقل عطرية وأما طعمه فأشد و أقوى حرقة .

والاحسن هو النوع الاول منهما ومن آثاره يهيج باطن الانف تهيجاً قوياً فيثير العطاس وطعمه المحرق يؤثر على سطح الفم ، فيسبب سيلان لعاب كثير وهو يؤثر أيضاً تأثيراً ا كلافي الاعضاء الهضمية ، ومن ظهور تأثيره فى القوى المنهضمة للمواد الغذائية يعلم أنه مقوٍّ للمعدة فى غاية مايكون من القوة ولذلك يستعملونه فى بلاد الهند لذلك و يضيفونه على جميع المآ كل كما يصنع ذلك فى بلاد الغرب.

وقد أطنب الاطباء فى ذكر خواصه :

منها : انه يقوى أعضاء الحواس و يزيد فى فاعلية القوى الأدبية و يقوى البصر ويزيد الحافظة و يستعمل لبحة الصوت و انه مقوٍّ للقلب والمعدة و يزيد المنى وغيرها من الخواص التى ذكرت فى محلها .

﴿ النحو ﴾

١- (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً)

في « هل » وجوه: أحدها - بمعنى « قد » فتفيد ثبوت معنى الجملة و تحققه، أي قد أتى على الانسان كقوله تعالى: «هل أتاك حديث الغاشية» الغاشية: ١) وانما تفيد معنى الاستفهام حيث تفيده لتقدير الهمزة، وانما حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال، والدليل على تقدير الهمزة جواز إظهارها مع « هل » والمعنى: أقد أتى فالاستفهام يفيد التقرير و«قد» تفيد التقريب، فيكون حاصله: انه أتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر، وهو طائفة من الزمان غير محدودة.

ثانيها - « هل » ههنا بمنزلة الاستفهام والمعنى: أتى حين من الدهر لم يكن الانسان فيه شيئاً مذكوراً فالجملة خبرية.

ثالثها - هي إستفهام على بابها، والاستفهام هنا للتقرير. وقيل: للتوبيخ على من أنكر بالبعث. والمعنى: من أحدث هذا الانسان وأوجده، ولم يكن له وجود من قبل أصلاً، فكيف يمتنع عليه إعادته، فان من قدر على ايجاد شيء بعد أن لم يكن كان على إعادته أقدر.

« أتى » فعل ماض، و « على الانسان » متعلق بـ « أتى » و « حين » فاعل الفعل، و « من الدهر » متعلق بمحذوف، وهو نعت من « حين » و«لم» حرف جحد و« لم يكن » فعل مضارع من أفعال الناقصة، مجزوم بحرف الجحد، والضمير المستكن فيه الراجع إلى « الانسان » إسمه، و« شيئاً » خبره، و في الجملة

وجهان : أحدهما - فى موضع نصب، حال من «الانسان» لانه فى التقدير المفعول. ثانيهما - فى موضع رفع ،نعت ثان من « حين » والمعنى : لم يكن الانسان فيه من الدهر شيئاً . و« مذكوراً » إسم مفعول ، نعت من « شيئاً » .

٢- (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً)

« انا » أصلها: اننا، فحذفت إحدى النونات تخفيفاً ، و « ان » حرف تأكيد، و«نا» ضمير تكلم مع الغير ، فى موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد ، و « خلقنا» فعل ماض ، للتكلم مع الغير،فاعله هو الله تعالى وحده والجمع للتعظيم،والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ،و«الانسان» مفعول به ، و« من نطفة»متعلق بـ« خلقنا » وفى «أمشاج » وجهان : أحدهما - بدل من «نطفة» ثانيهما- صفة من « نطفة» جمع مشيج ، من جمع القلة ، وجاز وصف الواحد بالجمع هنا لانه فى الاصل متفرقاً ثم جمع أى نطفة أخلاط .

« نبتليه » فعل تكلم مع الغير من المضارع ، من باب الافتعال ، والفاعل هو الضمير المستكن فى الفعل ، الراجع إلى الله تعالى ، والجمع للتعظيم ، وضمير المتصل فى موضع مفعول به ، راجع إلى « الانسان » وفى موضع الجملة وجوه : أحدها - فى موضع نصب ، حال من « الانسان » ثانيها - حال من ضمير الفاعل . ثالثها - حال مقدرة أى مريدين ابتلاءه حين تأهله . رابعها - جملة مستأنفة . خامسها - نعت من « الانسان » . سادسها - فى الاية تقديم وتأخير و نبتليه معناه: لنبتليه كقولك لرجل : جئتك أقضى حقك أى لاقضى حقك . والمعنى : جعلناه سميعاً بصيراً لنبتليه .

« فجعلناه » الفاء للسببية ، والفعل ماض للتكلم مع الغير، وضمير الوصل فى موضع نصب ، مفعول أول ، راجع الى « الانسان » و « سميعاً » مفعول ثان ،و « بصيراً » مفعول بعد مفعول . وقيل : نعت لـ« سميعاً » وقيل : حال من الضمير المتصل فى « خلقناه » .

٣- (انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً)

وقد سبق الكلام فى « انا » آنفا فراجع ، و « هديناه » ك « جعلناه » و « السبيل » مفعول ثان ، و « إما » ههنا لتفصيل أحوال الانسان تجاه الهداية ، و فى نصب « شاكراً » وجوه : أحدها ـ حال مقدرة ، وهى الحال التى يكون حصول مضمونها متأخراً عن حصول مضمون عاملها لان معنى الهداية: نصب الدليل ، ولا شك فى تأخر الشكر والكفر عنه ، وهى كالحال التى فى قوله تعالى : « طبتم فادخلوها خالدين » الزمر : ٧٣) ثانيها ـ حال من « السبيل » على سبيل الاسناد المجازى لان وصف السبيل بالشكر والكفر مجاز . والمعنى : بيّنا السبيل مقسوماً إلى هذين القسمين .

ثالثها ـ حال من الهاء فى« هديناه» أى يناله فى كلتى حالتيه . والمعنى: هديناه شاكراً أو كفوراً ، إذ مكّنّاه وأقدرناه فى هاتين الحالتين . رابعها ـ خبر لمحذوف ، على تقدير : هديناه السبيل،فيكون إما شاكراً أو كفوراً . وفيه جهة الوعيد ، أى فان شاء فليكفر وإن شاء فليشكر .

٤ـ (انا أعتدنا للكافرين سلاسل واغلالاً وسعيراً)

« اعتدنا » فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال من « عتد » بمعنى إدّخار الشيء قبل الحاجة إليه ، وقيل : أصله : أعددنا ، فابدلت إحدى الدالين تاءاً ، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « للكافرين » جمع الكافر متعلق بـ « أعتدنا » و « سلاسل » منتهى جموع ، غير منصرف من السلسلة،مفعول به لـ « أعتدنا » و « أغلالاً » جمع غلّ من جمع القلة ، عطف على « سلاسل » و « سعيراً » عطف آخر على « سلاسل » .

٥ـ (ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً)

«ان» حرف تأكيد ، و« الابرار » جمع البر وهو صفة مشبهة . وقيل: جمع البار كالاشهاد والشاهد. وقيل : جمع البار البررة . وجمع البر الابرار مثل :النهر والانهار . و«الابرار » إسم لحرف التأكيد ،و « يشربون » فعل مضارع لجمع

المذكر الغائب ، وفاعله ضمير راجع إلى « الابرار » اقيمت مقامه الواو على حذف المفعول أى يشربون ماءاً حذف لدلالة السياق عليه . وقيل : على تقدير: يشربون من كأس ماء عين ، فحذف « الماء » كما حذف فى قوله تعالى : « كلوا واشربوا هنيئاً » المرسلات : ٤٣)

فحذف الماء للعلم بأن الماء من العين ماؤها لانفسها . وقيل : على تقدير: يشربون خمراً . والمراد من الخمر تسمية للحال باسم المحل ، و « من » فى « من كأس » للتبعيض ، ومع مجرورها متعلق بمحذوف، نعت للمفعول المحذوف، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد .

«كان» فعل ماض من أفعال الناقصة ، و « مزاجها » إسمه ، والمزاج اضيف إلى ضمير راجع إلى « عين ماء » أو إلى « خمر » و هما المحذوفان ، و «كافوراً» خبر لفعل الناقص ، وفى موضع الجملة وجوه . أحدها ـ فى موضع جرّ ، نعت من «كاس» . وثانيها ـ فى موضع نصب ، صفة للمشروب المحذوف . ثالثها ـ فى موضع نصب ، حال من المفعول المحذوف .

٦ـ (عيناً يشرب بها عبادالله يفجرونها تفجيراً)

فى « عيناً » وجوه : أحدها ـ بدل من «كافوراً» فيها رائحته ، بناء على أن «كافوراً» إسم عين ، فيكون من قبيل بدل الكل من الكل أو ماء عين أو خمر عين . ثانيها ـ بدل من موضع «كأس» على حذف الجار أى يشربون من عين . ثالثها ـ منصوب على المدح أو الاختصاص أى أعنى عيناً ، أو اخص عيناً . رابعها ـ منصوب على تقدير : اعطوا عيناً . خامسها ـ على تقدير : يشربون عيناً . و قد فسّره مابعده . سادسها ـ منصوب على التميز . سابعها ـ على تقدير : يشربون ماء عين أو خمر عين ، على حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقام المضاف. ثامنها ـ على تقدير : يشربون من كأس ماء عين، فحذف مفعول « يشربون » وأقام «عيناً» مقامه . تاسعها ـ منصوب على الحال من الضمير فى « مزاجها » .

عاشرها - منصوب بنزع الخافض أي من عين .

« يشرب » فعل مضارع للمفرد المذكر ، وفي « بها » وجوه : أحدها - ان الباء زائدة والضمير في موضع نصب ، مفعول به راجع إلى « عيناً » على تقدير : يشرب ماءها لان العين لايشرب وانما يشرب ماء ها . ثانيها - ان الباء بمعنى « من » أي يشرب منها . ثالثها - متعلق بمحذوف على سبيل الحال أي يشرب ممزوجاً بها . رابعها - محمول على المعنى أي يلتذّ بها . و « عباد » جمع عبد ، فاعل لـ« يشرب » اضيف إلى « الله » والجملة في موضع نصب ، نعت من « عيناً » .

« يفجرونها » فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب التفعيل ، وضمير الجمع هو الفاعل ، وهو الراجع إلى « عباد الله » وضمير التأنيث في موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى « عيناً » و « تفجيراً » مفعول مطلق ، وفي موضع الجملة وجوه : أحدها - في موضع جرّ ، نعت من « عباد الله » ثانيها - في موضع نصب ، نعت من « عيناً » ثالثها - في موضع نصب ، حال من « عباد الله » .

٧- (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً)

« يوفون » فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب الافعال ، وأصله : يوفيون ، فلثقل الضمة على الياء نقلت إلى الفاء بعد حذف حركتها ، ولا لتقاء الساكنين بين الياء والواو حذفت الياء و« بالنذر » متعلق بـ« يوفون » و تعدية الفعل بالباء مع تعديته بألف الافعال للتأكيد ، والجملة نعت من « عباد الله » والمراد بهم هؤلاء الابرار الذين تقدّم ذكرهم . وقيل : ان الجملة مستأنفة .

« ويخافون » عطف على « يوفون » نعت بعد نعت ، و « يوماً » مفعول فيه ، و« كان » فعل ناقص ، و« شرّه » إسمه ، والضمير راجع إلى « يوماً » و« مستطيراً » إسم فاعل من باب الاستفعال من استطار ، وخبر لـ« كان » والجملة في موضع نصب ، نعت من « يوماً » .

٨- (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً)

الواو للعطف، و « يطعمون » فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب الافعال ، عطف على « يوفون » و« طعام » مفعول أول ، و« على حبه » متعلق بـ « يطعمون » والضمير راجع إلى « الطعام » وقيل : راجع إلى الله تعالى، و« مسكيناً » مفعول ثان ، و« يتيماً وأسيراً » معطوفان على « مسكيناً » .

٩- (انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكوراً)

« انما » كلمة حصر ، و« نطعمكم » فعل مضارع للتكلم مع الغير من باب الافعال ، وضمير الجمع المخاطب في موضع نصب ، مفعول به ، و ضمير التكلم راجع إلى « الابرار » وضمير المخاطب راجع إلى « مسكيناً ويتيماً وأسيراً » و « لوجه الله » متعلق بـ « نطعمكم » و« لا » حرف نفي ، و« نريد » فعل تكلم مع الغير من المضارع من باب الافعال ، و « منكم » متعلق بـ « نطعمكم » و « جزاء » مفعول به ، والجملة في موضع نصب، حال من ضمير الابرار ، و« لاشكوراً » عطف على « جزاء » .

١٠- (انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً)

« انا » حرف تأكيد مع إسمها ، و« نخاف » فعل تكلم مع الغير من المضارع، في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « من ربنا » متعلق بـ « نخاف » و« يوماً » مفعول فيه و « عبوساً قمطريراً » نعتان من « يوماً » أي يوماً تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته . والمعنى : نخاف يوماً ذا عبوس صعباً شديداً . وقيل : « قمطريراً » صفة لـ « عبوساً » :

١١- (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً)

الفاء للنتيجة ، والفعل ماض ، وضمير الجمع في موضع نصب ، مفعول أول، و« الله » فاعل الفعل ، و« شر » مفعول ثان ، اضيف إلى « ذلك » و « اليوم » بدل من « ذلك » وقيل : عطف بيان ، و « لقاهم » الواو للعطف ، والفعل ماض من باب التفعيل ، عطف على « فوقاهم » والضمير المستكن في الفعل هو الفاعل ، و هو

راجع إلى « الله » و« هم » في موضع نصب ، مفعول أول ، و « نضرة » مفعول ثان على حذف الوجوه لدلالة السياق عليها ، كما حذفت القلوب من « سروراً » لذلك.

١٢- (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً)

الواو للعطف والفعل ماض ، و« هم » في موضع نصب ، مفعول أول ، والجملة عطف على « فوقاهم » والباء في « بما » للسببية ، و« ما » مصدرية أي بسبب صبر هؤلاء الابرار ، و « جنة » مفعول ثان ، و « حريراً » عطف على « جنة » وفي الاية تقدير أي صبروا على الجوع أو على الفقر أو على كل ما ينبغي لهؤلاء الابرار أن يصبروا عليه .

١٣- (متكئين فيها على الارائك لايرون فيها شمساً ولازمهريراً)

في نصب « متكئين » وجوه : أحدها - على الحال من ضمير الجمع في « جزاهم » وعامل الحال « جزى » ولا يعمل فيها « صبروا » لان الصبر انما كان في الدنيا ، والاتكاء في الاخرة . ثانيها - نعت من « جنة » كأنه قال : جزاهم جنة متكئين فيها . ثالثها - منصوب على المدح . رابعها على - الحال من مرفوع « ادخلوها » المقدر .

و « فيها » متعلق بمحذوف ، وقيل: متعلق بـ « متكئين » و « على الارائك » جمع الاريكة متعلق بـ « متكئين » و« لا » حرف نفي ، و « يرون » فعل مضارع لجمع المذكر الغائب ، و « فيها » متعلق بـ « لايرون » والضمير راجع إلى « جنة » والجملة في موضع نصب على الحال من ضمير الجمع في « جزاهم » مثل « متكئين » وقيل : حال من الضمير في « متكئين » .

« شمساً » مفعول به ، و « لا زمهريراً » عطف على « شمساً » مع تكرير حرف النفي .

١٤- (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً)

في « ودانية » وجوه: أحدها - منصوب على الحال ، عطفاً على « متكئين »

فيكون فى « دانية » من الوجوه ما فى « متكئين » ثانيها - منصوب على النعت ا « جنة » أى وجزاهم جنة دانية ، فهى صفة لموصوف محذوف . ثالثها - عطف على موضع «لايرون فيها شمسا » أى ولايرون دانية أوغير رائين دانية .

رابعها - منصوب على المدح أى دنت دانية . خامسها - مفعول به .والمعنى وجزاهم جنة - ودانية عليهم ظلالها كقوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان» الرحمن : ٤٦) .

سادسها - عطف على « جنة » لانهم وصفوا بالخوف على تقدير : و جزاهم اخرى دانية عليهم ظلالها . سابعها - حال ثالثة ، ودخلت الواو فيها دون الثانية للدلالة على الاجتماع كأنه قيل : وجزاهم جنة متكئين فيها على الارائك جامعين فيها بين البعد عن الحر والبرد وبين الدنو من الظلال .

« عليهم » متعلق بـ« دانية » و « ظلالها » جمع الظل ، مرفوع بـ « دانية » إرتفاع الفاعل بفعله . و قيل : « ظلالها » مبتداء و « عليهم » متعلق بمحذوف وهو الخبر .

« و ذللت » فعل ماض من باب التفعيل ، مبنىّ للمفعول ، و تأنيث الفعل باعتبار جماعة فاعله النيابى ، و« قطوفها » ناب مناب الفاعل ، و « قطوف » جمع قطف بالكسر فالسكون ، و« تذليلاً »منصوب على المصدرية ، وفى موضع الجملة وجوه : أحدها - فى موضع نصب ، حال من « جنة » على تقدير : و قد ذللت .

ثانيها - حال من « دانية » ثالثها - عطف على « دانية » رابعها - الواو للاستيناف والجملة مستأنفة .

١٥- (ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا)

الواو للعطف ، و « يطاف » فعل مضارع ، مبنى للمفعول ، و« عليهم » متعلق بـ« يطاف » و« بآنية» متعلق بما يقوم مقام الفاعل لـ« يطاف » نيابة ، وهو طواف الولدان المخلدون ، وقيل : متعلق بـ« يطاف » على حذف الفاعل النيابى

و « آنية » جمع إناء من جموع القلة كأكسية جمع كساء ، و« من فضة »متعلق بمحذوف ، نعت من « بآنية » والجملة في موضع نصب ، حال اخرى من ضمير الابرار. « وأكواب » جمع كوب ، عطف على « بآنية » و «كانت » فعل ماض من أفعال الناقصة ، وإسمه ضمير مستترفيه ، راجع إلى « بآنية » وقيل : راجع إلى « أكواب » وفي نصب « قواريرا » و جهان : أحدهما - أن يكون خبراً ا «كانت» ثانيهما - أن يكون حالاً و«كانت » تامة أى كونت . وعلى أىّ التقديرين فالجملة في موضع جر ، نعت من « بآنية » وقيل : من « اكواب » .

١٦- (قوارير من فضة قدروها تقديراً)

« قوارير » بدل من « قواريرا » وحسن التكرار لما اتصل به من بيان أصلها ، و لولا التكرير لم يحسن أن يكون الاول رأس آية لشدة إتصال الصفة بالموصوف . وقيل : وليس في المقام تكرار ، و « من فضة » متعلق بمحذوف ، وهو نعت ا « قوارير » و « قدروها » فعل ماض ،من باب التفعيل ، وضمير الفاعل راجع إلى « الابرار » وقيل : راجع إلى الملائكة . وقيل : راجع إلى الخزان . و في ضمير التأنيث وجوه : أحدها - في موضع نصب : مفعول بـه ، راجع إلى « آنية » ثانيها - راجع إلى «أكواب »ثالثها - راجع إلى « قوارير »و«تقديراً» مفعول مطلق . وفي موضع الجملة وجهان : أحدهما - في موضع نصب ، نعت ا « قوارير» . ثانيهما - في موضع رفع على الاستيناف .

١٧- (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا)

الواو للعطف ، و « يسقون » فعل مضارع مبني للمفعول ، و ضمير جمع الفاعل النيابي راجع إلى « الابرار » و«فيها » متعلق بفعل السقي ، وضمير التأنيث راجع إلى « الجنة » و« كاساً » مفعول ثان قام مقام مفعـول أول ا « يسقـون » والجملة في موضع نصب ، حال من ضمير « الابرار » و«كان » فعل ماض من أفعال الناقصة ، و «مزاجها» إسمه، والضمير راجع إلى « كأساً» والمراد به الخمر ، و

« زنجبيلاً » خبره ، والجملة في موضع نصب ، صفة لـ « كأساً » .

١٨- (عيناً فيها تسمى سلسبيلا)

في « عيناً » وجوه سبقت في قوله تعالى : « عيناً يشرب بها عبادالله » ٦:) فراجع .

و « فيها » متعلق بمحذوف وهو نعت لـ « عيناً » والضمير راجع إلى « الجنة » و « تسمى » فعل مضارع ، مبني للمفعول ، وفاعله النيابي ضمير تأنيث ، مستكن فيه ، راجع إلى « عيناً » و « سلسبيلاً » مفعول ثان اقيم مقام المفعول الاول ، و الجملة في موضع نصب ، نعت لـ « عيناً » .

١٩- (ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً)

عطف على ما تقدم و « عليهم » متعلق بـ « يطوف » و « ولدان » فاعل لـ « يطوف » و « مخلدون » إسم مفعول من باب التفعيل ، صفة لـ « ولدان » و « إذا » شرطية ، و « رأيتهم » فعل ماض للمفرد المذكر المخاطب ، وضمير الجمع في موضع نصب ، مفعول به والجملة شرطية ، و « حسبتهم » جزاء الشرط ، و « لؤلؤاً » مفعول ثان لـ « حسبتهم » و « منثوراً » نعت لـ « لؤلؤاً » .

٢٠- (واذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً)

« إذا » كالمتقدم ، و « رأيت » الاول شرطها ، وفي « ثم » وجهان: أحدهما في موضع نصب على الظرف وعاملها معنى « رأيت » والمعنى : وإذا رأيت ببصرك ثم . ثانيهما - عاملها محذوف أي و إذا رأيت ما ذكرناه ثم . فيكون مفعول « رأيت » محذوفاً وهو الموصول . وفي بناء « ثم » و جهان : أحدهما - لتضمنه معنى لام التعريف و « ثم » معرفة . ثانيهما - لتضمنه معنى الاشارة ، والاصل في الاشارة أن يكون حرفاً ، فكأنه تضمن معنى الحرف ، فوجب أن يكون مبنياً . وبني على حركة لالتقاء الساكنين ، و كانت فتحة لانها أخف الحركات و « ثم » ظرف مكان ممحض في الظرفية ، اشير به إلى الجنة .

و « رأيت » الثاني جواب الشرط ، و « نعيماً » مفعول به ، و « ملكاً » عطف

على « نعيماً » و « كبيراً » صفة من « ملكاً » .

٢١- (عاليهم ثياب سندس خضرواستبرق وحلوا أساورمن فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً)

فى «عاليهم» وجوه : أحدها ـ منصوب على الحال من الضمير فى « عليهم » أى يطوف على هؤلاء الابرارفى هذه الحال . ثانيها ـ حال من « ولدان » أى و يطوف عليهم ولدان فى حال علوّ ثياب أبدانهم . ثالثها ـ منصوب على الظرفية ف « عاليهم » بمعنى فوقهم و« عاليهم » إسم فاعل اضيف إلى ضمير « الابرار »ولما كان « عالى » بمعنى فوق اجرى مجراه فجعل ظرفاً .

و « عاليهم » خبرمقدم و « ثياب سندس » مبتداء مؤخر . والصواب هو الاول لان ضميرالجمع راجع إلى « الابرار » دون الولدان المخلدين الذين‌هم من جملة ثواب الابرار وجزاء هم.

وفى عامل الحال وجوه : أحدها ـ قوله تعالى : « لقاهم نضرة وسروراً » ثانيها ـ قوله تعالى : « جزاهم بما صبروا » ثالثها ـ عاملها ظرف فصرف.خامسها- قوله تعالى ، « رأيت » على حذف المضاف . والتقدير : رأيت أهل نعيم و ملك عاليهم ثياب سندس .

و « ثياب » مرفوع بـ « عاليهم » لانه إسم فاعل ، جار مجرى الصفة على الموصوف ، و « ثياب » فاعل لـ « عاليهم » اضيف إلى « سندس » و هو معرّب ، و « خضر » نعت لـ « ثياب » و « استبرق » عطف على « ثياب » و « استبرق » إسم أعجمى ، وهوغليظ الديباج ، وأصله : « استبره » فابدلت الهاء قافاً ، و ألفه ألف قطع ، وهومنصرف لانه يحسن فيه دخول الالف‌واللام ، وليس باسم علم‌كابراهيم.

« وحلوا » الواو للعطف ، و « حلّوا » فعل ماض من‌باب التفعيل ، مبنىّ للمفعول ، وأصله « حليوا » فثقلت الضمة على الياء ، فنقلت إلى اللام بعد حذف كسرها ، و فاعله النيابى ضمير الجمع ، قامت مقامه واوالجمع ، راجع إلى

« الابرار » وقيل : راجع إلى « ولدان » وعلى الاول فالفعل عطف على « يسقون» وعلى الثانى على « يطوف » و « أساور » جمع سوار ، معرب « دستواره » أو « دست بند » مفعول ثان ، قام مقام المفعول الاول ، و « من » فى « من فضة » بيانية ، مع مجرورها متعلق بـ « حلوا » « وسقاهم » عطف على « حلوا » فالفعل ماض ، وضمير الجمع فى موضع نصب ، مفعول أول و « ربهم » فاعل الفعل ، و « شراباً » مفعول ثان ، و « طهوراً » نعت لـ « شراباً » .

٢٢- (ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً)

« ان » حرف تأكيد ، و « هذا » إسم إشارة إلى ما وصف من الجنة ونعيمها ، و « هذا » فى موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد ، و « كان » فعل ماض من أفعال الناقصة ، وإسمه ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « هذا » ، و « لكم » متعلق بمحذوف وهو نعت لـ « جزاء » و « جزاء » خبر لـ « كان » والجملة فى موضع رفع ، خبر لـ « ان » و « كان » عطف على ما قبله ، و « سعيكم » إسم لـ « كان » و « مشكوراً » خبره .

٢٣- (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً)

« انا » حرف تأكيد ، مع إسمها ، و « نحن » فى موضع نصب على التأكيد لاسم « ان » وقيل : على الوصف لاسمها ، والمضمر يوصف بالضمير لانه فى معنى التوكيد لا بمعنى التحلية ، لانه يستغنى عن التحلية و لا يستغنى عن التأكيد ، ليتأكد الخبر عنه ، ولا يكون « نحن » ضمير فصل لا موضع له من الاعراب ، لفقد شرط الفصل ههنا وهو وقوعه بين المعرفتين أو فى حكمهما .

« نزلنا » فعل ماض المتكلم مع الغير من باب التفعيل ، و « عليك » متعلق بـ « نزلنا » و « القرآن » مفعول به ، و « تنزيلاً » مفعول مطلق ، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التاكيد .

٢٤- (فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً)

الفاء للتفريع على ماهو لازم مضمون الاية السابقة ، وقيل : سببية ، أى و

بسبب انا نزّلنا عليك القرآن تنزيلاً اصبر . . و « اصبر » فعل أمر ، خطاب للنبى الكريم ﷺ واللام فى «لحكم » بمعنى « حين » أى اصبر إلى حين حكم ربك . والجار والمجرور متعلق بـ « اصبر » و « ولاتطع » الواو للعطف ، و « لا » حرف نهى ، و « تطع » مجزوم بحرف النهى باسقاط الياء ، فان أصله : تطيع من باب الافعال ، والجملة عطف على « اصبر » من عطف النهى على الامر و « منهم » متعلق بـ « آثماً » وضمير الجمع راجع إلى الكفار الذين سبق ذكرهم : « انا اعتدنا للكافرين سلاسل . . » : ٤) أو راجع إلى كل من يتلبس بالاثم والكفر ، فيشمل الفساق من المسلمين والكفار . . و « آثما » إسم فاعل ، منصوب لكونه مفعولاً به لـ « لاتطع » .

« او » ههنا على بابها فهى للاباحة ، و تفيد فى النهى المنع من الجميع كقولك فى الامر : جالس العالم العامل أو المؤمن الزاهد . أى أبحتك مجالسة هذا الضرب من الناس . والنهى فى هذا كالامر . و لو قال : لاتطع آثماً ولا تطع كفوراً لماكانت طاعة كليهما محرّمة .

٢٥- (واذكر اسم ربك بكرة واصيلاً)

« واذكر » عطف على « فاصبر » و « اسم » مفعول به ، اضيف إلى « رب » اضيف إلى كاف الخطاب ، و « بكرة » منصوب على الظرفية ، « و أصيلاً » عطف على « بكرة » .

٢٦- (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً)

« من الليل » فى موضع نصب ، مفعول ، به لان « من » بمعنى البعض أى وهو بعض الليل ، كما دخلت على المفعول فى قوله تعالى : « يغفر لكم من ذنوبكم » والفاء فى « فاسجد » للعطف ، و قدّم « من الليل » على الفاء إصلاحاً للفظ لئلاتقع الفاء صدراً ، و « اسجد » فعل أمر ، و « له » متعلق بـ « اسجد » و « سبحه » فعل أمر من باب التفعيل ، وضمير الوصل المفرد فى موضع نصب ،

مفعول به ، والجملة عطف على ما قبله ، و « ليلاً » منصوب على الظرفية ، و « طويلاً » نعت لـ « ليلاً » وقيل : صفة لمصدر محذوف أي تسبيحاً طويلاً .

٢٧- (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلا)

« ان » حرف تأكيد ، و « هؤلاء » في موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد ، و « يحبون » فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب الافعال ، و« العاجلة » مفعول به ، والجملة في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « يذرون » عطف على « يحبون » و « وراء » مفعول فيه، اضيف إلى ضمير «هم»: الكافرين ،و«يوماً» بدل من « وراء » و « ثقيلا » نعت لـ « يوماً » .

٢٨- (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً)

« نحن » مبتداء ، و « خلقنا » فعل ماض للتكلم مع الغير ، والفاعل هو الله تعالى وحده ، وجاء بصيغة الجمع تعظيماً ، و«هم» في موضع نصب ، مفعول به، راجع إلى الكافرين ، و« شددنا » عطف على « خلقنا » و« أسرهم » مفعول به ،و « إذا » شرطية ، و « شئنا » فعل الشرط ، و « بدلنا » فعلماض للتكلم مع الغير من باب التفعيل، جزاءالشرط، و« أمثال » جمع مثل، اضيفإلى « هم » والمضاف والمضاف إليه مفعول به ، و « تبديلاً » مفعول مطلق .

٢٩- (ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً)

« ان » حرف تأكيد ، و « هذه » في موضع نصب ، إسمها ، و « تذكرة » مصدر من باب التفعيل، خبرها، و «فمن» الفاء للتفريع ، و« من » شرطية ،و«شاء» فعل ماض للشرط ، و « اتخذ » فعل ماض من باب الافتعال ، جزاء للشرط و « إلى ربه » متعلق بـ « اتخذ » و « سبيلاً » مفعول به .

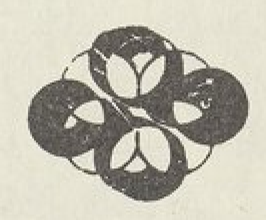
٣٠- (وما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً)

الواو تحتمل العطف والاستيناف و « ما » حرف نفي ، و « تشاؤن » فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب ، و « إلا » حرف إستثناء للانقطاع ، و « أن »

حرف ناصب و « يشاء » فعل مضارع ، منصوب بـ « أن » و« الله » فاعل الفعل ، و الفعل بعد إنسباكه إلى المصدر مستثنى ، و « ان » حرف تأكيد ، و«الله» إسمها ، و «كان » فعل ماض من أفعال الناقصة ، والضمير المستكن فيه ، الراجع إلى « الله » إسمه ، و « عليماً » خبره و « حكيماً» خبر بعد خبر ، والجملة في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد .

٣١- (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعدلهم عذاباً أليماً)

« يدخل » فعل مضارع من باب الافعال ، وفاعله : ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « الله » والجملة في موضع نصب ، خبر بعد خبر ، أو في موضع رفع ، نعت لـ « الله » و « من » إسم موصول ، في موضع نصب ، مفعول به ، و « يشاء » صلته ، على حذف العائد ، و« في رحمته » متعلق بـ « يدخل » و « الظالمين » منصوب بفعل مقدر أي ويعذّب الظالمين لدلالة السياق عليه ، و « أعد » فعل ماض من باب الافعال ، وأصله : أعدد ، وفاعله : ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « الله » و«لهم» متعلق بـ « اعد » و « عذاباً » مفعول به ، و « أليماً » نعت لـ « عذاباً » .



﴿البيان﴾

١- (هل أتى على الانسان حين من الدهرلم يكن شيئاً مذكوراً)

تقرير وتقريب وتنبيه وتذكير بخلق الانسان بعد العدم ، بان مضى دهر طويل لم يكن فيه الانسان موجوداً ولا شيئاً مذكوراً ، فالاستفهام إنكارى مع كونه تقريرياً على ألف الوجوه على تقدير : أيها المنكر للصانع وقدرته والمكذب بيوم البعث وجزائه أليس قد أتى عليك دهر لم تكن فيه شيئاً مذكوراً، ثم ذكرت، وكل أحد يعلم من نفسه انه لم يكن موجوداً ثم وجد ، فاذا تفكر فى ذلك علم أن له صانعاً ومحدثاً أحدثه - وفى هذا دلالة على أن المعدوم معلوم ، وإن لم يكن مذكوراً ، وان المعدوم يسمى شيئاً .

فالاستفهام موجه إلى الانسان ليجيب عليه وليبحث عن حقيقته ، ويتفحص عن وجوده بانه كيف كان ؟ وكيف صار ؟ وإلى أين ينتهى به خط مسيرته ؟؟؟

ومن شأن هذا السؤال أن يثير تفكير الانسان ، وينشط مداركه الخامدة، ويفتح عينيه المغمضتين على هذا الوجود، على القدرة المطلقة ، على العلم الشامل وعلى الحكمة الجارية على هذا النظام . . . ولو حمل الاستفهام على الخبر فقط لما كان له هذا الاثر فى تفكير الانسان ولما أحدث فى نفسه تلك المشاعر التى يثيرها هذا الاستفهام الطارق لها . . . ولو أراد الانسان أن يجيب عن هذا السؤال، وهو: كم مضى عليه من الزمن، ولم يكن هو فيه شيئاً مذكوراً ، لاقتضاه ذلك أن يرجع ببصره إلى ورائه ، وأن يفتش فى أغوار الزمن السحيق عن يوم ميلاده

الذى كان فيه شيئاً مذكوراً ، ثم كان عليه أن يغوص أكثر وأكثر فى أعماق الزمن ليرى وجوده قبل أن يكون شيئاً مذكوراً .

وفى هذه النظرة العميقة، فى هذه النظرة المتأملة ، فى هذه النظرة الحرة فى هذه النظرة المتفحصة و فى هذه النظرة الخالية عن العصبية الجاهلية . . . يتسع مجال البحث ، وتتشعب مسالك الدرس ، حتى لتشمل علم الحياة ، و كيف بدأت جرثومة الحياة على هذه الارض ؟ و كيف ارتقت هـذه الحياة ؟ و كيف ليست صوراً وأشكالاً لاتنتهى عند حدّ ؟

ان ذلك يتطلب دراسة شاملة لأصل الحياة علـى وجه هذه الارض ، ثـم لتاريخ الانسان وخط مسيرته فى عالم الحياة ، وهذا باب واسع من أبواب العلم والمعرفة والتحقيق لاتزال معارف الانسانية كلها تقف على شاطئه .

وقوله تعالى : « لم يكن شيئاً مذكوراً » مستأنف بيانى مع كونه حالاً ، فكأنه قيل : نعم وقد مضى على الانسان زمن طويل ماكان له وجود ، وفيه إخبار بسبق العدم على الانسان .

٢- (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا)

فى ايثار ضمائر التكلم مع الغير : « انا خلقنا - نبتليه فجعلناه » مع كون المتكلم هو الله تعالى وحده للتعظيم وابراز القدرة والعظمة ، و فى ايثار الجملة الاولى إسمية، وتأكيدها بحرف التأكيد لزيادة التقرير والبيان لمبدإ خلق الانسان وفى إظهار الانسان موضع الاضمار للاهتمام ، والتنبيه إلى أنه فى عرضة الابتلاء والتكليف .

وان الاية بصدد تقرير موقع من مواقع الاجابة على تلك التساؤلات الكثيرة المتقدمة التى لاتتصدى للاجابة عليها إلاّ عقول العلماء الدارسين وأفكار الحكماء المتبحرين أما هذا الموقع فهو مما تشارك فى إمكان تصوره والاجابة عليه عقول الناس جميعاً وهو خلق الانسان من النطفة ... فهذا الخلق عملية مشاهدة يراها كل إنسان

فى مواليده التى يلدها كما يشهدها فى مواليد الكائنات الحية التى تزخر بها الحياة من حوله فهذه دعوته إلى كل عقل لينظر إلى تلك الحقائق المشاهد فى واقع الحس، والتى لايستطيع أن ينكرها أو يكابر فيها.

وقوله تعالى: « من نطفة أمشاج» فى وصف النطفة مع أنها مفرد بـ «أمشاج» وهو جمع مشيج، لان النطفة فى معنى الجمع باعتبار أجزائها المختلفة، أو جعل أجزائها نطفاً أو باعتبار اختلاطمائى الذكور والاناث ... وعلى أى تقدير فالصفة والموصوف لبيان مادة الانسان وبنيته...

وقوله تعالى: «نبتليه» فى ايثار المضارع دلالة على الاستمرار، أى مريدين إبتلاءه بالتكليف أو ناقلين له من حال على طريق الاستعارة بأن نصرفه فى بطن امه نطفة ثم علقة...

ان تسئل: ان الابتلاء هو المسبب، والسمع والبصر هما السببان، فلم قدّم المسبب على السبب المودع فى الانسان؟

تجيب عنه: ان المسبب قدّم على سببه تنبيهاً إلى أن الانسان انما خلق للابتلاء، وانه لم يخلق عبثاً... فهو الكائن الوحيد فى هذه الارض حمل الامانة أمانة التكليف التى عرضت على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها وحملها الانسان، فالفاء فى قوله تعالى: « فجعلناه » سببية أى فجعلناه سميعاً بصيراً لنبتليه.

وقوله تعالى: « فجعلناه سميعاً بصيراً » إخبار باستعداد الانسان و قابليته للتكليف، وتقرير لما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر اللذان هما أشرف الحواس ولهذا خصّا بالذكر، و وصفه بانه سميع بصير لا بانه سامع ومبصر، إشارة إلى أن سمعه وبصره ليس كسمع الحيوان وبصره، وإنما هو سمع يحوّل المسموعات إلى حقائق ومعان... تنفذ إلى أعماق المسموع، وإلى ماوراء دلالات الصوت الذى يقع على الاذن من كل مايطرقها من مسموعات سواء أكان كلمات أو غيرها...

وكذلك الشأن في البصرة فهو ليس بصراً ينقل الاشياء إلى العين كما تنقلها المصورة وانما هو بصر يدخل إلى دائرة العقل الذي يكشف عن الحقائق المضمرة في كيان الشيء المبصر ، وبهذا السمع والبصر صار الانسان سميعاً بصيراً ، أي ذا قدرة على إستطلاع النتائج المرتقبة من كل مسموع ومبصر وما ورائه من خير أو شر ، من حق أو باطل ، من هداية أو ضلالة ، من سعادة أو شقاء ، من كمال أو إنحطاط ، من عزة أو ذلة ومن نجاة أو هلاك . . .

وبهذه القوى الاضافية التي أضافها الخالق جل وعلا إلى الانسان ، وأخرجه بها عن دائرة الحيوان كان مناطاً للتكليف، وأهلاً للحساب والجزاء .وفي تخصيص السمع والبصر إشارة إلى أن الحواس السليمة أسباب كلية لتحصيل الكمالات النفسية ، فمن فقد حساً فقد فقد علماً ، وإلى أن السمع والبصر هما العنصران الأساسيان للابتلاء ولا يعنيان الجارحتين فحسب، لان مدار الابتلاء هو سمع العقل و بصر القلب ، ففاقدهما لا يبتلى مهما كان قوياً في سمع الظاهر و بصره ، فأصل الابتلاء والتكليف هو السمع والبصر عقلياً وقلبياً ، وكما له السمع والبصر قالبياً قال الله تعالى حكاية عمن لم يسمع سماع العقل : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » الملك : ١٠) ولا يبتلى ولا يكلف من لا يجدهما عقلياً دون العكس .

وان السميع والبصير هما مبالغتان في السمع والبصر : وما ذكرا في القرآن الكريم إلا وصفين لله جل وعلا إلا في موضعين ثانيهما ـ قوله تعالى : « مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون » هود : ٢٤)

وهذا مما يدل على أهمية التوصيف بهما لغير الله جل وعلا ، فالانسان السميع البصير لا يكاد يخفى عليه ما ينفعه في إبتلاءه وإهتدائه السبيل ، وقليل هؤلاء الذين يتذرعون هذه الوسائل لاهتداء السبيل .

فقوله تعالى : « فجعلناه . . . » كالمسبب عن الابتلاء ، فلذلك عطف على

الخلق المقيد بالابتلاء بالفاء ورتب عليه قوله جل وعلا :

٣- (انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً)

تذكير بمنح الانسان العقل ، وما أودع فيه من قابلية التمييز والاختيار لاختباره في اختياره في سيره بعد التذكير بخلقه بعد العدم ، فلم يتركه سدى ، وتفصيل أو تنويع أو تقسيم لاحوال الانسان المختار في خط سيره ، فمنهم شاكر بالاهتداء والاخذ بسواء السبيل ، ومنهم كفور بالاعراض عنه . وان العدول في الاية الكريمة عن «كافر» مع أنه مطابق ا « شاكراً » إلى « كفور» إما للمحافظة وإما للاشعار بأن الانسان لايخلو عن كفران غالباً ، وإنما المأخوذ المتوغل فيه .

وقيل : إن في الجمع بين الشاكر والكفور، ولم يجمع بين الشكور والكفور مع إجتماعهما في معنى المبالغة نفياً للمبالغة في الشكر، وإثباتاً لها في الكفر، لان شكر الله جل وعلا لايؤدّى ، فانتفت عنه المبالغة مع أن قليلاً من العباد شكور ، ولم تنتف عن الكفر المبالغة ، فقلّ شكره لكثرة النعم عليه ، و كثر كفره وإن قلّ مع الاحسان إليه .

و لعل النكتة في ذلك : ان المقام مقام التنويع والتقسيم فلابد من الشمول ، فلوقال : « إما شكوراً وإما كفوراً » لبقى قسم آخر وهو الشاكر ، فان الشكور قد ينفي ويبقى الشاكر بخلاف الشاكر ، فانه يشمل الشكور ، فتحصر القسمة ولما كان قلّ من يتصف بالشكر ، فقال : «شاكراً » ولما كان الكفر كثيراً ما يتصف به الانسان و يكثر وقوعه منه فعلاً وقولاً وقلباً ، فقال : « شكوراً » بصيغة المبالغة واسلوب الايات الثلاث تقريري ينطوي على عرض عام ، وفيها توكيد لماقرّره القرآن الكريم في مواضع كثيرة من قابلية الانسان للتمييز ، واختيار الطريق الذي يسير فيه ، و مسئوليته عن هذا الاختيار .

٤- (انا أعتدنا للكافرين سلاسل واغلالاً وسعيراً)

بيان لما يترتب على ما اختاره الانسان من الكفر وإعوجاج الطريق، والاعراض

عن الايمان وسواء السبيل ، من الجزاء الاخروى الذى سيلقاه باسلوب مؤكد انذارى لأهل الكفر والطغيان،وفى الاية من تعليق الحكم على الوصف للاشعار بعلية الوصف في الحكم مالايخفى على القارىء الخبير، فسبب السلاسل والاغلال والسعير هو الكفر ، ولم يذكر سائر المعاصى لان منشأ سائر المعاصى هو الكفر،مع كثرة عددها بحيث لاتحصى ، وفى تقديم الوعيد مع تأخرهم للجمع بينهما فى الذكر كقوله تعالى: « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » آل عمران : ١٠٦)

ولان الانذار أهم وأنفع ، وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن على أن فى وصفهم تفصيلاً ، وربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم .

وقيل : قدّم بيان تبعة الكفر على بيان جزاء الشكر لاختصار الكلام فيه .

٥- (ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافوراً)

تقرير لما يترتب على برّ الابرار على مستحقى البر، من الجزاء الاخروى من النعيم والتكريم فى الجنات، والاشربة اللذيذة التى يكون مزيجها الكافور لما أطعموا المسكين واليتيم والاسير،فسمّوا أبراراًلبرّهم على من يستحق أن يبرّ بهم من المسكين واليتيم والأسير، وهم فى حاجة شديدة إلى الطعام ، و ان الابرار على حبه لحاجة شديدة أيضاً إليه قال الله تعالى : «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » آل عمران : ٩٢) وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية ، ولنا فيهم اسوة حسنة ، فهم فى ذلك قدوة للامة المسلمة كما انهم قدوة لنا فى الفضائل كلها . . .

وفي الاية من تعليق الحكم على الوصف مالا يخفى على القارىء المتأمل الخبير، وان الله تعالى لم يصف الابرار بالايمان تنبيهاً إلى أن الايمان غير منفك عنهم أبداً .

وقيل: ان فى إيثار الماضى فى قوله تعالى: كان مزاجها كافوراً » دلالة على سبق

هذا المزاج على الشرب والشراب والتفجير، فمزاج الكأس نفسه دون الشرب مزاج كافور.

٦- (عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً)

وصف و بيان للكأس على طريق الاختصاص للمدح، وفى إضافة « عباد » إلى « الله » جل وعلا تشريف وتكريم لهؤلاء الصفوة الكرام من الناس، وهم الذين لم يغيّر من فطرتهم الطاهرة النقية شيء من كبير الذنوب أو صغيرها، فهم الممحّضون فى عبودية الله تعالى، والمتحلون بها، والقائمون بلوازمها، و هم أهل ودّه جل و علا.

وقوله تعالى : « يفجرونها تفجيراً » فى إيثار المضارع من باب التفعيل، مؤكداً بمصدره دلالة على الاستمرار والتجدد والكثرة مالاعين رأت ولا بال خطر أى انها عين تتفجر كلما أرادوا أن يشربوا من هذه العين، ويجرونها حيث شاؤا من منازلهم جرياً سهلاً لايمتنع عليهم، بل يجرى جرياً بقوة واندفاع، فهى هى إلا همسة خاطر حتى تنبع العين وتتفجر على هيئة كئوس تتناولها الايدى من قريب.

٧- (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً)

وصف آخر لهؤلاء الابرار على طريق الاستيناف البيانى المسوق لبيان ما لأجله رزقوا ماذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبىء عنه إسم الابرار إجمالاً كأنه قيل: ماذا يفعلون حتى نالوا تلك المرتبة العالية؟ فقيل: «يوفون بالنذر»، ومن هنالم يعطف على ماقبله.

فهؤلاء الابرار لايقفون عند أداء مافرض الله تعالى عليهم من فرائض، وما أوجب عليهم من واجبات، ولاماسنّ لهم النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من سنن، بل هم يزيدون على ذلك على أنفسهم بالنذر من أعمال بارة، طالبين مزيد التقرب من الله جل وعلا فى كل مايرون لله تعالى فيه رضاً ولو شقى ذلك عليهم، وحرمهم

لذة النوم و الشبع والري. و في العدول عن الماضي إلى المضارع للاستحضار والدلالة على الاستمرار .

وقوله تعالى : « ويخافون يوماً كان شره مستطيراً » صفة اخرى من صفات هؤلاء الابرار ، وهي انهم يخافون لقاء الله تعالى يوم القيامة ومايغشى الناس في هذا اليوم من أهوال وشدائد . . .

وفي تلخيص البيان للسيد الشريف الرضي رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى : « ويخافون يوماً كان شره مستطيراً » قال : وهذه إستعارة و حقيقة الاستطارة من صفات ذوات الاجنحة ، يقال : طارالطائر و استطرته أنا إذا بعثته على الطيران ، و يقولون أيضاً من ذلك على طريق المجاز : استطار لهب النار إذا انتشر وعلا وظهر و فشا ، فكأنه سبحانه قال : يخافون يوماً كان شره فاشياً ظاهراً وعالياً منتشراً . انتهى كلامه ورفع مقامه .

٨- (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً)

وصف ثالث لهؤلاءالابرار، وقداحصى ثلاثة منموارد البرمن إطعام المسكين واليتيم والأسيرمع شدة حاجتهم إليه ، تشويقاً ولكونها أهم .

فمن صفاتهم انهم يؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ، فالطعام الذي عليه قوام الحياة وملاكها لايؤثرون أنفسهم به ، بل يجعلون لمن يعوزهم هذا الطعام نصيباً منه ولوكانواهم أنفسهم في حاجة شديدة إليه .

وقوله تعالى : « على حبه » إيماء إلى أن هذا الطعام ليس شيئاً رخيصاً مبتذلاً كشأنه في أحوال الرخاء ووفرة حاجات النفوس منه ، وإنما هوالطعام في أحوال القحط والجدب ، وفي أزمان المجاعات التي تكون فيها لقمة الطعام أعز ما يملك الناس .وأثمن ما يحرصون عليه من مال ومتاع ، حتى ان المرء ليسترخص كل عزيز يملكه في سبيل شيء منه ، وهذا ما يشير إليه قوله جل وعلا : « لن تنالوا البرحتى تنفقوا مماتحبون » آل عمران : ٩٢)

ولهذا استحق هؤلاء المطعمون لهذا الطعام أن يكونوا أبراراً لانهم أنفقوا مما يحبون ومما تشتد رغبة النفس إليه وحرصها عليه.. والمسكين واليتيم و الاسير، هم أضعف أعضاء الجسد الاجتماعي، وهم الذين يتلقون أول الضربات و أقساها وأفعلها في أزمان المحل والجدب، فيكونون أول حطب تشتعل فيه نار المجاعات...

ان تسئل: لم قال تعالى: «على حبه» ولم يقل: «مع حبه»؟

تجيب: لعل «على حبه» تنبيه إلى إستعلاء حب الطعام على الابرار لا حباً ذاتياً للطعام أونوع الطعام، فانهم كانوا أخلص المخلصين وأبر الاقربين، لا يحبون إلاّ الله وفي الله جل وعلا، فكان حبهم على الطعام لادمان الصيام الذى نذروه، ولتقوى أبدانهم على طاعة الله وتقواه، ومعهم الطفلان الحسنان، وانهم حصلوا الطعام على مشقة وصعوبة بالغة.

وهؤلاء الابرار مع حبهم الطعام لذلك كانوا يطعمون لقمة الفطور وبلغة الصيام لذوى الحاجة إليه بأريحية نفس ورحمة قلب وخلوص نية وهم الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب وزوجته فاطمة الزهراء بنت المصطفى وسبطاه الحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين ولنا فيهم اسوة حسنة وهم لنا قدوة في جميع الفضائل...

٩- (انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكوراً)

حكاية عن قول الابرار الذين كانوا يطعمون الطعام في ساعة العسرة و في حاجة شديدة إلى الطعام، و يطعمونه المسكين واليتيم والاسير، حكاية بسبيل التنويه، فهم كانوا يطعمون إبتغاء لوجه الله تعالى وحده ولايريدون على ما أطعموا جزاء ولاشكوراً ممن أطعموهم.. ولوانهم فعلوا ذلك لما كان لهم فضل، و لما استحقوا عندالله تعالى أجراً، لانهم استوفوا جزاء ما عملوا ممن صنعوا بهم هذا الصنيع...

وهذا القول من الابرار ليس بلسان المقال يواجهون به من أطعموهم، فانهم لوفعلوا لكان ذلك من باب المن والاذى الذى يحبط الاعمال و يمحق الاحسان، و انما هو بلسان الحال، ومما إنطوت عليه ضمائرهم و إنعقدت عليه نياتهم... فلسان حالهم يهتف بانهم يطعمونهم دون إنتظار شكر و جزاء منهم و عن سعيد بن جبير و مجاهد: «والله ما قالوا ذلك بألسنتهم و لكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى به عليهم ليرغب فى ذلك راغب».

قوله تعالى: «انما» كلمة حصر تنفى كل غاية من هذا الاطعام إلا وجه الله تعالى فما سواه فهم لا يريدونه، وهذه عبادة الاحرار، ولا يريدون الجنة ونعيمها من الله تعالى بهذا الصنيع، فانها عبادة الأجراء، ولا يريدون بذلك التحرز عن عذاب الله جل وعلا فانها عبادة العبيد.

و قوله تعالى: «لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً» تقرير و تأكيد لمعنى الحصر.

١٠ - (انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً)

تعليل للاطعام، مقالة من الابرار بلسان الحال تنبيهاً إلى أن قصرهم العمل فى إبتغاء وجه الله جل وعلا إخلاصاً للعبودية لمخافتهم ذاك اليوم الشديد، و لم يكتفوا بنسبة المخافة إلى اليوم حتى نسبوه نحواً من النسبة إلى ربهم، فقالوا: «نخاف من ربنا..» لانهم لما لم يريدوا إلا وجه ربهم، فهم لا يخافون غيره كما لا يرجون سواه، و إنما يخافون و يرجون ربهم، فلا يخافون يوم القيامة إلا لانه من ربهم يحاسب فيه عباده على أعمالهم فيجزيهم بها.

و قيل: تعليل لعدم إرادة الجزاء من غيره تعالى.

و قوله تعالى: «يوماً عبوساً قمطريراً» إستعارة و ذلك لان العبوس من صفة الانسان القاطب المعبس، فشبه جل وعلا ذلك اليوم لقوة دلائله على عظيم عقابه و أليم عذابه بالرجل العبوس الذى يستدل بعبوسه و قطوبه على إرصاده بالمكروه و عزمه على ايقاع الامر المخوف.

و أصل العبوس تقبيض الوجه ، وهو دليل السخط وضدّه الاستبشار والتطلق و هما دليلا الرضا والخير . و كما سمت العرب اليوم المحمود طلقاً ، فكذلك سمت اليوم المذموم عبوساً و يقال : يوم قمطرير و قماطر إذا كان شديداً ضرّه طويلاً شرّه .

وقيل : وصف اليوم بالعبوس مجاز و ذلك لوجهين : أحدهما ـ أن يشبه في ضرره و شدته بالاسد العبوس أو بالشجاع الباسل . ثانيهما ـ أن يوصف بصفة أهله من الاشقياء . وذلك لان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين يديه عرق مثل القطران . والقمطرير أشد ما يكون من الايام و أطوله بلاء . وقيل: شديد الكرب أو مثيراً للفزع و هو اليوم المخيف الذي يقفون فيه أمامه .

١١ - (فوقاهم الله شر ذلك اليوم و لقاهم نضرة و سروراً)

تأكيد للوعد وتحققه لامحالة ، ومن ثمّ عبّر بصيغ الماضي : « وقى-لقى-جزا » إذ في الماضي من التطمين ما ليس في المضارع و في إضافة « شر » إلى « ذلك اليوم » ايماء إلى أن كل ما يشق على النفس و تكرهه فهو شر بالاضافة إليها ، و إن كان خيراً في نفس الامر مشتملاً على الحكم و الفوائد كالقصاص والحدود . . .

١٢ - (و جزاهم بما صبروا جنة و حريراً)

تقرير لما يقابل الله جل وعلا به الابرار الذين حكت الايات السابقة من أعمالهم و أقوالهم وخلوص نياتهم . . . وهذا من قبيل إن كان خيراً فخيراً وإن شراً فشراً من التقابل .

وقوله تعالى : «بماصبروا» في الاطلاق دلالة على أن جزاءهم هذا الجزاء الطيب ، انما كان بصبرهم في الحياة الدنيا على أعبا والتكاليف و أداء الواجبات وعلى ما قضى الله تعالى به فيهم وما أراده من المحن ومصائب الدنيا في حقهم . . . فالطاعات وصالح الاعمال والصبر على المصائب كلها لاتؤدّي إلاّ بمجاهدة النفس و مغالبة الهوى . . . و في تنكير « جنة و حريراً » ما لا يخفى على القارىء

المتأمل الخبير .

١٣ - (متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً و لا زمهريراً)

تقرير لطرف من أحوال الابرار فى الجنة وتنعمهم بنعيمها ايجابية وسلبية، إذ يأخذون منازلهم فى الجنة ، ويلبسون فيها فاخر الحلل، فاذا نظر إليهم ناظر هناك رآهم متكئين على الارائك، وقد خلت أنفسهم من هموم الدنيا ومضارها . . . فهم فى حياة مريحة مطمئنة ناعمة معتدلة دون أن تضرّهم شمس ساخنة ولا برد قارس إذ لا شمس و لا برد .

ولعل فى الاتكاء على السرر مع أن الاتكاء إنما يكون على الوسائد على حين أن النوم يكون على السرر إشارة إلى أن هذه السرر هى متكأ لاهل الجنة ، وأنها بمنزلة الوسائد فى الحياة الدنيا، وان أهل الدنيا إذا اتخذوا السرر وجملوها بما جملوها به ليكون منامهم عليها، فان أهل الجنة يتخذون هذه السرر للاتكاء والاسترخاء عليها لان أهل الجنة لا ينامون .

١٤- (و دانية عليهم ظلالها و ذللت قطوفها تذليلاً)

بيان لطرف آخر من نعيم الجنة ، وقوله تعالى: «و ذللت قطوفها تذليلاً » تأكيد لما تقدم ، وهذه إستعارة ، والمراد بتذليل القطوف وهى عناقيد الاعناب و واحدها قطف انها جعلت قريبة من أيديهم غير ممتنعة على مجانيهم لا يحتاجون إلى معاناة فى إجتنائها و لا مشقة فى اهتصار إفنائها ، فهى كالظهر الذلول الذى يوافق صاحبه ، و يواتى راكبه .

والتذليل ههنا مأخوذ من الذل - بكسر الذال - و هو ضدّ الصعوبة ، والذل - بكسر الذال - : ضدّ العزل والحمية .

١٥ - (و يطاف عليهم بآنية من فضة و أكواب كانت قواريرا)

فى ايثار الفعل المضارع مبنياً للمفعول من غير ذكر الفاعل النيابى تشويق لما يأتى ذكره ، وإشارة إلى إستمرار الطواف ، لأن المراد ما يطوف به الطائفون

بقرينة : « بآنية من فضة » هو طواف الولدان المخلدين عليهم بآنية لا يقدر قدرها و أكواب مارأتها عين ، و في تنكير « فضة » ايماء إلى نوع خاص غير فضة الدنيا .

و قوله تعالى : « قواريرا » إسم لما يتخذ من الزجاج ، وهي ما يصنع من فضة ، و هي مع بياض الفضة و حسنها في صفاء القوارير و شفيفها ، ففيه تشبيه بليغ لصفاء الفضة ورقتها . والمعنى: و لسوف يطوف الولدان على الابرار بأوان و أكواب من فضة غاية في الرقة والصفاء كأنها الزجاج . و قيل : أي لها بياض الفضة ، فكأنها من فضة .

١٦ - (قوارير من فضة قدروها تقديراً)

تقرير لحقيقة القوارير الاولى بأن جنسها من الفضة على مقادير و أشكال معينة موافقة حسب ما قدروه مما يفي رغباتهم . . . و في الاية مبالغة في وصف الآنية أي انها مقدرة ذات قدر كبير و قيمة عظيمة . و لعل التعبير عن الذهب بالفضة براءة استهلال إلى فضة جارية فاطمة الزهراء عليها السلام

١٧ - (و يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً)

في ايثار الفعل بصيغة الاستقبال مبنياً للمفعول تشويق لما يأتي من ذكره و دلالة على الاستمرار ، والاية بصدد بيان حال خامسة للابرار من أحوالهم في الجنة ، و بيان لوصف شرابهم .

١٨ - (عيناً فيها تسمى سلسبيلاً)

وصف لما يسقى منه الابرار ، بعد وصف مايشرب منه ، وفي التقديم والتأخير من اللطائف ما لا يخفى على المتأمل الخبير .

١٩ - (ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً)

وصف لخدمة الابرار بعد وصف الابرار وما يتنعمون به في الجنة العالية ، وفي ايثار الفعل بصيغة المضارع مبنياً للفاعل دلالة على إستمرار الطواف وان المراد

ههنا الطائفون وإستمرار طوفهم على الابرار ...

وقوله تعالى : « إذا رأيتهم حسبتهم » ولعل الوجه فى الالتفات من الغيبة إلى الخطاب هو بعث لاشواق المخاطب ودعوة له إلى مشاهدة تلك الاحوال ، ثم العمل على أخذ مكانه مع هؤلاء الابرار ينظر إليهم. ويحتمل أن يكون الوجه: ان من هؤلاء الابرار فاطمة الزهراء عليها السلام فلا يراهم غير النبى صلى الله عليه وآله وسلم و فيهم البتول عليها السلام .

وقوله تعالى : « لؤلؤاً منثوراً » شبّه الولدان المخلدون فى حسنهم و صفائهم ورونقهم وبقائهم ونضارتهم وإشراقهم وتفرقهم فى المجلس باللؤلؤ المنثور

ان تسئل : كيف شبه الله تعالى الولدان باللؤلؤ المنثور دون المنظوم ؟

تجيب : لان المراد تشبيههم باللؤلؤ الذى لم يثقب بعد لانه إذا ثقب نقصت مائيته و صفائه و نضارته ، و اللؤلؤ الذى لم يثقب لايكون إلاّ منثوراً ، فشبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه أحسن و أكثر ماء مع أن اللؤلؤ المنثور على البساط أحسن منظراً من المنظوم ، فشبههم باللؤلؤ المنثور لانتشارهم و إنبثائهم فى مجالس الابرار ومنازلهم وتفريقهم فى الخدمة لقوله تعالى: «ويطوف عليهم ولدان مخلدون» ولو كانوا وقوفاً صفاً لشبهوا بالمنظوم .

٢٠- (واذا رايت ثم رايت نعيماً وملكا كبيراً)

وصف للجنة و نعيمها بما لارأت عين ولاخطر ببال ، ولايصفه الواصفون ولايقدّره المقدرون فى الحياة الدنيا. وان الخطاب وإن كان ظاهره للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قد رآى الجنة ونعيمها كمارآى أكثر من الجنة ونعيمها فى مسراه وعروجه إلى الملأ الا على ، ولكن من غير بعيد أن يكون شاملاً لكل مستمع لهذه الايات وللقرآن الكريم كله ، و لقاريه ، و فيه مايبعث أشواقه إلى الجنة ويشدّ عزمه على عمل الابرار ليكون من أهل الجنة المتنعمين بنعيمها على مراتبهم فى الايمان وصالح الاعمال ودرجات الجنة ونعيمها ... لا أن يكون من المشاهدين

لهذه النعم من بعيد كما يشهد أصحاب النار أصحاب الجنة . و فى حذف مفعول « رأيت » الاول و تنكير « نعيماً و ملكا كبيراً» مالايخفى على القارىء الخبير فتأمل جيداً .

٢١- (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً)

وصف لما يتحلى الابرار ويتزينون به ، ولشرابهم بالغاً فى الطهارة مابلغ. ولعل التعبير بلفظ «عاليهم» بدلاً من «عليهم» يشير إلى أن تلك الملابس لاتلتصق بأجسامهم كما تلتصق ثيابنا على أجسادنا فى الحياة الدنيا ، وانما هى ألوان من النور أشبه بألوان اللطيف ، تنعكس على هذه الاجسام النورانية ، وليس معنى ذلك ان الحياة فى الجنة حياة روحية محضة ، بل حياة مادية فى شفافية الروح و صفائها .

ان تسئل : ان الله تعالى قال فى سورة الكهف : « يحلون فيها من أساور من ذهب » : ٣١)

وفى سورة الحج : « يحلون فيها من أساور من ذهب» : ٢٣) و فى سورة الفاطر : «يحلون فيها من أساور من فضة» : ٣٣) وقال فى هذه السورة : « حلوا من أساور من فضة» : ٢١) وليس هذا إلاّ تناقضاً ، فكيف الجمع بينهما ؟

تجيب : انه لاتناقض ولاإشكال،فانهم يسوّرون بالجنسين إما على المعاقبة، وإما على الجمع كما تجمع نساء الدنيا بين أنواع الحلى ... وما أجمل المعصم إذا كان فيه سواران : سوار من ذهب وسوار من فضة ، مع إحتمال إختلاف المسوّرين ، فطائفة يسوّرون من فضة ، وطائفة يسوّرون من ذهب .

وان تسئل : ان السوار انما يليق بالنساء وفى مرتبتهن ، وهو عيب للرجال فى الحياة الدنيا ، فكيف ذكر الله جل وعلا ذلك فى معرض الترغيب ؟

تجيب عنه باجوبة : أحدها ـ انه كلما سقط عنه علل العيوب و حكم

الحرمة، فيجوز الانتفاع به . ثانيها - ان القرآن الكريم أول من خوطب به العرب، وكان من عادة رجالهم ونساءهم من بيت المملكة التحلي بالذهب والفضة منفردين ومجتمعين . ثالثها - ان الاسم وإن كان مشتركاً بين فضة الدنيا والاخرة ولكن شتان مابينهما . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « المثقال من فضة الاخرة خير من الدنيا وما فيها » وكذلك الكلام في السندس والاستبرق وغيرهما مما أعده الله جل وعلا في الجنة لاهل التقوى واليقين .

وقوله تعالى : « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » تنبيه إلى أن عظم ما يساق إلى هؤلاء الابرار من نعيم حيث يتناولون هذا الشراب الطهور من ربهم بعد أن يكونوا قد تذوقوا ألوان النعيم الاخروى . . . فكان هذا الشراب من البر الرحيم هو النشوة الكبرى التي لا يحيط بها وصف واصف ولا يعرف كنهها أحد ، إلاّ من أكرمه الله جل وعلا بها . . .

ان تسئل : أىّ فضل وكرامة وشرف ومنزلة لتلك الدار الاخرة يسقى الله تعالى عباده الشراب الطهور فيها، مع أنه جل وعلا في الحياة الدنيا سقاهم لقوله سبحانه : « وأسقيناكم ماء فراتاً » المرسلات : ٢٧) وقوله عزوجل : « فأنزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه » الحجر : ٢٢) ؟

تجيب : اريد بالسقي في الاخرة سقيهم بغير واسطة، وشتان مابين الشرابين والآنيتين والمنزلتين أيضاً . وفي تنكير « ثياب سندس خضر واستبرق - فضة - شراباً طهوراً » وفي ايثار فعل التحلية «حلوا» بصيغة الماضي من باب التفعيل مبنياً للمفعول ، وجمع «أساور» بانتهاء الجموع ، وايثار فعل السقي «سقاهم» بالماضي مسنداً إلى «ربهم» ما لا يخفى من اللطائف والنكات على المتأمل الخبير فتدبر واغتنم جداً .

٢٢ - (ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً)

مستأنف بياني كأنه قيل : لماذا تكون تلك النعم لهؤلاء الابرار ؟ اجيب

عنه بطريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب للابرار سواء كان القائل من الله تعالى أم الملائكة المقربون. فالاية إخبار مما يخاطب الابرار به من عندالله جل وعلا عند توفيته أجرهم. و في الالتفات زيادة سرور للابرار و بهجة لهم، فانه إذا قيل للمعاقب: هذا جزاء عملك الرديء وقولك السيّيء، وعقيدتك الباطل إزداد غمّه وألم قلبه، فكذلك إذا قيل للمثاب: هذا جزاء نيتك الحسنة وقولك اللين و عملك الصالح، إزداد سروره و كان تهنئة له، فيالها من كلمة طيبة تطيب بها النفوس... والاية ختام وعد لهؤلاء الابرار الممحضون في العبودية لله جل وعلا، والقدوة للامة المسلمة في البر والاحسان.

ان تسئل: ان الله جل وعلا لم يذكر فيما ذكر من نعيم الجنة - في الايات السابقة - نساء الجنة من الحور العين، و هي من أهم ما يذكره عند وصف نعم الجنة في سائر كلامه؟

تجيب: يمكن أن يستظهر منه انه كانت بين هؤلاء الابرار الذين نزلت فيهم الايات من هي من النساء.

وفي تفسير روح المعاني قال الآلوسي: «و من اللطائف على القول بنزول السورة فيهم يعني في أهل البيت انه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين، وانما صرّح عزوجل بولدان مخلدون رعاية لحرمة البتول وقرّة عين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم».

والغرض من الاية الكريمة إعلام لهؤلاء الابرار بان كل ماتقدم من أصناف العطاء انما هو جزاء أعمالهم... والغرض إذاقة لذة الاخرة فان سرورهم يزيد بذلك. و في الختام تحية من الله تعالى لعباده الابرار المكرمين.

٢٣ - (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً)

إلتفات من الجمع إلى الافراد، و من الغيبة إلى التكلم مع الغير، وفي الاية الكريمة أنواع من المبالغة من تصديرها بحرف التاكيد مع ضمير التكلم مع الغير مكرراً، ومن ايثار الفعل بصيغة التكلم مع الغير مع مفعوله المطلق

بلفظ التنزيل دون الانزال تسجيلاً بان الذى نزّل من القرآن الكريم مفرّقاً هومن الله جل وعلا لم يداخله نفث شيطانى ولامن تلقاء نفس النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

٢٤ - (فاصبر لحكم ربك و لا تطع منهم آثماً أو كفوراً)

تفريع على ما هو لازم مضمون تنزيل القرآن الكريم منجماً ، حيث ان لازم كون القرآن منزلاً من عندالله جل وعلا أن يكون ما فيه من الاحكام حكم الله تعالى ، فيجب أن يطاع حكم الله تعالى لاغيره ، ولابد من الصبر عند طاعة الله سبحانه ، والصبر تجاه مخالفة ما سواه .

وقيل: ان الفاء سببية أى انا أنزلنا عليك القرآن منجماً اصبر على إمتداد نزول القرآن عليك ، ومادام القرآن لم يختم فان مسيرتك لم تنته و زادك فى هذه المسيرة هو الصبر فاصبر . و فيه إعلان لمشركى العرب بان النبى صلى الله عليه وآله وسلم مأمور من ربه بالصبر على أذاهم ، وبألا يستمع إلى مايدعونه إليه ، وهم يعلمون ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لايخالف أمر ربه ، ولهذا كان لهذا الامر الموجه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ربه وقع على نفوس المشركين و تيئيس لهم مما يطمعون فيه من النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

و قوله تعالى : « و لا تطع منهم آثماً أو كفوراً » ان التقسيم باعتبار ما يدعونه صلى الله عليه وآله وسلم إليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما له ، فلابد وأن يكون النهى عن الطاعة من الآثم والكفور نهياً عما ليس باثم ولا كفر لافادة النكرة الواقعة فى سياق النهى العموم . والمعنى : لاتطع من اتصف باثم سواء دعاك إلى خصوص إثمه أم إلى غير إثمه من الآثام أو لم يدعوك إلى إثم أصلاً ، ولاتطع من تلبّس بكفر سواء دعاك إلى خصوص كفره أم إلى غير كفره من مراتب الكفر أو لم يدعوك بان الآثم بما هو آثم يحرم الاتباع عنه وكذلك الكفور .

ان تسئل : معنى «أو» : و لا تطع أحدهما ، فهلاجئى بالواو ليكون نهياً عن طاعتهما معاً ؟

تجيب : لو قيل : ولاتطعهما جاز أن يطيع أحدهما ، و إذا قيل : لاتطع أحدهما علم ان الناهى عن طاعة أحدهما هو طاعتهما جميعاً أنهى ، كما إذا نهى الولد عن أن يقول لابويه ـ اف ـ علم أنه منهى عن ضربهما على طريق أولى .

٢٥ ـ (و اذكر اسم ربك بكرة و أصيلاً)

تقرير لما يستعان به فى الصبر . والاية من قبيل قوله تعالى : « و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى » الكهف : ٢٨) وقوله جل وعلا: « فاصبر على مايقولون و سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و قبل غروبها و من آناء الليل فسبح و أطراف النهار لعلك ترضى » طه : ١٣٠) .

٢٦ ـ (و من الليل فاسجد له و سبحه ليلاً طويلاً)

فى الايات الثلاث إلتفات من التكلم إلى الغيبة ، والايات جاءت معقبة على سابقتها مستهدفة تثبيت النبى الكريم ﷺ فى موقفه وتهوين أمر الكفار عليه. و «من» تبعيضية كما ان تنوين «ليلاً» للتبعيض . والمعنى : تهجّد لله جل وعلا قطعاً من الليل طويلاً . أو على حذف المفعول المطلق . أى تسبيحاً طويلاً .

٢٧ ـ (ان هؤلاء يحبون العاجلة و يذرون وراءهم يوماً ثقيلاً)

تعليل لما تقدم من الامر والنهى ، و إلتفات من الخطاب إلى الغيبة ، ومن الافراد إلى الجمع ، و كشف عن حقيقة هؤلاء المتلبسين بالاثم، والمصرين فى الكفر بانهم استهلكوا وجودهم فى حب الدنيا و استغرقوا فى شهواتها ، وأهملوا التفكير فى اليوم الاخر الآتى الهائل الشديد . و توبيخ و تقريع و تحقير لهم ، و تنديد بهم و إنذار قوى لهم ، توكيداً للامر بعدم الاصغاء لاغرائهم ولتثبيت النبى الكريم ﷺ و حملهم على الارعواء .

وايثار جمع الاشارة بـ «هؤلاء» إلى « آثم و كفور » لافادة النكرة فى سياق النهى العموم ، أو باعتبار ضمير الجمع فى «منهم» .

و فى وصف اليوم بالثقل : « يوماً ثقيلاً » لتشبيه شدته و هو له بثقل شىء

فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة. فالمراد باليوم الثقيل ههنا إستثقاله من طريق الشدة والمشقة لا من طريق الاعتماد بالاجزاء الثقيلة، وقد يوصف الكلام بالثقل على هذا الوجه، وهو عرض من الاعراض، فيقول القائل: قد ثقل علىّ خطاب فلان و ما أثقل كلام فلان.

و قيل: كون اليوم وراءهم تقرّره أمامهم لان وراء تفيد معنى الاحاطة، أوجعلهم إياه خلفهم، و وراء ظهورهم بناء على إفادة «تذرون» معنى الاعراض.

٢٨ - (نحن خلقناهم و شددنا أسرهم و اذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً)

مستأنف بياني، فكأنه توهم متوهم: ان الكافرين بحبهم للدنيا وإعراضهم عن الاخرة يعجزون الله سبحانه، و يفسدون إرادته منهم أن يؤمنوا و يطيعوا. فدفع بانهم مخلوقون لله جل وعلا، و هو خلقهم و شدّ اسرهم، فاذا شاء أذهبهم وجاء بآخرين، فكيف هم يعجزونه عزوجل وبيده خلقهم وأمرهم وحياتهم وموتهم؟

ففي الاية الكريمة تقرير لكمال قدرته تعالى و عظمته و حكمته، وبيان لفضله و إحسانه على هذا الانسان الذى خلقه فأحسن خلقه، و أقامه على هذه الصورة التى علا بها على افق الحيوان فصار بشراً سوياً، و أصبح خليفة لله جل و علا على هذا الكوكب الارضى. والمعنى: ركبناهم تركيباً محكماً و تقنا مفاصلهم بالاعصاب والربط والاوتار حسب ما يحتاجون إليه فى التصرف لوجوه الحوائج و هو قادر على محوهم و تبديلهم بغيرهم إذا شاء.

و فيها تنديد بالكفار و تخويف و إنذار قوى لهم و حملهم على الارعواء.

ان تسئل: ان الله تعالى قال: «و شددنا اسرهم» أى خلقهم. و قد قال فى موضع آخر: «و خلق الانسان ضعيفاً» النساء: ٢٨)؟

تجيب: ان السياق فى المقام بصدد خلق الانسان وهو قوى فى أصل خلقه. و فى سورة النساء بصدد ان الانسان ضعيف فى وجهة الشهوة جداً.

و قوله تعالى: «و إذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً» إشارة إلى قدرة الله تعالى

التى لايفلت من سلطانه مخلوق ، و هو الذى يخلق ما يشاء بقدرته دون معوّق أو معقب ، فخلق الانسان على تلك الصور من الاحكام والاتقان لايمسكها إلاّ الله تعالى ولايحفظ عليها وجودها إلاّ هو، فاذا أراد الله جل وعلا أن يبدّل بالانسان غيرهم نفذت إرادته و مضت مشيئته . و فى جمع الامثال إشارة إلى أن قدرةالله تعالى لاحدودلها، وانه قادرعلىأن يقيم مكانهؤلاء الآدميين أمثالاً لامثلاً واحداً.

٢٩ ـ (ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً)

إشارة إلى مادعته السورة و استهدفت و للانسان فيه إختيار ، و فى الاية إلتفات من التكلم إلى الغيبة ، و من الخاص إلى العام . و فيها دلالة على أن الاستطاعة قبل الفعل ، إشارة مضيئة إلى طريق الحق والهدى ، طريق الصواب والرشاد ، طريق العزة والكمال ، طريق السعادة والنجاة ، و إلى طريق الجنة والسلام . . . فمن شاءأقام وجهه على هذا الطريق، ومن شاء تنكبه وأدار ظهره له .

فدعوة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و رسالته هما تذكير للناس و ايقاظ ، وليستا بقصدالاجبار والابرام، فمن شاء تذكروا تعظ، فسلك سبيلالله جل وعلا واستحق رضاه، و من أعرض و انحرف و أجرم و ظلم كان له العذاب الاليم .

٣٠ ـ (و ما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً)

تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيئتهم غير كافية فى اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية أى وما تشاؤن اتخاذ السبيل ، ولاتقدرون على تحصيله فى وقت من الاوقات إلاّ وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم إذ لادخل لمشيئة العبد إلاّ فى الكسب .

و كما ان الاستثناء من النفى يفيد ان مشيّة العبد متوقفة فى وجودها على مشيته جل وعلا فلمشيته تعالى تأثير فى فعل العبد من طريق تعلقها بمشيّة العبد ، و ليست متعلقة بفعل العبد مستقلاً و بلاواسطة حتى تستلزم بطلان تأثير إرادة العبد ، و كون الفعل جبرياً ، و لا ان العبد مستقلّ فى إرادة يفعل ما يشاؤه

شاء الله جل و علا أم لم يشاء .

فالفعل إختيارى لاستناده إلى إختيار العبد ، وأما إختيار العبد فليس مستنداً إلى اختيار اخر ، و سيأتى البحث إن شاء الله تعالى فانتظر .

فالاية سيقت لدفع توهم ان الانسان يستقل فى مشيته ، و ينقطع من مشية ربه. ولعل تسجيل هذا التنبيه عليهم هو الوجه فى الالتفات من الغيبة إلى الخطاب فى قوله جل و علا : « و ما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله » كما ان الوجه فى الالتفات من التكلم بالغير إلى الغيبة فى قوله : « يشاء الله ان الله » هو الاشارة إلى علة الحكم ، فان مسمّى هذا الاسم الجليل يبتدىء منه كل شىء ، و ينتهى إليه كل شىء ، فلا تكون مشية إلاّ بمشيته و لا تؤثر مشية إلاّ باذنه .

و قوله تعالى : « ان الله كان عليماً حكيماً » بيان لكون مشيته جل وعلا على أساس العلم والحكمة ، والمعنى : انه جل وعلا مبالغ فى العلم والحكمة ، فيعلم ما يستأهله كل أحد ، فلا يشاء لهم إلاّ ما يستدعيه علمه و تقتضيه حكمته .

وقيل : ان الجملة توطئة لبيان مضمون الاية التالية .

٣١- (يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعدلهم عذاباً أليماً)

تقرير لاحكام مشيئته المترتبة على علمه و حكمته تعالى أى يدخل فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها ، و هو الذى يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل إليه جل وعلا حيث يوفقه لما يؤدى إلى دخول الجنة من الايمان والطاعة. فالاية تبين سنة الله تعالى الجارية فيمن سلك سبيل الهدى وطريق الشقاء ، فيعامل كلا من الطائفتين بما هم أهله من الثواب أو العقاب ، ومن الجنة والنار. وفى الختام من تعليق الحكم على الوصف مالايخفى .

ففى الايات الثلاث إنذار للكفار من جهة، والتنوية بالمؤمنين من جهة اخرى، وتطمين للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والتسرية عنه من جهة ثالثة بتقرير كون دعوته تذكرة وايقاظاً ، وليس هو مسئولاً عن الكافرين ، فلا موجب لحزنه إذا لم يستجيبوا

وليكل أمرهم إلى الله تعالى العليم بهم، القادر عليهم .

وليس في قوله جل وعلا : « وماتشاؤن إلا أن يشاء الله » ماينفي قابلية الا ختيار والمشيئة التي أودعها الله تعالى في الناس لان ذلك مما أكدته التقريرات القرآنية العديدة الحاسمة حتى صار من المبادىء المحكمة ، و هذه القابلية و المشيئة مما شاء الله تعالى أن تكون للانسان ، فاختيار الناس الهدى أو الضلال هو من ذلك ، فلايكون هناك تناقض .

ووصف الكفار في الختام بالظلم كصفة أساسية فيهم من القرائن على أنهم انصرفوا عن الهدى بسبب سوء اختيارهم ، فظلموا ، فاستحقوا عذاب الله تعالى، و هذا يلهم تأويل جملة «يدخل من يشاء في رحمته» بمن كان حسن النية والاختيار، صادق الرغبة في الهدى .



الاعجاز

إعلمان آيات هذه السورة إحدى وثلاثون آية ختمت بثلاثة أحرف: الراء ، واللام ، والميم ، فعشرون منهـا بالاولى ، و تسع منها بالثانية ، و ثنتان منهـا بالاخرى.

وفيهامن الاسرار والاعجاز واللطائف والنكات مالايخفى على المتدبر الخبير ، فلابد من التأمل جداً فتدبر جيداً .

ان القرآن الكريم كتاب سماوى أنزله الله جل وعلا على رسوله الخاتم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم لهداية البشر كلهم ، وهو المعجزة الكبرى فى سوره و آياته ، وفى جمله و كلماته ، وفى مبانيه ومعانيه من تشريع خالد وتعليم جامع ، وأدب بالغ وقصص واعظ ومثل سائر ، وحكمة بالغة فى ترغيب و ترهيب و وعد و وعيد و كل ما يعود على الفرد والمجتمع البشرى بالخير والصلاح ، بالسعادة والنجاة ، بالعزة والكمال ، وبالصواب والهداية ، وهو يهتف : « انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ـ انانحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ـ ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً » الانسان : ٣ و ٢٣ و ٢٩) لاتغيره الايام مهماتقدمت الاحكام . . . أنزله الله جل وعلا آياته الكريمة حسب الحاجات ومقتضيات الاحوال مهما تعددت واختلفت أو اتفقت .

ومن إعجازه هداية الناس إلى طلب العلم من مظانه ، و ان السعادة كل السعادة مرتبطة بالعلم الصحيح ، وتوبيخهم فى حماية أنفسهم من اعتقاد الاباطيل

والمضى مع الاوهام والاضاليل ، ونبذ كل مالم يقم عليه دليل ، فشنع ماشاء أن يشنع على الاخذين بكل ما يقال بدون نقد ولاتمحيص .

ومن شاء أن ينظر إلى مبلغ مافى القرآن الكريم من ذلك فليتله حق تلاوته ، ويتدبر فيه حق تدبره ، ير العجب العجاب ، فهل بعد هذا كله يستطيع العقل أن يسلم بان عربياً بعيداً عن مظان العلم والحكمة ، غريباً عن معاهد الشرائع والقوانين . . . فى وسط امة جاهلية لاعهد لها بكتاب سماوى ولابنظام وضعى ، يأتى بمثل هذا الاصل الذى يفوق فى جلالته وفخامته ما يفخر به العلم والعلماء وتتيه به الحكمة والحكماء من محصول العقل والنظر والتفكر والتأمل والعلوم فى القرن العشرين ؟

أى دليل أبلغ من هذا على أن هذا الكتاب وحى إلهى ، منزل سماوى ؟ أى حجة يريدها من يريد الحجة أقطع منها على صدور هذا الكتاب من علام الغيوب ؟

ان القرآن الكريم معجزة ، ولاشك خالدة تشهد فى كل وقت ومكان من طوال الاعصار بصدق رسالة محمد ﷺ وختميته فى النبوات والرسالات ، وبأنه واحد من رسل الله الذين أرسلهم الله جل وعلا إلى اممهم بالهدى ودين الحق ، ولكنه ﷺ أكبرهم شأناً وأجلهم قدراً وخاتمهم لانبوة ولا رسالة ولا وحى سماوى بعده .

هذا :

ولا يسع المقام أن نبين جميع وجوه إعجاز آية من آيات هذه السورة فضلاً عن جميعها ، ولكن الميسور لايترك بالمعسور ، فنشير إلى وجهين من وجوه إعجاز آيتين منها :

قال الله تعالى : « عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً » الانسان : ٦)

أى انها عين تتفجر دائماً كلما أرادوا أن يشربوا من شراب هذه العين ، فماهى

الأهمسة خاطر حتى تنبع العين و يتفجر منها الشراب على هيئة كئوس تتناولها الايدى من قريب .

وفى تعدية « يشرب » بحرف « الباء » مع انه يتعدى بنفسه أو بحرف «من» فيقال : شربت اللبن أو من اللبن - إشارة إلى أن العين التى يشرب منها عباد الله هى شراب و كأس معاً ، وانهم حين يشربون بهذه العين التى هى الشراب يشربون الشراب ذاته ، وان هذا الشراب الذى ينبع من تلك العين لصفائه ورقته و شعشعة أضوائه قد امتزج بالكأس ، فصارا معاً كياناً واحداً الايدرى الناظر إليهما أينظر إلى كأس أم إلى شراب ، فكلاهما أصفى من الهواء وأرق من الشعاع كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً » .

فعدل النظم القرآنى عن تعدية الفعل : « يشرب » إلى أداة الشرب بالباء كما هو المألوف إذ يقال : شربت بالكاس و بالكوب ، وعدى إلى تلك الاداة : « من » ثم جاء قوله تعالى : « عيناً يشرب بها عباد الله » فعدل عن تعدية الفعل إلى مادة الشراب بحرف « من » إلى تعديته بحرف « الباء » عيناً يشرب بها ، و بهذا أحل النظم القرآنى مادة الشراب « العين » محل الكأس على حين أقام الكأس مقام العين و بهذا تبدو الصورة هكذا : « ان الابرار يشربون من كأس » وقد كان مقتضى النظم « بكأس » و « عيناً يشرب بها عباد الله » و كان مقتضى النظم «منها».

ينقل النظم القرآنى هذا المنظر بنغم علوى آسر يملك زمام العقول و يهز أوتار القلوب فى كلمات تنبض بالحياة و تندى بالطيب ، فتنشق الانوف عبيره و تطعم الارواح مذاق حناه !

فاذا استمعت لقوله عز وجل : « عيناً يشرب بها عباد الله » تمثلت لك العين كأساً يشرب بها ، ثم نازعتك نفسك إلى البحث عن أداة الشرب ، فلا تجد إلا العين شراباً و كأساً معاً ، وإذا استمعت لقوله تعالى : « يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً » تمثلت لك الكأس عيناً يشرب منها ، فاذا شاقك أن ترى العين

وجدتها هى الكأس والشراب معاً قد أصبحا كياناً واحداً . .

هذا :

ولم يجمع النظم القرآنى بين الوصفين ـ وصف الشراب ، ووصف الكأس حتى يقيم منهما الصورة التى تحقق صفتهما معاً ـ لم يفعل النظم القرآنى هذا الصنيع ، لان كل صورة منهما تحقق الوصف المطلوب للكأس والشراب أتم تحقيق. فاذا نظر الناظر فى الصورتين معاً وجد أنهما وجهان لحقيقة واحدة ! كأس وشراب ، وشراب وكأس . .

وقد جاء النظم القرآنى بهذا الاعجاز من أقرب طريق و أيسره ، فبكلمة واحدة بل بحرف واحد أقام هذا الاعجاز، وكشف عن وجه هذه المعجزة. فمازاد النظم القرآنى عن أن أقام حرف « الباء » مكان « من » فى احدى المعجزتين ، على حين أقام « من » مقام « الباء » فى المعجزة الاخرى !

فهذا كلام الله عز وجل ، تتجلى معجزاته فى غير بهرج من اللفظ ولا خلابة أو تهويل من النظم . . حتى ليبدو ـ فى ظاهره ـ وكأنه مما يتكلم به الناس من منثور ومنظوم . . تماماً كما كانت تبدو عصا موسى فى يده عصاً يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه . . لكن ما إن ألقاها من يده حتى سرت فى كيانها نفخة من روح الحق ، واذا هى حية تسعى ؟ . . وهكذا كلمات الله جل وعلا تبدو فى ظاهرها وكأنها من مادة ما نتكلم به من حروف و كلمات ، ولكنها آيات معجزة تتحدى وتفحم وتعجز فتدبر واغتنم جداً .

﴿التكرار﴾

إعلم ان البحث في المقام على امور: الاول ـ انه خمس سور افتتحت بحرف الاستفهام ، ثنتان منها بحرف « هل » أحدهما ـ سورة الانسان. ثانيهما ـ سورة الغاشية. وثلاثة اخرى بحرف الهمزة « أ » أحدها ـ سورة الانشراح. ثانيها ـ سورة الفيل. ثالثها ـ سورة الماعون. وتضاف عليها سورة النباء باعتبار.

الثاني : انا نشير في المقام إلى صيغ إحدى عشر لغة ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية :

١ـ جاءت كلمة (أمشاج) على صيغتها في القرآن الكريم نحو : مرة واحدة وهي في سورة الانسان : ٢)

٢ـ « « (السلسلة والسلسبيل) « « « « : أربع مرات : ١ـ سورة الحاقة : ٣٢) ٢ـ غافر: ٧١) ٣و٤ـ الانسان : ٤ و١٨)

٣ـ « « (الكأس) « « « « : ست مرات : ١و٢ـ سورة الانسان : ٥ و١٧) ٣ـ الواقعة : ١٨) ٤ـ الصافات : ٤٥) ٥ـ النباء : ٣٤) ٦ـ الطور : ٢٣) .

٤ـ « « (المزج) « « « : : ثلاث مرات : ١و٢ـ سورة الانسان : ٥و١٧) ٣ـ المطففين : ٢٧)

٥ـ « « (قمطرير) « « « « : مرة واحدة وهي في هذه

السورة : ١٠)

٦ـ « « « « « (النضرة) « « : ثلاث مرات: ١ـ سورة الانسان : ١١) ٢ـ سورة المطففين : ٢٤) ٣ـ القيامة : ٢٢)

٧ ـ « « « « « (الاريكة و الارائك) « « : خمس مرات: ١ـ سورة الانسان: ١٣) ٢و٣ـ سورة المطففين: ٢٣ و٣٥) ٤ـ الكهف: ٣١) ٥ ـ يس : ٥٦)

٨ـ « « « « « (زمهرير) « « : مرة واحدة وهى فى هذه السورة ١٣)

٩ـ « « « « « (القطوف) « « : مرتين : أحدهما ـ فى سورة الانسان : ١٤) ثانيهما ـ فى سورة الحاقة : ٢٣)

١٠ ـ « « « « « (أكواب) « « : أربع مرات : ١ـ سورة الانسان: ١٥) ٢ـ الزخرف : ٧١) ٣ـ الواقعة : ١٨) ٤ـ الغاشية: ١٤)

١١ـ « « « « « (زنجبيل) « « : مرة واحدة و هى فى هذه السورة : ١٧)

و الثالث : ماجاء فى هذه السورة القرآنية من التكرار بأساليب مختلفة...

منها : قوله تعالى على طريق الاخبار : « ويخافون يوماً كان شره مستطيراً» الانسان : ٧) و قوله جل وعلا حكاية عنهم : « انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً» الانسان : ١٠) وذلك ان الابرار نبّهوا بقولهم : « انما نطعمكم لوجه الله ...» ان قصرهم العمل فى إبتغاء وجه الله جل وعلا إخلاصاً للعبودية لمخافتهم ذلك اليوم العسير ، ولكنهم لم يكتفوا بنسبة المخافة إلى اليوم الشديد حتى نسبوه نحواً من النسبة إلى ربهم فقالوا : « انا نخاف من ربنا يوماً» لانهم لمالم يريدوا إلاّ وجه ربهم فهم لايخافون غيره كما لايرجون غيره ، و انما يخافون ويرجون ربهم ، فلايخافون يوم القيامة الاّ لانه من ربهم يحاسب فيه عباده على أعمالهم فيجزيهم بها .

و أما قوله تعالى من قبل : « ويخافون يوماً . .. » حيث نسب خوفهم إلى اليوم الشديد فان الواصف فيه هو الله جل وعلا، وقد نسب اليوم بشدائده وأهواله إلى نفسه من قبل إذ قال : « انا أعتدنا للكافرين سلاسل .. »

فما ذكروه من الخوف مخافة فى مقام العمل لما يحاسب العبد على عمله، فالعبودية لازمة للانسان لاتفارقه، وإن بلغ مابلغ قال الله عزوجل : « ان إلينا إيابهم ثم ان علينا حسابهم» الغاشية : ٢٦)

وقيل : ان الله تعالى وصف الابرار بالخوف من أهوال القيامة وشدائدها فى موضعين : أحدهما ـ فى قوله سبحانه : « و يخافون يوماً . . » أى مكروهه مستطيراً فاشياً منتشراً من استطار الحريق ، ومنه الفجر المستطير ، وأصله من طار . والغرض انه تسع مكاره ذلك اليوم جميع المكلفين حتى الانبياء يقولون: نفسى نفسى إلاّ نبينا محمداً ﷺ فانه يقول : امتى امتى و السموات يتفطرن والكواكب ينتثرن .

وغير ذلك من المكاره و الاهوال . . . و هذا لاينا فى أمن المؤمنين فى الاخرة على ماقال سبحانه : « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون» النمل : ٨٩) ثانيهما ـ قوله تعالى : « انانخاف من ربنا يوماً . . . » .

ومنها : قوله تعالى : « ويطاف عليهم .. »الانسان : ١٥)بطريق المجهول و الابهام ،ثم قال :« ويطوف عليهم ولدان مخلدون »الانسان:١٩)على طريق المعلوم وذلك لان الغرض فى الاول مايطاف به لاالطائفون ، ولهذا قال : «بآنية من فضة » ثم ذكر الطائفين فقال : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون » .

ومنها : قوله سبحانه: «ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً» الانسان :٥) ثم قال :« ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً »الانسان :١٧)

وذلك لان الثانية غير الاولى ، حيث انلاهل الجنة أشربة كثيرة: مختلفة اللون والطعم واللذة . . .

قال الله تعالى : « مثل الجنة التى وعدالمتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشار بين وأنهار من عسل مصفى . . . » محمد ﷺ :١٥) وقال : « ان الابرار لفى نعيم ـ يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك » المطففين : ٢٢-٢٦)

كما ان لاهل النار أشربة مختلفة فى العذاب من ماء حميم يقطع أمعاء هم ،و ماء صديد . . .

ومنها : قوله عزوجل :« انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبرلحكم ربك ـ وسبحه ليلاً طويلاً »الانسان : ٢٣-٢٦) وقد تكرر هذا الاسلوب لتكرر البواعث والمواقف. وهذا متسق مع طبيعة مهمة النبى الكريم ﷺ أولاً ،وفيه دلالة على أن الكفار كانوا فى ظروف ومواقف عديدة يحاولون حمل رسول الله الاعظم ﷺ على الملاينة ثانياً .

ومنها : قوله تعالى : » ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً » الانسان : ٢٩)وقد تكرر هذا الاسلوب فى مواضع عديدة من السور القرآنية كالمزمل : ١٩) والمدثر ٥٤) وعبس : ١١)

وذلك لانها استهدفت إنذار الكافرين و أذنابهم من جهة ، والتنويه با لمؤمنين من جهة اخرى ، وتطمين النبى الكريم ﷺ والتسرية عنه من جهة ثالثة بتقرير كون دعوته ﷺ تذكرة وايقاظاً ، وليس هو ﷺ مسئولاً عن الكافرين المتمردين ، و المنافقين الشاردين ، فلا موجب لحزنه ﷺ إذا لم يستجيبوا له،وليكل أمرهم إلى الله عزوجل العليم بأحوالهم ونواياهم،القادر عليهم .

﴿ التناسب ﴾

إعلم أن البحث فى المقام على جهات ثلاث :

احدها - التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها - التناسب بين هذه السورة وماقبلها مصحفاً .

ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة « الرحمن » فبالتدبر فى إستهداف السورتين يظهر ماقد يخفى على بعض .

وذلك لان فى سورة « الرحمن » إشارة إلى عناية الله تعالى بالانسان ، وقد خلقه ممتازاً عن سائر الاحياء واختصّه بالنطق والبيان ، و يسّر له فهم القرآن الكريم ، وإلى التنويه بنعمه ومشاهد عظمته فى الكون وذاته ، والبشرى للمتقين وما يلقونه في الاخرة من نعيم ورفاه . . وإلى الانذار والتنديد بالمكذبين ، وما يتبعهم من الهول والعذاب فى الاخرة .

وفى هذه السورة تقرير لخلق الانسان بعد أن لم يكن له وجود أصلاً و تذكير بمنحه العقل والاختيار لاختباره ، و بماهداه إلى مافيه خيره وصلاحه برسالة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته إلى ماتقتضيه القوة المودعة فيه من قابلية التمييز والاختيار ، فمن شاء تذكر واتخذ إلى ربه سبيلاً واستحق رضاه . ومن شاء اتخذ إلهه هواه و له العذاب الأليم .

واما الثانية : فلماكانت سورة القيامة بصدد بيان الادلة الدالة على قدرة

الله جل وعلا على إعادة الاموات أحياء للحساب والجزاء إذ قال: « أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوّى بنانه- أيحسب الانسان أن يترك سدى - أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » القيامة: ٣ - ٤٠) .

وكان الانسان هو موضوع القيامة، وهو الذى يساق إلى موقف الحساب والجزاء فيها، فكان جعله عنواناً لسورة خاصة به ثم كان جعله فى مواجهة يوم - القيامة بعد عرضها عليه - كان ذلك مما يقيم له مرآة ينظر فيها إلى نفسه وإلى مكانه فى هذا الوجود، وإلى مسيرته فى الحياة كيف؟ وإلى أين ينتهى؟ وذكر فى هذه السورة ابتداء خلقه، وإستعداده للهدى والضلال، للايمان والكفر، ولقبول الحق والباطل...

و أما الثالثة: فان الله تعالى لما ابتدأ السورة بذكر سبق العدم على الانسان بطريق الاستفهام، أخذ بذكر عناصر داخلة فى تكوين الانسان، ثم أشار إلى ما أودعه فيه يصح معه الابتلاء والامتحان، وهو السمع والبصر من الهداية الداخلية، وتمّم ذلك بهداية خارجية، فلم يتركه سدى. و لما كان الانسان فى وجهة الهدايتين مختاراً، فله أن يؤمن ويهتدى بهدى الله جل وعلا ويعمل عملاً صالحاً أو يكفر ويعصى ويفسد عقله أشار إلى أنه فيها تفرّقوا بفريقين: فرقة الفجار الطاغين وفرقة الابرار الصالحين. بقوله تعالى: « هل أتى على الانسان - و إما كفوراً »: ١ - ٣)

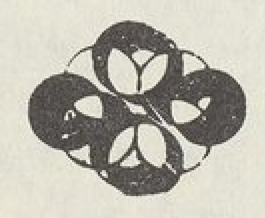
ان الله تعالى لما أشار إلى أن الانسان تجاه الهداية التكوينية والتدوينية على فريقين: فرقة كافرة وفرقة مؤمنة أخذ بذكر تبعات الكفر من السلاسل والاغلال والسعير... ثم ذكر نتائج الايمان و صالح الاعمال من الجنة ونعيمها، و قدّم الاول لان الانذار أهم وأنفع، والخوف مقدم على الرجاء، و أما الاجمال فى جانب الكفر فانه لايحتاج إلى تفصيل وبيان ولافائدة لاعمال صالحة بعد الكفر بخلاف الايمان وصالح الاعمال.. ففى ذكرها و تفصيلها حث عليها. فقال:

«انا اعتدنا للكافرين سلاسل ـ عينا يشرب بها عبادالله يفجرونها تفجيراً » :٤-٦) .
ثم أخذ بذكر اعمال الابرار من وفاء نذرهم وخوفهم وإطعامهم مع الاشارة إلى غرضهم فى ذلك إذ إنما الاعمال بالنيات ، فكانوا يخافون من شر يوم عسير ، فوقاهم الله جل وعلا منه ، وكانوا يعملون إبتغاء لوجهه ، فجزاهم نضرة و سروراً وجنة وحريراً ،ثم أشار إلى أحوال الابرار فى الجنة وتنعمهم بنعيمها وإلى مساكنهم وألبستهم وأشربتهم ، وخدامهم فيها ، وما إليها من ذكر النعيم وأوصافها . . .
فقال : « يوفون بالنذر ويخافون يوماً ـ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » : ٧-٢١) ثم ذكر العلة لذلك بان الله تعالى جزاهم بذلك لخلوصهم فى العبودية وصالح الاعمال وإلا فليس بينه سبحانه وبين غيره قرابة حتى يعطى بها طائفة و يمنع الآخرين فقال : « ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً » : ٢٢)
ان الله تعالى لما بيّن أصناف الوعد والوعيد ، وذكر أمر الاخرة بعد أن ذكر ان الناس تجاه الهداية على فريقين، أخذ بذكر ما يهدى به الناس وتحصل به لهم الحقائق والمعارف ، وفيه سعادتهم و كمالهم وعزتهم ونجاتهم ، بعد أن ذكر ما منحه بهم من العقل والسمع والبصر من الهداية الداخلة بقوله تعالى : « انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً » : ٢٣) تسلية لقلب النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتثبيتاً له صلى الله عليه وآله وسلم فى موقفه وتهويناً لامر الكفار عليه ، بان هذا الكتاب يتضمن ما بالناس حاجة إليه فليس بسحر ولا كهانة ولاشعر وانما هو حق نزل من عند الله جل وعلا
ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر لحكم ربه والصبر على أذى الكفار،وأن لا يطيع هؤلاء الكفار والآثمين حتى يحكم الله جل وعلا بينهم أو الصبر على التكاليف مطلقاً، ثم قسّمها إلى نهى وأمر، وقدّم النهى : «لاتطع» لان التخلية مقدمة على التحلية والتزكية مقدمة على التعليم ، ثم أمره صلى الله عليه وآله وسلم بذكر الله جل وعلا إذ به تطمئن القلوب . ويستعين به المؤمنون فقال : « فاصبر لحكم ربك ـ وسبحه ليلاً طويلاً»: ٢٤ - ٢٦)

ثم أشار إلى ماحث هؤلاء الكفار والآثمين على الكفر والاثم من حب الدنيا، والغفلة عن الاخرة ، عكس ماكان عليه هؤلاء الابرار من حب الله جل وعلا وترك الدنيا وذكر الاخرة توبيخاً للمتردين عن طاعته ، مستحقراً إياهم و ما يحبونه بقوله : « ان هؤلاء يحبون العاجلة و يذرون وراءهم يوماً ثقيلاً » : ٢٧) وفى الاية ترغيب وترهيب .

ثم بيّن كمال قدرته التى تشاهد فى أنفسهم بقوله : « نحن خلقناهم....» : ٢٨)

ثم عمّم الحكم لجميع الناس فقال : « ان هذه تذكرة . . . » : ٢٩) وختم السورة بالاشارة الاجمالية إلى أن التوفيق للاهتداء بالهداية الخارجة ، وشمول الرحمة الخاصة الالهية لا يستتبعان إلا الاهتداء بالهداية الداخلة من إتباع العقل وترك الهوى ، فاذا اهتدى بما فى نفسه واتبعه إهتدى بكتاب الله جل وعلا وشملته رحمته ، وفى الختام وعد بالرحمة من اتخذ إلى ربه سبيلاً واستقام ، وأوعد بالنقمة من اتخذ إلهه هواه وظلم على نفسه وانحرف عن طريق الهدى وسواء السبيل .



﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً» الانسان: ٨): ان إطعام المسكين نسخ آية الصدقات وهي قوله تعالى: « انما الصدقات للفقراء والمساكين ... » التوبة: ٦٠).

و قال: نسخ إطعام الاسير آية السيف: « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » التوبة: ٥) لاطلاق الأسير، فيشمل الاسير المشرك.

اقول: ان الحكم ثابت والاطعام تطوع فلا نسخ، و يؤيد ذلك ما سيأتي من الروايات عن أبي ذر رحمه الله تعالى وأبي عبدالله الصادق عليه السلام.

وفي تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبي في قوله تعالى: « فاصبر لحكم ربك » أي لقضاء ربك. وروى الضحاك عن إبن عباس قال: اصبر على أذى المشركين، هكذا قضيت. ثم نسخ بآية القتال.

اقول: ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على سفه الجاهلين، وعدم الانسجام مع خلق العامة الهابط، وهي من شيمة الانبياء، ومن أوليات سمة المرسلين، وان الصبر في سبيل أداء الرسالة من أهم أداة للتبليغ الناجح. وفي الامر بالصبر وعدله صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر كما هو وعيد للكافرين، وكانت آية السيف بالنسبة إلى هذه تحقيقاً للوعد والوفاء به. وأين هذا من النسخ! فالحكم ثابت وملازم للنبوة والتبليغ

وفيه: و قال ابن زيد وغيره: ان قوله: « و سبحه ليلا طويلاً » منسوخ بالصلوات الخمس.

اقول : ان الحكم مخصوص بالنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لوقلنا بالوجوب.

وقال بعض المفسرين : ان قوله تعالى : « ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً » الانسان : ٢٩) منسوخ بآية السيف.

اقول : ان الاية الكريمة فى معنى نفى الاكراه فى الدين عقيدة وعملاً واخلاصاً ، بعد وضوح الحق وتبيّن الرشد فان الله جل وعلا لم يجر أمر الدين على الاكراه والاجبار، وانما أمره على الاختيار ، فالاية لاتقبل نسخاً ولاتخصيصاً.

وقيل : ان الاية الكريمة منسوخة بتاليها وهى قوله تعالى : « وماتشاؤن الا أن يشاء الله »

اقول : ان الاية التالية إخبار عن عدم ايمانهم لتصاممهم على الكفر والاثم والمعنى : انكم باختياركم لاتؤمنون البتة لاتباعكم عن الهوى و انحرافكم عن الهدى . وهذا لايصلح أن يكون ناسخاً.

وما توهم بعض المفسرين : ان قوله تعالى : « وما تشاؤن إلا أن يشاء الله » : ٣٠) من المتشابهات غير وجيه ، لظهور معناه ، وقد سبق الكلام منافى البيان فراجع وسيأتى بعض الكلام فى التفسير والتأويل فانتظر.

فظاهر آيات السورة محكمات والله جل وعلا هو أعلم.

﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

١ - (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً)

فى « الانسان » أقوال: ١- عن إبن عباس وقتادة والسدى وعكرمة والحسن والجبائى والثورى والزجاج: الانسان هو آدم عليه السلام و هو أول من سمّى به، و هو الذى كان مصوراً من طين لايذكر فى أربعين سنة. و إطلاق الانسان عليه قبل نفخ الروح فيه من باب إطلاق العطر على الورد. و آدم عليه السلام هو آخر ما خلق من الخلق. ٢ - عن أبى مسلم: الانسان عام يشمل لكل إنسان فى جميع الاعصار... ممن خلقوا ولم يخلقوا بعد، فالالف واللام للجنس فيشمل للمعدومين والموجودين واللاحقين. فالانسان هو الذى لم يكن فى زمان انسان إلاّ بالقوة، و هذا صادق على آدم عليه السلام و بنيه.

٣- قيل: اريد بالانسان الموجودون منهم. واللام للجنس ولكن بالنسبة إلى الموجودين.

اقول: والثانى هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر. والمراد من الانسان ههنا بنوآدم، و إن كان آدم كذريته فى التكليف والهداية، ولكن الاية ليست بصدد بيان خلقه و هدايته فقط، و ان الاية كالتاكيد لخاتمة السورة السابقة، و كالتقدمة لما يأتيها من قوله تعالى: « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج » و لم يخلق آدم من نطفة أمشاج.

و قوله تعالى: « حين من الدهر » أقوال: ١ - عن إبن عباس: أى أربعون

سنة إذ مرت به قبل أن ينفخ فيه الروح و هو ملقى بين مكة والطائف .

٢ ـ قيل : اريد بـ «حين» مدة فترة الرسل . ٣ ـ عن إبن عباس أيضاً : ان آدم عليه السلام خلق من طين ، فأقام أربعين سنة ، ثم من حماء مسنون أربعين سنة ، ثم من صلصال أربعين سنة ، فتم خلقه بعد مأة و عشرين سنة .

٤ ـ قيل : اريد بـ «حين» مدة لبث الانسان في بطن امه ، و أما آدم عليه السلام فمن بدء خلقه إلى نفخ الروح فيه أو زمن عدم الخلق عليه .

٥ ـ عن إبن مسعود : أقام آدم عليه السلام وهو من تراب أربعين سنة ، فتمّ خلقه بعد مأة وستين سنة ، ثم نفخ فيه الروح . ٦ ـ قيل : اريد بـ «حين» ههنا ستة أيام خلق الله تعالى فيها السموات والارض ، ثم فرغ لخلق آدم عليه السلام في عصر يوم الجمعة . ٧ ـ عن إبن عباس أيضاً : «حين» ههنا غير محدود لا يعرف مقداره .

أقول : «حين» طائفة من الزمان محدودة ، قصيرة كانت أم طويلة ، والدهر هو الزمان الممتد من غير تحديد ببداية أو نهاية ، فلا حدّ للدهر يوقف عليه ، والقطعة من أية كانت هي زمن طويل قد يبلغ آلافاً من السنين . . . يقال : أتى على الانسان حين قبل أن يوجد ، و قبل أن يكون شيئاً ، و إذا اريد ذلك قيل: أتى حين قبل أن يخلق و لا يقال : أتى عليه . فالمراد بـ «حين» ههنا سبق العدم على الانسان لا يعلمه إلاّ الله جل وعلا أشار إليه بقوله تعالى: «لم يكن شيئاً مذكوراً».

وقوله سبحانه : « لم يكن شيئاً مذكوراً » فيه أقوال : ١ ـ عن إبن عباس: أي لم يكن شيئاً مذكوراً لا في السماء ولا في الارض . أي كان يذكر مثلاً الارض والسماء والبر والبحر والجبال وغيرها، ولا يذكر الانسان باسمه في المذكورات لانه لم يوجد بعد حتى وجد ، فقيل: الانسان ، فكونه مذكوراً كناية عن كونه موجوداً بالفعل، فالنفي في قوله جل وعلا « لم يكن شيئاً مذكوراً » متوجّه إلى كونه شيئاً مذكوراً لا إلى أصل كونه شيئاً، فقد كان شيئاً ولم يكن شيئاً مذكوراً.

قيل : و يؤيد ذلك قوله سبحانه : « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج »

بانه كان موجوداً بمادته ، و لم يتكوّن بعد إنساناً بالفعل ، فالاية و تاليها من الايات واقعة فى سياق الاحتجاج يبيّن بها أن الانسان حادث يحتاج فى وجوده إلى صانع يصنعه وخالق يخلقه ، وقدخلقه ربه وجهّزه التدبير الربوبي بأدوات الشعور من السمع والبصر يهتدى بها إلى سواء السبيل الذى من الواجب أن يسلكه مدى حياته .

٢ ـ عن الفراء و قطرب و ثعلب : ان آدم عليه السلام كان جسداً مصوراً تراباً وطيناً لا يذكر و لا يعرف ولا يدرى ما إسمه ، ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكوراً . ٣ ـ عن قتادة و مقاتل : و قد مضى مدد من الدهر وآدم عليه السلام لم يكن شيئاً يذكر فى الخليقة لانه آخر ما خلقه الله تعالى من أصناف الخليقة والمعدوم ليس بشىء حتى يأتى عليه حين ، فالنفى راجع إلى «شيئاً» والمعنى : قد مضت على آدم أزمنة ، و ما كان هو شيئاً ، و لا مخلوقاً و لا مذكوراً لاحد من الخليقة .

٤ ـ قيل : ان الذكر ههنا بمعنى الخطر والشرف والقدر تقول : فلان مذكور أى له قدر وشرف ومنزلة . قال الله تعالى: « و انه لذكر لك ولقومك » والمعنى : قد أتى على الانسان حين لم يكن له قدر عند الخليقة ، ثم لما عرّف الله جل و علا الملائكة انه جعل آدم خليفته فى الارض ، وحمّله الامانة التى عجز عن حملها السموات والارض والجبال ، ظهر فضله على الكل فصار مذكوراً وقيل: أى لم يكن شيئاً له نباهة ولا رفعة ولا شرف ، انما كان طيناً لازباً وحمأ مسنوناً

٥ ـ قيل : انه قبل الولادة لا يعرف و لا يذكر ، و لا يدرى من هو و ما يراد به ، بل يكون معدوماً ثم يوجد فى صلب أبيه ، ثم فى رحم امه إلى حين الولادة .

فى تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبى : قال أبوبكر لما قرء هذه الاية : ليتها تمت فلا نبتلى أى ليت المدة التى أتت على آدم لم تكن شيئاً مذكوراً

فقال : ليتها تمت .

وفي تفسير النيسابوري : لما سمع - أبوبكر - هذه الاية قال : ليتها تمت أي ليت تلك الحالة تمت وهي كونه غيرمذكور لم يخلق ولم يكلف .

أقول : وهذا طعن منهما على صنع الله جل وعلا وخلقه ، و على علمه و حكمته ، وان الله تعالى لم يخلق شيئاً فضلاً عن الانسان إلا لحكم و أسرار وإن لم نعرفها ، فكلاهما لايخلو من شائبة الكفر أو الجهل، فمن كان هذا شأنه فكيف يليق أن يكون قائداً للناس ، وأن يجلس مجلس النبي المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم !!!

٦- قيل : اريد بالانسان العلماء لانهم كانوا لايذكرون فصيّرهم الله جل و علا مذكورين بين الخاص والعام في حياتهم وبعد مماتهم ، وهم لم يكونوا قبل ذلك ذا ذكر وأثر مشهود في الحياة .

أقول : ان المستفاد من الروايات الآتية : ان الانسان كان مقدراً خلقه في علم الله تعالى كسائر الاشياء ، ولكنه غير موجود فكان غير مذكور ثم وجد

٢- (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً)

في « أمشاج » أقوال : ١- عن إبن عباس و الحسن و عكرمة و مجاهد : الامشاج : إختلاط ماء الرجل و هو أبيض غليظ بماء المرأة و هو أصفر رقيق ، فيتكوّن منهما الولد ، و أيهما علا صاحبه كان الشبه له ، و ما كان من عصب وعظم وقوة فهو من ماء الرجل ، وما كان من لحم ودم وشعر فهو من ماء المرأة.

٢- عن إبن عباس أيضاً : الامشاج : الحمرة في البياض والبياض في الحمرة

٣- قيل : الامشاج : نزول الرجل على المرأة يمشج بعضه ببعض. ٣- عن الحسن : أي مزجت نطفة الرجل بدم الحيض الذي فيه غذاء الجنين، فاذا حبلت ارتفع الحيض .

٤- عن إبن مسعود : الامشاج : العروق التي تكون في النطفة ، و العروق التي تكون منها النطفة ، و من هنا تحركت تلك العروق خروج النطفة فيجب

الغسل. وعنه أيضاً: أى ماء الرجل وماء المرأة وهمالونان.

٥- عن مجاهد أيضاً والضحاك والكلبى: الامشاج: الالوان إذ نطفةالرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء. والاول يخرج من الصلب و الثانى يخرج من الترائب.

٦- عن قتادة: أمشاج أطوار الخلق: طور نطفة وطور مضغة، وطور عظام وطور علقة ثم يكسو العظام لحماً. وعن إبن عباس أيضاً: انها عبارة عن إنتقال النطفة من حال، ولهذا فسّر الابتلاء بهذا الانتقال.

٧- قيل: أمشاج: عناصر خلق بها الانسان من ماء و تراب ونار وهواء و قيل: هى عشرة: وهى: الاوكيسجين، والاودروجين و الكربون، و الازوت و الكبريت والفوسفور والبوتاسيوم والمغنيسيوم والكسيوم والحديد وتلك عشرة كاملة تتبنى غذاء الانسان. فهذه العناصر داخلة فى كل نبات وحيوان وأخيراً فى الانسان لانها غذاؤه، فأعصابه و خلياته تتكوّن و تتقوى منها، و هى كلها دخيلة فى خلق المنى.

٨- عن إبن السكيت: الامشاج: الاخلاط لانها ممتزجة من أنواع، فخلق منها الانسان ذا طبائع مختلفة من الحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة.

فالمعنى: أخلاط من الطبائع التى تكون فى الانسان من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة جعلها الله تعالى فى النطفة ثم بناه البنية الحيوانية المعدلة الاخلاط ثم جعل فيه الحياة ثم شق له السمع والبصر، فتبارك الله رب العالمين.

٩ - قيل: الامشاج ما جمع وهو فى معنى الواحد لانه نعت للنطفة كما يقال: برمة أعشار للقدر المتكسرة قطعاً. وثوب أخلاق.

١٠- عن إبن عباس أيضاً: أى خلق من ألوان: خلق من تراب، من صلصال، من سلالة من طين، ثم من ماء الفرج والرحم وهى نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظم ثم لحم و نحوه. ١١- عن الفراء: أمشاج: أخلاط ماء الرجل و ماء المرأة، و

الدم والعلقة.

اقول: والاول هو المؤيد بالروايات الآتية وانتظر. والمراد بالعلو إنزال مني أحدهما قبل الاخر، ومن علائم كثرة الشهوة في الرجل كثرة الذكور له لسرعة الانزال من هذا الرجل قبل المرأة إلاّ أن يكونا متساويين .. كماان من علائم كثرة الشهوة في إمرأة كثرة الاناث لها لسرعة الانزال منها قبل زوجها. و هذا ثابت لامرية فيه.

وفي قوله تعالى: «نبتليه» أقوال: ١- عن إبن عباس: والكلبي أي نصرف الانسان خلقاً بعد خلق لنبتليه بالخير والشر والمعنى: نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة ثم مضغة.

٢- قيل: أي نقدّر فيه الابتلاء والاختبار وفيما يختبر به وجوه: أحدها- عن الكلبي: أي نختبره، بالخير و الشر ثانيها- عن الحسن: نختبر شكره في السراء، وصبره في الضراء. ثالثها- قيل: أي نختبره، بالموت والحياة. رابعها- قيل: أي نمتحنه بالفقر و الغنى. خامسها- قيل: اى نمتحنه بالعلم و الجهل. سادسها- قيل: أي نختبره، بالجاه والمقام والمسكنة. سابعها- قيل: أي نختبره بالدين ليكون مأموراً بالطاعة ومنهياً عن المعصية.

اقول: إن التعميم هو المستفاد من سياق الاطلاق.

٣- عن مقاتل: أي نكلف الانسان بالعمل بعد الخلق. ٤- عن الفراء: ان في الكلام تقديماً و تأخيراً. والتقدير: فجعلناه سميعاً بصيراً لنبتليه بالامر والنهي وهي مقدمة معناها التأخير لان الابتلاء لايقع إلابعد تمام الخلقة. وقدم «لنبتليه» لرعاية الفواصل ... ولنبتليه: لنتعبده ونأمره باوامر وننهاه عن نواه و نكلفه بالاعمال الشاقة ليظهر إما طاعته، وإما عصيانه، فنجازيه بحسب ذلك.

٥- قيل: أي جعلنا له سمعاً يسمع به الهدى و بصرا يبصر به الهدى إذ بهما يسلك سواء السبيل ويعرف. ٦- قيل: أي نقدر فيه الابتلاء وهو الاختبار.

أقول : و الرابع هو الظاهر المؤيد بالروايات الاتية و عليه جمهور المحققين على أن الابتلاء وصف للمكلف لا للنطفة كما زعم بعض المفسرين ظناً بان الابتلاء هو نقل الشيء من حال إلى حال ومن طور إلى طور . و هذا الظن لايغني من الحق شيئاً .

٣- (انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً)

في «هديناه السبيل» أقوال : ١- قيل : أي بيناله الطريق ونصبناله الادلة في الآفاق والانفس ، لتكون مسرحاً لفكره ومغنماً لعقله ، وأزحناله العلة حتى يتمكن من معرفة الحق والباطل .

٢- عن الضحاك وأبي صالح والسدي: ان الهداية ههنا الايصال إلى المطلوب والسبيل ههنا: خروج الانسان من رحم امه بعد تسعة أشهر . ٣- قيل : أي مكّنّا الانسان وأقدرناه على سلوك سبيل الخير والشر، وسبيل الهدى والضلال، وسبيل الجنة والنار ، فهو مختار في السلوك .

٤- قيل : السبيل هو طريق معرفة الدين الذي به يتوصل إلى ثواب الابد، ويلزم كل مكلف سلوكه ، وهو أدلة العقل والشرع التي يعم جميع المكلفين.

٥ - قيل : أي هدينا الانسان منافعه و مضاره التي يهتدي إليها بطبعه و كمال عقله . ٦- عن قتادة : أي هديناه سبيل الخير والشر . ٧- عن مجاهد: أي بيّناله السبيل إلى الشقاء والسعادة . ٨- قيل : القرآن الكريم هو السبيل ههنا ٩ - قيل : الهداية بمعنى إراءة الطريق دون الايصال إلى المطلوب ، و المراد بالسبيل السبيل بحقيقة معنى الكلمة و هو المؤدّي إلى الغاية المطلوبة و هو سبيل الحق .

١٠ - قيل : أي عرّفناه سبيل الحق والباطل ، و طريق الهدى والضلالة ، و طريق الخير والشر بالعقل وهو الرسول الباطني، و ببعث الرسل والدّين كقوله تعالى : «و هديناه النجدين» .

اقول : والاخير هو المؤيد بالروايات الآتية من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر فتدبر جيداً .

وفي قوله تعالى : « إما شاكراً و إما كفوراً » أقوال : ١ ـ عن إبن زيد : أي هديناه طريق الهدى والضلالة بالسمع والبصر ، وبينا له ببعث الانبياء و إرسال الرسل و إنزال الكتب وتشريع الشرائع الالهية ، فننظر أيهما فعل ، و أيّ شيء يصنع هذا الانسان ، وأيّ طريق يسلك ، وأيّ الامرين يأخذ . ٢ـ قيل: الشاكر المطيع، والكفور غير المطيع من الكافر والعاصي والفاسق والمنافق من المسلمين. ٣ـ قيل : اريد بالشكر الاقرار بالله تعالى و بالكفر إنكاره . ٤ـ قيل: أي بينا له سبيل التوحيد بنصب الادلة عليه ، ثم إن خلقنا له الهداية إهتدى ، وإن خلقنا له الكفر كفر . ٥ ـ عن الزجاج : أي ليختار إما السعادة و إما الشقاء . و هو كما تقول : قد نصحت لك إن شئت فاقبل ، و إن شئت فاترك .

٦ـ عن قتادة : أي إما شاكراً للنعم التي أنعمها الله تعالى عليه وإما كفوراً لها . ٧ ـ عن الفراء : أي بينا له الطريق إن شكر وإن كفر على الجزاء . و «ما» زائدة و « إن » شرطية . ٨ ـ قيل : أي إما أن يختار بحسن إختياره الشكر لله تعالى والاعتراف بنعمه ، فيصيب الحظ ، و إما أن يكفر نعم الله تعالى و يجحد باحسانه ، فيكون ضالاً عن طريق الرشاد ، فأيهما اختار جوزي عليه بحسبه . ٩ـ قيل : أي إما أن يتخذ الانسان سبيل الحق والصواب ، فهو شاكر ، و إما يتركه و يتخذ طريق الباطل والضلال فهو كفور .

اقول : والاول هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر . و في معناه أكثر الاقوال الاخر .

٥ - (ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافوراً)

في « الابرار » أقوال : ١ ـ عن الحسن : البر هو الذي لا يؤذي الذر ولا يرضى الشر . ٢ ـ قيل : الابرار جمع البرّ و هو الموحد . و قيل : جمع البار

و هم المطيعون الذين بروا بطاعتهم ربهم في أداء فرائضه و اجتناب معاصيه . . .

٣ ـ عن قتادة : الابرار الذين يؤدّون حق الله تعالى و يوفون بالنذر .

٤ ـ قيل : الابرار هم أهل الصدق ، واحدهم بر و هو أطاع الله جل وعلا و امتثل أمره و اجتنب عن نهيه و أحسن أفعاله . . . و يقضي الحقوق اللازمة والنافلة .

اقول : و على أيّ ما كان معنى البر ، و كون الابرار جمع البر أو البار ، إنما المراد بالابرار ههنا و كل ما في كتاب الله عزوجل من قوله : «الابرار» هم أهل بيت الوحي من مولى الموحدين أمير المؤمنين على إبن أبيطالب و بنت المصطفى فاطمة الزهراء والحسن والحسين سبطي النبي الكريم صلوات الله عليهم أجمعين . و قد ورد في ذلك روايات كثيرة متواترة لايستطيع أحد بانكارها إلاّ الكافر أو المنافق عمى القلب ، و قد أوردنا نبذة منها في هذه السورة الكريمة و جميعها في خلال هذا التفسير فراجع و تدبر جيداً و اغتنم جداً .

و قوله تعالى : « من كأس » في الكأس أقوال : عن إبن عباس : و مقاتل من كأس أي من إناء فيه خمر ، فان الكأس في الاصل: الاناء فيه الشراب ، واذا لم يكن فيه شراب لم يسمّ كأساً ، و اذا كان فارغاً سمى قدحاً . ٢ ـ قيل : أي من إناء فيه ماء الكوثر . ٣ ـ قيل : أي من إناء فيه ماء السلسبيل . ٤ ـ قيل : الكأس : إناء الشراب ، و يطلق على الشراب نفسه .

اقول : قال الله تعالى فيما يشربون : « و سقاهم ربهم شراباً طهوراً » الانسان : ٢١) .

و في قوله تعالى : « كان مزاجها كافوراً » أقوال : ١ ـ عن إبن عباس : الكافور إسم عين ماء في الجنة ، يقال لها : عين الكافور . والمعنى : يمازجها ماء هذه العين التي تسمى كافوراً . واختاره عطاء والكلبي والفراء . ٢ ـ قيل : اريد بالكافور في بياض الشراب و طيب رائحتها و بردها و عذوبتها . و المعنى : كان مزاجها كالكافور في بياضه وطيب رائحته و برده لان الكافور لايشرب كقوله تعالى:

«حتى إذا جعله ناراً» أى كنار .

٣ ــ عن إبن كيسان : طيّب بالمسك والكافور والزنجبيل . ٤ــ عن مجاهد و مقاتل : ليس بكافور الدنيا ، و لكن سمى الله تعالى ما عنده بما عندكم حتى تهتدى لها القلوب . . . ٥ ــ عن مجاهد أيضاً و قتادة : تمزج لهم بالكافور و تختم بالمسك . ٦ــ عن عكرمة : مزاجها أى طعمها . ٧ ــ قيل : انما الكافور فى ريحها لا فى طعمها .

اقول : و لكل وجه من غير تناف بين أكثرها .

٦ ــ (عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً)

فى « يفجرونها تفجيراً » أقوال : ١ ــ قيل : أى يشققونها شقاً كما يفجر الرجل النهر ههنا و ههنا إلى حيث يريد . ٢ ــ عن مجاهد و قتادة و سفيان : أى يقودونها حيث شاؤا فتتبعهم حيثما مالوا مالت معهم سوقاً سهلاً يسيراً .

٣ ــ قيل : أى يجرونها حيث شاؤا من منازلهم و قصورهم إجراءاً إلى كل مكان يحبون وصوله إليه .

اقول : والمعانى متقاربة والمآل واحد .

٧ ــ (يوفون بالنذر و يخافون يوماً كان شره مستطيراً)

فى الوفاء بالنذر أقوال : ١ ــ عن قتادة : أى يوفون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيرذلك من الواجبات . . . فيتمونها و يؤدون حقها . ٢ ــ عن مجاهد و عكرمة : يوفون إذا نذروا فى حق الله تعالى ولايخلفون ما أوجبوه على أنفسهم من أعمال بادة . . . ٣ ــ عن الفراء والجرجانى: أى كانوا يوفون بالنذر فى الدنيا . و قال مالك : النذر هواليمين . وقيل: النذر: هو إتباع الشارع فى جميع ما شرّعه . ٤ ــ عن الكلبى : أى يتممون العهود .

٥ ــ عن سفيان : أى يوفون بالنذر فى غير معصية .

اقول : النذر ــ شرعاً ــ : هو إلتزام المكلف بعمل لله تعالى على نفسه

ما ليس بواجب لحدوث أمر ، فيجب عليه إتيانه . ولولا يلتزم به لما كان واجباً عليه ، والايفاء بالنذر هوالاتيان بما التزم باتيانه .

وفي قوله تعالى : « شرهمستطيراً » أقوال : ١- قيل : أي شره عالياًداهياً فاشياً ممتداً . يقال : إستطار الحريق إذا انتشر ، واستطار الفجر إذا انتشر الضوء و اتسع غايته . ٢- عن قتادة :إستطاروالله شرذلك اليوم حتى ملأ السموات والارض.

وقال مقاتل :كان شره فاشياً فيالسموات فانشقت ، وتناثرت الكواكب ،و فزعت الملائكة ، وفيالارض نسفت الجبال وغارت المياه . ٣- قيل : أي شر عذاب يوم القيامة وألمه يعلوعلى كل شروألم في غيرهذا اليوم . وسمى العذاب شراً لانهلاخيرفيه للمعاقبين ، وإن كانفي نفسه حسناً لكونه مستحقاً . ٤- قيل : اريد باستطارةشر اليوم ،وهويوم القيامة بلوغ شدائده وأهواله ومافيه من العذاب غايته .

٥- قيل : إشارة إليقوله تعالى : « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه و نخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » الاسراء : ١٣)

أقول : وعلى الرابع أكثر المحققين .

٨- (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً)

في « على حبه » أقوال : ١- عنإبن عباس ومجاهد : أي على حبهمالطعام ورغبتهم فيه وإشتهائهم به ،ولشدة حاجتهم إليه لكونهم صائمين نهاراً ، وقد كان الطعامقليلاً. ٢- عن الفضيلبن عياض: أي عليحب إطعام الطعامالمفهوم من قوله تعالى : « ويطعمون » ٣- قيل :أي على حب الله تعالى لقوله : « وآتى المال على حبه» البقرة : ١٧٧) والمعنى: يطعمون الطعام حباًلله جل وعلا لاطمعاً في الثواب أوخوفاً من العقاب .

أقول : ان قصة النزول والروايات الواردة تؤيدان الاول وهو الظاهر . ولكن الأنسب بمقامهم الشريف هو الثالث من غير تناف بينهما .

و في قوله تعالى : « مسكيناً » أقوال : ١- قيل : أي ذامسكنة قدأضرعه الفقر، وأذلّه الحرمان،حتى في أوقات الرخاء واليسر وهوفي حال القحطوالمجاعة أشد ضراعةوأكثرذلة وضعفاً وحرماناً . ٢.عن إبن عباس : المسكين هوالطوّاف يسئلك مالك . ٣- قيل : المسكين الفقيرالذي لا شيء له : ٤- قيل : المسكين ذوي الحاجة الذين قد أذلتهم الحاجة .

اقول : ولكل وجه من غيرتناف بينها .

و في قوله تعالى : « أسيراً » أقوال : ١- عن إبن عباس وقتادة وسعيد بن جبير: الاسيرمن يؤخذ من أهل الشرك الحربيين ، فيكون في أيدي المسلمين . ٢- قيل : الاسيرهوالذي يؤسر فيحبس . ٣- عن سعيد بن جبيرأيضاً و مجاهد : الأسير المسجون من أهل القبلة يؤخذ ويحبس بحق .

٤- من سعيد بن جبيرأيضاً وعطاء : الاسيرمن أهل القبلة وغيرهم يومئذ و بعد ذلك إلى يوم القيامة . ٥- قيل : اريد بالاسير اسارى بدر . ٦- قيل : المأخوذ من قومه ، المملوك رقبته الذي لايملك قوة ولاحيلة . ٧- عن عكرمة : الأسير العبد إطلاقاً أسر أواشترى .

٨-عن أبي حمزة الثمالي : الاسير المرأة . ٩- قيل : الاسيرهو الناقص في العقل لانه في اسرخبله وجنونه . ١٠- عن أبي سعيد الخدري : الاسير : المملوك والمسجون . ١١- قيل : الاسير: الغريم لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك » ١٢- قيل :الاسيرهوالحربي من أهل دارالحرب يؤخذقهراً بالغلبة أومن أهل القبلة ، فيؤخذ فيحبس بحق . ١٣- قيل : الاسير كل من هو في اسرالانسان معنوياً أومادياً إلجاء عليه أولجاء إليه كعيال الرجل والغريم ،و من اخذ من أهل دارالحرب .

اقول : وعلى الاول جمهورالمحققين .

٩- (انما نطعمكم لوجه‌الله لانريد منكم جزاء ولاشكوراً)

فى الاية الكريمة قولان. أحدهما -قيل :ان الابرار قالوا بألسنتهم للمسكين واليتيم والاسير : « انما نطعمكم لوجه الله » فى الله تعالى فزعاً من عذابه وطمعاً فى ثوابه وابتغاء لمرضاته « لانريد منكم جزاء » مكافأة « ولاشكوراً » بأن تثنوا علينا بذلك .

ثانيهما - عن إبن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وسالم :كانت نياتهم كذلك إذكانوا يطعمون الطعام فماكانوا يتكلمون به ، ولكن الله تعالى علم ضمائرهم و سرائرهم ، فأثنى عليهم به ليرغب فى ذلك راغب ، وكان فعل غير هؤلاء الابرار كفعالهم الخالصة عن شائبة الرياء والطمع والثناء .

والمراد من الوجه إخلاص النية فى العمل لله تعالى ، والاعراض عما عند غيره من الجزاء والثناء، ولذا ذيّل قولهم بقولهم : « لا نريد منكم جزاء ولاشكوراً».

اقول : والثانى هو المروى .

١٠- (انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً)

فى « يوماً عبوساً قمطريراً » أقوال : ١- قيل : أى يوماً شديداً هوله و عظيماً أمره بحيث تعبس فيه الوجوه إطلاقاً من شدة مكارهه وطول بلاء أهله فيقبض مابين الابصار، فان القمطرير : الرجل المنقبض ما بين عينيه ، و وجهه كمن ينقبض وجهه من شدة الوجع وخاصة الصداع. فوصف اليوم بصفة أهله من الكافر والمؤمن . فالمعنى : نخاف يوماً ذاعبوس .

٢- عن إبن عباس وقتادة ومجاهد وعكرمة : أى يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران. ٣- عن إبن زيد: العبوس: الشر والقمطرير: الشديد . وقال الاخفش : القمطرير أشد ما يكون من الايام وأطوله فى البلاء ، و اقمطر إذا اشتدّ. ويوم مقمطر إذاكان صعباً شديداً . ٤- عن مجاهد : ان العبوس بالشفتين والقمطرير بالجبهة والحاجبين ، فجعلها عن صفات الوجه المتغير من شدائد ذلك . وقيل : قمطريراً : شديد ضرّه طويلاً شره .

٥- عن أبي عبيدة والمبرد :قمطريراً أي صعباً شديداً . وقيل : شديدالكرب أو مثيراً للفزع . والقمطرير : وصف للعبوس بانه عبوس بالغ الغرابة في شدته متناه في صفته . ولفظ القمطرير يحكي بجرسه ما يشبه هدير الرعد ، و قصف العواصف فبناؤه اللفظي يجسّم أصدق صورة لمعناه .

٦ـ قيل : عبوساً : ضيقاً ، قمطريراً : طويلاً . و قال إبن عباس : العبوس الضيق والقمطرير : الطويل .

اقول : وصف اليوم بوصف أهله من الاشقياء والمجرمين ، و أما السعداء والمؤمنون فهم من فزع يومئذ آمنون .

١١- (فوقاهم الله شرذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً)

في « نضرة » أقوال : ١ـ عن الحسن وقتادة والضحاك : أي بياضاً ونقاءاً في الوجوه . ٢ـ عن ابن زيد : أي لما لقاهم نعمة ظهرت آثارها من وجوههم . ٣ـ عن سعيد بن جبير : أي حسناً في الوجوه .

اقول : والتعميم هوالمستفاد من ظاهر الاطلاق .

١٢- (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً)

في « بما صبروا » أقوال : ١ـ عن عطاء : أي بما صبروا على الجوع ثلاثة أيام ، وهي أيام النذر ، وإطعام الطعام ، والايثار . ٢ـ عن القرظي : أي بما صبروا على الصوم . ٢ـ قيل : أي بما صبروا على الفقر . ٤ ـ قيل : أي بما صبروا على التكاليف في الحياة الدنيا والعمل بما يرضاه الله عنهم . ٥ـ عن قتادة : أي بما صبروا على أعباء التكاليف وأداء الواجبات وعلى طاعة الله جل وعلا وصالح الاعمال ، و عند المصيبة وعن المعصية . وان كل ذلك لاتؤدّي إلا بمجاهدة النفس و مغالبة الهوى .

اقول : وما ورد في النزول يؤيد الاول والثاني ، وإن كانوا هم صابرين في الطاعات وعلى المصيبة ، وعن محارم الله جل وعلا ولكن السياق ليس بصدد بيانه .

١٣- (متكئين فيها على الارائك لايرون فيها شمساً ولازمهريراً)

فى قوله تعالى : « متكئين فيها على الارائك » أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد وقتادة : أى يتكئون على السرر فى الحجال أى جالسين جلوس الملوك على سرر فى الحجال . . . ٢- عن الزجاج : كلما يتكأ عليه فهو أريكة سواء كان على سرر فى الحجال أم لا ؟ ٣- عن أبى مسلم . وهم جالسون على الفرش فوق الاسرة

أقول : الأرائك جمع الاريكة ، وهى على ماتقدم معناها فى اللغة :سرير فى الحجلة وهى بيت كالقبة يستر بالثياب ، وينجد ويزين كحجلة العروس ليلة الزفاف .

وفى قوله تعالى : «لايرون فيها شمساً ولا زمهريراً » قولان : أحدهما - قيل : أى لاشمس فى الجنة أصلاً حتى تؤذى أهلها ، ولا البرد الشديد فيؤذيهم .

ثانيهما - قيل : أى لايرون شمساً مؤذية ، فتكون فيها شمس ولكنها غير موذية ولايرون برداً شديداً موذياً ، فيكون فيها برد ولكنه غير موذيهم .

أقول : والاول هو المروى فانتظر .

١٤- (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً)

فى قوله تعالى: « ودانية عليهم ظلالها » أقوال : ١- قيل : أى ظل الاشجار فى الجنة قريبة من الابرار فهى مظلة عليهم زيادة فى نعيمهم ، وإن كان لاشمس ولا قمر ثم كما ان أمشاطهم الذهب والفضة ، وإن كان لاوسخ ولاشعث ثم .

و يقال : ان إرتفاع الأشجار فى الجنة مقدار مأة عام فاذا اشتهى ولى الله ثمارها دانت حتى يتناولها . ٢- قيل : ان ظلال الجنة لاتنسخها الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا . ٣- قيل : أى ارسلت ظلال أشجار الجنة على هؤلاء الابرار وانبسطت عليهم وأما ثمارها فانقادت وخضعت لمشيئتهم .

أقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

وفى قوله تعالى : « وذللت قطوفها تذليلاً » أقوال : ١- عن إبن عباس و

مجاهد : إذاهم أحدهم أن يتناول من ثمار الجنة تدلت إليه حتى يتناول منها ما يريد وتذليل القطوف تسهيل التناول بالاجتناء أوغيره ، فاذاقام ارتفعت بقدره، وإن قعد تدلت حتى ينالها وان اضطجع تدلت فينال بها . قيل : القطوف:الاجتناء وقيل : القطوف : الثمار .

٢ـ قيل : ذللت : ادنيت غير ممتنعة على مجتنيها لايحتاجون إلى معاناةفي اجتنائها ولامشقة في اهتصارأفنانها . فذلل لهؤلاء الابرار إجتناء ثمرشجر الجنة كيف شاؤا قعوداً وقياماًومتكئين ومضطجعين . فلا كلفة لهم في إجتنائهالدنوها ولسهل قطعها من أشجارها .

٤ـ عن قتادة : أي سخرت لهم ثمارالجنة تسخيراً فيتناولها القائم والقاعد والمضطجع لايرد أيديهم عنها بعد ولاشوك ، ولا في إجتنائها . ٥ـ قيل : تذليل القطوف أن تبرزلهم من أكمامها وتخلص لهم من نواها . . .

اقول : والاول هوالمروي .

١٥ـ (ويطاف عليهم بآنية من فضة كانت قواريرا)

في ذكر « فضة »دون « ذهب» أقوال : ١ـ قيل :أي يدورعلى هؤلاءالابرار الخدم إذا أرادوا الشراب بآنية من فضة . وهذا لاينفي شربهم عنأواني الذهب . بل المعنى : يسقون من أواني الفضة إذا أرادوا الشرب بها ، و يسقون من أواني الذهب إذا أرادوا الشرب بها . فلا منافاتبين كون الاواني من فضة وبين كونها من ذهب .

٢ ـ قيل : نبّه بذكر الفضة على الذهب كقوله تعالى : « سرابيل تقيكم الحر » أي والبرد . فنبه بذكرأحدهماعن الآخر . ٣ـ قيل : ان ذكرالفضةههنا إشارة إلى « فضة » جارية فاطمة الزهراء عليها السلام تكريماً لها في قصة نذر الصوم .

٤ـ قيل : على تقدير : من صفاء الفضة .

٥ـ عن إبن عباس : اريد بذكرالفضة تفخيم تلك الخلقة العجيبةالجامعة

بين صفتي الجوهرين المتباينين بان تلك الفضة في صفاء القوارير وشفافتها ونقائها وصفائها وتهيؤها ولينها حتى يرى باطنها من ظاهرها ، وعنه أيضاً : ان قوارير كل أرض من تربتها ، وأرض الجنة فضة ، فلذلك كانت قواريرها من الفضة .

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين من غير تناف بينه وبين الاقوال الاخر فتأمل جيداً .

١٦- (قواريرمن فضة قدروها تقديراً)

في قوله تعالى : « قدروها تقديراً » أقوال : ١ - عن إبن زيد : أي قدّر هؤلاء الابرار تلك الآنية والاكواب في أنفسهم ، فأرادوا أن تكون على مقدارو أشكال معينة تشتهي بها أنفسهم ، فتكوّنت حسبما قدروها . فالمعنى : ان الشاربين قدروالها مقادير في أنفسهم على ما اشتهوا . ٢-قيل : أي قدّرهؤلاء الابرار بأعمالهم الصالحة أواني الجنة ، فجائت بمقدارها .

٣- عن الحسن وسعيد بن جبير ومجاهدوقتادة : ان الاقداح تطير ،فتغترف بمقدارشهوة الشارب ، فلا يفضل عن الرّيّ ولا ينقص منه ولاتفيض ، فقد الهمت الاقداح معرفة مقداررّي المشتهي حتى تغترف بذلك المقدار فجائت حسب ما قدوره مما يفي رغباتهم . . وقال إبن عباس والربيع والقرظي : أي قدروها على ملء الكف لاتزيد ولاتنقص حتى لاتؤذيهم بثقل أوبافراط صغر .

٤- قيل : ان فاعل التقديرهم الطائفون المدلول عليهم بقوله تعالى : «و يطاف عليهم » وبما يأتي من قوله جل وعلا : « و يطوف عليهم ولدان مخلدون » فضمير الجمع راجع إلى السقاة والخدم ، فهم يقدرونها ثم يسقون هؤلاء الابرار على قدرريّهم من غيرزيادة ولانقصان وذلك ألذوأشهى . والمعنى : قدّر هؤلاء السقاة الذين يطوفون على هؤلاء الابرارشراب الجنة على قدرإشتهاء الابرار . و قيل : آنية الشراب وأكوابها على قدر إشتهاء الابرار .

٥- قيل : أي قدّرتها الملائكة التي تطوف عليهم ، فتأتي بها على قدرريّهم

بغير زيادة ولانقصان وذلك ألذ الشراب .

اقول : و على الاول أكثر المفسرين .

١٧ - (و يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً)

فى قوله تعالى : « كان مزاجها زنجبيلاً » أقوال : ١ ـ عن قتادة ومجاهد: الزنجبيل إسم للعين التى منها مزاج شراب الابرار يشرب بها المقربون صرفاً و تمزج لسائر أهل الجنة . ٢ ـ قيل : الزنجبيل : هى عين فى الجنة يوجد فيها طعم الزنجبيل . و ذلك لأن العرب تحب طعم الزنجبيل فى المشروب و تستلذه ولذلك وصف الله تعالى مشروبهم فى الآخرة بذلك. و زنجبيل الجنة أطيب و ألذ . و عن إبن عباس : كل ما ذكره الله تعالى فى القرآن مما فى الجنة و سماه ليس له مثل فى الحياة الدنيا ، ولكن سماه الله بالاسم الذى يعرف والزنجبيل مما كانت العرب تستطيبه فلذلك ذكره فى القرآن و وعدهم به . وعن مقاتل: ان زنجبيل الاخرة لا يشبه زنجبيل الدنيا .

٣ـ قيل : ان فيه معنى الشراب الممزوج بالزنجبيل . والمعنى: ان هؤلاء الابرار يسقون فى الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة .

اقول : و لكل وجه من غير تناف بينها .

١٨ - (عيناً فيها تسمى سلسبيلاً)

فى «سلسبيلاً» أقوال : ١ ـ قيل : السلسبيل : الشراب اللذيذ وطيب الطعم. و انه صفة للماء لسلسله و عذوبته و سهولة إنحداره فى الحلق . ٢ـ عن الزجاج : السلسبيل ـ فى الاصل ـ : إسم لما كان فى غاية السلاسة ، فكأن العين سميت بصفتها . والفائدة فى تسميتها بالسلسبيل بعد تسميتها بالزنجبيل هى انها فى طعم الزنجبيل و لذته ، و لكن ليس فيها اللذع الذى هو مناف للسلاسة . ٣ ـ عن إبن عباس ومجاهد: أي حديدة الجرى وشديدة الجرية تسيل فى حلوقهم إنسلالاً .

٤ ـ عن أبى العالية ومقاتل : سميت سلسبيلاً لانها تسيل عليهم فى الطرق

و فى منازلهم و مجالسهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنة .

٥ ـ عن قتادة وعكرمة : سلسلة وسلاسل و سلسبيلاً أى منقاداً ماؤ العين فيجرى حيث شاؤا و أينما أرادوا . و ان سلسبيلاً صفة للعين وصفت بالسلاسة فى الحلق، و فى حال الجرى و انقيادها لأهل الجنة يصرفونها حيث شاؤا .

٦ ـ عن القفال : أى تلك عين شريفة فسلّ سبيلاً إليها . و انها مذكورة عند الملائكة و عند الابرار و أهل الجنة بهذا الاسم و صرف « سلسبيلاً » لانه رأس الاية كقوله تعالى : « الظنونا » و « السبيلا » .

أقول : والاول هو الانسب بمعناه اللغوى فراجع .

١٩ ـ (ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً)

فى قوله تعالى : « ولدان مخلدون » أقوال : ١ـ عن قتادة : أى لا يموتون لقوله تعالى : « لا يموت فيها ولا يحيى » . ٢ ـ قيل : أى مسورون أى يرتفعون الشراب فى رأسهم ويدورونها سريعاً للشاربين، وهم يستمرون بذلك . ٣ـ قيل : أى مقرّطون أى محلّون إذا التخليد : التحلية .

٤ ـ قيل : أى دائم شبابهم ، فلا يتغيرون عن هذا السن ، فلا يهرمون ولا يشيبون ، وهم باقون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة والحسن، ومن الطراوة والبهاء و صباحة المنظر . و هم يكونون عن سن واحدة على مرّ الازمنة .

و ذلك ان العرب تقول للرجل إذا كبر و ثبت سواد شعره : انه لمخلّد . و كذلك إذا كبر وثبتت أضراسه وأسنانه قيل: انه لمخلد يراد به انه ثابت الحال، فخدمة الجنة إذا ثبتوا على واحدة واحدة من غير تغيّر بهرم و شيب ولا موت ، فهم مخلّدون ، و هم غلمان أنشأهم الله تعالى لخدمة أهل الجنة .

٥ ـ قيل : أى هم دائمون فى طوافهم و فيما هم من البهاء والجمال وحسن الخدمة كما هم فى الجنة خالدون خلوداً مثلثاً لا يعنى منه هنا الاخير ، فان أهل الجنة كلهم خالدون دون اختصاص بـ« ولدان مخلدون » .

اقول : و على الرابع أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين غيره من الاقوال . و فى كون « ولدان » من الانس أو من الجن ، أو من الملائكة ، ومن المؤمنين أو الكافرين ؟ أقوال : ١ ـ قيل : انهم ولد الكافرين الذين ماتوا قبل بلوغهم ، فيجعلهم الله تعالى خدماً لاهل الجنة . ٢ ـ قيل : هم ولدان المؤمنين الذين ماتوا قبل التكليف .

٣ ـ قيل : هم من الملائكة . ٤ ـ قيل : هم يولدون فى الجنة فيخدمون آباءهم لكلمة « ولدان » تشير إلى ولادتهم فى الجنة . وسموا بالولدان لقرب العهد بولادتهم حقيقة أو حكماً .

اقول : والاخير هو المروى .

وفى قوله تعالى : « لؤلؤاً منثوراً » أقوال : ١ ـ قيل : انما شبههم بالمنثور لانتشارهم و سرعتهم فى الخدمة بخلاف الحور العين إذ شبههن باللؤلؤ المكنون المخزون لانهن لايمتهن بالخدمة . فلو كانوا صفاً لشبهوا بالمنظوم . ٢ ـ قيل : انهم شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لانه أحسن وأكثر ماء منه فى غير ذلك فان اللؤلؤ المنثور أجمل فى النظر من اللؤلؤ المنظوم ، و لانهم إذا كانوا كذلك كانوا سراعاً فى الخدمة .

٣ ـ عن قتادة : انهم شبهوا باللؤلؤ فى كثرتهم و حسنهم و صفائهم ، فهم فى صفاء ألوانهم و إشراق وجوههم و إنعكاس أشعة بعضهم على بعض و إنبثاثهم فى مجالسهم كاللؤلؤ المنثور .

اقول : و لكل وجه وجيه من غير تناف بينها .

٢٠ ـ (و اذا رأيت ثم رايت نعيماً و ملكاً كبيرا)

فى قوله تعالى : «وملكاً كبيراً» أقوال : ١ ـ عن قتادة و مجاهد والسدى و سفيان الثورى : ان الملك الكبير هو تسليم الملائكة على هؤلاء الابرار فى الجنة واستئذانهم منهم عندالدخول ، إذ لهم سبعون حاجب عند كل باب حاجب .

٢ - عن الكلبي و مقاتل بن سليمان : الملك الكبير هو أن يأتي الرسول ﷺ من عندالله تعالى بكرامة من الكسوة والطعام والشراب والتحف الى هؤلاء الابرار وهم في منازلهم ومساكنهم في الجنة ، فيستأذن عليهم .

٣- قيل : الملك الكبير هو : كون التيجان على رؤسهم . ٤- قال الترمذي : الملك الكبير هو : ملك التكوين ، فاذا أرادوا شيئاً قالوا كن فيكون . ٥- عن أبي بكر الورّاق: الملك الكبير هو: ملك لا يتعقبه هلك ولا زوال وهو الملك الدائم الابدي في نفاذ الامر وحصول الاماني . ٦- قيل : أي ملكاً واسعاً لاحدّ له ولاغاية فان نعيم الجنة لايوصف كثرة ، وانما يوصف بعضها .

٧- قيل : الملك الكبير هو: ان أدنى منزلهم في الجنة أن ينظروا فيه مسيرة ألفي عام يرى أقصاه كما يرى أدناه . ٨- قيل :الملك الكبير هو: اللذات الحقيقية والمعارف الالهية والاسرار الربانية التي تستحقر عندها اللذات الجسمانية والمادية.

اقول : والاول هو المروي .

٢١- (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً)

في قوله تعالى : « عاليهم ثياب سندس خضر » أقوال : ١- قيل : أي فوق هؤلاء الابرار ثياب سندس ، فيعلوهم من لباسهم ثياب سندس . فـ« عاليهم » منصوب على الظرفية . ٢- قيل : أي فوق حجالهم المثبتة عليهم ثياب سندس . وذلك إذا كان فوق حجالهم فيها فقد علاهم فهو عاليهم . ٣- قيل : أي مكان تعلوهم على أرائكهم ، وتعلوهم على أبدانهم من غير تكلف في لبسها ، فتعلوهم الثياب فيلبسونها . فعاليهم منصوب على الحال. ٤- قيل : أي فوق الولدان ثياب سندس .

اقول : والاول هو المروي .

وفي الجمع بين قوله تعالى : «أساور من فضة » وقوله جل وعلا : « يحلون فيها من أساور من ذهب » الحج : ٢٣) والفاطر : ٣٣) أقوال : ١- عن سعيد بن

المسيب : انهم يلبسون الذهب تارة والفضة تارة اخرى . ٢ ـ قيل : يجمع في أحدهم سواران من ذهب و سواران من فضة ، وسواران من لؤلؤ ليجتمع لهم محاسن الحلية في الجنة . ٣ـ قيل : أي لكل قوم ما تميل إليه نفوسهم .

٤ـ قيل : ان ذكر «فضة» براعةاستهلال ا «فضة» جارية فاطمة الزهراء عليها السلام إذ صامت مع هؤلاء الابرارمن على بن أبيطالب وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين . ففي ذكر «فضة» تكريم لفضة. ٥ـ قيل : ان الفضة خاصة بهؤلاء الابرار والذهب مخصوص بالمؤمنين .

٦ـ قيل : ان الفضة : الشفافةوهي التي يرى ما وراءها كما يرى من البلورة وهو أفضل من الدروالياقوت و هما أفضل من الذهب والفضة ، فتلك الفضة أفضل من الذهب و الفضة في الدنيا ، وهما أثمان الاشياء . وان الفضة و إن كانت أدنى ثمناً في الدنيا ولكنها في غاية الحسن خاصة إذاكانت بالصفة التي مرّ ذكرها . و ان الغرض في الاخرة ما يكثر الاستلذاذ والسرور به لامايكثر ثمنه إذ ليست هناك أثمان .

اقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

وفي قوله تعالى : «شراباً طهوراً» أقوال : ١ ـ قيل : أي طاهراً من الاقذاروالادران لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا ، فليست بنجسة ولامستقذرة طبعاً لمساس الايدي الوضرة والاقدام النجسة والدنسة ، ولا تؤل إلى النجاسة ، ولكنها ترشح عرقاً من أبدانهم له ريح كريح المسك .

٣ـ قيل : الشراب الطهور هوعين ماء على باب الجنة ، فمن شرب منه نزع الله تعالى ماكان في قلبه من غلّ وغشّ وحسد و قال مقاتل : هومن عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ماكان في قلبه من غلّ و غش وحسد وما كان في جوفه من أذى وقذر .

٤ـ قيل : أي بالغاً في التطهير، فلاتدع قذارة الآ أزالها ، و من القذارة

قذارة الغفلة عن الله تعالى ، والاحتجاب عن التوجه إليهم ، فهم غير محجوبين عن ربهم . ٥- عن أبي قلابة والنخعي: هو إذا شربوه بعد أكلهم طهّرهم وصار ما أكلوه وما شربوه رشح مسك وضمرت بطونهم .

أقول : والثالث هو المروى .

٢٢- (ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً)

فى قوله تعالى: « كان سعيكم مشكوراً » أقوال : ١- عن مجاهد : أى كان عملكم مقبولاً من قبل الله تعالى ، فان شكر الله جل و علا للعبد قبول طاعته و ثناؤه على صلاح أعماله وإثابته إياه . ٢- عن قتادة : أى غفر لهم الذنب و شكر لهم الحسنى . ٣ - عن إبن عباس : أى يقال لهم بعد دخولهم الجنة : ان كل ما تقدم من أصناف العطاء انما هو جزاء أعمالهم . . . والغرض إذاقة لذة الاخرة فان سرورهم يزيد بذلك .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين وقريب منه الثاني .

٢٤- (فاصبر لحكم ربك ولاتطع منهم آثما اوكفوراً)

فى قوله تعالى : « فاصبر لحكم ربك » أقوال : ١- عن إبن عباس : أى فاصبر على أذى المشركين هكذا قضيت. والمعنى : فاصبر لقضاء ربك. ٢- قيل: أى فاصبر لما حكم به عليك من الطاعات والعمل بفرائض الكتاب . ٣- قيل : أى فانتظر حكم الله تعالى إذ وعدك انه ينصرك عليهم ، ولاتستعجل فان النصرة كائنة لامحالة ووعده حق آتيك ، فاصبر لما ابتلاك به ربك وامتحنك به من تأخير نصرك على الكافرين .

٤- قيل : أى فاصبر لما امتحنك به ربك من فرائضه وتبليغ رسالاته، والقيام بما ألزمك القيام به فى تنزيله الذى أوحاه إليك، فاصبر على إمتداد نزول القرآن عليك ، ومادام القرآن لم ينته نزوله فلابدلك من الصبر .

أقول : والاخير هو الانسب بظاهر السياق .

وفى قوله تعالى: «ولاتطع منهم آثماً أو كفوراً» أقوال : ١- عن قتادة : الآثم هوأبوجهل ، والكفورعتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة إذ أتيا رسول الله ﷺ يعرضان عليه الاموال والتزويج والرئاسة ، فيترك ذكر النبوة و كان أبو جهل ينهى النبى الكريم ﷺ إذ يراه يصلى ويقول : لورأيته فى صلاة لأوطأن عنقه . وكان الوليد مغالياً فى الكفر شديد الشكيمة فيه مع ان كلهم آثم وكافر . وقال مقاتل : كان عتبة بن ربيعة ركاباً للمآثم متعاطياً لانواع الفسوق وهو الذى كان يعرض التزويج ويقول للرسول ﷺ : ان بناتى من أجمل نساء قريش ، فانى ازوّجك إبنتى من غير مهر، وارجع عن هذا الامر، ويقول الوليد : إن كنت صنعت ماصنعت لأجل المال فانى اعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الامر، فنزلت الاية .

٢- عن الحسن : الآثم المنافق و هوالذى يظهر الاسلام و يبطن الكفر ، والكفورالكافر وهو الذى يظهر الكفر ويكذّب بالاسلام . ٣- قيل : الآثم المتلبس بالمعصية ، والكفورالمبالغ فى الكفر ، فيعم المنافقين والفساق من المسلمين ، والكفرة والفجرة من الكفار والمشركين .

فالمعنى: لاتطع ممن خالفوك سواء كانوا من فساق المسلمين الذين يدعونك إلى الاثم و إلى خلاف ما نزل عليك من ربك أم كانوا من طائفة الكفار الذين يدعونك إلى الكفر أو من المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن الدعوة و إبلاغ الرسالة .

٤- قيل : ان الكافرين على فريقين : طائفة آثمة وهم الذين يتظاهرون بالاثم وطائفة كافرة وهم لايتظاهرون بالاثم. وقيل : ان الفساق والمنافقين داخلون فيهم بالملازمة ، فالقول بأن المراد من الآثم فساق المسلمين لاوجه له فان المراد بالآثم المتظاهر بالفسق سواء كان من المسلمين أم لا ؟

٥ـ قيل : الآثم : من يريد ركوبه على جميع المعاصى ، و الكفور من

يجحد بنعمة الله تعالى عليه . ٦- عن إبن زيد : الآثم : المذنب الظالم ، والكفور هذا كله واحد .

اقول : وعلى الثالث أكثر المفسرين .

٢٥- (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا)

في الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن زيد : البكرة هي صلاة الصبح ، والاصيل هي صلاة الظهر والعصر . والمعنى : صلّ لربك أول النهار وآخره ، ففي أوله صلاة الصبح وفي آخره صلاة الظهر والعصر . ٢- قيل : البكرة هي صلاة الفجر ، والاصيل صلاة الظهرين والعشائين .

٣- قيل : البكرة الغدو ، والاصيل العشي . والمراد دوام الذكر صباحاً و مساءاً . والمعنى : ودم على ذكر ربك في جميع الاوقات بقلبك ولسانك ، و هذا مما يعينك على الصبر على ماتكره من قومك والكافرين والمخالفين ، ومايقيمك بالمقام المطمئن الذى تثبت به قدمك على طريق الدعوة التي تدعو بها - هو أن تذكر إسم ربك وتستحضر جلاله وعظمته ، و عندئذ تجد كل هؤلاء المتعاظمين والمتعالين نمالاتدبّ على الارض أوذباباً يجتمع على قذر .

وهذا عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالنهار إلى جانب دعوته التي يقوم بها في الناس ، انه ذكر لاسم الله جل وعلا في مفتتح نهاره ومختتمه .

اقول : والثالث هو الانسب بظاهر السياق ، فانه ليس بصدد بيان تشريع الصلاة وذكر أوقاتها ، وانما الغرض هو التوجه القلبي والذكر اللساني إلى الله جل وعلا دائماً صباحاً ومساءاً .

٢٦- (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا)

في قوله تعالى : « فاسجد له » أقوال : ١ - قيل : اريد بالسجود لله تعالى في بعض من الليل صلاة المغرب والعشاء . والمعنى : و في بعض الليل فصلّ له تعالى يعني صلاة المغرب والعشاء . ٢- عن إبن عباس : السجود لله تعالى هو الصلاة

المندوبة ثم التسبيح بعدها ما وسع الجهد . فالمعنى : فاسجد له فى بعض الليل لانه لم يأمره بقيام الليل كله ثم التسبيح بعدالنافلة حتى الجهد .

٣- قيل : اريد بالسجود السجدة والذكر فيها لله تعالى ، ثم التسبيح بعدها حتى الجهد .

أقول : والثانى هوالمستفاد من الرواية الآتية عن الامام على بن موسى الرضا عليه السلام .

وفى قوله تعالى: « وسبحه ليلاً طويلاً » أقوال : ١- عن إبن حبيب : أى الصلاة المتطوعة الليلية . ٢- عن إبن عباس وسفيان : كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة . ٣- قيل : اريد بالتسبيح الذكر المطلق سواءكان فى الصلاة أوفى غيرها .

٤- قيل : هذا مخصوص بالنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فانه يسبح لله تعالى فى أوسط الليل وهوالمعنى بقوله جل وعلا : « من ثلثى الليل ونصفه وثلثه » المزمل : ٢٠)

أقول : والاول هوالمروى، ويمكن أن يستفاد الثالث من الروايةفالتسبيح والذكر بعد الصلاة الليلية بمنزلتها .

٢٧- (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً)

فى قوله تعالى : « ان هؤلاء يحبون العاجلة » أقوال : ١- هم مشركو العرب من أهل مكة الذين كانوا يحبون الدنيا ويؤثرون لذاتها ومنافعها العاجلة الزائلة ، ويدعون الاخرة . ٢- قيل : اريد اليهود العنيد إذ كتموا صفة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وصحة نبوته لحبهم الدنيا الفانية ، وأخذهم الرشا على ما كتموه .

٣- قيل : اريد بهم المنافقون لاستبطانهم الكفروطلب الدنيا .

٤- قيل : هم الآثم والكفور الذين سبق ذكرهم ، والاشارة إليهم بـ «هؤلاء» و « آثما و كفوراً » إثنان لافادة النكرة الجمع والتعميم إذا وقعت فى سياق النفى أو النهى . وهم الذين كانوا يحبون الدنيا و متاعها حباً لا يبقى لهم ولا يذر مجالاً أن يعملوا للآجلة لانهم استهلكوا وجودهم كله فيها ، وانهمكوا فى لذائذها ولا

يعطون شيئاً منها لغدهم من الاخرة ، بل يطرحونها وراء ظهورهم ، وهي لاحقة بهم لاتدعهم حتى تمسك بهم ، و يطلع عليهم منها يوم ثقيل وقعه بما يلقون فيه من كرب وبلاء .

اقول : والاخير هوالانسب بظاهر السياق .

وفي قوله تعالى : « وراءهم » أقوال : ١- قيل: أى بين أيديهم . ٢-قيل: أى خلفهم والمعنى: ويذرون الاخرة خلف ظهورهم، فلايعملون لها لأن«يذرون» يفيد معنى الاعراض . ٣- قيل : أى أمامهم على أن وراء تفيد معنى الاحاطة .

اقول : وعلى الثانى أكثرالمفسرين .

وفي قوله تعالى : « يوماً ثقيلاً » أقوال:١- قيل: اليوم الثقيل هو يوم القيامة، لثقل شدته وهوله وفزعه ، فكأنه محمول ثقيل يشق حمله . ٢- قيل : أى عسيراً شديداً لقوله تعالى : « وكان يوماً على الكافرين عسيراً » الفرقان : ٢٦) سمى ثقيلاً لقضاء الرب بين العباد يوم الحساب. ٣- قيل: اليوم الثقيل هو يوم الموت والثقل هو ما يرى الانسان حين القبض .

اقول : والاول هوالمؤيد بسياق السورة من قوله تعالى حكاية عن هؤلاء الابرار : « و يخافون يوماً كان شره مستطيراً - انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً فوقاهم الله شرذلك اليوم » : ٧ - ١١) و يومئذ يحمل الكافرون أثقالاً مع أثقالهم .

٢٨- (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً)

في قوله تعالى : « وشددنا أسرهم » أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد و قتادة ومقاتل : الأسر : الخلق والخلق . اسره الله تعالى : إذاشدّ خلقه، و أحسن خلقه : والمعنى : قوينا وأحكمنا خلقهم . وإن كانوا ضعفاء على الصبر عن النساء ، ولذلك أباح الله تعالى لهم نكاح الاماء . و قال تعالى : « و خلق الانسان ضعيفاً » النساء : ٢٨) فلما كان يغلب الانسان هواه وشهوته غالباً وصف بالضعف لذلك .

۲- عن الحسن والربيع : أي قوّينا مفاصلهم بالاعصاب وأحكمنا أوصالهم بربط بعضها إلى بعض بالعروق ، و قوينا ربطهم و توثيقهم . ۳- عن مجاهد أيضاً الاسر : الشرج وهومخرج البول والغائط ، فانه يسترخي حتى يخرج منه الأذى ثم ينقبض ويجتمع ويشتد بقدرة الله تعالى . ۴- قيل : الأسر : العصعص ، فان الانسان يصير في القبر رفاتاً إلا عصعصه ، فانه لا يتفتت .

۵- عن إبن زيد والجبائي : الاسر القوة وما أودعه الله تعالى في الانسان من قوى جسدية وعقلية و روحية ونفسية . والمعنى : شددنا قوتهم وجعلناهم أقوياء. وقيل: الاسر الربط، ومنه الأسير لانه يكتف بالاسار والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية أي سوينا خلقهم وأحكمناهم بالقوى ، فكيف تكفرون بنا وبآياتنا .

۶- قيل : أي ركبناهم تركيباً محكماً وتقنا مفاصلهم بالاعصاب و الربط والاوتار حسب ما يحتاجون إليه في التصرف والحركة لوجوه الحوائج . . .

۷- قيل : أي كلّفناهم بالامر والنهي وربطناهم بهما كيلا يجاوزوا حدود الله تعالى كما يشدّ الاسير بالقيد لئلا يهرب .

اقول : ولكل وجه وان كان على الاول أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً » أقوال : ۱- عن إبن عباس . أي لو نشاء لاهلكنا هؤلاء الآثمين والكافرين : وجئنا بأطوع لله تعالى منهم مكانهم . و هذا إماتة قرن و إحياء آخرين . ۲- قيل : أي و إذا شئنا أهلكناهم بالنفخة وبدلنا أمثالهم في شدة الاسرة عند النفخة الثانية . ۳- عن إبن عباس أيضاً : أي وإذا شئنا لغيّرنا محاسنهم إلى أقبح الصور وأسمجها . ۴- قيل : أي وإذا شئنا لنبدل نشأتهم الدنيا من نشأتهم الاخرة . ۵- قيل: أي وإذا شئنا اهلكناهم وآتينا بأشباههم فجعلنا بدلاً منهم ولكن نبقيهم إتماماً للحجة .

اقول : وعلى الاول جمهور المحققين وقريب منه الخامس .

٢٩- (ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً)

في قوله تعالى: « هذه تذكرة » أقوال : ١ - عن قتادة : أي هذه السورة تذكرة لمن تذكر، وموعظة لمن اتعظ ، وعبرة لمن اعتبر بها . والمعنى : ان هذه السورة بما فيها من ترتيب بديع، ونسق عجيب، ووعد ووعيد ، وترغيب وترهيب تذكرة للمتأملين وتنبيه للمتنبهين ، وتبصرة للمستبصرين . . .

٢- قيل: أي هذه الايات وماضمت عليه من علم وحكمة هي تبصرة للمتدبرين المتخذين إلى كرامة الله جل وعلا ، ودليل هاد و قائد أمين . فالتذكرة حاصلة بالفعل ولكن التذكر بها منوط بمشية الانسان ، فعليه أن يتعرف طريقه إلى الله تعالى ، ويسلك مسالك الهدى والرشاد ، فانها لاتحمل قوة مادة أو روحية قاهرة ملزمة تسوق الناس سوقاً إلى الله سبحانه ، وانما هي إشارات مضيئة إلى طريق الله تعالى . فمن شاء أقام وجهه على هذا الطريق ، ومن شاء تنكبه وأدار ظهره له .

٣- قيل : أي هذه الايات المشتملة على قصة هؤلاء الابرار وحسن عاقبتهم تذكرة لمن اقتدى بهم ، وتبصرة لمن رغب في أعمالهم الصالحة . . . ٤- قيل: أي هذه الرسالة التي تبلغها ، وهذه الدعوة التي تدعو الناس بها إلى الله تعالى تذكير لهم وايقاظ . ٥- قيل : أي تلك المشتملة للقوارع والزواجر تذكرة .

أقول : ولكل وجه ولكن الاخير هو الانسب بظاهر السياق فتدبر جيداً .

و في قوله تعالى « سبيلاً » **أقوال** : ١- قيل : أي طريقاً موصلاً إلى طاعة الله تعالى وطلب مرضاته . ٢- قيل : أي وسيلة . ٣- قيل : أي وجهة وطريقاً إلى الجنة . ٤- قيل : أي سبيلاً بالايمان والانقياد وبالطاعة وصالح الاعمال ، وبالانتهاء عن نواهيه ، والائتمار بأوامره .

أقول : والاخير هو الظاهر .

٣٠- (وماتشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً)

في الاية أقوال: ١- عن أبي مسلم : أي وما تشاؤن إتخاذ الطريق إلى مرضاة

الله تعالى بالايمان والطاعة وصالح الاعمال إلاّ أن يشاء الله تعالى إجبار كم عليه، وإلجاء كم إليه ، فحينئذ تشاؤن ولا ينفعكم ذلك والتكليف زائل ، ولم يشاء الله هذه المشيئة بل شاء أن تختاروا الايمان وطريق الرشاد لتستحقوا الثواب .

٢- قيل : أي وما تشاؤن شيئاً من العمل بطاعته إلاّ والله جل وعلا يشاؤه و يريده . ٣- قيل : ان الله تعالى يشاء كل ما يشاء العبد من الطاعات والمعاصي ، و من المباحات والمحرمات ، و غيرها . . . و هذا مدفوع لايعتنى به لان الدلائل الواضحة قد دلت على أن الله جل وعلا لن يرضى الكفر والقبائح . . و تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

أقول : والاول هو المؤيد بالروايات الواردة .



﴿التفسير والتأويل﴾

١- (هل أتى على الانسان حين من الدهرلم يكن شيئاً مذكوراً)

قد أتى على الانسان من آدم وذريته زمن طويل من الزمن الممتد الذى نحن لانعرف له بداية ولانهاية ، والحال انه لم يكن فى هذا الزمن الطويل شيئاً موجوداً بالفعل كسائر الاشياء ، وهو وإن كان مقدراً خلقه فى علم الله جل وعلا إلى أن وجد .

فالانسان هو مخلوق حادث يحتاج فى حدوثه ووجوده إلى خالق يخلقه كما يحتاج فى حياته إلى رب يربيه ، وفى بقائه الى مدبر يدبّر جميع شئونه المادية والمعنوية ، والدنيوية والاخروية ، وفى سعادته و كماله إلى هاد يهديه بهداية داخلة وهداية خارجة إلى سواء السبيل ، فيجب عليه أن يسلك مدى حياته على مقتضى فطرته .

قال الله تعالى : «وقد خلقتك من قبل و لم تك شيئاً - أولايذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » مريم : ٩ - ٦٧)

وقال : «قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » طه : ٥٠)

وقال : « الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى و يسقين واذا مرضت فهو يشفين » الشعراء : ٧٨ - ٨٠)

و قال : « فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » الروم : ٣٠)

وقال : « ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين » البلد: ٨-١٠)

٢- (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً)

انا خلقنا ذرية آدم من ماء قليل يقطر وهو المنى ، وكل ماء قليل فى وعاء فهو نطفة ، وهى ماء قليل غلب إستعماله فى ماء الذكر والانثى من الحيوان الذى يتكوّن منه مثله ، وإن كان فى الذكور أكثر إستعمالاً للتغلب ، والنطفة تخرج من بين الصلب والترائب ، وهى فى الرجل أبيض غليظ وفى المرأة أصفر رقيق فتختلطان وتمتزجان ، وعند علو أحدهما على الاخر تنعقد النطفة ذكراً أم انثى أو توأمين . .

قال الله تعالى : « فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » الطارق : ٥ - ٧)

وقال : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى » الحجرات : ١٣)

ما خلق الله جل وعلا الانسان للعبث ، ولم يتركه سدى ، وانما خلقه للابتلاء والاختبار لما أعطاه ما يصح معه الابتلاء : وهو السمع والبصر وهما منفذان لان تفوح ريح الاهتداء والايمان على القلوب ، ومن ثم خصّا بالذكر ، وللتوسل بهما فى التدبير الربوبى إلى غايته ، وهى أن يرى آيات الله جل وعلا الآفاقية والانفسية على المبدإ والمعاد على عظمة الله وقدرته ، وعلى علمه وحكمته . . . ويتمكن من إستماع الايات التدوينية التى تأتيه من جانب ربه سبحانه بارسال الرسل وإنزال الكتب . . .

فجعلنا له سمعاً يسمع به الايات التدوينية ويتدبر فيها فيدعوه سمعه القلبى إلى سلوك سبيل الهدى وصراط مستقيم ، وجعلناله بصراً يبصر به الايات الكونية ويتفكر فيها ، فيدعوه بصره القلبى إلى السير فى مسيرة الكمال والحياة بالايمان وصالح الاعمال . . . فان لزم السبيل الذى هدى إليه أدّاه إلى دار السلام والنعيم المقيم ، وإلاّ فالى جهنم والعذاب الاليم .

قال الله تعالى : « انما يستجيب الذين يسمعون » الانعام : ٣٦)

وقال : « وإن تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم يبصرون » الاعراف : ١٩٨)

وقال : « مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون » هود : ٢٤)

فجعلنا الانسان سميعاً بصيراً لنختبره بالخير والشر، بالفقر والغنى ،بالشدة والرخاء ، بالصحة والمرض ،بالعلم والجهل ، بالضراء والسراء ، وبالموت والحياة . . . أيهم أحسن عملاً .

قال الله تعالى : « ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون» المائدة : ٤٨)

وقال : « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » الانعام : ١٦٥)

وقال : «انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً» الكهف:٧)

وقال : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً »الملك:٢)

٣- (انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً)

انا هدينا الانسان سبيل الهدى و الرشاد ، سبيل الحق والصواب ، سبيل الخير والصلاح ، طريق الكمال والتقوى ، طريق السعادة والنجاة ، وطريق الجنة ودار السلام بما أودعنا فيه من العقل والسمع والبصر ، وبيناه له ببعث الانبياء و إرسال الرسل وإنزال الكتب وتشريع الشرائع الالهية . . . وجعلناه مختاراً فى السير الى هذا السبيل ، فننظر أيهما يفعل؟ وأى شىء يصنع ؟ هل يأخذ هذا السبيل وبشكر بما أنعمنا عليه من الهداية ولم نتركه سدى ؟ أو يتركه فيكفر بما أنعمنا عليه . . .

قال الله تعالى : « ألم نجعل له عينين و لساناً و شفتين و هديناه النجدين » البلد : ٨ - ١٠)

وقال : « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » الشمس : ٧-٨)

وقال : « فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » الروم : ٣٠)

وقال : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » الكهف: ٢٩)

و قال : « وعلى الله قصد السبيل » النحل : ٩)

و قال : «انا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده - رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة من بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً » النساء : ١٦٣ - ١٦٥)

وقال : « قل هذه سبيلى ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » يوسف: ١٠٨)

وقال : « وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » الانعام : ١٥٣)

وفي التعبير عن أخذ سبيل الحق والرشد بالشكر، وتركه بالكفران لان هذا السبيل هو الذى يتوصل به الانسان إلى كماله اللائق به وإلى سعادته وعزته فى الحياة الدنيا والاخرة ، وهو الذى يسوقه إلى كرامة القرب والزلفى من الله جل وعلا ، فكيف من تركه واتخذ سبيل الغى والفساد ، وسبيل الكفر والطغيان قال الله تعالى : « شاكراً لانعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الاخرة لمن الصالحين » النحل : ١٢١ - ١٢٢)

وقال : « فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً » الانسان : ٢٩)

و قال : « إن تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر و إن تشكروا يرضه لكم » الزمر : ٧)

و قال فى الكافرين : « وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها و إن يروا سبيل

الرشد لايتخذوه سبيلاً و إن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » الاعراف : ١٤٦)

٤- (انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً)

إنا هيّأنا للذين كفروا بما أنعمنا عليهم من هداية داخلة وهداية خارجة وخالفوا أمرنا ، سلاسل . . . ذرع واحدها سبعون ذراعاً يسحبون بها في النار، وادخرنا لهم أغلالاً تجعل في أعناقهم . . . تشد فيها السلاسل ، وسعيراً بها يحرقون، كل ذلك لكفرهم بالله تعالى و كفرانهم بنعمه ، ومخالفتهم لما تقتضيه الفطرة البشرية وجرمهم وطغيانهم .

قال الله تعالى : « خذوه فغلوه ثم الجحيم صلّوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه انه كان لايؤمن بالله العظيم ولايحضّ على طعام المسكين » الحاقة : ٣٠ ـ ٣٤)

وقال : « الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون » غافر : ٧٠ ـ ٧٢)

وقال : « وإذا الجحيم سعرت » التكوير : ١٢)

وقال : « ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر » القمر : ٤٧ ـ ٤٨)

٥- (ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً)

ان الابرار هم طائفة خاصة من عباد الله جل وعلا الكاملين في الايمان ، الممحضين في العبودية ، والكاملين في خلوصهم في صالح الاعمال ، وهم السابقون و اولئك المقربون ، و لهم درجات فوق درجات المؤمنين ، إذ كان المؤمنون يتمنون ويدعون الله تعالى أن يتوفهم مع الابرار .

قال الله تعالى : « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل و النهار

لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا اننا سمعنا منادياً ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفر عنا سيئاتنا و توفنا مع الابرار »آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩٣)

وقال : « ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون و مزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون » المطففين : ٢٢ - ٢٨)

وقال : « والسابقون السابقون اولئك المقربون » الواقعة : ١٠ - ١١)

وهؤلاء الابرار على ما وصفهم الله جل وعلا فى هذه السورة ، و ما ورد فى نزولها فيهم عن الطريقين هم : الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن ابيطالب وزوجته البتول فاطمة الزهراء وسبطا المصطفى سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهم صلوات الله وملائكته والناس أجمعين ، وهم الذين كانوا يحسنون من غير أن يريد وا باحسانهم نفعاً يرجع إليهم من جزاء ممن أحسنوا عليه أو شكور منه .

وانما كانوا يفعلون الخير لانه خير فى نفسه إبتغاء لوجه الله جل وعلا كالوفاء بالنذر وإطعام الطعام للمستحقين . . . وهم الذين يشربون فى الجنة شراباً طهوراً من كأس كان طعمها وطيب رائحتها و بردها وعذوبتها كافوراً .

٦- (عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً)

عيناً فى جنة عالية يشرب منها عباد الله الذين هم الممحضون فى العبودية ،هم يفجّرون العين التى ما رأتها عين ، ولا خطرت ببال فى الجنة تفجيراً ، ويجرونها حيثما أرادوا و كيفما شاؤا من منازلهم وقصورهم إجراءاً سهلاً ، لايمتنع عليهم بل تجرى العين جرياً بقوة و إندفاع إذا أرادوا ، لان نعم الجنة لاتحتاج فى

تحققها والتنعم بها إلى أزيد من مشيّة أهلها .

قال الله تعالى: «جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهارلهم فيها ما يشاؤن » النحل : ٣١)

وقال : « ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون» فصلت : ٣١)

وقال : « من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد » ق : ٣٣ ـ ٣٥)

٧- (يوفون بالنذرويخافون يوماكان شره مستطيراً)

يوفون هؤلاء الابراربما التزموا بالنذرمن صالح الاعمال ابتغاء لوجه الله تعالى ، فانهم يخافون عقاب الله جل وعلا بتركهم الوفاء بالنذر ، يخافون يوماً أهواله وشدائده وأفزاعه وعذابه تفوق كل الاهوال والشدائد والافزاع والعذاب التى تكون فى غيرذلك اليوم من أيام الدنيا كلها . . .

قال الله تعالى : « فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذيوم عسير » المدثر : ٨-٩)

وقال : « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض إلا من شاء الله » الزمر : ٦٨)

وقال : « ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين - من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » النمل : ٨٧ - ٨٩)

وقال : « وان للطاغين لشرّ مآب » ص : ٥٥)

وقال : « ولعذاب الاخرة أشد وأبقى » طه : ١٢٧)

وقال : « قل أفأنبئكم من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير » الحج : ٧٢)

وقال حكاية عن هؤلاء الابرار: « انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً» الانسان : ١٠)

٨- (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً)

وقدكان هؤلاء الابرار يطعمون الطعام على حبهم إياه و رغبتهم فيه لشدة جوعهم بسبب صومهم ثلاثة أيام لا يذوقون في لياليها غير الماء - هم يطعمونه - مع ذلك حباً لله جل وعلا مسكيناً وهو أسوأ حالاً من الفقير الذى لايملك مؤنة سنته اللائقة بحاله لنفسه ولمن يقوم به لافعلاً ولاقوة، ويتيماً وهو الطفل الذى قدمات أبوه ولاشىء له من يتامى المسلمين، وأسيراً وهو الذى اخذ قهراً بالغلبة من قومه المشركين الحربيين ملكت رقبته، فلايملك لنفسه شيئاً.

وهذا على حدّ قوله تعالى: «وآتى المال على حبه» البقرة: ١٧٧)

وقال: «لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون» آل عمران: ٩٢)

وقال: «ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة» الحشر: ٩)

وقال: «فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيماً ذامقربة أومسكيناً ذا متربة» البلد: ١١-١٦)

ومن غيربعيد أن يكون المراد من الاطعام الاحسان والمواساة إلى ذوى الحاجات بأىّ وجه كان، وانما خصّ الطعام بالذكر لكونه أشرف أنواع الاحسان.

٩- (انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكوراً)

ان هؤلاء الابرار يطعمون الطعام - مع شدة حاجتهم إليه - مسكيناً ويتيماً وأسيراً ولسان حالهم عن مكنون سرائرهم يهتف بانهم يطعمونهم الطعام دون إنتظار منهم جزاء بفعل يفعلونه لهم ولاثناء بقول يقولون فيهم.

وانما ذلك ابتغاء لوجه الله تعالى ومرضاته، وتقرباً منه إليه. وهذا القول من هؤلاء الابرار ليس بلسان المقال يواجهون به من أطعموهم، فانهم لوفعلوا لكان ذلك من باب المن والأذى أوكان رئاء يحبط الاعمال ويمحق الاحسان وانما هو بلسان الحال والعمل، ومما انطوت عليه ضمائرهم وانعقدت عليه نياتهم فأخبر الله تعالى بماكان فى ضمائرهم و سرائرهم من إخلاص النية فى العمل لله تعالى،

والاعراض عما عند غيره من الجزاء والثناء.

ومن غير خفاء ان حسن العمل بحسن الداعي إليه، فاذا كان داعيه وجه الله سبحانه فله الجزاء الحسن إطلاقاً عبادة كانت أم غيرها و إلاّ فلا.

قال الله تعالى: «فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربه أحداً» الكهف: ١١٠)

وقال: «وما لاحد من نعمة تجزى إلاّ ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى» الليل: ٩ - ٢١)

وقال: «وما تنفقوا من خير فلا نفسكم و ما تنفقون إلاّ ابتغاء وجه الله - الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم» البقرة: ٢٧٢ - ٢٧٤)

١٠- (انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً)

ان هؤلاء الابرار يقولون بلسان حالهم لمن أطعموه من أهل الفاقة والحاجة ما نطعمكم طعامنا نطلب منكم عوضاً على إطعامنا إياكم جزاء ولا شكوراً، ولكنا نطعمكم رجاء منا أن يؤمننا ربنا من عقوبته في يوم شديد هوله، عظيم أمره تعبس فيه وجوه الكافرين من شدة مكارهه وطول بلاء أهله.

وهو يوم تبيض فيه وجوه وتسودّ فيه وجوه، وهو يوم تكوى فيه جباه الذين يكنزون الذهب والفضة، ويبخلون فيما آتاهم الله تعالى في وجوه البر، وهو يوم يحشر فيه الضالون والمضلون، المستكبرون والمستضعفون التابعون من الرؤساء الفجرة... وعلى وجوههم عمى وبكم وصمّ، ويحشر المجرمون زرقاً، و يومئذ تتقلب فيه القلوب والابصار، وبالجملة يومئذ يقول الكافرون: هذا يوم عسير.

وأما الابرار والمؤمنون، والصلحاء والمتقون، والشهداء والمحسنون فهم من فزع يومئذ وأهواله وشدائده آمنون...

قال الله تعالى: «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم

أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون » آل عمران : ١٠٦ - ١٠٧)

وقال : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لايمسّهم السوء ولاهم يحزنون » الزمر : ٦٠ - ٦١)

وقال : «يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » التوبة : ٣٥)

و قال : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ء إذا كنا عظاماً ورفاتاً ء إنا لمبعوثون خلقاً جديداً » الاسراء : ٩٧ - ٩٨)

وقال : « يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً » طه : ١٠٢)

وقال : « يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار » النور : ٣٧)

وقال : « يقول الكافرون هذا يوم عسر » القمر : ٨)

و قال : « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » النمل : ٨٩)

١١- (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة و سروراً)

ان هؤلاء الابرار خافوا وحذروا من شر اليوم العبوس القمطرير في الحياة الدنيا وأعدّوا له ووقوا أنفسهم ناراً بما كانوا يعملون فيها ما يرضي عنهم ربهم ، فحفظهم الله جل وعلا ودفع عنهم شر ذلك اليوم وبأسه وشدائده وأهواله وعذابه ، واستقبلهم الله بالنضرة وهي رونق وطراوة وبهجة و بريق في وجوههم فأحسنها وأضاءها ، فتشاهد آثار رضا الله تعالى عنهم و آثار النعم منها مقابل عبوس الكفرة ، وبسرة وجوههم وغبرتها وسخط الله عليهم ، واستقبلهم بالسرور في قلوبهم مقابل حزن أعداءهم وضيق قلوب الكفرة والفجرة .

وقدجرت العادة ان القلب إذا سرّ استنار الوجه .

قال الله تعالى : « وجوه يومئذناضرة ـ ووجوه يومئذباسرة » القيامة:٢٢ـ٢٤)

وقال : « وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة » عبس : ٣٨ ـ ٤٢)

وقال : « وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية ـ وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية » الغاشية : ٢ ـ ١٠)

١٢- (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً)

وجزى الله تعالى هؤلاء الابرار بسبب صبرهم على الايثار وما يؤدّي إليهم من الجوع والعرى وعلى الوفاء بالنذر إبتغاء لوجه الله جل وعلا من غير طلب من أحد جزاء و لا ثناء على صالح أعمالهم ، فبدّل الله تعالى مالقوه من المشقة والكلفة نعمة و راحة ، وأدخلهم جنة عالية يسكنونها ، و ألبسهم حريراً من لباس الجنة يلبسونه .

قال الله تعالى : « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون» النحل : ٩٦)

وقال : « وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية » الغاشية :٨ـ١٠)

وقال : « جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً و لباسهم فيها حريراً وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور» الفاطر : ٣٣ ـ ٣٤)

وقال : « ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم » التوبة : ٧٢)

١٣- (متكئين فيها على الارائك لايرون فيها شمساً ولازمهريراً)

حالكون هؤلاء الابرار متكئين في الجنة العالية على السرر في الحجال لا يرون في الجنة شمساً ، فيؤذيهم حرّها ، ولا زمهريراً فيؤذيهم بردها الشديد .

فهم فى نور مطلق وضياء مستديم لا ليل فى الجنة ولا نهار لان ضوء النار بالشمس وضوء الليل بالقمر، فضوء الجنة لا يحتاج إلى شمس ولا إلى قمر ، فان الجنة كلها نور وضياء بنور أهلها إذ يظهر نورهم حسب مراتب الايمان وصالح الاعمال . . .

وفيها جوّ معتدل دائم سرمدى لا حرّ مزعج ولا برد مؤلم ، و أين جوّ من جوّ ، وأين نسيم من نسيم ؟ وأين ما فى دار الفناء والدنيا الزائلة مما فى دار البقاء والحياة الطيبة ... فهم فى منتهى الراحة والرفاهة وغاية الغبطة والحبور مستبشرين فكهين .

قال الله تعالى : « والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون با كواب وأباريق و كأس من معين » الواقعة : ١٠ ـ ١٨)

وقال : « هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة و لهم ما يدعون سلام قولاً من رب رحيم » يس : ٥٦ ـ ٥٨)

وقال : « يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير » التحريم: ٨)

وقال : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و آمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به » الحديد : ١٢ ـ ٢٨)

١٤ـ (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً)

وحال كون ظلال الجنة قريبة من هؤلاء الابرار ومنبسطة عليهم ، وسخرت ثمار الجنة تسخيراً و سهل إجتنائها تسهيلاً بحيث يتناول بها القائم و القاعد والمضطجع من غير كلفة ولا مشقة .

وليس هذا الظل بالمعنى المصطلح في الحياة الدنيا ، وهو الضوء النوراني ، إذ لا شمس هناك ، وإنما معنى دنو الظلال عليهم إمتدادها وإنبساطها عليهم زيادة في نعيمهم .

وذلك ان أشجار الجنة خلقت بحيث لو كانت هناك شمس لكانت تلك الاشجار قريبة الظلال على أهل الجنة .

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى : « وذللت قطوفها تذليلاً » سخرت ثمارها لمتناوليها تسخيراً يسهل أخذها من غير صعوبة ولا كلفة ولا شوك .

قال الله تعالى: « في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود » الواقعة:٢٨-٣٠)

وقال : « اكلها دائم و ظلها » الرعد : ٣٥)

وقال : « لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً » النساء : ٥٧)

وقال : « فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية » الحاقة : ٢١-٢٣)

١٥- (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا)

ويدور على هؤلاء الابرار ولدان مخلدون هيأوا للخدمة من غير غفلة عنها فيشربونهم إذا أرادوا الشراب بآنية جنسها من فضة الجنة التي لا يقدر قدرها في الحياة الدنيا ، وبأقداح لا عروة لها ،وهي التي ما رأتها عين ولا خطرت ببال ،كانت تلك الاكواب صفائها صفاء الزجاج .

فتكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ، ولين الفضة وبياضها بحيث يرى باطنها من ظاهرها ، إذ ينفذ البصر في فضة الجنة كما ينفذ في الزجاج .

فاذا كانت قوارير الدنيا المتخذة من الاحجار في غاية الصفاء والرقة بحيث تحكي ما في باطنها ، فكيف بقوارير الجنة المتخذة أو المتكونة من الفضة .

قال الله تعالى : « يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق و كأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون » الواقعة : ١٧ - ١٩)

وقال « يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الانفس و

تلذ الاعين » الزخرف : ٧١)

١٦- (قواريرمن فضة قدروها تقديراً)

أقداح زجاجية الصفاء والرقة من جنس فضة قدّرها هؤلاء الابرار في أنفسهم على ما اشتهوا من قدر الشراب بهيئة خاصة ومقدار معين بما يروّون به من الشراب لايزيد ولا ينقص .

وقد قال الله تعالى من قبل : « يفجرونها تفجيراً » الانسان : ٦)

وقال : « جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤن» النحل : ٣١)

١٧- (ويسقون فيها كاساً كان مزاجها زنجبيلاً)

وهؤلاء الابرار يسقون في الجنة العالية شراباً طهوراً كان مزاجها زنجبيلاً في طيب نكهته و جليل فوائده ، و انه يحذو اللسان و يهضم المأكول من غير لذعة فيه .

وقد كانت العرب تستلذ الزنجبيل وتستطيبه في الشراب ، ولاترى أطيب منه فرغّبهم الله تعالى في نعيم الاخرة بماتعتقده نهاية النعمة والطيب . ومن غير ريبة ان زنجبيل الجنة أطيب وألذّ وأجل فائدة وأكثر نفعاً .

قال الله تعالى : « ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون» المطففين : ٢٢ ـ٢٨)

١٨- (عيناً فيها تسمى سلسبيلاً)

هؤلاء الابرار يسقون عيناً في الجنة تسمى تلك العين سلسبيلاً لسلاسة إنحدارها في الحلق وسهولة مساغها ولذة شاربيها . .

وليس لهؤلاء الابرار عين واحدة كان مزاجها كافوراً تارة ، و زنجبيلاً تارة اخرى وكانت هي سلسبيلاً كما زعم بعض المفسرين . كيف ولمن خاف مقام ربه جنتان،

فيهما عينان تجريان ، وان المتقين في جنات وعيون ، وهؤلاء الابرار قدوة للخائفين والمتقين !

قال الله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ فيهما عينان تجريان » الرحمن : ٤٦ ـ ٥٠)

وقال : « ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين » المرسلات : ٤١ ـ ٤٤)

وقال : « ان المتقين في مقام أمين في جنات وعيون » الدخان : ٥١ ـ ٥٢)

١٩ـ (ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً)

ويطوف على هؤلاء الابرار بهذا الشراب وللخدمة ولدان ـ وهم قريبو العهد بالحلم وإن لم يبلغوا ـ مخلدون على ما هم عليه من الشباب والنضارة والحسن والطراوة والصفاء ، وهم الذين أنشأهم الله تعالى في الجنة العالية لخدمة الابرار من غير غفلة وضعف وتوان منهم عن الغفلة ، وهم لا يتغيرون ولا يهرمون ولا يشيبون أبداً ، وانهم أخف في الخدمة وألذ للمخدومين .

وإذا رأيت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هؤلاء الولدان مجتمعين أو متفرقين حسبتهم لؤلؤاً منثوراً لم ينتظمه عقد ، في حسنهم و رونقهم ونضارتهم و إشراقهم و صفاء ألوانهم ونقاء بياض وجوههم و كثرتهم وفرط جمالهم بحيث تنعكس أشعة بعضهم على بعض وهم متفرقون في عرصة المجلس لقضاء ما أراد به سادتهم ، وانهم سراع في الخدمة .

و قد عبّر عن خدمة الابرار والمقربين بالولدان ، وعن خدمة الاتقياء والمؤمنين بالغلمان تكريماً لهم بكرامة المخدومين وتشرفهم بحضرتهم .

قال الله تعالى في الاولين: « والسابقون السابقون اولئك المقربون ـ يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب وأباريق وكأس من معين » الواقعة : ١٠ ـ ١٨)

وقال في الاخرين : « ان المتقين في جنات ونعيم ـ ويطوف عليهم غلمان

لهم كأنهم لؤلؤ مكنون » الطور : ١٧ ـ ٢٤)

٢٠- (واذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً)

يقول الله تعالى لرسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم : وإذا رأيت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة ببصرك ، ورميت بطرفك فيما اعطيت هؤلاء الابرار فيها رأيت هنا نعيماً لهم لا يقدر واصف بواصفها ، معها ملكاً كبيراً وهو ان الملائكة من رسل الله عزوجل يستأذنون في الدخول عليهم ، ولا يدخلونهم إلاّ بالاذن منهم والسلام عليهم.

قال الله تعالى : « الذين يوفون بعهدالله ولاينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل و يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا إبتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا ممارزقناهم سراً وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » الرعد : ٢٠ ـ ٢٤)

وقال : « لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلاً من عندالله وما عند الله خير للابرار » آل عمران : ١٩٨)

و قال : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا و ذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً » الفرقان : ٧٤ ـ ٧٦)

٢١- (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً)

فوق هؤلاء الابرار ثياب سندس وتعلوهم فيلبسونها ، جنسها من سندس و هو ديباج رقيق حسن لونها خضر ، وفوقهم ثياب آخر ، جنسها من الاستبرق و هو ديباج غليظ من الحرير ، وتزيّنوا بأساور وهي معرّبة من « دستواره » جنسها من فضة لايقدر قدرها غير فضة الدنيا ، وسقى الله تعالى هؤلاء الابرار شراباً مطهرة

من عين طاهرة بالغة فى الطهارة والتطهير .

قال الله تعالى : « اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق » الكهف:٣١)

وقال : « ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » المطففين : ٢٢-٢٦)

وقال : « كلوا واشربوا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزى المحسنين » المرسلات : ٤٣ - ٤٤)

ان قلت : أى شرف لتلك الدار يسقى الله تعالى عباده الشراب الطهور فيها مع أنه جل وعلا سقاهم فى الحياة الدنيا ذلك إذ قال : و « أسقينا كم ماء فراتاً » المرسلات : ٢٧)

وقال : « وأنزلنا من السماء ماء فأسقينا كموه » الحجر : ٢٢) ؟

قلت : شتان مابين الشرابين والانيتين والدارين . . .

٢٢- (ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً)

ينادى من الله جل وعلا فى جنة الرضوان ونعمته إلى هؤلاء الابرار-مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب ، وزوجته البتول فاطمة الزهراء وسبطى المصطفى سيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين - : ان كل ما تنعمتم بأنواع النعم العظيمة والملك الكبير ، وتكرمتم بفنون الكرامة وأنواع الملاذ كان ملكاً لكم لايزول ولايفنى جزاءاً لصالح أعمالكم المرضية فى الايام الخالية ، وكان عملكم فى الحياة الدنيا مطلقاً مرضياً مقبولاً عند الله جل و علا إذ لاتريدون فى الحياة عملاً فاسداً ، ولاتريدون فى صالح أعمالكم غير وجه الله تعالى فلاتفعلون فى الدنيا ولا تريدون عملاً إلا وفيه رضا الله سبحانه .

ومن هنا قطع الله لهم بالجزاء ، ولم يشترط لهم كما اشترط لغيرهم لعلمه

باختلاف أحوال غيرهم . . . حتى اشترط فى مدح أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعلمه تعالى ان منهن من تتغيّر بعد الحال عن الصلاح الذى تستحق عليه المدح والاكرام فقال : « يانساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن » الاحزاب : ٣٢)

وقال فى المؤمنين : « ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً » الاسراء : ١٩)

٢٣- (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً)

انا نحن نزلنا على قلبك القرآن برسول الوحى جبرئيل وهو روح القدس على مكث فى مدى ثلاث وعشرين سنة ليكون أسهل لحفظه وتفهمه ودراسته ، و لتكون الاحكام آتية على وفق الحوادث الواقعة فى الكون ، فتكون تثبيتاً لايمان المؤمنين وزيادة فى تقوى المتقين .

فما افتريته ولاجئت به من عندك ولا من تلقاء نفسك ، و لم يداخله نفث شيطانى ولا هوى نفسانى كما يدعيه المشركون الجهلة الحمقاء و فجرة العرب البلغاء .

قال الله تعالى: « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً » الاسراء : ١٠٦)

وقال : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين و لقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » النحل : ١٠٢ - ١٠٣)

وقال : « قل من كان عدواً لجبرئيل فانه نزله على قلبك باذن الله » البقرة :٩٧)

٢٤- (فاصبر لحكم ربك ولاتطع منهم آثماً اوكفوراً)

فاصبر أيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما حكم به ربك من تحمل أعباء الرسالة والعمل بكتابه صبراً جميلاً يساير الحكم تثبيتاً وتنفيذاً ، صبراً طويلاً على إمتداد نزول القرآن عليك يدافع عنك أذى المخالفين ، و صبراً صارماً فى وجه الطغاة

والمستكبرين دون إنفلات عن الدعوة ولافشل في أمر الرسالة ، ولافتور في العمل ولاتطع ممن تلبس بالاثم ويبالغ في الكفر ، فيما يدعونك إليه من ترك الدعوة والشدة على أهل الاثم والكفر ، فلاتعبأ بهم ، ولاتجنح إلى ملاينتهم ولاالاستماع إلى إغرآتهم . . .

قال الله تعالى : « واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله و هو خير الحاكمين » يونس : ١٠٩)

وقال : « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » الطور : ٤٨)

وقال : « واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً وذرني والمكذبين اولى النعمة ومهلهم قليلاً » المزمل : ١٠ - ١١)

وقال : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه » الكهف : ٢٨)

وقال : « ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً » الاحزاب : ٤٨)

وقال : « وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون » الانعام : ١١٦)

وقال : « وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولاواق » الرعد : ٣٧)

وقال : « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن » المؤمنون : ٧١)

فلابد للمسلمين كافة ، ودعاتهم وقادتهم خاصة من القدوة في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

٢٥- (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً)

واذكر أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسم ربك فادعه واستعن به في دعوة الناس إليه وتبليغ الرسالة صباحاً ومساءاً ، في مفتتح نهارك ومختتمه ، فان الله تعالى هو

ناصرك ومؤيدك ومعينك . فلا تكن عنه غافلاً قط .

وان الاية الكريمة فى معنى قوله تعالى : « واذكر ربك فى نفسك تضرعاً خفية ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولاتكن من الغافلين » الاعراف:٢٠٥)

وقوله : « واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والابكار» آل عمران : ٤١)

وقوله : « وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار » غافر : ٥٥)

وقوله : « واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً » المزمل : ٨)

٢٦- (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً)

وبعضاً من الليل فاسجد لله جل وعلا ، وسبحه تعالى فى آناء من الليل و فى قطع منه قطعاً طويلاً .

والاية الكريمة فى معنى قوله تعالى : «ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » الاسراء : ٧٩)

وقوله : « ومن آناىء الليل فسبح »طه . ١٣٠)

وقوله : « فسبح بحمد ربك و كن من الساجدين » الحجر : ٩٨)

وان الايات الثلاث : ٢٤ ـ ٢٦) فى معنى قوله تعالى : « فاصبر على ما يقولون و سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و قبل الغروب و من اليل فسبحه وأدبار السجود » ق : ٣٩ ـ ٤٠)

٢٧- (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراء هم يوماً ثقيلاً)

ان هؤلاء الآثمين الذين تلبسوا بالاثم والفسوق ، والذين أصرّوا على الكفر والطغيان هم يحبون الحياة الدنيا واطمأنوا بمتاعها ، وفرحوا بزخارفها و انهمكوا فى شهواتها ، واستغرقوا فى لذائذها و آثروها واستحبوها على الاخرة، وهم الذين كانوا يتركون الاخرة ولايرجون لقاءها ويقولون : ان هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ، وهم يحملون يومئذ أثقالاً من أثقالهم . . .

فيوم البعث ثقيل على الكافرين والآثمين لشدة أهواله وفزعه ، ثقيل عليهم

عند العرض للحساب والجزاء ، وثقيل عليهم عند حمل أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم

قال الله تعالى : « بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة » القيامة : ٢٠-٢١)

وقال : « كلا بل لاتكرمون اليتيم ولاتحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلاً لما وتحبون المال حباً جماً » الفجر : ١٧ ـ ٢٠)

وقال : « ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة » النحل : ١٠٧)

وقال : « ان الذين لايرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا وأطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون » يونس : ٧ ـ ٨)

وقال : « وفرحوا بالحياة الدنيا » الرعد : ٢٦)

وقال : « بل تؤثرون الحياة الدنيا » الاعلى : ١٦)

وقال : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة غافلون » الروم:٧)

وقال : « وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » الانعام :٢٩)

وقال : « وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون » العنكبوت : ١٣)

وقال : « فتول عنهم يوم الداع إلى شيء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر » القمر : ٦ ـ ٨)

٢٨ـ (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا)

نحن خلقنا هؤلاء الآثمين والبالغين في الكفر والطغيان من نطفة أمشاج ، وسوّينا خلقهم وأحكمناه بالقوى الظاهرة والباطنة، فهم يستطيعون بها أن يؤمنوا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وباليوم الاخر ويعملوا عملاً صالحاً ، و أن يكفروا و يفسدوا في الارض ، فهديناهم السبيل إما شاكرين و إما كافرين .

و إذا شئنا بدّلنا أمثال هؤلاء الآثمين والكافرين تبديلاً ، و جئنا قوماً غيرهم لايكونوا أمثالهم في الاثم والكفر ، في العناد واللجاج ، في الفسق والطغيان

وفي الضلالة وطلاقة العنان ، فجعلناهم بدلاً منهم ، و لكن نبقيهم أياماً إتماماً للحجة على اللاحقين، وعبرة لهم ثم نهلكهم .

ولقد رأينا ذلك سنة ١٤٠٠ هـ ق بايران كيف بدّل الله تعالى قوماً آثمين، و جاء بآخرين ، فعلى الاخرين الاعتبار بالسابقين ، فانهم ليسوا بخير منهم إذا تلبّسوا بالاثم والظلم ، وحكموا بغيرما أنزل الله تعالى ، وخالفوا سيرة أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين و أنكروا ضرورة دينية . و ابتدعوا في الدين الاسلامي.. واتبعوا أهواءهم .. . فأحلوا حرام الله تعالى وحرّموا حلاله لمصالح شخصية وأغراض واهية شيطانية ... وسياسة خاطئة يومية فاعتبروا يا اولى الابصار .

قال الله تعالى : « ان يشاء يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً » النساء : ٣٣)

وقال : « إن يشأ يذهبكم و يستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين » الانعام : ١٣٣)

وقال : « انا خلقناهم مما يعلمون فلااقسم برب المشارق والمغارب انالقادرون على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين » المعارج : ٣٩ ـ ٤١)

وقال : « و ان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٣٨)

٢٩ـ (ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً)

ان هذه الايات المشتملة على القوارع والزواجر للكافرين والآثمين ، و المنهمكين في زخارف الدنيا ومتاعها ، والمستغرقين في شهواتها ولذاتها ، وما اشير فيها إلى تبديل قوم آثمين وكافرين ومجيىء آخرين مكانهم تذكرة بالغة لمن تذكر ، وعبرة كافية لمن اعتبر ، وعظة شافية لمن اتعظ ، وتبصرة لمن استبصره .

فمن شاء الجنة ونعيمها ، اتخذ إلى ربه طريقاً بالايمان وصالح الاعمال ، وبالتجنب عن الكفر وفساد العمل ، فمن شاء العزة والسعادة والكمال اتخذ إلى

ربه سبيلاً بالاهتداء والطاعة، والاعراض عن الضلال والمعصية، ومن شاء النجاة والسلام ورضوان الله اتخذ طريق الحق وسواء السبيل، فانه المنهاج الموصل إلى مرضاة الله جل وعلا وثوابه ورحمته.

قال الله تعالى: «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» القمر:٢٢)
وقال: «إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم» التكوير:٢٧-٢٨)
وقال: «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» الكهف:٢٩)
وما ورد في هذا الباب فمن التأويل فتدبر واغتنم جداً.

٣٠- (وما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً)

وما تشاؤن أيها الناس الايمان والطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل إلى الله تعالى إلا أن يشاء الله جل وعلا لكم، ولا يشاء الله تعالى لكم ذلك إلا بعد تزكيتكم وتمهيدكم أنفسكم لقبول ذلك بالانابة والتبتل إلى الله عزوجل والاعراض عما سواه، ان الله كان عليماً بنواياكم وأنفسكم وأحوالكم وأعمالكم، حكيما في أمره

وليس في الاية الكريمة ماينفي من الانسان قابليته للايمان واتخاذ السبيل إلى الله تعالى، ولا حرية الارادة والمشيئة التي أودعها الله جل وعلا فيه.

وذلك لان ما أكدته التقريرات القرآنية العديدة الحاسمة حتى صار من المبادىء المحكمة ان هذه القابلية وحرية الارادة مما شاء الله عزوجل أن تكون للانسان ليصح عليه التكليف.

قال الله تعالى: «انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» الانسان:٣)
وقال: «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» الشمس: ٧-١٠)

فاختيار الانسان الايمان أو الكفر، الهدى أو الضلال، الحق أو الباطل، الصواب أو الخطأ، الصدق أو الكذب، الصلاح أو الفساد، الكمال أو الانحطاط، العزة أو الذلة، السعادة أو الشقاء، الامانة أو الخيانة إتباع الرحمن أو الشيطان و

إختياره الجنة و نعيمها أو النار وعذابها هو من ذلك ، فلا يكون هناك تناقض ، فان إعمال قدرة الانسان في الفعل أو الترك يكون باختياره من غير إستناد اختياره إلى اختيار آخر ، وإن كانت هذه القدرة وسائر المبادي حين الفعل تفاض من الله تعالى ، فالفعل مستند إلى العبد من جهة ، وإلى الله جل وعلا من جهة اخرى .

وان الله سبحانه لا يرضى من عباده الكفر وقال : « إن تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم » الزمر : ٧)

٣١- (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعدلهم عذاباً أليماً)

ان الله تعالى يدخل من يشاء من عباده الذين تابوا وتبتلوا إلى الله جل وعلا ، وزكوا أنفسهم ومهدوها لقبول الايمان و اتخاذ السبيل إليه تعالى يدخلهم في رحمته الخاصة في الحياة الدنيا من توفيق الايمان وصالح الاعمال وفي الاخرة من الجنة ونعيمها . . .

وأما الذين ظلموا على الله جل وعلا بالشرك والطغيان والكفر والعصيان ، و على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالمخالفة والتكذيب ، و على أنفسهم إذ صدّوها عن الكمال والفلاح ودسّوها وجعلوها عرضة للعذاب والذلة والنيران ، وعلى الناس بالاضلال والفساد ، وصدّهم عن سواء السبيل ، فأعد الله تعالى لهؤلاء عذاباً مؤلماً .

قال الله تعالى : « نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون » يوسف : ٥٦ - ٥٧)

وقال : « والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » البقرة :١٠٥)

وقال : « ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي » الاعراف : ١٥٦ - ١٥٧)

وقال : « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك

هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين ـ وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا و مأواكم النار ومالكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزواً و غرتكم الحياة الدنيا فاليوم لايخرجون منها ولاهم يستعتبون » الجاثية : ٣٠ ـ ٣٥)

وما ورد فى المقام فهو اللب فتدبر واغتنم جداً .



﴿ جملة المعانى ﴾

٥٥٩٢- (هل اتى على الانسان حين من الدهرلم يكن شيئاً مذكوراً)

قد أتى على هذا الانسان زمن طويل من الزمن الممتد الذى لانعرف له بداية ولانهاية ، والحال ان الانسان لم يكن فى هذا الزمن شيئاً مذكوراً :

٥٥٩٣- (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاًبصيراً)

انا خلقنا ذرية آدم ﷺ من ماء الذكر والانثى الممتزجين المختلطين، فجعلنا هذا الانسان سميعاً يسمع به الايات التدوينية ، بصيراً يبصر بـه الايات الكونية لنختبره .

٥٥٩٤- (انا هديناه السبيل اما شاكراً واماكفوراً)

انا هديناهذا الانسان سبيل الحق بالعقل، وبيناه له بالشرع، فاما أن يتخذ هذا الانسان ذاك السبيل إلى ربه شاكراً له جل و علا على ما هداه إليه ، وإما يترك هذا السبيل ويعرض عنه مبالغاً فى الكفر به ومصراً عليه .

٥٥٩٥- (انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيراً)

إنا هيأنا للذين كفروا بما هديناه ، سلاسل يقيدون بها ، و أغلالاً تجعل فى أعناقهم ، وسعيراً يحرقون بها .

٥٥٩٦- (ان الابراريشربون من كاس كان مزاجها كافوراً)

ان الذين هم قدوة البر والاحسان يشربون فى الجنة شراباً طهوراً من كأس كان مزاج الشراب وطعمها وطيب رائحتها وبردها وعذوبتها كافوراً .

٥٥٩٧- (عينا يشرب بها عبادالله يفجرونها تفجيراً)

عيناً فى جنة عالية يشرب منها عبادالله تعالى الذين تحلّوا بحلية العبودية وتمحّضوا فيها ، هم يجرون تلك العين حيثما شاؤا وأينما أرادوا من منازلهم فى الجنة إجراءاً سهلاً لايمتنع عليهم .

٥٥٩٧- (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً)

هؤلاء الابرار يوفون بما التزموا بالنذر من وجوه البر ابتغاء لوجه الله تعالى وهم يخافون يوماً ، أهواله تفوق كل الاهوال . . .

٥٥٩٩- (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً)

وهؤلاء الابرار يطعمون الطعام على حبهم إياه وشدة رغبتهم فيه لشدة جوعهم بصيامهم ثلاثة أيام حباً لله تعالى ، مسكيناً يعجز عن الاكتساب ولامؤونة له ، ويتيماً مات أبوه ولا مال له ، وأسيراً ، اخذ من قومه ملكت رقبته ، ولايملك لنفسه شيئاً .

٥٦٠٠- (انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكوراً)

كان لسان حال هؤلاء الابرار : إنما نطعمكم أيها المستحقون هذا الطعام إبتغاء لوجه الله تعالى لانريد منكم جزاء بفعل تفعلونه لنا ولاثناء بقول تقولون فينا .

٥٦٠١- (انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً)

إنا نخاف من ربنا يوماً شديد هوله ، عظيم أمره ، تعبس فيه وجوه الكافرين من شدة مكارهه وطول بلاء أهله .

٥٦٠٢- (فوقاهم الله شرذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً)

فحفظ الله تعالى هؤلاء الابرار ، ومنع عنهم شرذلك اليوم العبوس وشدائده و استقبلهم بالنضرة فى وجوههم والسرور فى قلوبهم .

٥٦٠٣- (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً)

وجزى الله جل وعلا هؤلاء الابرار بسبب صبرهم على الايثار والجوع ثلاثة أيام جنة عالية يسكنونها ، وحريراً يلبسونه .

٥٦٠٤- (متكئين فيها على الارائك لايرون فيها شمساً ولازمهريراً)

حالكون هؤلاء الابرار متكئين فى الجنة العالية على السرر فى الحجال، لايرون فى الجنة شمساً فيؤذيهم حرّها ، و لازمهريراً فيؤذيهم بردها الشديد .

٥٦٠٥- (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً)

وقددنت على هؤلاء الابرار ظلال أشجار الجنة، ودنيت ثمارها لمتنا وليها دنواً يسهل أخذها من غير صعوبة .

٥٦٠٦- (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا)

و يدور على الابرار ولدان مخلدون ، فيشربونهم إذا أراد واشراباً طهوراً بآنية جنسها من فضة لاتقاس بفضة دنياوية ، وبأقداح كانت صفائها صفاء الزجاج.

٥٦٠٧- (قوارير من فضة قدروها تقديراً)

أقداح زجاجية تكوّنت من فضة قدرها هؤلاء الابرار بهيئات مخصوصة بما يروّون به من الشراب بحيث لايزيد ولاينقص .

٥٦٠٨- (ويسقون فيها كاساً كان مزاجها زنجبيلا)

وهؤلاء الابرار يسقون فى الجنة العالية شراباً طهوراً من كأس كان مزاج الشراب زنجبيلاً فى طيب نكهته وجليل فوائده . . .

٥٦٠٩- (عيناً فيها تسمى سلسبيلا)

يسقون عيناً فى الجنة العالية تسمى تلك العين سلسبيلاً لسلاسة إنحدارها فى الحلق وسهولة مساغها ولذة شاربيها .

٥٦١٠- (ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذارأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً)

ويطوف على هؤلاء الابرار بهذا الشراب السلسبيلى ولدان مخلدون على ماهم عليه من الشباب والطراوة والصفاء ، إذارأيت يا محمد ﷺ هؤلاء الولدان حسبتهم لحسنهم وصفاء هم لؤلؤاً منثورا لم ينتظمه عقد .

٥٦١١- (واذا رأيت ثم رايت نعيماً وملكاً كبيراً)

و إذا رأيت يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة ماأعطينا هؤلاء الابرار رأيت نعيماً لهم لايقدر واصف بوصفها،معها ملكاً كبيراً لايدخلهم الملائكة إلابالاذن والسلام عليهم .

٥٦١٢- (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق و حلوا اساور من فضة و سقاهم ربهم شراباً طهوراً)

فوق هؤلاء الابرار ثياب جنسها من سندس،لونها خضر،وفوقهم ثياب آخر و هي ديباج غليظ من الحرير ، تزينوا أساور جنسها من فضة وسقاهم ربهم شراباً بالغة في الطهارة والتطهير .

٥٦١٣- (ان هذاكان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً)

يقال لهؤلاء الابرار بعد دخولهم في الجنة وتنعمهم بأنواع النعم وتكرمهم بفنون الكرامة : ان هذا كله كان لكم جزاء لصالح أعمالكم في الدنيا وكان عملكم فيها مقبولاً عندالله جل و علا .

٥٦١٤- (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً)

انا نحن نزلنا عليك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذا القرآن نجوماً متفرقاً

٥٦١٥- (فاصبر لحكم ربك ولاتطع منهم آثما أوكفوراً)

فاصبر أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما حكم به ربك من تحمل أعباء الرسالة و العمل بكتابه الكريم ، ولاتطع من الكافرين من تلبس بالاثم أو بالغ في الكفر .

٥٦١٦- (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً)

واذكر يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم إسم ربك صباحاً ومساءاً .

٥٦١٧- (ومن الليل فاسجدله وسبحه ليلاً طويلاً)

و بعضاً من الليل فاسجد لله جل و علا و سبحه تعالى في قطع من الليل قطعاً طويلاً .

٥٦١٨- (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراء هم يوماً ثقيلا)

ان هؤلاء الآثمين والمبالغين فى الكفر يحبون الدنيا ومتاعها، ويتركون الاخرة وينسون يوماً ثقيلاً عليهم فى الحساب والجزاء و حمل أوزارهم .

٥٦١٩- (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً)

نحن خلقنا هؤلاء الآثمين و الكافرين و شددنا خلقهم ، وإذا شئنا بدلنا أمثال هؤلاء الآثمين والكافرين تبديلاً وجئنا بقوم آخرين مكانهم .

٥٦٢٠- (ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً)

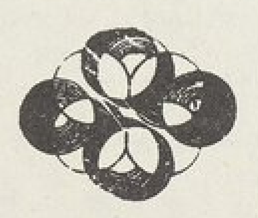
ان هذه الايات المشتملة على القوارع والزواجر للآثمين والكافرين تذكرة بالغة لمن تذكر ، فمن شاء الجنة ونعيمها إتخذ إلى ربه طريقاً بالايمان والطاعة .

٥٦٢١- (وما تشاؤن الا أن يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً)

وما تشاؤن أيها الناس الايمان والطاعة إلا أن يشاء الله جل وعلا ، ان الله تعالى كان عليماً بنواياكم وأعمالكم ، حكيماً فى خلقه وأمره .

٥٦٢٢- (يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعدلهم عذاباً أليماً)

يدخل الله تعالى من يشاء من عباده المؤمنين فى رحمته ، و الذين ظلموا أعد الله جل وعلا لهم عذاباً مؤلماً .



﴿ بحث روائي ﴾

فى المحاسن للبرقى رضوان الله تعالى باسناده عن زرارة عن حمران قال : سئلت أباجعفر عليه‌السلام عن قول الله عزوجل : « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » فقال : كان شيئاً ولم يكن مذكوراً قلت: فقوله : « أولم ير الانسان انا خلقناه من قبل و لم يك شيئاً » ؟ قال : لم يكن شيئاً فى كتاب و لا علم .

قوله عليه‌السلام: «كان شيئاً» أى مقدراً كما فى رواية آتية من الكافى و «شيئاً» مكان «مقدراً» غير مذكور أى عند الخلق أى غير موجود ليذكر عند الخلق أو كان مقدراً فى اللوح لكن لم يوح أمره إلى أحد من الخلق . ويحتمل أن يكون الخلق ههنا بمعنى التقدير والايجاد .

و قوله عليه‌السلام « و لا علم » أى علم أحد من المخلوقين .

و فى الكافى : باسناده عن مالك الجهنى قال : سئلت أباعبدالله عليه‌السلام عن قول الله تعالى : « أولم ير الانسان انا خلقناه من قبل و لم يك شيئاً » قال : فقال : لا مقدّراً ولا مكوّناً قال : وسئلته عن قوله : « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » فقال : كان مقدّراً غير مذكور .

و فى المجمع : و روى العياشى باسناده عن عبدالله ابن بكير عن زرارة قال : سئلت أباجعفر عليه‌السلام عن قوله : « لم يكن شيئاً مذكوراً » قال : كان شيئاً و لم يكن مذكوراً .

وفيه : وباسناده عن سعيدالحداد عن أبى جعفر عليه السلام قال : كان مذكوراً فى العلم و لم يكن مذكوراً فى الخلق .

وفيه : وعن حمران بن أعين قال : سئلت عنه فقال : كان شيئاً مقدوراً ولم يكن مكوّناً .

و فى رواية : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « هل أتى عليك يا إنسان وقت لم يكن الله ذاكراً لك فيه ؟ »

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى: « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » قال : لم يكن فى العلم ولا فى الذكر . قال: وفى حديث آخر : كان فى العلم و لم يكن فى الذكر .

اقول : و يمكن الجمع بينهما بأن يكون معنى الاول : انه لم يكن فى علم الناس ، و لا فيمن يذكرونه فيما بينهم ، و أن يكون معنى الثانى : انه كان فى علم الله جل و علا و لم يكن مذكوراً عند الناس .

و فى أمالى الطوسى قدس سره باسناده عن أبى جعفر الباقر عليه السلام - فى حديث طويل - : ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى عليه السلام : قل : ما أوّل نعمة أبلاك الله عزوجل و أنعم عليك بها ؟ قال : أن خلقنى جلّ ثناءه و لم أك شيئاً مذكوراً قال : صدقت .

و فى تفسير القمى : فى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى : « أمشاج نبتليه » قال : ماء الرجل والمرأة إختلطا جميعاً .

وفيه : فى قوله تعالى : « نبتليه » قال : نختبره .

و فى نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام - فى خطبة - عالم الغيب من ضمائر المضمرين - إلى أن قال - : و محط الامشاج من مشارب الأصلاب .

و فى رواية : عن أبى أيوب الانصارى قال : جاء حبر من اليهود إلى النبى

صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أخبرني عن ماء الرجل وماء المرأة ؟ فقال : ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق ، فاذا علا ماء المرأة أنثت ، وإذا علا ماء الرجل أذكرت ، فقال الحبر: أشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله .

وفي الكافي : باسناده عن حبيب السجستاني قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ان الله عزوجل لما أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له وبالنبوة لكل نبي ،فكان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنبوته محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال الله عزوجل لآدم : انظر ماذا ترى ؟ قال : فنظر آدم عليه السلام إلى ذريته وهم ذر قد ملؤا السماء قال آدم عليه السلام : يارب ما أكثر ذريتي ولأمر ما خلقتهم ؟ فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم ؟ قال الله عزوجل : يعبدونني لا يشر كون بي شيئاً ، ويؤمنون برسلي ويتبعونهم ، قال آدم عليه السلام :

يارب فمالي أرى بعض الذر أعظم من بعض ؟ وبعضهم له نور كثير؟ وبعضهم له نور قليل ؟ وبعضهم ليس له نور؟ فقال الله عزوجل : كذلك خلقتهم لابلوهم في كل حالاتهم ، قال آدم عليه السلام : يا رب فتأذن لي في الكلام فأتكلم ؟ قال الله عز وجل تكلم فان روحك من روحي وطبيعتك من خلاف كينونتي ، قال آدم : يا رب فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وقدر واحد وطبيعة واحدة وجبلة واحدة وألوان واحدة ، وأعمار واحدة وأرزاق سواء لم يبغ بعضهم على بعض و لم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الاشياء ؟

قال الله عزوجل : يا آدم بروحي نطقت وبضعف طبيعتك (قوتك خ)تكلفت مالا علم لك به، وأنا الخالق العالم (العليم خ) بعلمي خالفت بين خلقهم وبمشيئتي يمضي فيهم أمري وإلى تدبيري وتقديري صائرون ، لاتبديل لخلقي ، انما خلقت الجن والانس ليعبدون ، وخلقت الجنة لمن أطاعني وعبدني منهم واتبع رسلي - ولا ابالي - وخلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي و لا ابالي ، وخلقتك وخلقت ذريتك من غير فاقة بي إليك وإليهم .

وإنما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيكم أحسن عملاً في دارالدنيا في حياتكم وقبل مماتكم ، فلذلك خلقت الدنيا والاخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنارو كذلك أردت في تقديرى وتدبيرى ، وبعلمى النافذفيهم خالفت بين صورهم وأجسامهم وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم، فجعلت منهم الشقى والسعيد ، والبصيروالاعمى ، والقصيروالطويل ، والجميل والدميم (الذميم خ) والعالم والجاهل ، والغنى والفقير، والمطيع والعاصى ، والصحيح والسقيم ، ومن به الزمانة ومن لاعاهة به .

فينظر الصحيح إلى الذى به العاهة فيحمدنى على عافيته ، وينظر الذى به العاهة إلى الصحيح فيدعونى ويسئلنى أن اعافيه ، ويصبر على بلائى فاثيبه جزيل عطائى ، وينظر الغنى إلى الفقير فيحمدنى ويشكرنى ، و ينظر الفقير إلى الغنى فيدعونى ويسئلنى وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدنى على ماهديته .

فلذلك خلقتهم (ما هديتهم فلذلك كلفتهم خ) لابلوهم في السراء والضراء وفيما اعافيهم وفيما ابتليهم وفيما اعطيهم وفيماأمنعهم وأنا الله الملك القادرولى أن أمضى جميع ما قدّرت على ما دبّرت ، ولى أن اغيّرمن ذلك ما شئت إلى ما شئت واقدّم من ذلك ما اخرت و اؤخر من ذلك ما قدّمت ، وأنا الله الفعال لما اريد (يريد) لاأسئل عما أفعل وأنا أسئل خلقى عماهم فاعلون .

وفيه : باسناده عن حمزة بن محمد الطيارعن أبى عبدالله عليه السلام قال : انه ليس شيء فيه قبض أوبسط مما أمرالله به أونهى عنه إلا و فيه لله عز و جل إبتلاء وقضاء .

اقول : وذلك لما تحقق ان كل تكليف متعلق بقبض أوبسط ، ففيه إرادة تكوينية وإرادة تشريعية ، و التشريع إنما يتحقق بالمصلحة في الفعل أو الترك الاختيارى فلايخلوالتشريع عن إبتلاء وإمتحان ليظهربذلك ما في كمون العبد من الصلاح والفساد بالاطاعة والمعصية . وان الارادة التكوينية لا تخلو من قضاء

فما من تكليف إلا وفيه إبتلاء و قضاء. فتدبر جيداً فان المقام تزل الاقدام . . .

و في التوحيد: باسناده عن حمزة بن الطيار عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: «انا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً» قال: عرّفناه إما آخذاً وإما تاركاً.

وفي تفسير القمي: باسناده عن إبن أبي عمير قال: سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» قال: إما آخذ فشاكر، وإما تارك فكافر.

وفي الكافي: باسناده عن حمران بن أعين قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله عزوجل: «انا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً» قال: إما آخذ فهو شاكر وإما تارك فهو كافر.

وفيه: باسناده عن حمزة بن محمد الطيار عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: «وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يتبين لهم ما يتقون» قال: حتى يعرّفهم ما يرضاه وما يسخطه وقال: «فألهمها فجورها وتقواها» قال: بيّن لها ما تأتي وما تترك وقال: «انا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً» قال: عرّفناه إما آخذ وإما تارك. وعن قوله: «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى» قال: عرّفناهم فاستحبوا العمى على الهدى وهم يعرفون.

وفي رواية: «بيّناله» مكان «عرفناه»

وفي الدر المنثور: عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل مولود يولد على الفطرة، حتى يعبّر عنه لسانه فاذا عبّر عنه لسانه إما شاكراً و إما كفوراً.

وفي رواية: عن أبي الدرداء كان يقول: «إرفعوا هذه الايدي إلى الله عزو جل قبل أن تغلّ بالاغلال».

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها

أو معتقها».

وفي المناقب لابن شهر آشوب رحمة الله تعالى عليه باسناده عن سبط المصطفى الامام سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام قال: كل مافي كتاب الله عزوجل من قوله: «ان الابرار» فوالله ماأراد به إلاّ علي بن أبيطالب وفاطمة وأنا والحسن لانا نحن أبرار بآبائنا وامها تناوقلو بناعملت بالطاعات والبر ومبراة من الدنيا وحبها وأطعنا الله في جميع فرائضه وآمنا بوحدانيته وصدقنا برسوله.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «انما سماهم الله جل ثناؤه الابرار لانهم برّوا الآباء والابناء كما ان لوالديك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حقاً».

و في امالي الصدوق: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الامام جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام ـ في حديث ـ: «عيناً يشرب بهاعباد الله يفجرونها تفجيراً» قال: هي عين في دار النبي ﷺ يفجر إلى دور الانبياء و المؤمنين «يوفون بالنذر» يعني علياً و فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام و جاريتهم «يخافون يوماً كان شره مستطيراً» يقول عابساً كلوحاً «ويطعمون الطعام على حبه» يقول: على شهوتهم للطعام وايثارهم له «مسكينا» من مساكين المسلمين «ويتيماً» من يتامى المسلمين «وأسيراً» من اسارى المشركين.

ويقولون إذا أطعموهم: «إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكوراً» قال: والله ماقالوا هذا لهم، ولكنهم أضمروه في أنفسهم، فأخبر الله باضمارهم يقولون: لانريد جزاء تكافوننا به، ولا شكوراً تثنون علينا به، ولكنا إنما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه.

وفي الدر المنثور: عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله: «يوماً عبوساً قمطريراً» قال: يقبض مابين الابصار.

و في التفسير القمي: في قوله تعالى: «ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافوراً» قال: يعني بردها وطيبها لان فيها الكافور. وفي قوله: «مستطيراً»

قال : المستطير : العظيم .

وفيه : باسناده عن عبدالله بن ميمون القداح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان عند فاطمة شعيراً فجعلوه عصيدة، فلما انضجوها و وضعوها بين أيديهم جاء مسكين ، فقال المسكين : رحمكم الله اطعمو نامما رزقكم الله ، فقام علي عليه السلام وأعطاه ثلثها ،فلم يلبث أن جاء يتيم ،فقال اليتيم : رحمكم الله اطعمو نامما رزقكم الله ، فقام علي عليه السلام وأعطاه الثلث الثاني ، ثم جاء أسير فقال الاسير :رحمكم الله اطعمو نامما رزقكم الله ، فقام علي عليه السلام وأعطاه الثلث الباقي وماذا قوها ، فأنزل الله هذه الاية : «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً »إلى قوله : «وكان سعيكم مشكوراً »في أمير المؤمنين عليه السلام وهي جارية في كل مؤمن فعل مثل ذلك لله عزوجل بنشاط فيه،و القمطرير:الشديد «متكئين فيها على الارائك» في الحجال على السرير .

وفي الاختصاص :للشيخ المفيد أعلى الله مقامه باسناده-في حديث طويل -قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :يا علي ماعملت في ليلتك ؟ قال : ولم يارسول الله ؟ قال نزلت فيك أربعة معالي، قال: بأبي أنت وامي كانت معي أربعة دراهم فتصدقت بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية ،قال :فان الله أنزل فيك : «الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون» ثم قال :فهل عملت شيئاً غير هذا ؟ فان الله قد أنزل علي سبعة عشر آية (سبع عشرة آية ظ) يتلو بعضها بعضاً من قوله :« ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً »إلى قوله: «ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً » قوله : «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً »قال : فقال العالم : أما ان علياً لم يقل في موضع : « انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء و لاشكوراً »ولكن الله علم من قلبه إنما أطعم لله ، فأخبره بما يعلم من قلبه من غير أن ينطق به .

وفى الاحتجاج: عن الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام -فى حديث يقول فيه للقوم بعد أن هلك عمر بن الخطاب- : نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزل فيه و فى ولده : «ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً» إلى آخر السورة غيرى ؟ قالوا : لا .

و فى الخصال : -فى إحتجاج الامام أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام على أبى بكر- قال عليه السلام :أنشدك بالله أنا صاحب الاية : «يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً» أم أنت ؟قال :بل أنت .

أقول : ان الروايات الواردة باسانيد عديدة عن طريق حملة العامة فى أسفارهم أكثر من أن تحصى فى: أن هذه السورة الكريمة نزلت فى مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب وقرة عين الرسول فاطمة الزهراء ،و سبطى المصطفى: الحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين ومعهم فضة جارية الزهراء البتول عليها السلام فى قصة خاصة أورد نانبذة منها فى بحث النزول فراجع .

فذبذبة بعضهم بان السورة مكية ، أونزلت فى غير القصة لايعتنى بها .

وفى المجمع : وفى الحديث عن أبى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: مامن مسلم أطعم مسلماً على جوع إلاّ أطعمه الله من ثمار الجنة ، وما من مسلم كسى أخاه على عرى إلاّ كساه الله من خضر الجنة ، ومن سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق .

وفى روضة الكافى : باسناده عن محمدبن إسحق المدنى عن أبى جعفر عليه السلام -فى حديث طويل يصف الجنة- : قال :«وعن يمين الشجرة عين مطهّرة مزكية قال : فيسقون منها شربة فيطهّر الله بها قلوبهم من الحسد، و يسقط من أبشارهم الشعر، وذلك قول الله عزوجل: «وسقاهم ربهم شراباً طهوراً» من تلك العين المطهرة-إلى أن قال-وذلك قوله عزوجل :«وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً» يعنى بذلك ولى الله ومافيه من الكرامة والنعيم والملك العظيم الكبير ان الملائكة

من رسل الله عز ذكره يستأذنون في الدخول عليه ،فلايدخلون عليه الاّ باذنه، فلذلك الملك العظيم الكبير-إلى أن قال- : والثمار دانية منهم ،وهو قوله عز و جل :« ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً» من قربها منهم يتناول المؤمن من النوع الذي يشتهيه من الثمار بفيه ،وهو متكىء ،وان الانواع من الفاكهة ليقلن لولي الله : ياولي الله كلني قبل أن تأكل هذاقبلي .الحديث .

وفي البحار : في قوله تعالى :«ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا-إلى قوله-عيناً فيها تسمى سلسبيلاً »النبي صلى الله عليه وآله في خبر : ان علياً أول من يشرب السلسبيل والزنجبيل ،وان لعلي عليه السلام وشيعته من الله تعالى مكاناً يغبطه الاولون والاخرون

وفي الكافي : باسناده عن محمدبن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عز وجل : «يوفون بالنذر »الذي اخذ عليهم من ولايتنا .

و فيه : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت: قوله : « يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً » قال :ليس من الزكاة.الحديث

وفي شعب الايمان : للبيهقي باسناده عن غزوان بن أبي حاتم :قال . بينا أبوذر عندباب عثمان لم يؤذن له إذمرّ بهرجل من قريش ، فقال : ياأباذر مايجلسك ههنا ؟ فقال : يأبى هؤلاء أن يأذنوالي ، فدخل الرجل ، فقال :يا أمير المؤمنين مابال أبي ذرعلى الباب لايؤذن له ؟فأمر فأذن له، فجاء حتى جلس ناحية القوم .

فقال عثمان لكعب : يا أبا إسحق أرأيت المال إذا ادّى زكاته هل يخشى على صاحبه فيه تبعة ؟ قال : لافقام أبوذر و معه عصاً فضرب بها بين اذني كعب ثم قال : يابن اليهوديه أنت تزعم انه ليس حق في ماله إذا أدّى الزكاة ؟ والله يقول : «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »الحشر : ٩)

والله تعالى يقول : «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً»

الانسان : ٨)

والله تعالى يقول : «والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» المعارج : ٢٤ و٢٥) فجعل يذكر نحو هذا من القرآن.

فالحق المعلوم ليس من الصدقة ، فيصل به الرحم ويقرى به الضيف، ويحمل به الكل أويعين به المحروم ، وليس من الزكاة أيضاً .

وفى الجامع لاحكام القرآن : قال أبوسعيد الخدرى : قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً» فقال : المسكين: الفقير ، واليتيم : الذى لاأب له ، والاسير : المملوك والمسجون .

وفى مسند الامام الرضا عليه السلام بالاسناد عن معمر بن خلاد عن أبى الحسن الرضا عليه السلام فى قول الله عزوجل : «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً» قال : قلت : حب الله أوحب الطعام ؟ قال : حب الطعام .

اقول : رواه البرقى فى المحاسن والبحرانى فى البرهان .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : «ودانية عليهم ظلالها» يقول : قريب ظلالها منهم وقوله تعالى : «وذللت قطوفها تذليلاً» : دنيت عليهم ثمارها ينالها القاعد والقائم وقوله : «واكواب كانت قواريرا» : الاكواب : الاكواز العظام التى لا آذان لها ولا عرى وقوله: «قوارير من فضة» :من فضة الجنة يشربون منها وقوله: «قدروها تقديراً» يقول : صنعت لهم على قدر ريّهم ، و قوله : «من سندس و إستبرق» قال : الاستبرق : الديباج .

وقوله تعالى : «ويطاف عليهم بآنية من فضة» قال : ينفذ البصر فيها كما ينفذ فى الزجاج . وقوله : «ولدان مخلدون» قال : مسوّرون (مستورون خ)

وفى المجمع : فى قوله تعالى : «قوارير من فضة» قال الصادق عليه السلام : ينفذ البصر فى فضة الجنة كما ينفذ فى الزجاج .

وعن ابن عباس: قال : لوضربت فضة الدنيا حتى جعلتها جناح الذباب لم

ير الماء من ورائها ، وقوارير الجنة من فضة ويرى مافيها من ورائها .

أقول : إن إسم الفضة وإن كان مشتركاً بين فضة الدنيا وفضة الاخرة ، و لكن شتان مابينهما ، وقد قال رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم : « المثقال من فضة الاخرة خير من الدنيا ومافيها » . و كذلك الكلام فى السندس والاستبرق والحرير وغيرها من نعيم الجنة التى ازلفت لاهل التقوى واليقين .

وفى تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبى وهو من أعلام العامة مالفظه: « وقال إبن عباس : بينما أهل الجنة إذ رأوا نوراً ظنوه شمساً قد أشرقت بذلك النور الجنة ، فيقولون : قال ربنا : « لايرون فيها شمساً و لا زمهريراً » فما هذا النور ؟ فيقول لهم رضوان : ليست هذه شمس ولاقمر و لكن هذه فاطمة و عليّ ضحكا ، فأشرقت الجنان من نور ضحكهما ، وفيهما أنزل الله تعالى : « هل أتى على الانسان » :

و أنشد :

أنا مــولى لفتــى	أنزل فيه هل أتى
ذاك عليّ المرتضى	وابن عم المصطفى

وفيه : فى قوله تعالى : « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » قال على رضى الله عنه : إذا توجّه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من إحداهما فتجرى عليهم بنضرة النعيم ، فلا تتغير أبشارهم ولاتتشعث أشعارهم أبداً ثم يشربون من الاخرى ، فيخرج مافى بطونهم من الأذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم : « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين »

ولله درّ من قال :

ربّ هب لى من المعيشة سؤلى	واعف عنى بحق آل رسول
و اسقنى شربة بكفّ علىّ	سيـد الاوصياء زوج بتول

وفى رواية : فى قوله تعالى : « لا يرون فيها شمساً و لا زمهريراً » قال

النبى صلى الله عليه وآله : ان هواء الجنة سجسج لاحر ولابرد »

وفى الاحتجاج للطبرسى رضوان الله تعالى - فى توقيعات الناحية المقدسة عجل الله فرجه الشريف - : « وسئل : عن أهل الجنة يتوالدون اذا دخلوها أم لا؟ فأجاب : ان الجنة لاحمل فيها للنساء ولا ولادة ولا طمث ولا نفاس ولا شقاء بالطفولية ، و فيها ما تشتهى الانفس و تلذ الاعين كما قال سبحانه ، فاذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه الله بغير حمل ولا ولادة على الصورة التى يريد كما خلق آدم عبرة » .

و فى معانى الاخبار : باسناده عن عباس بن يزيد قال :قلت لابى عبدالله عليه السلام و كنت عنده ذات يوم - أخبرنى عن قول الله عزوجل : « وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً و ملكاً كبيراً » ما هذا الملك الذى كبّر الله عزوجل حتى سماه كبيراً ؟ قال : إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة أرسل رسولاً إلى ولىّ من أوليائه ، فيجد الحجبة على بابه ، فتقول له : قف حتى نستأذن لك ، فما يصل إليك رسول ربه إلاّ باذن ، فهو قوله عزوجل : « وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً »

و فى المجمع : فى قوله تعالى : « وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً : لايزول ولا يفنى عن الصادق عليه السلام .

وفيه : « عاليهم ثياب سندس خضر » و روى عن الصادق عليه السلام فى معناه : تعلوهم الثياب فيلبسونها .

وفى الكافى : باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن الماضى عليه السلام قلت : « انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً » ؟ قال : بولاية على عليه السلام تنزيلاً ، قلت : هذا تنزيل ؟ قال : لا تأويل .

و فى المجمع : فى قوله تعالى : « و سبحه ليلاً طويلاً » روى عن الرضا عليه السلام انه سئله أحمد بن محمد عن هذه الاية وقال : ما ذلك التسبيح ؟ قال :صلاة الليل .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « وشددنا أسرهم » قال : يعني خلقهم.

وفي الكافي : باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام الماضي قال : قلت : « ان هذه تذكرة » ؟ قال : الولاية ، قلت : « يدخل من يشاء في رحمته » قال : في ولايتنا .

وفي الخرائج والجرائح : عن كامل بن ابراهيم المدني انه قال : أنفذني أصحاب العسكري عليه السلام لاسئله بعض المسائل، ولأطلّع على قصة المولود الجديد ، فدخلت على أبي محمد عليه السلام وسلّمت وجلست إلى جانب باب عليه ستر مرسل، فجاءت الريح فكشف طرفه ، فاذا أنا بفتى كأنه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها ، فقال لي : يا كامل بن ابراهيم، فاقشعررت من ذلك وألهمت أن قلت :لبيك يا سيّدي ، فقال : جئت إلى ولي الله تسئله : هل يدخل الجنة إلاّ من عرف معرفتك وقال بمقالتك ؟

قلت : إي والله ! قال : إذن والله يقلّ داخلها ، والله انه ليدخلها قوم يقال لهم الحقيّة ، قلت : يا سيدي و من هم ؟ قال : قوم من حبّهم لعلي يحلفون بحقه ولايدرون ما حقه ، ومافضله ، ثم قال : وجئت تسئله عن مقالة المفوّضة ؟! كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله ، فاذا شاءالله شئنا ، والله يقول : « وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله » ثم رجع الستر إلى حالته فلم أستطع كشفه .

فنظر إليّ أبوه مبتسماً (متبسّماً خ) وقال : يا كامل ! ما جلوسك ، و قد أنبأك بحاجتك الحجة من بعدي ؟! فقام وخرج واصطلح قلبه وحسن ايمانه بعد ذلك لانه - كامل- كان منحرفاً يعتقد ان الامام يستطيع أن يخلق ويرزق ، وقدجاء ليسئل العسكري عليه السلام عن ذلك ، فبادهه الحجة بالجواب قبل السؤال .

اقول : ان كامل بن ابراهيم المدني هو رجل جليل كان من المفوّضة ثم اصطلح وحسن إسلامه .

ان تسئل : كيف حدث ذلك من صبي إبن أربع سنين ؟؟

تجيب : ان المفكر، سليم القلب الذى لايدخل البيوت إلاّ من أبوابها ، و باب هذا البيت هورسول الله و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لايعتريه ريب فى صدق ذلك و ما إليها . . فمن أخذ بقول النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بايمان لم يزغ قلبه ولايتلجلج لسانه ، ودخلت على حقيقة هذه الذرية المباركة دون استئذان . .

كيف لا وهذا الامام الثانى عشر من أئمتنا المعصومين من أهل بيت النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم صلوات الله عليهم أجمعين الذين جعلهم الله جل وعلا وسيلة لا يصال الفيض الالهى إلى عباده ، وأمرنا بأن نطلبه بها وقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون » المائدة : ٣٥)

وفى الاحتجاج - فى حديث طويل يقول الامام عليه السلام - : ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة يصدرون عن أمره وفعلهم فعله ، و كل ما يأتونه منسوب إليه وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت ، وفعل ملك الموت فعل الله لانه يتوفى الانفس على يد من يشاء ويعطى ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء و ان فعل امنائه فعله كما قال : « وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله » .

وفى البرهان : عن أبى الحسن الثالث عليه السلام قال : ان الله تبارك و تعالى جعل قلوب الائمة مورداً لارادته ، وإذا شاء شيئاً شاؤه وهوقوله : « وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله » .

وفى نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام : « وان الله يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة »

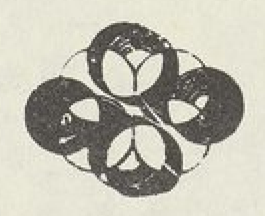
وفى الكافى : باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن الماضى عليه السلام قال : قلت : « يدخل من يشاء فى رحمته » ؟ قال : فى ولايتنا ، قال : « والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً » ألاترى ان الله يقول : « و ما ظلمونا و لكن كانوا أنفسهم

يظلمون » قال : ان الله أعز وأمنع من أن يظلم وأن ينسب نفسه إلى الظلم، ولكن الله خلطنا (أخلطنا خ) بنفسه ، فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته ، ثم أنزل بذلك قرآناً على نبيه : « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » قلت : هذا تنزيل قال : نعم .

وفى البرهان : إبن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه قال الامام الباقر عليه السلام فى قوله تعالى : «يدخل من يشاء فى رحمته» : على بن أبى طالب عليه السلام

أقول : كيف لا ، وبه أكمل الله جل وعلا رسالة نبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ، ورضى لنا الاسلام ديناً ، وأتم على عباده المؤمنين نعمته ؟ ! ! وعلى الاحرار التفكر والانصاف و ترك العصبية الجاهلية والهمجية .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى **لولا أن هدانا الله .**



﴿ بحث فقهي قرآني في النذر ﴾

قال الله تعالى : « يوفون بالنذر و يخافون يوماً كان شره مستطيراً » الانسان : ٧)

وقال : « وليوفوا نذورهم » الحج : ٢٩)

وقال : « وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه » البقرة : ٢٧٠)

وقال : « فقولي اني نذرت للرحمن صوماً » مريم : ٢٦)

وقال : « إذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني انك أنت السميع العليم » آل عمران : ٣٥)

وفي المقام فصول أربعة :

الفصل الاول : وفيه بيان امور :

احدها ـ في حقيقة النذر وهو ـ بفتح النون وسكون الذال ـ : مصدر بمعنى الوعد بخير أو شر . وفيه معنى الخوف لان الناذر يعقد على نفسه خوف التقصير في الامر ، ومنه نذر الدم وهو العقد على سفك الدم للخوف من مضرة صاحبه ، و منه الانذار .

وفي الشرع هو : عقد المرء على نفسه فعل شيء مباح والالتزام به لله تعالى من غير شرط ولا جزاء لاطلاق الايات الكريمة إذ لم تذكر تعليقه على شرط ، و يجوز تعليقه على شرط ، فينعقد بقوله : « لله علي أن أصوم ثلاثة أيام » من غير تقييده بقوله : إن أتزوج أو رزقت ولداً أو داراً مثلاً كما يجوز تقييده بذلك خلافاً

لبعض الاعلام إذ ذهب إلى بطلان النذر المطلق .

ثانيها ـ في صيغة النذر وهي أن يقول الناذر : « لله عليّ أن أفعل كذا من صوم أو صدقة أو حج أو إغاثة ملهوف وما إليها من وجوه البر . . . » على طريق الاطلاق ، أو مقيداً بالشرط من حصول أمر واجب أو مندوب أو مباح أو إنزجار عن مكروه أو محرم . فيقول : « ان كان كذا فعليّ كذا » من الطاعات أو صالح الاعمال أو ترك المكروهات أو المحرمات . . .

و ههنا مسائل :

مسئلة ١ - ان النذر عبادة لفظية لابد من الصيغة وهي ما كان مفادها إنشاء الالتزام بفعل راجح أو ترك مرجوح لله تعالى لقوله سبحانه: « إذ قالت إمرأة عمران رب انى نذرت لك ما في بطني محرراً » آل عمران : ٣٥) وقوله تعالى : «فقولى انى نذرت للرحمن صوماً » مريم : ٢٦)

فلا تكفى النية القلبية مع القدرة على أداء الصيغة وان كانت لابد من النية مع الصيغة ، فيشترط في النذر النطق والقربة .

مسئلة ٢ - لايعتبر في الصيغة قول : « لله » بالخصوص ، بل يجزى غير هذا الاسم من أسماء الله تعالى المختصة بالله جل وعلا بأن يقول : « للرحمن عليّ أن أصوم » مطلقاً أو مقيداً لقوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام : « انى نذرت للرحمن صوماً » وقول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » .

مسئلة ٣ - يكفى الضمير مكان الاسم بأن يقول : « عليّ أن أصوم لك » أو « لك عليّ أن أصوم يوماً » على طريق الخطاب لله تعالى ، لقوله جل وعلا حكاية عن ام مريم : « انى نذرت لك » . وأما الاكتفاء بضمير الغيبة فغير بعيد .

مسئلة ٤ - ينعقد النذر بما يرادف القول المذكور من كل لغة خصوصاً لمن لايحسن العربية .

مسئلة٥- لوقال : « نذرت لله أن أصوم » أو « لله عليّ نذرصوم يوم » ينعقد على الاصح .

مسئلة٦- لو اعتقد النذربالضميرمن غيرنطق لم ينعقد ، و لكن الاحتياط لا يترك .

مسئلة٧- لوقصد الناذرمنع نفسه عن شيء بالنذرلا التقرب لم ينعقد .

مسئلة٨- لابد أن يكون الشرط سائغاً .

مسئلة٩- لاينعقد النذر بالطلاق والعتاق .

مسئلة١٠ - لاينعقد نذرالمعصية ولايجب به كفارة كمن نذرأن يذبح ولده أو غيره من المحرم ذبحه أو ينهب مالاً بغيرحق أو يشرب خمراً أويفعل محرماً أويترك واجباً .

مسئلة ١١- انما ينعقدالنذرفى طاعة إما واجب أومندوب أومباح يترجح فعله أو يتساوى فعله وتركه على قول .

مسئلة ١٢- لاينعقد النذرفيماكان فعله مرجوحاً .

مسئلة ١٣- لوقال : « عليّ نذر» من غيرذكرالمنذورلاينعقد لصحيحةأبى بصيرقال : سئلت أباعبدالله عليه السلام يقول : عليّ نذرقال: ليس بشيء حتى يسمى شيئاً ويقول : عليّ صوم لله أويصدق . . .

ثالثها - فى الناذروفيه مسائل :

مسئلة١- يشترط فى الناذرالبلوغ والعقل والاسلام والاختياروالقصد إلى مدلول الصيغة ، وإنتفاء الحجرفى متعلق نذره .

فلاينعقد نذرالصبى وإن كان مميزاً وبلغ عشراً ، ولاالمجنون على قسميه. نعم يصح من الادوارى حال إفاقته والوثوق بعقله ، ولا الكافر بأقسامه لتعذرنية القربة فى حقه على وجهها و إشتراطها فى النذر . نعم يستحب له الوفاء لو أسلم . ولونذر الناذرمكرهاً أوغيرقاصد لسكرأو إغماء أونوم أوغضب دافع للقصد أو

غفلة لم يقع . ولا السفيه المحجور عليه إن كان المنذور مالاً ولو في ذمته ، ولا المفلس المحجور عليه إن كان المنذور من المال الذى حجر عليه وتعلق به حق الغرماء .

مسئلة٢- يشترط فى نذر المرأة بالتطوعات إذن الزوج ، و لا يصح نذر الزوجة مع منع الزوج ، وإن كان متعلقاً بما لها ، و لم يكن العمل به مانعاً من حقه ، ولو أذن فنذرت انعقد ، وليس بعد ذلك حلّه ولا المنع عن الوفاء به. لما فى الفقيه باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ليس للمرأة مع زوجها أمر فى عتق ولا صدقة ولا تدبير ولا هبة ولا نذر فى مالها إلاّ باذن زوجها إلاّ فى حج أو زكاة أو برّ والديها أو صلة رحمها .

مسئلة٣- يشترط فى نذر المملوك إذن المولى ، فلو بادر لم ينعقد ، و إن تحرر لوقوعه فاسداً ، وإنتفاء أهلية ذمته للالتزام بشىء بغير إذن المولى ، مضافاً إلى عموم أدلة الحجر عليه من الكتاب والسنة ، وخصوص المروى فى قرب الاسناد ان الامام أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يقول : « وليس على المملوك نذر إلاّ أن يأذن له سيده » فان أجاز المالك لزم .

مسئلة٤- يشترط أن يكون الناذر قادراً ، فلو نذر الصوم الشيخ العاجز عنه لم ينعقد .

مسئلة٥- لا يشترط نذر الولد باذن والده على الاظهر ، و ليس له حلّه ولا منعه عن الوفاء به

الفصل الثانى فى أقسام النذر :

ان النذر ينقسم على قسمين :

احدهما - النذر المطلق ويقال له: نذر تبرّع إذ لا يعلق على شرط ولا جزاء.

كأن يقول الناذر : « لله علىّ أن اصلى على محمد و آله فى كل جمعة مأة مرة » و هو صحيح لازم لقوله تعالى حكاية عن ام مريم عليها السلام «انى نذرت لك ما فى بطنى

محرراً »إذ أطلق نذرها ولم يذكر تعليقه على شرط .

ثانيهما ـ النذر المشروط أو المعلق و هو على ضربين: الاول : نذر برّ ويقال له: نذر مجازاة وهو ما علق على أمر إما شكراً لنعمة دنيوية يرجوها كأن يقول: «ان رزقت زوجة صالحة او داراً واسعة أو ولداً صالحاً فلله عليّ كذا » أو شكراً لنعمة اخروية كأن يقول :«إن وفقت لزيارة بيت الله الحرام فلله عليّ كذا » واما إستدفاعاً لبلية كأن يقول :« إن عافاني الله أو دفع عني المكروه فلله عليّ كذا».

فهذا النذر مركب من شرط وجزاء ،فالشرط ماطلب والجزاء مابذل والتزم به ،فا لشرط شرطه أن لايكون معصية لقول النبي ﷺ :«لانذر في معصية »على دلالته بالمفهوم على ثبوت النذر مع عدم المعصية ، وأن يكون الجزاء طاعة ومقدوراً.

والثاني :نذر زجر ،ويقال له :نذر لجاج وغضب ،وهو ما علق على فعل حرام كأن يقول :«إن تعمدت الكذب أو الغيبة فلله تعالى عليّ كذا »أو مكروه زجراً للنفس عن إرتكابهما كأن يقول:«إن أكلت الجبن أو التفاح المرّ فلله عليّ كذا» أو على ترك واجب او مستحب زجراً لها عن تركهما كأن يقول :«إن تركت الفريضة في وقتها أو في أول وقتها أو تركت نافلة الليل فلله عليّ أن اصلي على محمد وآله ألف مرّ في كل يوم» و الغرض في ذلك كله منع نفسه عن فعل أو يوجب عليها .

وههنا مسائل :

مسئلة ١ ـ ان المعلق عليه في نذر المجازاة إما أن يكون من فعل الناذر أو من فعل غيره أو من فعل الله جل وعلا ، ولابد في الجميع من أن يكون أمراً صالحاً لان يشكر عليه حتى يقع المنذور مجازاة له .

فان كان من فعل الناذر ،فلابد وأن يكون طاعة لله تعالى من فعل واجب أو مندوب أو ترك حرام أو مكروه ، فيلتزم بالمنذور شكراً لله جل وعلا حيث وفقه عليها فلو علقه شكراً على ترك واجب أو مندوب أو فعل حرام أو مكروه لم ينعقد .

وإن كان من فعل غيره فلابد وأن يكون فيه منفعة دينية أودنيوية للناذر صالحة للشكر عليها شرعاً أوعرفاً ، ولاينعقد فى عكسه كأن يقول :«إن شاعت الفاحشة بين الناس فلله عليّ كذا ».

وإن كان من فعل الله تعالى لزم أن يكون أمراً يسوغ تمنّيه ،ويحسن طلبه منه جل وعلا كشفاء مريض أوهلاك عدوّ دينى أوأمن فى البلاد ونحوها فلاينعقد فى عكسه كأن يقول : «إن أهلك الله هذا المؤمن بغير حق »أو« إن وقع القحط فى البلاد فلله عليّ كذا» .

مسئلة ٢ ـلابد وأن يكون الشرط أو المعلق عليه فى نذر الزجر فعلاً أو تركاً إختيارياً للناذر ،وأن يكون صالحاً لان يزجر عنه حتى يقع النذر زاجراً عنه كفعل حرام أومكروه أوترك واجب أومندوب كأن يقول : « إن زنيت او بعت دارى» مع مرجوحيّة البيع أو«إن تركت فريضة أونافلة الليل فلله عليّ كذا

مسئلة ٣ ـإن كان الشرط فعلاً إختيارياً للناذر ، فالنذر المعلق عليه قابل لان يكون نذر المجازاة ،وأن يكون نذر الزجر ،والمائز هوالقصد كأن يقول . «إن شربت الخمر فلله عليّ كذا »وكان فى مقام زجر النفس وصرفها عن الشرب و إنما أوجب على نفسه شيئاً على تقدير شربه ليكون زاجراً عنه ،فهونذر زجر فينعقد، وإن كان فى مقام تنشيط النفس وترغيبها ،وقد جعل المنذور جزاء لصدوره منه وتهيّىء أسبابه له كان نذر شكر فلاينعقد .

الفصل الثالث فى متعلق النذر : وههنا مسائل :

مسئلة ١ ـيشترط أن يكون متعلق النذر مطلقاً طاعة لله تعالى أومباحاً راجحاً ومقدوراً للناذر بمعنى صلاحية تعلق قدرته به عادة فى الوقت المضروب له فعلاً أوقوة ،فان كان وقته معيناً اعتبرت فيه ،وإن كان مطلقاً فالعمر .

فلاينعقد نذر غير الطاعة ولا المرجوح ولاغير المقدور للناذر كالجمع بين النقيضين أونذر حج ألف سنة لتعذره عادة ،فاذا نذر الفقير صدقة بمال أو الحائض

صوماً مطلقاً أو في وقت يمكن فعله فيه انعقد .

وان متعلق النذر على أقسام ثلاثة :

أحدها ـ كل عبادة مقصودة كالصلاة والصوم والحج والصدقة والعتق ما إليها مما يعتبر في صحتها القربة ، فيلزم بالنذر كما يلزم بالزام الله تعالى سواء كان مندوباً أو فرض كفاية كتجهيز الموتى والجهاد أو فرض عين .

ثانيها ـ القربات التي ندب إليها الشرع ويصح التقرب به كعيادة المرضى وإفشاء السلام وزيارة القادم وتجديد الوضوء وزيارة المؤمنين وتشييع الجنازة . . . فتجب بالنذر .

ثالثها ـ المباحات كالاكل والشرب فتجب بالنذر لو قصد التقوى بها على العبادة وصالح الاعمال ، أو منع النفس من أكل الحرام أو من الشهوة ، فينعقد النذر بلا إشكال ، كما لا إشكال في عدم الانعقاد فيما إذا صار متعلقه فعلاً أو تركاً بسبب اقترانه ببعض العوارض مرجوحاً ولو دنيوياً ، ولو لم يقصد بهاما يصيّرها راجحاً ففي إنعقاده إشكال ولكن الاحتياط لا يترك لعموم الاية الدالة على وجوب الوفاء بالنذر .

مسئلة ٢ ـ لو نذر صلاة ينصرف الاطلاق إلى الحقيقة الشرعية ، وهي ذات الركوع والسجود دون صلاة الميت والدعاء إلا مع القصد .

مسئلة ٣ ـ لو نذر الصلاة في الاوقات المكروهة لزم ، فان ماهية الصلاة طاعة والمكروه ايقاعها في ذلك الوقت ، فينعقد النذر على ماهية الصلاة دون الوصف الخارج عن ماهيتها وهو ايقاعها في الوقت المكروه ، فلو أوقعها في غيره أوفيه وفى بنذره .

مسئلة ٤ ـ لو نذر صلاة ونوى فريضة تداخلتا ولو نوى غيرها لم تداخلتا ، ولو أطلق ففي الاكتفاء بالفريضة على القول بجواز نذر الفريضة إشكال ، ولكن الاقوى هو الانعقاد لعموم الاية وقول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : «من نذر أن يطيع الله

فليطعه » .

مسئلة ٥-لو نذر الطهارة لم يكتف بالتيمم إلا مع تعذر الماء .

مسئلة ٦ -لو نذر ركوعاً أوسجوداً إحتمل البطلان لانه لايتعبد بالركوع وحده في الشرع ولابالسجود وحده إلا في مواضع خاصة ،فلايلزم غيرها ،واحتمل وجوب مانذره خاصة وايجاب ركعة ،والاحتياط لايترك لقوله تعالى :« واركعوا واسجدوا »فهوطاعة وكل طاعة يصح نذرها لما تقدم ، و أما وجوب الركعة لانه قصد بهالطاعة فيجب ،وشرطه أن يكون في ركعة، فيجب مايتوقف عليه كما لو نذر صلاة فانه يجب الطهارة لانها شرطها .

مسئلة ٧-لو نذر إتيان مسجد لزم لان القصد إلى المسجد في نفسه طاعة ، و كل طاعة يصح نذرها من غير ايجاب صلاة أوعبادة فيه .

مسئلة ٨ -لو نذر فعل طاعة ولم يعين تصدق بشيء أوصلى ركعتين أوصام يوماً أوتصدق برغيف أو كف من بر غليظ عليه أوشدد ،وفي الاكتفاء بتسبيحة واحدة أو الصلاة على محمد و آله صلوات الله عليهم قول .

مسئلة ٩-لو نذر صلاة فأقل مايجزيه ركعتان ،ولاتكفي ركعة واحدة للنهي عن البتراء ، و لايجب أكثر .

مسئلة ١٠-لو نذر خمس ركعات بتسليم واحد لاينعقد ، وإن اطلق فيجب عليه ثلاث ركعات بتسليم ، وله الخيار في تقديم الثلاث على الركعتين والعكس.

مسئلة ١١ -لو نذر صوم يوم بعينه فاتفق لهالسفر أفطر وقضاه ، و كذا لو حاضت المرأة أو نفست ،ولو كان عيداً أفطر ولاقضاء و كذا لو عجزه عن صومه ،و لكن يجب عليه أن يتصدق لكل يوم بمد من حنطة .

مسئله ١٢ -لو نذر صوم حين كان عليه ستة أشهر ،ولوقال زماناً فخمسة .

مسئلة ١٣ -- لو نذرصوم بعض يوم بطل ،إذلايجب صوم بعض يوم وباقيه غير منذور فلا يصح .

مسئلة ١٤ -- من نذرصوم يوم معين لايحرم عليه السفروان كان غير ضروری في ذلك اليوم فعليه القضاء إذا رجع ولا كفارة عليه .

مسئلة ١٥ - لو نذر صوماً ولم يعيّن العدد كفى صوم يوم .

مسئلة ١٦ -- لو نذر صوم عشرة أيام مثلاً ،فان قيّده بالتتابع أوالتفريق تعيّن وإلاّ تخيّر بينهما ،وكذا لو نذر صيام سنة فان الظاهر انه مع الاطلاق يكفى صوم إثنى عشر شهراً ولومتفرقاً ولو نذر صوم شهر لم يجب فيه التتابع ،أوالتفريق ولو قيده بأحدهما وجب .

مسئلة ١٧ - لو نذر الصوم فى بلدمعين أجزأ أين شاء إذا لا يحصل للصوم بكونه فى هذا المكان صفة زائدة على صفاته فى نفسه ،فلا وجه لترجيح ايقاعه فى البلد المذكور إلاّ أن يكون للبلد ترجيح على سائر البلاد كالمشاهد المشرفة .

مسئلة ١٨ -- لو نذر صوم الدهر سفراً وحضراً انعقد، ولم يدخل رمضان فى السفر بل يجب إفطاره ويقضيه لانه كالمستثنى بقوله تعالى :« فعدة من أيام اخر »

مسئلة ١٩ -- لو نذر صوم يوم معين فأفطر عمداً يجب قضاؤه مع الكفارة و لو نذر إن برأ مريضه أوقدم مسافره صام يوماً مثلاً ، فبان ان المريض برأ أوالمسافر قدم قبل النذر لم يلزم .

مسئلة ٢٠ - لو نذر ايقاع حجة الاسلام فى عام متأخر عن عام الاستطاعة بطل، ولو نذره بعام إستطاعته إنعقد ، فان أخل لزمه مع الاثم الكفارة .

مسئلة ٢١ - لو نذر الحج ما شياً من بلده مع القدرة وقلنا : المشى أفضل من الركوب انعقد الوصف وإلاّ فلا ، ويلزمه المشى من بلده لفعل الأئمة: الحسن بن على وعلى بن الحسين وموسى بن جعفر صلوات الله عليهم أجمعين ومواظبتهم على ذلك مع استصحابهم للمحامل والجمال والبغال والرحال، ولقول النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل الاعمال أحمزها .

مسئلة ٢٢ - لو نذر المشى ثم عجز فان كان النذر معيناً بسنة ركب ويستحب

أن يسوق بدنة، إذلاتجب الكفارة على العاجز .

مسئلة ٢٣- لو نذر الحج ماشياً من موضع النذرأوالميقات إنعقد .

مسئلة ٢٤- لو نذر الحج من غير تقييده بالمشى أو الركوب انعقد أصل النذر، فله الخيار فيهما ولوقيد بأحدهما لزمه .

مسئلة ٢٥- لو نذر الحج فى عامه، فتعذربمرض لاقضاء كمالاقضاءلو تعذّر بالصدّ .

مسئلة ٢٦- لو نذر ان رزق ولداً أن يحج به أوعنه ثم مات حج بالولدأو عنه من أصل ماله .

مسئلة ٢٧- لو نذرأن يحجّ ولم يكن له مال ، فحجّ عن غيره ففى إجزائه عنهم إشكال .

مسئلة ٢٨- لو نذرأن يحجّ راكباً ، فحجّ ماشياًمع القدرة يحنث فتجب به الكفارةلا القضاء .

مسئلة ٢٩- لوأفسد الحج المنذورماشياً فى سنة معينة لزمته الكفارة والقضاء ماشياً .

مسئلة ٣٠- لونذرغير المستطيع الحج فى عامه ثم استطاع بدأ بالنذر و كذا الاستيجار .

مسئلة ٣١- لو نذر المستطيع الصرورة الحج فى عامه و نوى حجة الاسلام تداخلتا ، وإن نوى غيرها فان قصد مع فقد الاستطاعة إنعقد ، و ان قصد معهالم ينعقد ، وإن اطلق ، ففى الانعقاد إشكال ، ولو أخلّ بحجة الاسلام والنذرفى عامه وجب عليه حجتان ان انعقد النذر، و كفارة خلف النذرو كل موضع لاينعقدفيه النذرلايجب غير قضاء حجة الاسلام .

مسئلة ٣٢- لو نذرزيارة أحد الائمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين أوبعض الصالحين لزم ، ويكفى الحضوروالسلام على المزورمن غير وجوب غسل

الزيارة وصلاتها مع الاطلاق و عدم ذكرهما فى النذر ، و إن عيّن إماماً عليه السلام
لزمه متعيناً ولا يكفى زيارة غيره من الائمة المعصومين عليهم السلام بدلاً عنه ،
وإن عيّن للزيارة زماناً تعيّن، فلو تركها فى وقتها عامداً حنث ويجب عليه الكفارة
من غير وجوب القضاء ولكن الاحتياط لايترك .

مسئلة ٣٣- إذا نذر هدى بدنة إنصرف الاطلاق إلى الكعبة لقوله تعالى :
« هدياً بالغ الكعبة » وقوله : « ثم محلها إلى البيت العتيق » ولو نوى منى أو
ذكرها لفظاً لزم .

مسئلة ٣٤- إذا نذر نحر الهدى بمكة أو بمنى لزم لان النحر أو الذبح بهما
عبادة معهودة و يلزم تفريقه بهما على المساكين لان إطلاق الهدى يقتضى ذلك
قال الله تعالى : « هدياً بالغ الكعبة » وينصرف إطلاق الهدى إلى مكة ومنى إلى
النعم وليجزيه أقل ما يسمى هدياً منها .

مسئلة ٣٥- إذا نذر أن يهدى عبده أو جاريته أو دابته بيع ذلك و صرف
فى مصالح البيت أو المشهد الذى نذر له وفى مؤنة الحاج أو الزائرين .

مسئلة ٣٦- إذا نذر إهداء بدنة إنصرف إلى انثى الابل و كل من وجب عليه
بدنة فى نذر ولم يجد لزمه بقرة ، فان لم يجد فسبع شياة .

مسئلة ٣٧- إذا نذر لتقرب بذبح شاة بمكة لزم ولو لم يذكر لفظة التقرب
ولا التضحية لعموم قوله تعالى : « يوفون بالنذر » .

مسئلة ٣٨- إذا نذر أن يستر الكعبة أو يطيبها وجب و كذا مسجد النبى
الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والاقصى .

مسئلة ٣٩- اذا نذر ضحية معينة زال ملكه عنها ، فان أتلفها ضمن قيمتها ،
ولو عابت نحرها على مابها إذا لم يكن عن تفريط ، ولو ضلّت أو عطبت كذلك لم
يضمن ، ويضمن مع تفريط ، ولو ذبحها يوم النحر غيره ونوى عن صاحبها أجزأته
وإن لم يأمره به ، وإن لم ينو عن صاحبها لم يجزعنه ، ولا يسقط إستحباب الاكل

بالنذر .

مسئلة ٤٠ - ليس لمن نذر الحج أو الزيارة ماشياً أن يركب البحر أو يسلك طريقاً يحتاج الى ركوب السفينة ونحوها ، ولولاجل العبور من الشط و نحوه ولو انحصر الطريق فى البحرفان كان كذلك من أول الامر لم ينعقد النذر و إن طرأ ذلك بعد النذرفان كان النذر مطلقاً وتوقع المكنة من طريق البر والمشى منه فيما بعد انتظر ، وإن كان معيّناً وطرء ذلك فى الوقت أو مطلقاً و يأس من المكنة بالمرة سقط عنه ولا شيء عليه .

مسئلة ٤١ - لوطرء لناذر المشى العجزعنه فى بعض الطريق دون البعض الاحوط لولم يكن الاقوى أن يمشى مقدارما يستطيع ويركب فى البعض ولاشىء عليه ، ولكن الاحتياط له سياق بدنة ، ولو اضطرّ إلى ركوب السفينة ، فالاحوط أن يقوم فيها بقدر الامكان .

مسئلة ٤٢ - من نذرأن يخرج شيئاً من ماله فى سبيل الخير تصدق به على فقراء المؤمنين أوفى حج أو زيارة أو مصالح المسلمين كبناء قنطرة أو عمارة مسجد أوحسينية أومدرسة دينية وما إليها من وجوه الخيروصالح الاعمال . . .

مسئلة ٤٣ - إذا نذرأن يتصدق وأطلق لزمه أقل ما يسميه صدقة ، ولوقيّده بمعين لزم ولايجزى مثله أوقيمته مع وجوده ، ومع التلف ، فان كان باتلاف منه عمداً ضمنه بالمثل أو القيمة مع الكفارة والاّ إنحلّ النذر ولاشيء عليه .

مسئلة ٤٤ - لو نذر بمال كثيرمن غير تعيين المقدارلزمه ثمانون درهماً ، ولوقال : خطير أوجليل أوجزيل أوعظيم ، فله الصدقة بأقل ما يتموّل .

مسئلة ٤٥ - لوعيّن موضع الصدقة لزمه ، وصرفها فى أهله و من حضره ، فان صرفها فى غيره أعاد الصدقة بمثلها فيه ، ثم إن كان المال ، معيّناً كفّر و إلاّ فلا ، ولايجزيه لوصرفها فى غيره على أهل بلد النذرعلى إشكال إذلم يأت بالمنذور ، فيبقى فى عهدة التكليف .

مسئلة ٤٦- لو نذر أن يتصدق بجميع ما يملكه لزمه ، فان خاف الضرر أوشق عليه قوّم الجميع بقيمة عادلة على ذمته ، ثم يصدّق شيئاً فشيئاً حتى يتصدق بقدر القيمة ويحسب منها ما يعطى إلى الفقراء والمساكين وأرحامه المحتاجين، ويقيّد ذلك فى دفتر إلى أن يوفى التمام ، وله أن يتعيش فى المال وأن يتكسب به والكسب له ، وهل يجب أن يتصدق بمالا يتضرر به ثم يقوّم المتضرر به إشكال،فان بقى منه شيء اوصى بأن يؤدّى مما تركه بعد موته .

مسئلة ٤٧- لو نذر وأطلق لايتقيّد بوقت ولو قيّده بوقت أومكان لزم .

مسئلة ٤٨- لو نذر الصدقة على أقوام بعينهم لزم وإن كانوا أغنياء ، فان لم يقبلوا فالاقرب بطلان النذر لتعذر المنذور ، فان الصدقة عليهم موقوفة على قبولهم

مسئلة ٤٩- إذا نذر صرف زكاته الواجبة إلى قوم بأعيانهم من المستحقين لزم ، وهل له العدول إلى الافضل كالافقر والاعدل ؟ الاقرب المنع لعموم أدلة وجوب الوفاء بالنذر، وإن كان الافضل مشتمل على الفضيلة وزيادة .

مسئلة ٥٠- إذا نذر الصدقة بشيء معين لم يجز غيره ، ولاتجزى القيمة لو نذر جنساً .

مسئلة ٥١- لو نذر الصدقة فأبرأ غريماً مستحقاً بنية التصدق أجزء .

مسئلة ٥٢- إذا نذر الصدقة على شخص معين لزم و لا يملك المنذور له الابراء منه ، فلا يسقط عن الناذر بابرائه ، وهل يلزم على المنذور له القبول ؟ الظاهر لا، فينحل النذر بعدم قبوله للتعذر ، و أما إذا امتنع ثم رجع إلى القبول فيعود النذر ويجب التصدق عليه على الاحوط .

مسئلة ٥٣- لومات الناذر قبل وفائه بالنذر لخرج من أصل تركته ، و كذلك كل نذر تعلّق بالمال كسائر الواجبات المالية .

مسئلة ٥٤- لومات المنذور له قبل أن يتصدق عليه قام وارثه مقامه على الاحوط سيما إذا كان متعلق النذر إعطاء شيء معين فمات قبل قبضه .

مسئلة ٥٥- إذا نذر شيئاً لمشهد من المشاهد المشرفة صرفه فى مصالحه من عمارته وإنارته وفى شراء فراش له وما إليها من شئونه . . .

مسئلة ٥٦- لو نذر شيئاً لاحد المعصومين أو بعض أولادهم صلوات الله عليهم أجمعين كما إذا نذر شيئاً للامام أمير المؤمنين على أو سيد الشهداء الحسين أو العباس عليهم السلام ، فالظاهر جواز صرفه فى سبل الخير بقصد رجوع ثوابه إليهم آلاف التحية والثناء من غير فرق بين الصدقة على المساكين وإعانة زائريهم وغيرهما من وجوه الخير كبناء المسجد وإحداث القنطرة والجادة وبناء الحسينية وإقامة مجالس تعازيهم . . . هذا مالم يكن فى قصد الناذر جهة خاصة أو لم يكن منصرفاً إليها وإلا اقتصر عليها .

مسئلة ٥٧- لو عيّن شاة أو بقرة للصدقة أو لاحد الائمة عليهم السلام أو لمشهد من المشاهد المشرفة يتبعها نمائها المتصل كالسمن ، و أما المنفصل كالصوف والحمل واللبن فالاحوط هو الاتباع .

مسئلة ٥٨- إذا عجز الناذر عن المنذور فى وقته إن كان موقتاً ، ومطلقاً إن كان مطلقاً إنحل نذره وسقط عنه ، ولاشىء عليه إلا إذا نذر صوماً فعجز عنه تصدق عن كل يوم بمدين من الطعام على الاحوط .

مسئلة ٥٩- إذا نذر عتق مسلم لزمه .

مسئلة ٦٠- لو نذر عتق كافر غير معين لم ينعقد ، وفى المعين قولان ، و يجزى الصغير والكبير والمغيب الذى غير موجب للعتق والذكر والانثى .

مسئلة ٦١- لو نذر أن لا يبيع مملوكه لزم ، فان إضطر إلى بيعه جاز على رأى .

مسئلة ٦٢- لو نذر عتق كل عبد له قديم لزم إعتاق من مضى فى ملكه ستة أشهر ولو قصر الجميع عن هذه المدة صرف إلى الاسبق .

مسئلة ٦٣- لو نذر عتق أول مملوك يملكه ، فملك جماعة فان قصد عتق

الواحد عيّنه بالقرعة ، وإن قصد عتق كل مملوك ملكه أو لافعليه عتق الجميع

الفصل الرابع في وجوب الوفاء بالنذر و كفارته :

أما الاول : فتدل عليه الايات الكريمة . . . منها قوله تعالى : « يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً » الانسان : ٧) ودلالة الاية على وجوب الوفاء بالنذر ورجحانه من وجوه :

أحدها - انها خرجت مخرج المدح لهؤلاء الابرار وهم الامام أمير المؤمنين علي وفاطمة الزهراء وسبطا المصطفى الحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، وذلك دليل على رجحان الوفاء بالنذر .

ثانيها - ان في إرداف الوفاء بخوف شر يوم القيامة دلالة على وجوب الوفاء فان المندوب لايخاف من تركه العقاب .

ثالثها - ان الوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفّر على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله تعالى كان بما أوجبه الله جل وعلا عليه أوفى ، و كذلك ورد الايفاء في مواضع ، فيدل على وجوب الوفاء بالنذر .

و منها : قوله تعالى : « وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار » البقرة : ٢٧٠) ودلالة الاية على ذلك من وجوه أيضاً :

أحدها - انها تدل على أن بالنذر يلزم الشيء كما يلزم بالزام الله تعالى لانه قرنه بالانفاق الذي أمر الله جل وعلا به إذ قال : « انفقوا من طيبات ما كسبتم» البقرة : ٢٦٧) ولا يبعد دلالتها على إستحباب فعل النذر إن كان المنذور طاعة وتحريمه إن كان معصية ، حيث قرنه بالانفاق المرغوب والمرهوب ووعد فاعله بالاجر إذا فعله على الوجه المرضي ، وأوعد بالعقاب على عدمه بانه تعالى يعلمه .

ثانيها - انها تدل على وجوب الوفاء بالنذر لتسمية من يخالفه ظالماً على ما هو الظاهر .

ثالثها - ان في ذكر العلم بعد الانفاق والنذر و إردافه بالظلم بسبب المخالفة

دلالة على وجوب الوفاء بالنذر .

وقد اتفق الفقهاء وأجمع المسلمون على صحة النذر ووجوب الوفاء به في الجملة .

و أما كفارة النذر فههنا مسائل :

مسئلة ١ - ان كفارة النذر هي كفارة من أفطر شهر رمضان عمداً على أصح الاقوال رواية : من تحرير رقبة ، و مع التعذر فصوم شهرين متتابعين ولو تعذر فاطعام ستين مسكيناً ، و كفار اليمين على المشهور: من إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة مخيراً بين الثلاث . بمعنى انه : إذافات الوقت الذي نذر فيه صار بمنزلة الحنث .

فالنذر كاليمين في أنه إذا تعلق بايجاد عمل من صوم أو صلاة أو صدقة أو غيرها فان عيّن له وقتاً تعيّن ويتحقّق الحنث ، و تجب الكفارة بتركه فيه ، فان كان صوماً أوصلاة يجب قضاؤهما على الاقوى و كذلك غيرهما على الاحوط ، وان كان مطلقاً كان وقته العمر ، و جاز له التأخير إلى أن يظن بالوفاة ، فيتضيق الحنث بتركه مدة الحياة .

هذا إذاكان المنذور فعل شيء ، وإن كان ترك شيء ، فان عيّن له الوقت كان حنثه بايجاده فيه ولو مرة ، وإن كان مطلقاً كان حنثه بايجاده مدة حياته ولو مرة ، ولو أتى به تحقق الحنث وانحلّ النذر .

مسئلة٢ - إذا نذر معصية لم ينعقد ، ولايجب به كفارة كمالو نذرأن يزني أو يشرب خمراً أوقتل نفساً بغيرحق أويترك فرضاً فكل ذلك لغولا ينعقد .

مسئلة ٣ - إنما يتحقق الحنث الموجب للكفارة بمخالفة النذر عمداً و إختياراً فلوأتى بشيء تعلق النذربتركه نسياناً أوجهلاً أو اضطراراً أو إكراهاًلم يترتب عليه شيء ، بل الظاهر عدم إنحلال النذربه ، فيجب الترك بعد إرتفاع العذرلو كان النذرمطلقاً أوموقتاً وقد بقي الوقت .

﴿ بحث مذهبى ﴾

قال الله تعالى : « إناهديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » الانسان : ٣) وفى الاية الكريمة ردّ على المجبرة من أهل السنة .

وذلك لان الاية الكريمة تعنى هداية شاملة وإرشاد عام لجميع الناس على مختلف الامم والطوائف . . . كقوله تعالى : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى» فصلت : ١٧) وقوله جل وعلا : «والله يقول الحق وهو يهدى السبيل» الاحزاب : ٤) إذ ركب فى هذا الانسان قدرة تفكيرية يستطيع بها تميز الحق من الباطل ،الخير من الشر، الصواب من الخطاء ، الحسن من القبيح ، النفع من الضر ، الصلاح من الفساد ، وتميز طريق الهدى من سبل الضلالة . . .

وان العقل رسول باطنى ، وانما جاء الانبياء عليهم السلام إلى البشرية ليؤيد وا ما هداهم إليه نور العقل وهو حجة الله تعالى ودليله المتركب فى صميم الانسان ولولاه لم ينفع هدى رسول ولا إرشاد نبى .

فتدل الايات الكريمة على أنه جل وعلا تكفل لهذا الانسان هدايته إلى طرق الصلاح والفساد ، وإن كان قد أمره باتباع طرق الخير والنجاح ، فعليه تعالى أن يهدى قاصد السبيل إطلاقاً غير ان منها جائراً نهى عن إتباعها إذ قال : «وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر» النحل : ٩) وإن كان قد أقدر على الاختيار لحكمة التكليف والاختبار .

فالسبيل الذى هدى الله تعالى الانسان سبيل إختيارى لما أودع فيه قابلية

التمييز و إختيار السبيل الذي يسير فيه ليختبره في سيره و إختياره ليظهر إما أن يكون شاكراً بالاجابة والعمل وإما أن يكون كفوراً بالاعراض والاثم .

فالشكر والكفر اللذان يترتبان على هذه الهداية واقعان في مستقر الاختيار للانسان ، فله أن يتلبس بأيهما شاء من غير إكراه ولا إجبار ، وإلى ذلك أشار تعالى في أواخر هذه السورة بقوله : « فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً » ٢٩) مع الدلالة على أن الاستطاعة قبل الفعل .

فدعوة الانبياء عليهم السلام هي تذكير للانسان و ايقاظ ، وليست بقصد الاجبار والابرام ، فمن شاء تذكر واتعظ فسلك سبيل الهدى و استحق رضا الله تعالى ،ومن شاء أعرض وانحرف وأجرم وتلبس بالاثم فكان له الذلة والعذاب الاليم

ومن ذلك كله ظهر فساد تأويل المجبرة من أهل السنة هذه الاية الكريمة إلى معنى : هديناه السبيل ثم جعلناه تارة شاكراً وتارة كفوراً . والمراد بالشكر الاقرار بالله وبالكفر إنكاره حتى لا يكون بين الفريقين واسطة . كما في تفسير النيشابوري .

و **قد تشبثت المشبهة من الأشاعرة** بقوله سبحانه حكاية عن هؤلاء الابرار المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين : « انما نطعمكم لوجه الله » الانسان : ٩) على أن الله سبحانه أعضاء وجوارح . . وحكي عن داود الجواربي انه قال : اعفوني عن الفرج واللحية و اسئلوني عما وراء ذلك . وقال : ان معبوده جسم ولحم و دم وله أعضاء وجوارح من وجه ورأس ولسان وعينين واذنين وله يدان ورجلان...

أقول : تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهو جل وعلا يقول : « ليس كمثله شيء » الشورى : ١١) وان الاية الكريمة بريئة منهم ومن أقاويلهم السخيفة ،إذ لادلالة لها على ثبوت وجه له سبحانه حتى في ظاهر تعابيرها البديعة فضلاً عن إمكان تأويلها إلى ما يتوافق . وانما المراد بالوجه الذي اضيف إلى الله تعالى هو القصد بان المقصود من هذا الاحسان ليس سوى التقرب والزلفى إلى الله جل وعلا ،فهو

تعالى المقصود بالذات لا المكافئة ولا الثناء كقوله تعالى: «وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله» الروم: ٣٩) أى خالصة لله تعالى وقوله جل وعلا: «ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله» النساء: ١٢٥) أى أخلص قصده إلى الله تعالى.

وقد استدلت المجبرة من أهل السنة بقوله تعالى: «وماتشاؤن إلا أن يشاء الله» الانسان: ٣٠) على مذهبهم السخيف: وقالت: ليس هناك إلا أحد الامرين: إما أن يكون العبد مجبوراً فى فعله: وإما التناقض فى كتاب الله تعالى والاخير منفى قطعاً، فيثبت المدعاه.

اقول: تدفع هذه الدعوى بان كل انسان من غير مراء يدرك بفطرته: انه قادر على جملة من الافعال، فيقدر أن يفعلها ويتركها، وهذا حكم فطرى لا يشك فيه أحد إلا من اعتراه شبهة من خارج، أو كان فاسد اللب، وقد أطبق العقلاء كافة على ذم فاعل القبيح ومدح فاعل الحسن، وهذا برهان على أن الانسان مختار فى فعله غير مجبور عليه عند إصداره، وكل عاقل يرى أن حركته على الارض عند مشيه عليها تغاير حركته عند سقوطه من شاهق إلى الارض.

إذ يرى انه مختار فى الحركة الاولى، وانه مجبور على الحركة الثانية، وان كل انسان عاقل يدرك بوجدانه: انه وإن كان مختاراً فى بعض الافعال حين يصدرها او يتركها الا أن أكثر مبادى ذلك الفعل خارجة عن دائرة إختياره، فان من جملة مبادى صدور الفعل نفس وجود الانسان وحياته وإدراكه للفعل و شوقه إليه، و ملائمة ذلك الفعل لقوة من قواه و قدرته على ايجاده.

ومن البيّن ان هذا النوع من المبادىء خارج عن دائرة اختيار الانسان و ان موجد هذه الاشياء في الانسان هو موجد الانسان نفسه، وقد ثبت كراراً فى خلال البحث المذهبى فى هذا التفسير إن خالق تلك الاشياء فى الانسان لم ينعزل عن خلقه بعد الايجاد، وان بقاء الاشياء وإستمرارها فى الوجود محتاج إلى المؤثر فى كل آن، وليس مثل خالق الاشياء معها مثل البنّاء الذى يقيم الجدار

بصنعه ثم يستغنى الجدارعن بانيه ، ويستمر وجوده وإن فنى بانيه ، و ليس مثل الكاتب يحتاج إليه الكتاب فى حدوثه ثم يستغنى عنه فى مرحلة بقائه وإستمراره

بل مثل خالق الاشياء معها « ولله المثل الاعلى » كتأثير القوة الكهربائية فى الضوء ، فان الضوء لايوجد إلاّ حين تمدّه القوة بتيارها ولايزال يفتقر فى بقاء وجوده إلى مدد هذه القوة فى كل حين ، فاذا انفصل سلكه عن مصدر القوة فى حين إنعدم الضوء فى ذلك الحين كأن لم يكن .

وهكذا تستمدّ الاشياء وجميع الكائنات وجودها من مبدعها الاول فى كل وقت من أوقات حدوثها وبقائها ، وهى مفتقرة إلى مدده فى كل حين ، و متصلة برحمته الواسعة التى وسعت كل شىء ، و على ذلك ففعل العبد وسط بين الجبر والتفويض ، وله حظّ من كل منهما ، فان إعمال قدرته فى الفعل أوالترك وإن كان باختياره إلاّ ان هذه القدرة و سائر المبادى ءبين الفعل تفاض من الله جل وعلا ، فالفعل مستند إلى العبد من جهة ، وإلى الله جل وعلا من جهة اخرى .

و كثيرمن الايات القرآنية ناظرة إلى هذا المعنى ، وان إختيار العبد فى فعله لايمنع من نفوذ قدرة الله تعالى وسلطانه .

ولنا أن نذكر مثلا تقريبياً لاتضاح حقيقة الأمربين الامرين الذى أشارإليه القرآن الكريم وصرّح بذلك أئمتنا أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين وتبعهم أهل الحق وهم الشيعة الامامية الاثنى عشرية وهذا :

إذا فرضنا إنساناً كانت يده شلاّء لايستطيع تحريكها بنفسه . و قد استطاع الطبيب أن يوجد فيها حركة إرادية وقتية بواسطة قوة الكهرباء بحيث أصبح الرجل يستطيع تحريك يده بنفسه متى وصلها الطبيب بسلك الكهرباء ، و إذا انفصلت عن مصدر القوة لم يمكنه تحريكها أصلاً ، فاذا وصل الطبيب هذه اليد المريضة بالسلك للتجربة مثلا وابتدأذلك الرجل المريض بتحريك يده ومباشرة الاعمال بها ـ والطبيب يمده بالقوة فى كل آن ـ فلاشبهة فى أن تحريك الرجل

لیده فی‌هذه الحال من الامر بین الامرین :

فلایستند التحریك إلی الرجل مستقلاً لانه موقوف علی ایصال القوة إلی یده وقد فرضنا انها بفعل الطبیب ، ولا یستند إلی الطبیب مستقلاً لان التحریك قد أصدره الرجل بارادته ، فالفاعل لم یجبر علی فعله لانه مرید ، و لم یفوّض إلیه الفعل بجمیع مبادئه لان المدد من غیره ، والافعال الصادرة من الفاعلین المختارین کلها من هذا النوع ، فالفعل صادر بمشیئة العبد ، ولا یشاء العبدشیئاً إلاّ بمشیئة الله جل‌وعلا .

وان الایات الکریمة تشیرإلی هذا الفرض ، وهی تبطل الجبرالذی یقول بهأکثر العامة ، لان الایات القرآنیة تثبت الاختیار للعبد ، وتبطل التفویض المحض الذی یقول به بعضهم لان الایات تسند الافعال إلی الله تعالی ، فلاجبرولا تناقض علی ما زعمته المجبرة ، ولاتفویض علی ما قالت به المفوضة ، و إنما الامر بین الامرین .

ومن ذلك یرتفع ما جاء :

فی تفسیر النیسابوری فی قوله تعالی : « ان هذه تذکرة فمن شاء اتخذ إلی ربه سبیلا » الانسان : ٢٩) قال : وفیه دلیل للقدری ، وفی قوله تعالی : «وما تشاؤن إلاّ أن یشاءالله » الانسان : ٣٠) قال : وفیه دلیل للجبری والتوفیق بینهما مفوّض إلی فهم أهل التوفیق .

اقول : ولبعض المعاصرین فی المقام کلام لایخلومن وجه إذقال :لا دلالة فی هذه الایات علی الجبرلان مشیئة الله سبحانهانما هی کنایة عن هدایة اللهتعالی وإرشاده وتوفیقه ، هذه هی الامورتبصر المفکروتمهد له سبیل الهدی ، وتنور له الارادة الحرة ، فترجح جانب الاستقامة ، وأخذ السبیل إلی‌الله جل‌وعلاوالایمان به وصالح الاعمال . . .

ألاتری ان الله سبحانه لم یقید فی‌موضع من الکتاب العزیزمشیئة الانسان

الاثم بمشيئته ، فانه لم يقل إلا أن يشاءالله تعالى فى موضع ذكر العصيان ومشيئة الانسان له ، فان الانسان بسبب ميول النفس وشهوانيتها وتزيين الشيطان المغوى يرجح جانب شهواته وملذاته . . . و بسبب نعمة العقل و هداية الله جل و علا و إرشاده ولطفه به ، و توفيقه له وتسديده إياه يرجح جانب الصلاح و إتباع الحق ، والايمان بالحقائق . . .



«أدوار الانسان و تاريخه على وجه الارض»

قال الله تعالى : «هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً» الانسان : ١)

وقد جائت كلمة « الانسان » في القرآن الكريم نحو : /٦٥ مرة في ثلاث وأربعين سورة ، وسميت هذه السورة به ، ولهذه المناسبة لابدلنا من البحث حوله تحت عناوين عديدة على طريق الاختصار ، منها ما يمس بمعنى الاية الكريمة من العنوان المذكور : وقد اختلفت كلمات العلماء قديماً و حديثاً في أدوار الانسان على وجه الارض تارة : أله دورة واحدة نحن نعيش فيها ، وليس ورائها دورة اخرى؟ أم له أدوار عديدة مضت ، و نحن في ختامها ؟ أو بقي بعضها ، فيأتي بعد دورتنا ؟. وفي ظهور هذه الدورة التي نحن فيها على ظهر الارض تارة اخرى.

وما للباحثين بذلك من علم إن يتبعون إلاّ الظن وإن الظن لايغني من الحق شيئاً ،ولكن لما طالت عباراتهم نشير إليها ملخصة :

فمنهم : من قال بانحصار الدورة التي نحن فيها .

ومنهم : من قال بالادوار العديدة ، ونحن في ختامها .

ومنهم : من قال بالثاني ولكنا في أولها .

ومنهم : من قال بالثاني أيضاً ولكنا في وسطها .

وأما تاريخ ظهور الدورة التي نحن فيها فالاقوال فيه أكثر :

١ـ كلّف ملك مصر بطليموس فيلا دلف العالم « منيتون » وهما يعيشان

قبل المسيح بنحو القرنين : أن يحدّ له أقدم عصور المصريين القدماء ، فحدّها له بنحو : ٣٥٠٠٠/ سنة .

٢- وقد حدّها المؤرخ اليونانى « ديودور الصقلى » وهو يعيش فى القرن الذى ولد فيه عيسى بن مريم عليه السلام بنحو : ٣٣٠٠٠/ سنة .

٣- وحدّها المؤرخ الخالدى « بيروز » وهو يعيش فى القرن الثالث قبل المسيح عليه السلام وهو حدّ مدة العائلات الخالدية بنحو : ٤٣٠/٠٠٠ سنة ، و حدّ ما بين الطوفان و « سميراميس » ملكة بابل بنحو : ٣٥٠٠٠/ سنة .

٤- واعتمد العلماء العصريون فى تحديد تاريخ وجود أول إنسان على وجه الارض على علم الجيو لوجيا - أى علم الطبقات الارضية - و ذلك بحساب المدة اللازمة لتكوّن الطبقة الارضية التى تفصل أعمق الهيا كل الجسمية الانسانية عن سطح الارض . فان حساب تكوّن تلك الطبقة تدريجاً سهل على الجيولوجيين إلاّ أنه لايكون من الدقة بحيث يثلج عليه الصدر ، فان تلك الرواسب الارضية لا تتكوّن على نظام واحد فى كل جهة حتى يعتمد عليها فى جهة دون جهة ، وإن كانت تدل على بعد زمن وجود الانسان على الارض .

وأما الكتب النصرانية فتحدّ ما بين الطوفان والمسيح عليه السلام بنحو :/٣٣٠٨ سنة وبنحو : ٤٠٠٤ سنة ما بين عيسى والانسان الاول ، فيكون عمر الانسان على وجه الارض فى حساب تلك الكتب نحو : ٥٩٠٠/ سنة .

وأما العلماء العصريون فيقولون : ان خمسين أو ستين قرناً لا تكفى لان يختلف النوع الانسانى فيما بينه هذا الاختلاف البيّن فى اللغات والجسوم ، و ان أقدم الآثار المصرية التى صنعت قبل نحو : أربعة آلاف سنة ترينا كثيراً من أشكال الامم ما بين إفريقية وآسيوية مصوّرة كما هى على التخالف الذى بينها فى أشكال الجماجم والانوف والشعر واللون كما هو الآن ، و لا يعقل ان تلك المدة القصيرة التى بين الطوفان ، وبين أقدم الآثار المصرية تكفى لأحداث كل ذلك

التخالف بين الامم ، فلابد من فرض وجود الانسان قبل ستة آلاف سنة بعشرات الوف كثيرة من السنين تكون كافية لاحداث كل ذلك التخالف الجثماني بين الامم المشتقة كلها من أبوين إثنين : آدم وحواء عليهما السلام .

وكلفت الجمعية الانجيلزية المستر « هورنر » بحساب عمر الانسان على الارض من أراضي مصر فجعل تاريخ بناء مسلة عين شمس مبدأله ، و قد أقيمت قبل المسيح عليه السلام بنحو : / ٢٣٠٠ سنة .

فرفع الأتربة عن ساق تلك المسلة حتى علم أن الارض قد ارتفعت عليها بنحو : « ١١ » قدماً انجيليزياً أى (٣١٨) عقدة في كل قرن ، ثم وجدان أعمق بقايا إنسانية وجدت على بعد (٣٩) قدماً من سطح الارض ، فاستنتج من ذلك ان عمر الانسان على الارض يبلغ نحوا من (٣٠٠٠٠) سنة .

وقد وجدت في امريكا جمجمة قديمة على بعد من باطن الارض شاسع جداً بحيث لا تسطيع الرواسب المتوالية أن تفصلها عن سطح الارض بهذا السمك كله إلا في مدة لا تقل عن / ١٥٨٤٠٠ سنة كما حسبها العالم الامريكي « يونيت دولرن» و غيرها من الأقاويل التي لا تبتني على دليل متقن ولا برهان قاطع .

وما يمكن أن يستفاد من قوله تعالى حكاية عن الملائكة : « قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » البقرة : ٣٠) انه كان قبل آدم عليه السلام خلق في الارض كانوا يفسدون فيها ، ولهم دم ولحم كانوا يسفكون الدماء ويقتلون من نوعهم . فان الملائكة لم يقولوا ذلك إلا عن معاينة سابقة ، وأما كون هذا الخلق إنساناً فلا نص فيه .

وفي البحار : عن العياشي عن عيسى بن أبي حمزة - والظاهر انه عيسى بن حمزة بن حمزة المدائني الثقفي من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام - قال : قال رجل لابي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك ان الناس يزعمون ان الدنيا عمرها سبعة آلاف سنة ، فقال : ليس كما يقولون : ان الله خلق لها خمسين ألف عام فتركها قاعاً

قفراً خاوية عشرة آلاف عام ، ثم بدالله بداءاً ، فخلق فيها خلقاً ليس من الجن ولا من الملائكة ، ولا من الانس وقدّر لهم عشرة آلاف عام . . .

فلما قربت آجالهم افسدوا فيها ، فدمّر الله عليهم تدميراً ثم تركها قاعاً قفراً خاوية عشرة آلاف عام ، ثم خلق فيها الجن ، وقدّر لهم عشرة آلاف عام فيها ، فلما قربت آجالهم افسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وهو قول الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » كما سفكت بنو الجانّ ، فأهلكهم الله ثم بدالله ، فخلق آدم عليه السلام وقدّر له عشرة آلاف ، وقد مضى من ذلك سبعة آلاف عام ومأتان ، وأنتم في آخر الزمان .



﴿في تسمية الانسان و تركيبه بعناصر﴾

قال الله تعالى : « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً » الانسان : ٢)

في العلل : باسناده عن إبن أبي عمير عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمي الانسان إنساناً لانه ينسى ، وقال الله عزوجل : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي » .

ومن البين ان الانسان انسانان .

احدهما ـ آدم عليه السلام وهوأبوالبشر ، وهوالذي يجرى من سائر الناس مجرى البذرالذي منه أنشأ غيره .

قال الله تعالى : «ياأيها الناس اتقوا الله ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء » النساء : ١)

وقال : « وهو الذي أنشاكم من نفس واحدة فمستقر و مستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون » الانعام : ٩٨)

ثانيهما ـ بنوآدم عليه السلام فهوسبب في وجودهم ، وسمي الولد إبناً وهومشتق من بنيت البنية تنبيهاً على أنه جارللأب مجرى البناء للباني .

قال الله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » الاعراف : ١٧٢)

وقال : « ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين»

يس : ٦٠)

ان الله تعالى ذكر العناصر التى خلق منها آدم عليه السلام تنبيهاً على أنه جعله إنساناً ذادرجات سبع ، وأشار إلى ذلك فى مواضع مختلفة من القرآن الكريم حسب ما اقتضته الحكمة الالهية :

احدها : خلقه من تراب وقال : « ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب » آل عمران : ٥٩) وفيه إشارة إلى المادة الاولى .

ثانيها : خلقه من طين إذقال : « إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين » ص : ٧٠) و فيه إشارة إلى الجمع بين التراب والماء .

ثالثها :خلقه من طين لازب تنبيهاً إلى الطين المستقر على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة .

رابعها : خلقه من حمأ مسنون إذقال : « وإذقال ربك للملائكة انى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون » الحجر : ٢٨) إشارة إلى الطين المتغير بالهواء أدنى تغير .

خامسها : خلقه من صلصال من حمأ مسنون إذقال : « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حماء مسنون » الحجر : ٢٦) تنبيهاً على يبس الطين ، و سماع صلصلة منه .

سادسها : خلقه من صلصال كالفخار إذقال : « خلق الانسان من صلصال كالفخار » الرحمن : ١٤)

وهو الذى قد أصلح بأثر من النار فصار كالخزف ، و بهذه القوة النارية حصل فى الانسان أثر من الشيطنة ، وعلى هذا المعنى دلّ قوله تعالى : « خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار » الرحمن : ١٤ و ١٥) .

فنبّه على أن الانسان فيه من القوة الشيطانية بقدرما فى الفخار من أثر النار وان الشيطان ذاته من المارج الذى لا إستقرار له ، ثم نبه الله جل وعلا على

تكميل الانسان بنفخ الروح فيه إذقال : « إني خالق بشراً من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » ص : ٧١ ـ ٧٢) وهذه درجة سابعة .

ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام ذا درجات سبع أكمل نفسه بالعلوم والآداب إذقال : « وعلم آدم الاسماء كلها » البقرة : ٣١)

ثم ذكر خلق بني آدم عليه السلام و عناصرهم التي أوجدها حالة بعد حالة ، و نبّه على أنه جعلهم اناساً في سبع درجات حسب ما جعل آدم عليه السلام فقال :«ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » المؤمنون : ١٢ ـ ١٤)

وفي قوله تعالى : « ثم أنشأناه خلقاً آخر » إشارة إلى ما جعل الله عزوجل لهذا الانسان من قوة العقل والفكر والنطق والادراك . . .

ان تسئل : لم قال تعالى : « فكسونا العظام لحماً » و لم يقل : « فخلقنا منه لحماً » كما قال في الاول ؟

تجيب: لان الله تعالى أشار بقوله : « فكسونا العظام لحماً » إلى لطيفة من صنعه ، وهي ان النطفة انتهت إلى صورة العظم ثم أنشأ الله جل و علا اللحم إنشاءاً آخر لا من النطفة ،وأجراها مجرى الكسوة التي قد يخلعها الانسان ويجددها ولذلك إذا قطع من الحيوان لحم عاد بخلاف العظم الذي لا يعود بعد قطعه .

ان تسئل : كيف حكم على جميع الناس أنه تعالى خلقهم من سلالة من طين ، والمخلوق منها هو آدم دون أولاده ؟

تجيب عنه بوجهين : أحدهما ـ انه لما خلق آدم من سلالة من طين ، فأولاده الذين منه هم أيضاً منها . ثانيهما ـ ان الانسان يتكوّن من النطفة ، و يتربى بدم الحيض ، وهما يتكوّنان من الغذاء والغذاء يتكوّن من الحيوان ، والحيوان يتكوّن من النبات والنبات من سلالة من طين ، فاذن الانسان على

الحقيقة من سلالة من طين وعلى هذا نبّه الله تعالى بقوله : « انا صببنا الماء صباً ثم شققنا الارض شقاً فأنبتنا فيها حباً و عنباً وقضباً » عبس : ٢٥ ـ ٢٨)

وقوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » المؤمنون : ١٣)

وقوله :« خلقكم من تراب ثم من نطفة »فاطر : ١١) فجعلهم الله تعالى من تراب على هذا الوجه

وقال:«ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » الروم:٢٠)

وقال : « خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » السجدة : ٨)وعنى بالانسان ههنا آدم عليه السلام ولذلك قال : « ثم جعل نسله » فاقتصر ههنا على النطفة دون المادة الاولى التى هى التراب .

وانما ذكر الله تعالى تلك المبادى متفرقة لحكمة إلهية إقتضت تخصيص ذكرها فى موضعها الذى ذكرها فيه .

ان الله تعالى جعل لهذا الانسان سبع قوى جسمانية وهى : القوى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمصورة ، و جعل له سبع قوى روحانية وهى : القوى الحساسة من السمع والبصر والذوق والشم واللمس والقوة الناطقة والعاقلة ، وان الانسان وان كان مركباً من هذا الجسد الجسمانى الطويل العريض العميق المدرك بطريق الحواس،ومن النفس الروحانية العلامة المدركة بطريق العقل ، و كان الجسدبنية مؤلفة من أعضاء : مختلفة الاشكال من اليدين والرجلين والرأس والرقبة وغيرها من أعضاء : مختلفة الصور ، متشابهة الاجزاء، متشعبة الفروع ، وممتدة العروق ؟ .

ولكن ليس الانسان هذا البدن وأعضائه وجوارحه . . . فحسب ، وليس هذا الانسان مجموعة كذا غراماً من الآزوت والكالسيوم والفوسفور والايدروجين والاكسيجين وما إليها من عناصر كما يزعم المادى الذى عمت عين قلبه ولا يرى

لهذا العالم غاية ، ولا لنفسه الا البطن وما فيه .

انما الانسان هو نفس حساسة وروح فياضة وعقل وإدراك وشعور و إحساس وأمان وعواطف وميول إلى ما هنا لك . . . وانما الانسان إنسان بلبه و نفسه لا بقشره وعضلاته ، ولا بعظامه ودمه ولحمه ، ولا بما يؤلف بدنه من عناصر . . . وإنما هذا الجسد الخاص المتركب بعناصر خاصة يليق أن يكون مظهراً لحقيقة الانسان

ونعم ما قال بعض الحكماء :

ان هذا الجسد مع النفس وانبثاث قواها في جميع أعضائه الظاهرة والباطنة وإظهار أفعالها وفنون حركاتها في مجاري مفاصله ، وحواسّها في مجاري ثقب رأسه حال اليقظة تشبه مدينة عامرة مأنوسة لساكنها ، قد فتحت أبوابها وسلكت طرقاتها ، وقعد تجارها واشتغل صناعها ، وسعى متعيشوها وتحرّكت حيواناتها ، وسمع منها دوي حيواناتها . . .

وان حال هذا الجسد وقت النوم وهدؤ الحواس ، و سكون الحركات تشبه حال تلك المدينة بالليل إذا اغلقت أسواقها وتعطّل صنّاعها وخلت طرقاتها ونام أهلها وسكنت حركاتها وهدأت أصواتهم . . .

وان حال هذا الجسد عند مفارقة النفس له تشبه حال تلك المدينة ، إذا رجل عنها أهلها ، وخلت من ساكنيها وبادجيرانها وبقيت خراباً ، وصارت مأوى للسباع والبوم ، ثم تساقطت حيطانها وخرّت سقوفها و صارت تلالاً و روابي لا تبين فيها إلا الحجارة والاجر والطين والتراب . . . كما ورد : « ما من صباح يصبح العباد فيه إلا وملك ينادي كل يوم : لدوا للموت وابنوا للخراب » فيتغير الجسد بالموت ، وينتفخ بفراق النفس منه ، ويصير مأوى للديدان والذباب والنمل ثم يبلى ويصير تراباً لايتبين إلا العظام وتلوح كما تلوح الحجارة في تلك المدينة وآجرها . « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى »

وفي نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام في خطبة يصف فيها آدم عليه السلام ـ : « ثم جمع سبحانه من حزن

الارض وسهلها ، وعذبها وسبخها تربة سنّها بالماء حتى خلصت ، ولاطها بالبلّة حتى لزبت ، فجبل منها صورة ذات أحناء ، ووصول وأعضاء وفصول أجمدها حتى استمسكت ، وأصلدها حتى صلصلت لوقت معدود وأجل معلوم ، ثم نفخ فيها من روحه فتمثّلت إنساناً ذا أذهان يجيلها ، وفكر يتصرف بها و جوارح يختدمها و أدوات يقلّبها ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل ، والاذواق والمشام والالوان والاجناس ، معجوناً بطينته الالوان المختلفة والاشباه المؤتلفة والاضداد المتعادية، والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلّة والجمود والمساءة والشرور .

واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيته إليهم فى الاذعان بالسجود له والخنوع لتكرمته ، فقال لهم : « اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ ابليس » وقبيله ، اعترتهم الحمية وغلبت عليهم الشقوة ، وتعزّزوا بخلقه النار ،واستوهنوا خلق الصلصال ، فأعطاه الله النظرة إستحقاقاً للسخطة وإستتماماً للبلية ، و إنجازاً للعدة ، فقال : « فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم » .

قوله عليه السلام : « من حزن الارض » الحزن : ماغلظ من الارض و « سبخها »: ماملح منها ، وفى ذلك إشارة إلى أن الانسان مركب من طباع مختلفة ، و فيه إستعداد للخير والشر ، والحسن والقبح ، والحق والباطل ، والكفر والايمان ، والصدق والكذب . . .

و « سنّها بالماء » أى ملسها ، و « لاطها بالبلة » : جعلها طيناً و « لزبت » التصقت وثبتت ، « فجبل » : خلق ، و « أحناء » : جوانب و « أصلدها » : جعلها صلباً متيناً ، و « صلصلت » : يبست ، و « يختدمها » : يجعلها فى مآربه و أوطاره كالخدم الذين تستعملهم وتستخدمهم ، و « استأدى » طلب منهم أداء الوديعة ، و « الخنوع » الخضوع . و « استوهنوا » : عدّوه واهناً ضعيفاً ، و « النظرة » بفتح النون و كسر الظاء : الامهال والتأخير .

وفيه : قال الامام عليه السلام : « ثم اسكن آدم داراً أرغد فيها عيشته ، و آمن

فيها محلّته وحذّره إبليس وعداوته ، فاغترّه عدوّه نفاسة عليه بدار المقام ، و مرافقة الابرار ، فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه ، واستبدل بالجذل و جلاً و بالاغترار ندماً ، ثم بسط الله سبحانه له فى توبته ولقّاه كلمة رحمته ، ووعده المرد إلى جنّته ، فأهبطه إلى دار البلية وتناسل الذرية »



﴿في حقيقة الانسان و الكلام فيها﴾

في امالي الصدوق رضوان الله تعالى باسناده عن جميل بن دراج عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أصل الانسان لبّه وعقله ودينه و مروته حيث يجعل نفسه والايام دول والناس إلى آدم شرع سواء .

اقول : ان الانسان هو الهدف الذي يتوجه إليه التكليف ، وهو المحور الذي يدور حوله معظم نظريات الحكماء والمتكلمين ، والفلاسفة والباحثين .

وقد كثرت العبارات في تعريف هذا الانسان يصعب تحديدها ، و هذا من العجائب التي تدل على عجز الانسان وتحديد علمه إذ مضت عليه قرون ، و هو لا يعرف حقيقته :

هل الانسان هو مجرد هذا البناء الجسمي الذي نشاهده ونحسه ولاشيء وراءه كما زعم الماديون العمياء ؟ أم ان حقيقته شيء آخر وهذا الذي نشاهده وعاء أو محل للتدبير والتصرف كما عليه المحققون ؟ أم هو أخيراً لا هذا ولا ذاك بل هو شيء مؤلف منهما كما ذهب إليه أكثر الفلاسفة وبعض المتكلمين ؟

وإذا كان الانسان مؤلفاً من عنصرين ، فهل هما ماديان ؟ أم أحدهما مادي والآخر روحي ؟ ثم كيف تمت الصلة بينهما ؟ وهل هذه الصلة عرضية لاختلاف جوهريهما ؟ أم انها صلة حقيقية لكونهما معاً يؤلفان موجوداً واحداً ؟

إختلفت أجوبة الفلاسفة والمتكلمين على تلك الأسئلة ، وكان كل رأي

يتسم بطابع الفلسفة العامة للمفكر ونظرته إلى الكون والوجود والانسان، فمنهم من ذهب إلى أن الانسان ليس إلاّ هذا الجسد المشاهد المحسوس المبنى بنية مخصوصة أى على هذه الصورة التى نراه عليها . ومنهم من ذهب إلى أن حقيقته ليست هذا الجسد بل هي جوهر آخر مادى أو روحى . ومنهم من ذهب إلى إعتبار الانسان كائناً مركباً من هذين الجوهرين: الجسم والروح - أو النفس - ثم اختلفوا فى تحديد الصلة بين هذين العنصرين : وذهب منهم إلى إعتبار هذه الصلة عرضية بسبب إختلاف الجوهرين ، وقال بعضهم : ان الصلة بينهما حقيقية أى انهما معاً يؤلفان الانسان كما ندركه ، ولا انفصال بينهما ، وهذا القول يتفق مع رأى أرسطو فى الانسان .

و استدل من ذهب إلى أن الانسان هو مجرد هذا البناء الجسمى الذى نشاهده ونحسّه ولاشيء ورائه - وان لفظ الانسان أوضح من أىّ تحديد له لانه يعرف بالضرورة وبالاشارة إلى هذه البنية المخصوصة - بامور:

١ - قوله تعالى فى الانسان : « و لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين - فتبارك الله أحسن الخالقين » المؤمنون : ١٢ - ١٤)

وذلك ان الانسان على ما توضح هذه الاية ليس إلاّ ما يتردد بين تلك الاحوال من كونه من سلالة من طين مادى و من نطفة مادية ومن علقة و هكذا ... وكل ذلك لايزيد على هذه الجملة المشاهدة .

اقول : وهذا مردود بقوله تعالى : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » ص : ٧٢)

٢- ان الانسان يعرف نفسه مفكراً ومعتقداً و قادراً ، وهذه الصفات تثبت لهذه الجملة الحسّية المشاهدة من الانسان ، ولا ضرورة لافتراض جوهر آخر ورائها .

اقول : ان الكلام مردود بنفس الكلام حيث ان التفكير والاعتقاد ليسا

من الامور المحسوسة . . .

٣- ان الانسان مكلف ، والمكلف لابدو أن يكون قادراً على ما كلف به، والقادر لابد من كونه حياً ، وحكم القادر صحة جملة الحي ولا يثبت ذلك إلاّ في هذه الجملة ، فالتكليف موجه إليها ولم يخاطب الله بالتكليف جوهراً آخر غير هذه الجملة المحسوسة .

اقول : و لعمري لم يقل بعد من كان ذالب : ان هذه الجملة المحسوسة مكلفة بالتكاليف و إلاّ لكانت المجانين والاطفال مكلفين ، لو لم نقل بتكليف الحيوانات بل كل شيء محسوس مشاهد بناء على هذا الرأى السخيف .

ومن البديهي إنما التكليف على من له عقل وتدور عليه التكاليف . . .

٤ ـ ان التكليف يترتب عليه أمر ونهي وإستحقاق للمدح والذم والثواب والعقاب و كل هذه الامور تتوجه إلى جملة الكائن الانساني ، ولو كان الانسان غيرها لوجب توقف العلم بثبات أحكام التكليف على العلم بما يقوله البعض من النفس وغيرها ولاشيء من ذلك .

اقول : ان المنكر لحقيقة لايحتاج إلى دليل إلاّ كلمة « لا » مع أن المدح والذم لايتوجهان إلى المحسوسات . . . فتأمل جيداً .

٥ ـ لو كان هنا لك ما يرجع إليه لتحديد معنى الانسان غير هذه الجملة المحسوسة لكان هذا الامر منفصلاً عن الانسان أومتصلاً به بالمجاورة أو المداخلة أوعلى الحلول . ولا نلتزم بتلك الاحتمالات في واقع الانسان ، وأما لفظ النفس فلا يعني أكثر من الاشارة إلى الانسان فهو لايثبتها جسماً لطيفاً ، ولايعترف بها جوهراً روحياً .

وأما الروح فهي النفس والريح وهي لا تدخل في تحديد معنى الحيّ مثلها في ذلك مثل الدم في الحياة تحتاج إليه ، ومع ذلك فانه لايعد من جملة العناصر التي تحدد مفهوم الكائن الحيّ .

فالانسان هو مركب من بنية مخصوصة محسوسة ، و على ذلك فلا يصح تحديده بمجرد قولنا : ان الانسان هو الناطق الحى الميت لأنه لوخلق الله تعالى الحيوان على بنية الجماد ، وأكمل عقله لما سمى إنساناً ، ثم ان الجن والملائكة تنطبق عليها أوصاف الحياة والنطق والموت ، ولاتعدّ بشراً لانها لم تبن البنية المخصوصة التى عليها الانسان .

هذا مذهب القاضى عبد الجبار الكلامى وأتباعه . . . وفساده مالايخفى على من له لبٌ وتأمل .

وقال النظام : ان الانسان هو جسم لطيف داخل البدن كماء الورد فى الورد

وقال قطب الدين الراوندى : ان الانسان جزء لايتجزأ فى القلب .

وقال أكثر المتكلمين : ان الانسان أجزاء أصلية فى البدن باقية من أول العمر إلى آخره لايتطرق إليها الزيادة ولا النقصان ، وهى قوله : « أنا » .

وقال بعضهم : ان الانسان هو جوهر مركب من النفس والبدن ، و النفس الانسانية أشرف النفوس الموجودة فى العالم السفلى لأن النفس النباتية قواها الاصلية ثلاثة وهى : الاغتذاء والنمو والتوليد ، والنفس الحيوانية لها قوتان اخريان : الحاسة والمحركة بالاختيار ثم ان النفس الانسانية مختصة بقوة اخرى، وهى القوة العاقلة المدركة لحقائق الاشياء كماهى ، وهى التى يتجلى فيها نور معرفة الله تعالى ، ويشرق فيها ضوء كبريائه ، وهو الذى يطلع على أسرار عالمى الخلق والامر ، ويحيط بأقسام مخلوقات الله من الارواح والاجسام كماهى :

و هذه القوة من سنخ الجواهر القدسية والارواح المجردة الالهية ، فهذه القوة لانسبة لها فى الشرف والفضل إلى تلك القوى الخمسة النباتية والحيوانية وإذاكان الامر كذلك ظهر ان النفس الانسانية أشرف النفوس الموجودة فى العالم.

وفى التبيان : فى قوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » قال : وفيه دلالة على أن الانسان هو هذا الجسم المشاهد لانه المخلوق من نطفة ،

والمستخرج من سلالة دون ما يذهب إليه قوم من انه الجوهر البسيط أو شيء لا يصح عليه التركيب والانقسام على ما يذهب إليه معمر وغيره .

وقال بعض المتكلمين : ان في الاية الكريمة دلالة على بطلان قول النظام: ان الانسان هو الروح لا البدن ، فانه سبحانه بيّن ان الانسان هو المركب من هذه الصفات ، وفيها دلالة أيضاً على بطلان قول الفلاسفة الذين يقولون : ان الانسان شيء لا ينقسم وانه ليس بجسم .

وفي المنار : قال : ان الانسان الحقيقي : هو الذرة التي تحلّ في القلب ، وتحلّ فيها الروح فتكسبها الحياة إلى الهيكل ، ثم الهيكل إنما هو آلة لقضاء أعمال تلك الذرة في هذا الكون ، ولا كتساب معارفها بسببه ، و تلك الذرة مع الروح الحالّة فيها هي المخاطب بالتكليف والمعاد والمنعم والمعذب إلى آخر ما ورد في حق الانسان .

وفي الميزان : قال : « لاريب في أن هذا الهيكل المحسوس الذي نسميه إنساناً مبدأ للحياة ، ينتسب إليه الشعور والارادة ، وقد عبّر تعالى عنه في الكلام في خلق الانسان - آدم - بالروح ، وفي سائر المواضع من كلامه بالنفس قال تعالى: « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » الحجر : ٢٩) وص :٧٢) وقال : « ثم سواه ونفخ فيه من روحه » الم السجدة : ٩)

والذي يسبق من الآيتين إلى النظر البادىء : ان الروح والبدن حقيقتان اثنتان متقارنتان نظير العجين المركب من الماء والدقيق ، والانسان مجموع الحقيقتين ، فاذا قارنت الروح الجسد كان إنساناً حياً ، وإذا فارقت فهو الموت لكن يفسّرها قوله تعالى : « قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم » الم السجدة : ١١) حيث يفيدان الروح التي يتوفاها ويأخذها قابض الارواح هي التي يعبّر عنها بلفظة « كم » وهو الانسان بتمام حقيقته لا جزء من مجموع ، فالمراد بنفخ الروح في الجسد جعل الجسد بعينه إنساناً لا ضمّ واحد إلى واحد آخر يغايره

في ذاته ، وآثارذاته ، فالانسان حقيقة واحدةحين تعلق روحه ببدنه وبعدمفارقة روحه البدن .

ويفيد هذا المعنى قوله تعالى : « ولقدخلقنا الانسان من سلالة من طين » الآيات . . . فالذى أنشاه الله خلقاً آخرهو النطفة التى تكونت علقة ثم مضغة ثم عظاماً بعينها .

و في معناها قوله تعالى : « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » فتقييد الشيء المنفى بالمذكور يعطى انه كان شيئاً لم يكن مذكوراً ، فقدكان أرضاً أونطفة مثلاً لكن لم يكن مذكوراً انه الانسان الفلانى ، ثم صارهوهو ، فمفاد كلامه تعالى : ان الانسان واحد حقيقى هو المبدأ الوحيد لجميع آثارالبدن الطبيعةوالآثارالروحية كما انه مجرد في نفسه عن المادة كما يفيده أمثال قوله تعالى : « قل يتوفاكم ملك الموت »

وقوله تعالى : « الله يتوفى الانفس حين موتها » الزمر : ٤٢) وقوله : « ثم أنشأناه خلقاً آخر » وقد تقدم بيانه . انتهى كلامه في آية سورة الانسان .

وفيه : في قوله تعالى : « ثم أنشأناه خلقاً آخر » المؤمنون : ١٤) : قال : « وقد غير السياق من الخلق إلى الانشاء فقال : « ثم أنشأناه خلقاً آخر » دون أن يقال : « ثم خلقناه » الخ للدلالة على حدوث أمر حديث ما كان يتضمنه ولا يقارنه ما تقدمه من مادة ، فان العلقة مثلاً ، وان خالفت النطفة في أوصافها و خواصها من لون وطعم وغير ذلك إلا ان في النطفة مكان كل من هذه الاوصاف والخواص ما يجانسه وإن لم يماثله كالبياض مكان الحمرة ، وهما جميعاً لون بخلاف ماأنشاه الله أخيراً وهو الانسان الذى له حياة وعلم وقدرة ، فان ماله من جوهر الذات و هو الذات نحكى عنه بأنا لم يسبق من سنخه في المراحل السابقة أعنى النطفة والعلقة والمضغة والعظام المكسوة لحماً شيء ولاسبق فيها شيء يناظر ماله من الخواص والاوصاف كالحياة والقدرة والعلم فهومنشأ حادث مسبوق بالعدم .

والضمير في « أنشأناه » - على ما يعطيه السياق - للانسان المخلوق عظاماً مكسوّة باللحم ، فهو الذي انشىء وأحدث خلقاً آخر أي بدّل وهو مادة ميتة جاهلة عاجزة موجوداً ذا حياة وعلم وقدرة ، فقد كان مادة لها صفاتها وخواصّها ، ثم برز وهو يغاير سابقته في الذات والصفات والخواص ، فهو تلك المادة السابقة ، فانها التي صارت إنساناً وليس بها إذ لا يشاركها في ذات ولا صفات ، وانما له نوع اتحاد معها وتعلق بها يستعملها في سبيل مقاصدها إستعمال ذي الآلة للآلة كالكاتب للقلم

وهذا هو الذي يستفاد من مثل قوله : « وقالوا أإذا ضللنا في الارض انا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفا كم ملك الموت الذي وكل بكم» الم السجدة : ١١)

فالمتوفي والماخوذ عند الموت هو الانسان والمتلاشي الضال في الارض هو البدن وليس به » انتهى كلامه فتامل فيه جيداً .

وقال بعض المحققين : ان الانسان هو الذي أودعه الله جل وعلا فيه قوتين متضادتين : القوة الملكوتية والقوة الشيطانية ، وان هيكله المركب من الجسد والروح مظهر لآثار هاتين القوتين ، فكل جسم لاتكون فيه هاتان القوتان سواء كان ذا روح كالحيوان أم فاقداً عنها كالميت والجماد ، فليس بانسان .

وقال بعضهم : ماهية كل شيء تحصل بصورته التي يتميز بها عن أغياره كصورة السكين والسيف والمنجل و نحوها . و لما كان الانسان جزئين : بدن محسوس وروح معقول كما نبه الله جل وعلا عليه بقوله : « اني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » كان له بحسب كل واحد من الجزئين صورة ، فصورته المحسوسة البدنية إنتصاب القامة ، وعرض الظفر و تعرى البشرة عن الشعر والضحك ، وصورته المعقولة الروحانية : العقل والفكر والروية والنطق قالوا : فالانسان هو الحيوان الناطق ، و لم يعنوا بالناطق اللفظ المعبّر به فقط بل عنوا به المعاني المختصة بالانسان ، فعبّروا عن كل ذلك بالنطق ،

فقد يعبّر عن جملة الشيء بأخص مافيه أو بأشرفه أو بأوله كقولك : سورة « الرحمن » و سورة « يوسف » و سورة « لايلاف » و نحو ذلك .

فالانسان يقال : على ضربين : عام و خاص ، فالعام أن يقال لكل منتصب القامة مختص بقوة الفكر ، وإستفادة العلم والخاص أن يقال لمن عرف الحق : فاعتقده والخير فعمله بحسب وسعه ، وهذا معنى يتفاضل فيه الناس ، و يتفاوتون فيه تفاوتاً بعيداً ، وبحسب تحصيله يستحق الانسانية ، و كما يقال الانسان على وجهين يقال له الحيوان الناطق على وجهين : عام و يراد به من في قوة نوعه إستفادة الحق والخير كقولك : الانسان هو الكاتب دون الفرس والحمار أي هو الذي في قوته إستفادته الكتابة . وخاص و يراد به من حصل الحق فاعتقده والخير ، فعمله كما يقال : زيد هو الكاتب دون عمرو أي هو المختص بعلم الكتابة ، و كذا يقال له : عبدالله على وجهين : عام و يراد به الحيوان المتعرض لارتسام أوامر الله ارتسم أو لم يرتسم ، وهو المشار إليه بقوله جل وعلا : « ان كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبداً » .

وخاص و هو المرتسم لأوامر الله تعالى كما قال سبحانه : « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان » و كذا يقال له : حي و سميع و بصير و متكلم و عاقل ذلك على وجهين يقال : عام وهو لمن له الحياة الحيوانية التي بها الحس والتخيل والنزوع والشهوة ولمن سمع الاصوات ، ولمن يدرك الالوان ، ولمن يفهم الكافة بمايريده ولمن له القوة التي يتبعها التكليف والثاني يقال له : خاص وهو لمن له الحياة التي هي العلم المقصود بقول الله تعالى : « لينذر من كان حياً » : وله السمع الذي به يسمع حقائق المعقولات والبصيرة التي بها يدرك الاعتبارات واللسان الذي به يورد التحقيقات ، وهي التي نفاها عن الجهلة الكفرة في قوله تعالى : « صم بكم عمي فهم لا يعقلون » .

وقد اختلفت العبارات قديماً وحديثاً أيضا في كلمتي « الانسان والبشر»: أهما تشيران إلى حقيقة واحدة ؟ أم لا ؟ ولم نجد فائدة لذكرها .

وما إستفدنا من الايات الكريمة والروايات الواردة : انهما علمان لحقيقة واحدة ولكن الانسان يشير ـ مضافاً على ذلك ـ إلى ما في داخل هذا الموجود الخاص غير المشتق من غيره من الموجودات . . . من النسيان : نسيان ما عهد به من توحيد الربوبية والطاعة وصالح الاعمال . . . نسيان رحمة الله تعالى وفضله وإحسانه عليه ، نسيان الله جل وعلا ولقاء يوم الحساب ، ونسيان ما أحسن به غيره من الابوين والمعلم وغيرهم . . . غالباً .

وأما البشر فيشير ـ مضافاً على ذلك أيضاً ـ إلى ما في خارج هذا الموجود من ظهور بشرته ، غير مستور بالشعر ، و إلى ما يظهر مما في كمونه : من الكفر والايمان ، من الصدق والكذب ، ومن الخير والشر . . .

وأما الفرق بين البشر والناس : فان قولنا : البشر يقتضي حسن الهيئة ، و ذلك انه مشتق من البشارة وهي حسن الهيئة يقال : رجل بشير و امرأة بشيرة إذا كان حسن الهيئة ، فسمي الناس بشراً لانهم أحسن الحيوان هيئة ، ويجوز أن يقال : إن قولنا : بشر يقتضي الظهور ، و سمّوا بشراً لظهور شأنهم ، و منه قيل لظاهر الجلد : بشرة ، و ان قولنا : الناس يقتضي النوس وهو الحركة ، والناس جمع ، و البشر واحد وجمع وفي القرآن الكريم : « ما هـذا إلا بشر مثلكم » المؤمنون : ٢٤)

وتقول : ان محمداً رسول الله ﷺ خير البشر يعنون الناس كلهم ، يثنى البشر فيقال : البشران ، قال الله عز وجل حكاية عن فرعون مصر وقومه : « فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا و قومهما لنا عابدون » المؤمنون : ٤٧) و لـم يسمع ان البشر يجمع .

﴿ كلام بعد كلام في حقيقة الانسان ﴾

وقد أوردنا كلمات في حقيقة الانسان وتركيبه على طريق الاختصار، وههنا كلمات اخر لاتخلو من وجه، فنذكر ما نرى له وجهاً على سبيل الاختصار أيضاً:

فمن المفسرين : من قال : « إعلم أن للعقلاء في حقيقة الانسان إختلافاً كثيراً، وإذاكان حال العلم بأقرب الاشياء إلى الانسان وهو نفسه هكذا، فماظنك بما هو أبعد ؟ ولنذكر بعض تلك المذاهب فلعل الحق يلوح في تضاعيف ذلك فنقول :

العلم الضروري حاصل بوجود شيء يشير إليه كل واحد بقوله : « أنا » فذلك المشار إليه إما أن يكون جوهراً مفارقاً أوجسماً هو هذه البنية، أوجسماً داخلاً فيها أو خارجاً عنها، أوعرضاً، أما المتكلمون فالجمهور منهم ذهبوا إلى أن الانسان هو هذا الهيكل المحسوس، وزيف بان البدن دائم التغير والتبدل، والمشار إليه بأنا واحد من أول العمر إلى آخره، وبأن الانسان غير غافل عن نفسه حينما يكون ذاهلاً عن أجزاء بدنه وبان النصوص الواردة في القرآن والخبر كقوله عز من قائل :

« ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً بل أحياء » و « يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي » و « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً »

وكقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أولياء الله لايموتون ولكن ينقلون من دار إلى دار» و « القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة طويلة : « حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش و

يقول : يا أهلى ويا ولدى لاتلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى ، جمعت المال من حله وغير حله ، فالهناء لغيرى والتعبة على فاحذروا مثل ماحل بى»

توجب مغايرة النفس للبدن ، و بأن جميع فرق الدنيا من أرباب الملل والنحل يتصدقون عن موتاهم و يزورونهم و يدعون لهم بالخير ، و بأن الميت قديرى فى المنام ، فيخبر عن امور غائبة وتكون كما اخبر ، وبان الانسان قد يقطع عضو من أعضائه و يعلم يقيناً انه هو الذى كان قبل ذلك ، و بثبوت المسخ فى حق طائفة من أهل الكتاب و ليس المسخ إلاّ تغيير البنية مع بقاء الحقيقة ، و بان جبرائيل قد رؤى فى صورة دحية وابليس رؤى فى صورة الشيخ النجدى ، فعلم ان لاعبرة بالبنية ، وبان الزانى يزنى بفرجه فيضرب على ظهره ، فعلم ان المتلذذ والمتألم شيء آخر سوى العضوين وبأنا نعلم ضرورة العالم الفاهم للخطاب إنما هو فى ناحية القلب ليس جملة البدن ولاشيئاً من الاعضاء .

أما إن قيل : الانسان جسم هو فى داخل البدن ، فاعلم ان أحداً من العقلاء لم يقل بأن الانسان عبارة عن الاعضاء الكثيفة الصلبة التى غلبت عليها الارضية كالعظم والغضروف والعصب والوبر والشحم واللحم والجلد ، ولكن منهم من قال : انه الجسم الذى غلب عليه المائية من الاخلاط الاربعة أعنى الدم بدليل انه إذا خرج لزم الموت .

و منهم : من قال : انه الذى غلب عليه الهوائية والنارية وهو الروح الذى فى القلب أو جزء لايتجزأ فى الدماغ .

ومنهم : من يقول : إختلطت بهذه الارواح القلبية والدماغية أجزاء نارية مسماة بالحرارة الغريزية وهى الانسان .

ومنهم : من قال : إذا تكون بدن الانسان وتم إستعداده نفدت فيه أجرام سماوية نورانية لطيفة الجوهر على طبيعة ضوء الشمس غير قابلة للتبديل والتحليل ولا للتفرق والتمزق ، نفوذاً يشبه نفوذ النار فى الفحم والدهن فى السمسم وماء

الورد ، وهذا النفوذ هو المراد بقوله : « ونفخت فيه من روحي » ثم إذا تولدفي البدن اخلاط غليظة منعت من سريان تلك الاجسام فيها ، فانفصلت لذلك عن البدن ، فحينئذ يعرض الموت للجوهر .

ومن المتكلمين : من قال : ان الانسانية عبارة عن إمتزاجات أجزاء العناصر بمقدار مخصوص ، وعلى نسبة معلومة تخص هذا الصنف .

ومنهم : من قال : الانسان عبارة عن أجزاء مخصوصة بشرط كونها موصوفة بأعراض مخصوصة هي الحياة والعلم والقدرة .

ومنهم : من قال : انه يمتاز عن سائر الحيوانات بشكل جسده وهيئة أعضائه .

ومن الفلاسفة الالهيين: من قال : ان الروح الانساني جوهر مجرد ليس داخل العالم الجسماني ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ، ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما ان إله العالم لاتعلق له بالعلم إلا على سبيل التصرف والتدبير ، و مهما انقطعت علاقته عن البدن بقي البدن معطلاً ميتاً ، و إليه ذهب الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه، واستدلوا على هذا المطلوب بحجج:

منها- ان الانسان لو كان جوهراً متحيزاً لكان كونه متحيزاً عن ذاته المخصوصة إذ لو كان صفة قائمة بها لزم كون الشيء الواحد متحيزاً مرتين ، ولزم إجتماع المثلين، وأيضاً لم يكن جعل احدهما ذاتاً والاخر صفة أولى من العكس.

وأيضاً ان التحيز الثاني إن كان عن الذات فهو المقصود ، وإن كان صفة لزم التسلسل وإذا كان التحيز عين ذاته لزم انه متى عرف ذاته عرف تحيزه ، لكنا قد نعرف ذا تنامع الجهل بالتحيز والامتداد في الجهات الثلاث ، وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان ، و إذا كان اللازم باطلاً ، فالملزوم منتفياً ، وعورض بانه لو كان الانسان جوهراً مجرداً لكان كل من عرف ذاته تجرد ، وليس كذلك واجيب عنه بالفرق بين التحيز وهو صفة ثبوتية ، وبين التجرد وهو صفة سلبية .

و منها - ان الشيء الذي يشير إليه كل واحد بقوله : « أنا » واحد بالبديهة

ولان الغضب مثلاً حالة نفسانية تحدث عند محاولة دفع المناض مشروط بالشعور بكون الشيء منافياً ، فالذى يغضب لابد أن يكون هو بعينه مدركاً ولان إشتغال الناس بالغضب وإنصبابه إليه يمنعه من الاشتغال بالشهوة والانصباب إليها، فعلمنا انهما صفتان مختلفتان لجوهر واحد ، إذ لو كان لكل منهما مبدأ مستقل لم يكن إشتغال أحدهما بفعله مانعاً للآخر ، و أيضاً إذا أدركنا شيئاً فقد يكون الادراك سبباً لحصول الشهوة ، وقد يكون سبباً للغضب ، فعلمنا أن صاحب الادراك بعينه هو صاحب الشهوة والغضب .

وأيضاً ان النفس لايمكنها أن تتحرك بالارادة إلاّ عند حصول الداعى ،ولا معنى للداعى إلاّ الشعور بخير يرغب فى جذبه أو بشر يرغب فى دفعه ، وهذا يقتضى أن المتحرك بالارادة هو بعينه المدرك الخير والشر واللذيذ والمؤذى والنافع والضار ، و هو المبصر والسامع والشام والذائق واللامس والمتخيل والمتفكر والمشتهى والغاضب بواسطة آلات مختلفة وقوى متغايرة ، وإذا ثبت ذلك فلو كانت النفس عبارة عن جملة البدن كان للكل أثر واحد ، ولو كانت جزأ من أجزاء البدن كانت قوية سارية فى جميع أجزاء البدن والوجود بخلاف الكل ، فحصل اليقين ان النفس شيء مغاير لكل البدن ولكل من أجزائه . . .

ومنها ـ ان الاستقرار يدل على أن أحوال النفس بالضد من أحوال الجسد لان الجسم إذا قبل شكل التثليث مثلاً إمتنع أن يقبل حينئذ شكل التربيع ،و ليس كذلك حال النفس ، فان إدراك كل صورة يعينها على إدراك ما عداها، ولذلك يزداد الانسان فهماً وزكاء بازدياد العلوم .

وأيضاً كثرة الافكار توجب قوة للنفس ، وتستدعى إستيلاء النفس على الدماغ وقد تصير أبدان أرباب الفكر واولى الالباب فى غاية النحافة والهزال ، و تقوى نفوسهم بحيث لايتلفتون إلى الحكام والسلاطين ، وأصحاب الشوكة والقوة . . .

وغيرها من الاوقايل والنظرات لايطمئن بها القلب ولايثلج لديها الصدر .

وأما القرآن الكريم والروايات الواردة فى حقيقة الانسان، فقد وردت ألفاظ متعددة للدلالة على معنى الانسان كما احتويا على تعبيرات تشير إلى تركيب الانسان وإلى النفس والقلب والعقل من حيث هي تتعلق بالوجود، ومعرفة الانسان، وقد سمحت تلك الالفاظ والتعابير لوجهات نظر متعددة حول طبيعة الانسان، و جملة ما يستفاد منهما ان التكاليف الشرعية متوجهة إلى النفس البشرية، وهى التى قال الله تعالى فيها.

«ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها» الشمس: ٧و٨) وهي القوة التى أودعها الله جل وعلا في هذا الجسد المركب مع الروح تدور على هذه الوديعة إنسانية الانسان، ويمتاز بها من غيره، ويتميز بها الحق من الباطل، والخير من الشر، والصلاح من الفساد، والحسن من القبيح...

وان الجسد حيّ بالروح وهمامعاً لآثارها في كمون تلك الوديعة فيه خيراً وشراً، وان الادراك والارادة لها، وعند البلوغ تتوجه إليها التكاليف، فالهيكل بلا روح كالميت والجماد ليس بانسان كما ان ليس كل ذى روح بانسان كالحيوان، فكل ذى روح له حظّ من تلك القوة فهو إنسان قلّ الحظّ كالمجنون، أم لم يبلغ حد التكليف كالصبى أو بلغ وكمل على إختلاف المراتب في الحظ كالمكلفين... فتدبر واغتنم جداً.

﴿اصل الانسان و تكونه﴾

فى الكافى: باسناده عن سليمان الديلمى عن أبى عبدالله عن أبيه عليهما السلام قال: ان الله عزوجل خلق خلاّقين، فاذا أن يخلق خلقاً أمرهم فأخذوا من التربة التى قال فى كتابه: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى» الحديث.

قوله: عليه السلام «خلاقين» أى ملائكة.

و فى دعاء العرفة: قال الامام سيدالشهداء سبط المصطفى الحسين بن على عليهم آلاف التحية والثناء: «ابتدأتنى بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً، وخلقتنى من التراب ثم أسكنتنى الاصلاب أمناً لريب المنون واختلاف الدهور، فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم فى تقادم الايام الماضية والقرون الخالية، لم تخرجنى لرأفتك بى و لطفك لى و إحسانك إلىّ فى دولة أيام الكفرة الذين نقضوا عهدك، و كذّبوا رسلك لكنك أخرجتنى رأفة منك و تحنّناً علىّ للذى سبق لى من الهدى الذى فيه يسّرتنى و فيه أنشأتنى، و من قبل ذلك رؤفت بى بجميل صنعك و سوابغ نعمتك...» الدعاء.

قوله: عليه السلام «ثم أسكنتنى الاصلاب» أى جعلت مادة وجودى مودعة فى أصلاب آبائى: فان نطفة كل ولد كانت فى صلب والده و كلهم كانوا من علل وجوده، و «لريب المنون» أى لحوادث الدهر، و «أمناً» مفعول له، أى حفظت مادة وجودى فى الاصلاب لأكون آمناً من حوادث الدهر و «ظاعناً» أى سائراً

و « الذى فيه يسّرتنى » أى جعلتنى قابلاً له كما قال تعالى: «فسنيسّره لليسرى».

اقول: ان مجموع النصوص القرآنية والروايات الصحيحة الواردة عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين فى خلق آدم عليه‌السلام وفى نشأة الجنس البشرى تدل على ان إعطاء هذا الكائن خصائصه الانسانية و وظائفه المستقلة كان مصاحباً لخلقه بان الله تعالى جعله ذا خصائص راقية ، وهدى إلى أدائها عند خلقه ، و ان الترقى فى تاريخ الانسان كان ترقياً فى بروز هذه الخصائص ونموها و تدريبها و إكتسابها الخبرة العالية ، و لم يكن ترقياً فى وجود الانسان من تطور الانواع حتى إنتهت إلى الانسان كما توهم « داروين » و أذنابه الأباترة الذين هم ليسوا أرفع شأناً من القرود ، فلهم وحدهم أن يفتخروا بكونهم من سلالة القرود . . .

و ان الله جل وعلا يقول : انما نشأة النوع الانسانى نشأة مستقلة فى الزمن الذى علم الله تعالى ان ظروف الارض تسمح بالحياة والنمو والترقى لهذا النوع ، وهذا ماتدل عليه مجموعة النصوص القرآنية والروايات الصحيحة فى نشأة البشرية ، و لقد أعلن الله جل و علا بذاته الجليلة ان ميلاد هذا الكائن الانسانى فى حفل حافل من الملأ الاعلى ، وان هذا الانسان مظهر مستقل من مظاهر الابداع الالهى خلقه الله تعالى مستقلاً بنفسه لا مشتقاً من حيوان سابق عليه .

ومن القائلين بهذا المذهب جمهور المتدينين والاطباء المحققين مستدلين على ذلك بما يرونه من عدم رؤيتهم ترقياً جديداً فى خلال هذه الالوف المؤلفة من رتبة الحيوانية إلى الانسانية ، وعلى هذا الرأى جمهور المفكرين من الطبيعيين ويقولون: ليس الانسان وحده هو الذى خلق خلقاً مستقلاً ، بل جميع الحيوانات أيضاً بدليل وجودها جميعاً على ما هى عليه من غير أى تبدّل فى تركيبها فى خلال القرون المتمادية كلها رغماً عن الاوساط المختلفة والفواعل الكثيرة العاملة عليها ، و يقولون : ان الانسان خلق مستقلاً غير مشتق فانه عالم وحده

فى جميع أحواله ، فليس بين شعوبه من الفروق الجثمانية أو الروحية ما يشير إلى ترق تدريجى بين آحاده من عالم أدنى من عالمه .

و ان الانسان الابيض فى اوروبا والاسود فى افريقا والاحمر فى آمريكا هوالانسان نفسه مصبوغاً بلون اقليمه ، وان الفرق بين أدنى الاجناس الانسانية ، وبين أرقاها أقل بكثير مما بين حصان انجليزى ضخم الجثة وحصان عربى صغيرها .

ثم ان أقدم الحفريات التى درسها العلماء وجميع الطبيعيين تدل على أن الانسان القديم و إن كان أقبح صورة من الانسان الحالى إلا أنه لانسبة بينه وبين القردة فى شىء كما اعترف بذلك العلامة الاختصاصى فى درس الجماجم الانسانية (لاريت) .

و هم يقولون : ان البقايا الانسانية التى وجدت في مغارات « انجيس » و « نندرتال » باوروبا و هى تعتبر أقدم البقايا البشرية لا تدل على أدنى فرق بينها و بين الانسان الحالى ، أفلا يكون ذلك من أدل الادلة على بطلان من توهم : ان الانسان مترق عن القردة ؟ إذا كانت هذه الالوف المؤلفة من السنين التى تفصلنا عن أصحاب تلك البقايا لم تؤثر أدنى تأثير فى تبديل الخلقة أو نقلها من حال إلى حال لا إلى ترق و لا تدلّ ، فكم يلزم أن يكون مضى من ملايين السنين بين إنتقال الحيوان الدنىء من حالته السافلة إلى رتبته الانسانية الراقية ؟ و هل يبلغ عمر الارض مثل هذه المدة ؟

على أن الفرق بين أقرب الحيوانات شبهاً بالانسان و هو الغوريل و بين الانسان نفسه عظيم جداً وذلك ان أخف مخ من الانسان لايزن أقل من / ٩٦٠- إلى - ٩٩٠ غراماً مع أن أثقل مخ من مخاخ الغوريل لايزن أكثر من / ٩٢٠ غراماً .

أما حجم أصغر جمجمة من جماجم الانسان فلا يقل عن / ١١٤ بوصة مكعبة ، أما أكبر جمجمة من جماجم الغوريل فلا يبلغ أكثر من / ٣٢ بوصة و نصف مع أن وزن الغوريل يبلغ ضعفى وزن المرأة المتوسطة الحجم .

و من المحققين : من قال : إذا قلنا : ان فى التفاح سكراً ، و فى الرمان حلواً ، و فى الحجر حديداً ، و فى الحنطة انساناً ليس التفاح سكراً ولا السكر تفاحاً ، و لا الرمان حلواً و لا العكس ، و لا الحجر حديداً ولا العكس، وإنما الغرض : ان فى التفاح مادة السكر ، وفى الرمان مادة الحلو ، فاذا تحلل التفاح و خرجت مادة السكر ، فلم تكن مادة السكر تفاحاً ، و انما هى سكر مستقل كما انها كانت سكراً مندكاً فى التفاح من قبل ، فكذلك الانسان ، تأخذ مادته من التراب وهى تسرى فى الاغذية والاشربة إلى أن صارت نطفة فى أصلاب الرجال و أرحام النساء . . .

فمادة الانسان لن تتغير فى جميع الادوار و إن تغيّر محالها كما ان مادة الحديد كانت محفوظة فى الحجر ، فليس الجماد او التراب أو الحيوان إنساناً ولا العكس ، و انما فيها مادة الانسان ، و ان الله جل وعلا خلق الانسان من طين فيه مادة الانسان ، فلم يكن الانسان طيناً فصار انساناً إذ قال : «من سلالة من طين».

فاذا انتقلت هذه المادة إلى الجماد فهى مادة إنسان ، ومن الجماد إلى النبات فكذلك ، و من النبات إلى الحيوان ، ومن الحيوان إلى الانسان فهى مادة الانسان إلى ان صارت نطفة . . . و من هنا تندفع شبهة الآكل والمأكول فتأمل جيداً .

﴿في حكمة خلق الانسان﴾

قال الله تعالى : « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً » الانسان : ٢)

في الاحتجاج : - فيما احتج الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام على الزنديق - قال الزنديق : فلأيّ علة خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم ، ولا مضطر إلى خلقهم ولايليق به التعبث بنا؟ قال الامام عليه السلام : خلقهم لاظهار حكمته وإنفاذ علمه ، وإمضاء تدبيره .

قال : و كيف لايقتصر على هذه الدار فجعلها دار ثوابه ومحتبس عقابه ؟

قال : ان هذه الدار دار إبتلاء ، ومتجر الثواب ، و مكتسب الرحمة ، ملئت آفات، وطبقت شهوات ليختبر فيها عبيده بالطاعة فلايكون دار عمل دار جزاء - إلى أن قال - قال الزنديق : فأخبرني عمن يزعم : ان الخلق لم يزل يتناسلون و يتوالدون ويذهب قرن ويجيء قرن، وتفنيهم الامراض والاعراض وصنوف الآفات، ويخبرك الاخر عن الاول ، وينبئك الخلف عن السلف والقرون عن القرون، انهم و جدوا الخلق على هذا الوصف بمنزلة الشجر والنبات في كل دهر يخرج منه حكيم عليم بمصلحة الناس ، بصير بتأليف الكلام ، ويصنف كتاباً قد حبره بفطنته وحسنه بحكمته ، قد جعله حاجزاً بين الناس ، يأمرهم بالخير ويحثهم عليه، وينهاهم عن السوء والفساد ، ويزجرهم عنه لئلايتهارشوا ، ولايقتل بعضهم بعضاً؟

قال الامام عليه السلام : ويحك ! ان من خرج من بطن امه أمس ، ويرحل عن

الدنيا غداً لاعلم له بما كان قبله ولاما يكون بعده ، ثم انه لايخلوا الانسان من أن يكون خلق نفسه أوخلقه غيره ، أولم يزل موجوداً ، فما ليس بشيء ليس يقدرأن يخلق شيئاً وهوليس بشيء ، وكذلك مالم يكن فيكون شيئاً ، يسئل ؛ فلا يعلم كيف كان ابتداؤه ولو كان الانسان أزلياً لم تحدث فيه الحوادث ، لان الازلى لا تغيّره الايام ، ولايأتى عليه الفناء مع أنا لم نجد بناءاً من غير بان ، ولا أثراً من غير مؤثر ، ولاتأليفاً من غير مؤلف .

فمن زعم ان أباه خلقه ، قيل : فمن خلق أباه ؟ ولو ان الاب هوالذى خلق ابنه لخلقه على شهوته ، وصوّره على محبته ولملك حياته ولجاز فيه حكمه ، و لكنه ان مرض فلم ينفعه ، وإن مات فعجز عن ردّه ، ان من استطاع أن يخلق خلقاً وينفخ فيه روحاً حتى يمشي على رجليه سوياً ، يقدرأن يدفع عنه الفساد - إلى أن قال - قال الزنديق : فخلق الخلق للرحمة أم للعذاب ؟ قال الامام عليه السلام : خلقهم للرحمة وكان فى علمه قبل خلقه إياهم ، ان قوماً منهم يصيرون إلى عذابه بأعمالهم الردية ، وجحدهم به .

وفيه : وروى انه اتصل بأمير المؤمنين عليه السلام ان قوماً من أصحابه خاضوا فى التعديل والتجريح فخرج حتى صعد المنبر فحمدالله وأثنى عليه ثم قال :

« أيها الناس ان الله تبارك وتعالى لما خلق خلقه ، أراد أن يكونوا على آداب رفيعة ، وأخلاق شريفة ، فعلم انهم لم يكونوا كذلك إلاّ بان يعرفهم مالهم وماعليهم ، والتعريف لايكون إلاّ بالأمر والنهى ، والامر و النهى لايجتمعان إلاّ بالوعد والوعيد ، والوعد لايكون إلاّ بالترغيب ، والوعيد لايكون إلاّ بالترهيب ، والترغيب لايكون إلاّ بما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم ، والترهيب لا يكون الاّ بضد ذلك ، ثم خلقهم فى داره وأراهم طرفاً من اللذات ، ليستدلوا به على ماورائهم من اللذات الخالصة التى لايشوبها ألم ، ألا وهى الجنة وأراهم طرفاً من الآلام ليستدلوا به على ما ورائهم من الآلام الخالصة التى لا يشوبها لذة ألا وهى النار ،

فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنها، وسرورها ممزوجاً بكدرها و همومها »

اقول : ان التدبر في القرآن الكريم يلهمنا ان الغرض من هذا العالم الشاسع و ايجاده شيئاً فشيئاً هوأن يوجد الانسان، و ان الغرض من الاركان و النبات و الحيوان وما إليها والارواح الناطقة أن تحصل خلافة الله فى أرضه، لهذاالانسانفيتوصل بهابايفاء حقها إلى النعيم الابدى إذقال الله تعالى: « وإذقال ربك للملائكةإنى جاعل فى الارض خليفة» البقرة : ٣٠)

ان الله تعالى جعل هذا الانسان سلالة العالم وزبدته، و هو المخصوص بكرامته إذقال : « ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » الاسراء : ٧٠)

وجعل ما سواه كالمعونة له إذقال فى معرض الامتنان : « هوالذى خلق لكم مافى الارض جميعاً » البقرة : ٢٩)

وقال : « والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً و جعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتمّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون » النحل : ٨١)

فليس فضل الانسان بقوة الجسم فان الفيل والبعير أقوى جسماً منه، ولا بطول العمر، فان النسر والغراب والحية أطول عمراً منه، ولا بشدة البطش فان الاسد والنمر أشد منه بطشاً، ولابحسن اللباس، فان الطاووس والدراج أحسن منه لباساً، ولابالقوة على النكاح فان الحمار والعصفور أقوى منه نكاحاً ولابكثرة الذهب والفضة، فالمعادن والجبال أكثر منه ذهباً وفضة وما أحسن قول الشاعر:

لولا العقول لكان أدنى ضيغم	أدنى إلى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت	أيدى الكماة عوالى المرّان

ولا بعنصره الموجودمنه كما زعم ابليس إذقال : « خلقتني من نار وخلقته من طين » ص : ٧٦)

بل ذلك بما خصّه الله تعالى به ، وهو المعنى الذى ضمنه فيه ، والامر الذى رشحه له وقدأشار إليه تعالى بقوله : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » ص ٧٢)

وبقوله : « خلقت بيدى » ص : ٧٥)

والملائكة لما نبههم الله تعالى لفضل آدم تنبهوا فأذعنوا وسجدوا له كما امروا وابليس لما نظر إلى ظاهر آدم و بدنه وتعامى عما ذكر الله جلاوعلا و لم يتأمل المعنى الذى ضمنه الله تعالى آدم ، والعاقبة التى جعلها له أبى واستكبر ، وقد اقتدى به الكفارفي ردّ الانبياء عليهم السلام إذقالوا : « ماهذا إلاّ بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم » المؤمنون : ٢٤)

وقالوا : « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق »الفرقان:٧)

وقد نبه الله تعالى على أن الاعتبار بفضلهم ليس بظاهر أبدانهم ، وانما ذلك لمعاني في نفوسهم يعمى عنها الكفار ، فقال عزمن قائل : « وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون » الاعراف : ١٩٨)

أى لايعرفون ما فضلتهم به ، فمن وفق لفضل ما اعطى ، ولما رشح له ،وأعد ثم سعى في مثاله فقداوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلاّ اولوا الالباب .

ومن أوضح الدليل على أن العلة الغائية من وجودنا في الحياة الدنيا انما هي عبادةالله جل وعلا وتوحيده وتقديسه والتقرب إليه سبحانه ثم معرفته واليقين بما وراء العالم المحسوس .

قوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » الذاريات : ٥٦)

وقوله : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » الحجر : ٩٩)

وذلك لان العبادة بما فيها من تسبيح وتقديس وتحميد وخضوع وخشوع و صلاة وصوم وحج وزكاة وخمس وصبر على النوائب، وأخلاق فاضلة، وتجنب عن أخلاق رذيلة، وقيام بأعمال صالحات، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر مقدمة لمعرفة الله جل وعلا.

فلايمكن الوصول إلى معرفة الله جل وعلا واليقين بما وراء المادة: معرفة تتناسب والاستعداد البشرى إلا بعبادة مقبولة، بكل مافى العبادة من معنى واسع مع خشوع و خضوع. فكلما شعر الانسان انه يذوب حباً لله تعالى و يزداد له خشوعاً وإنابة علم انه يتقرب إلى الغاية التى خلق لاجلها، ألا وهى معرفة الله جلت قدرته، هل شعرت فى صلاتك بانجذاب نحو المبدأ الاعلى وحبور و سرور من جراء هذا الانجذاب اللاهوتى؟ هل دمعت عيناك، وأنت فى صلاتك عند تلاوة بعض الايات القرآنية؟ وهل عرجت نفسك أثناء القنوت وأنت رافع يديك نحو السماء إلى معالم قدسية تفوق حدود الوصف والتعريف؟.

فالغرض من خلق الانسان أن يعبدالله جل وعلا ويعرفه ويخلفه وينصره و يعمر أرضه على مانبه الله تعالى فى مواضع عديدة من كتابه الكريم حسب مااقتضته الحكمة الالهية ومن الايات:

قوله سبحانه: «ليستخلفنهم فى الارض» النور: ٥٥)

وقوله: «وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب» الحديد: ٢٥)

وقوله: «يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارالله» الصف: ١٤)

وقوله: «هو الذى أنشأكم من الارض واستعمركم فيها» هود: ٦١) وغيرها من الايات التى تشير إلى تولية الانسان اموراً لم يستصلح لها غيره كمانبه الله جل وعلا عليه فى قوله: «انى أعلم مالاتعلمون» البقرة: ٣٠) و قوله: «انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها و حملها الانسان» الاحزاب: ٧٢)

ان الله جل وعلا أوجد كل مافى العالم لهذا الانسان إذقال : « الذى جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء و أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم » البقرة : ٢٢)

وقال : « ألم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض و أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » لقمان : ٢٠)

وقال : « ألم تر ان الله سخر لكم مافى الارض » الحج : ٦٥)

وقال : « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم مافى السموات وما فى الارض جميعاً منه ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » الجاثية : ١٢ - ١٣)

وقال: «الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخّر لكم الانهار و سخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهار » ابراهيم : ٣٢ - ٣٣)

وقد أباح الله جل وعلا لهذا الانسان طيبات من رزقه : فقال : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد و كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » الاعراف: ٣١-٣٢)

فللانسان أن ينتفع بكل مافى هذا العالم مما أباح الله جل وعلا له على وجهه فى أطعمته وأشربته ، فى ملابسه ومساكنه ، فى مشموماته ومركوباته، فى رؤيته وأنكحته ، وفى زينته والالتذاذ بصورته . وفى ذلك كله لابد له من الاعتبار به وباستفادة علم منه ، والاقتداء بفعله فيما يستحسن منه والاجتناب عنه فيما يستقبح منه .

و ان الله تعالى نبّه على منافع الاشياء كلها . و اطلع الخلائق عليها إما بألسنة أنبيائه أو بالهام أوليائه عليهم السلام ، فكما ان حق الانسان أن يعرف

منافع الاشياء فى ذواتها فينتفع بها فى المطاعم والملابس والمساكن والمناكح والمشارب والادوية . . .

فكذلك كان حقه أن يعرف نفسه ومافيه من الصفات المتضادة فيتبع ما فيه كماله وسعادته ، ويجتنب عما فيه انحطاطه و شقائه . . .



بحث روائی فی

معرفة قدر الانسان وملكاته

قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام :
« من عرف نفسه فقد عرف ربه ، من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز »

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « هلك امرؤ لم يعرف قدره »

وفيه : قال الامام عليه السلام _ فى خطبة _ : « أيها المخلوق السوى ، والمنشأ المرعى فى ظلمات الارحام ومضاعفات الاستار ، بدئت من سلالة من طين ، ووضعت فى قرار مكين إلى قدر معلوم ، وأجل مقسوم ، تمور فى بطن امك جنيناً لاتحير دعاء ولاتسمع نداء ، ثم اخرجت من مقرك إلى دار لم تشهدها ، ولم تعرف سبل منافعها فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدى امك ، وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك و إرادتك ؟ هيهات ! ان من يعجز عن صفات ذى الهيئة والادوات فهو عن صفات خالقه أعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين أبعد » .

قوله عليه السلام : « السوى » : العدل والوسط ، و رجل سوى أى مستوى الخلقة غير ناقص و « المنشأ » من أنشأ الخلق : إبتدأ خلقهم ، والرعاية : الحفظ ، و « المرعى » : من شمله حفظ الراعى ، و « مضاعفات الاستار » أى الأستار المضاعفة ، والحجب بعضها فوق بعض ، و « تمور » : تحرك ، و « لاتحير » : لاتجيب ، و « لم تشهدها » : لم تحضرها قبل ذلك ، ولم تعلم بحالها ، و « لاجترار الغذاء » : لاجتذاب الغذاء ، و « مواضع طلبك » قيل : أى حلمة الثدى ، والجمع باعتبار

أن الطفل يمتص من غير ثدى امه أيضاً ، أو عرّفك عند الحاجة إلى كل شيء في دار الدنيا مواضع طلبك ، فالمراد بمواضع الطلب القوى والآلاف التي يحصل بها إجترار الغذاء .

وفيه : قال الامام عليه السلام - في خطبة - : « جعل لكم أسماعاً لتعي ماعناها، وأبصاراً لتجلو عن عشاها وأشلاء جامعة لأعضائها ، ملائمة لأحنائهافي تركيب صورها ومدد عمرها ، بأبدانقائمة بأرفاقها ، وقلوب رائدة لأرزاقها في مجللات نعمه وموجبات مننه ، وحواجز عافيته و قدّرلكم أعماراً سترها عنكم ، و خلف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم - إلى أن قال . : أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الارحام وشغف الاستار نطفة دهاقاً ، وعلقة محاقاً ، وجنيناً و راضعاً ، ووليداً و يافعاً ، ثم منحه قلباً حافظاً ولساناً لافظاً ، وبصراً لاحظاً ، ليفهم معتبراً ، و يقصر مزدجراً ، حتى إذاقام إعتداله ، واستواى مثاله، نفراً مستكبراً . . .» الخطبة .

قوله عليه السلام : « لتعي » : لتحفظ ، و « عناها » : أهمها ، و « عشاها » العشا - بالفتح والقصر - : سوء البصر ليلاً و نهاراً أو ليلاً فقط أو العمى ، و « لتجلو » : لتكشف ، و « أشلاء » : أجساد ، و « ملائمة » : موافقة « لاحنائها » : لجوانبها ، وقيل : أي معاطفها والغرض هوالاشارةإلى الحكم والمصالح المرعية في تركيب الاعضاء وترتيبها ، وجعل كل منهافيموضع يناسب بها ، و « بأرفاقها » :بمنافعها وقيل : أي باعضائها وما يستعين به الانسان ، و « رائدة » : طالبة ، « في مجللات نعمه » بصيغة الفاعل أي النعم التي تجلّل الناس أي تغطيهم كما يتجلل الرجل بالثوب ، و « موجبات مننه » أي النعم التي توجب الشكر .

وقوله عليه السلام : « حواجز عافيته » : ما يدفع المضار ، و « قدّرلكم أعماراً سترها عنكم» وذلك لان الامتنان بستر الأعمار لكون الاطلاع عليهاوإشتغال الخاطر بخوف الموت أوالغفلة عنه مما يبطل نظام الدنيا ، والغرض تنبيه الغافل عن إنقضاء العمر لستر حدّه وإنتهائه، وخلف العبر إبقاؤهابعد إرتحال الماضين كأنهاخليفةلهم.

وقوله عليه السلام : « أم هذاالذى . . » فى « أم » وجهان : أحدهما ـ إستفهامية على حقيقتها ، فكأنه قال : اعظكم واذكركم بحال الشيطان و إغوائه أم بحال الانسان من إبتداء وجوده إلى حين مماته . ثانيهما ـ أن تكون منقطعة بمعنى « بل » فكأنه قال عادلاًوتاركاًلما وعظهم به : بل أتلو عليكم بناء هذاالانسان الذى حاله كذا .

وقوله عليه السلام : « شغف » بضمتين : جمع شغاف وهوفى الاصل : غلاف القلب و حجابه ، ثم استعير هنا لوضع الولد ، و « دهاقاً » : إفراغاً ، وقيل : أى مملوّاً و « محاقاً » : ناقصاً ، و « راضعاً » : من يرضع الطفل امه أى يمتص ثديها ، و « وليداً » : مولوداً ، و « يافعاً » : غلاماً شارب الاحتلام ولم يحتلم ، و « منحه » : أعطاه ، و «لافظا» : ناطقاً ، و « لاحظا »: ناظراً ، و « يقصر » ينتهى.والمعنى: ان الله تعالى أعطى هذا الانسان القوى الثلاثة ليعتبر بحال الماضين ، و ما نزل بساحة العاصين ، وينتهى عما يفضيه إلى أليم النكال وشديد الوبال أو ليفهم دلائل الصنع والقدرةويستدل بشواهد الربوبية على وجوب الطاعة والانتهاءعن المعصية، فينزجرعن الخلاف والعصيان ، ويتخلص عن الخيبة والخسران .

وقوله عليه السلام : « إعتداله » الاعتدال : التناسب والاستقامة والتوسط بين الحالين فى كم و كيف ، وقيام الاعتدال . تمام الخلقة والصورة و تناسب الاعضاء ، وخلوّها عن النقص والزيادة و كمال القوى المحتاج إليها فى تحصيل المآرب ...

و « استوى » : إعتدل ، و «مثاله » :مقداره وصفته . ويقال : إستوى الرجل إذا بلغ أشده أى قوته ، وهومابين ثمانية عشر إلى ثلاثين ، و « نفر» : فرّوذهب كقوله تعالى : « فرّت من قسورة » المدثر : ٥١)

وفى دعاء العرفة : قال الامام سيد الشهداء ، سبط المصطفى الحسين بن على عليهم آلاف التحية والثناء : « فابتدعت خلقى من منى يمنى ، ثم أسكنتنى فى ظلمات ثلاث ، بين لحم وجلد ودم ، لم تشهرنى بخلقى ولم تجعل إلى شيئاًمن

أمرى ، ثم أخرجتنى إلى الدنيا تاماً سوياً ، وحفظتنى فى المهد طفلاً صبياً ، و رزقتنى من الغذاء لبناً مريئاً و عطفت علىّ قلوب الحواضن ، وكفّلتنى الامهات الرحائم ، و كلأتنى من طوارق الجان ، وسلّمتنى من الزيادة والنقصان، فتعاليت يا رحيم يا رحمان .

حتى إذا استهللت ناطقاً بالكلام ، أتممت علىّ سوابغ الانعام ، فربيتنى زائداً فى كل عام حتى إذا كملت فطرتى ، واعتدلت سريرتى ، أوجبت علىّ حجتك بأن ألهمتنى معرفتك ، وروّعتنى بعجائب فطرتك ، وأنطقتنى لما ذرأت لى فى سمائك وأرضك من بدائع خلقك ، ونبّهتنى لذكرك وشكرك ، وواجب طاعتك و عبادتك ، وفهمتنى ماجاءت به رسلك، ويسّرت لى تقبّل مرضاتك ، ومننت علىّ فى جميع ذلك بعونك ولطفك .

ثم إذ خلقتنى من حرّ الثرى لم ترض لى يا إلهى نعمة دون اخرى ، ورزقتنى من أنواع المعاش وصنوف الرياش ، بمنّك العظيم علىّ ، وإحسانك القديم إلىّ حتى إذا أتممت علىّ جميع النعم ، وصرفت عنى كل النقم ، لم يمنعك جهلى و جرأتى عليك أن دلّلتنى على ما يقرّبنى إليك ، ووفقتنى لما يزلفنى لديك . .» الدعاء .

قوله : « بين لحم وجلد ودم » أى كوّنتنى أوحال كونى بين لحم الرحم و جلدها ، الدم الذى فيها . فليست الثلاثة تفسيراً للظلمات الثلاث . و «لم تشهرنى بخلقى » أى لم تجعل تلك الحالات الخسيسة ظاهرة للخلق فى إبتداء خلقى لاصير محقراً مهيناً عندهم بل سترت تلك الاحوال عنهم ، وأخرجتنى بعد إعتدال صورتى وخروجى عن تلك الاحوال الدنية ، و « صبياً » إما تأكيد ل« طفلاً » أو إشارة إلى إختلاف مراتب المولود ، بان يكون الطفولية قبل الصبا .

وقوله عليه السلام : « مريئاً » : موافقاً للطبع ، و « عطفت » : شفقت وأملت ، و « الخواضن » : النساء اللاتى يقمن بتربية الاولاد والصبيان من حضن الطير بيضه

لانه يضمّه إلى نفسه تحت جناحه ، و « كلأتني » : حفظتني ، « من طوارق الجان» جماعة من الجن يطرقون بشرّ من الاطفال كام الصبيان . والطارق - في الاصل - : الذي يأتي بالليل لاحتياجه إلى طرق الباب ثم استعمل في كل شرّ نزل سواء كان بالليل أو نهاراً . و « سلمتني من الزيادة والنقصان » والمراد بهما : ما يصير سبباً لتشويه الخلقة وضعف البنية ، و« استهللت » الاستهلال : رفع الصوت ، واستهلال الصبي : صياحه عند الولادة ، و كمال الفطرة إشارة إلى قوة الاعضاء والقوى الظاهرة ، و إعتدال السريرة إشارة إلى كمال القوى الباطنة .

وقوله عليه السلام : « أوجبت » : ألزمت وأتممت ، و « روّعتني » : أفزعتني و خوّفتني ، والعلم بعجائب الفطرة يصير سبباً للخوف للعلم بعظمة الرب جل وعلا ووفور نعمه ، وتقصير المكلف في أداء شكره كما قال تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » أو المعنى : ألقيت في قلبي عجائب الفطرة ، و « من حرّ الثرى » الحرّ : خيار كل شيء ومن الطين والرمل الطيب ، ومن الرمل وسطه . والثرى : التراب الندىّ .

و في رواية : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « إن سنح له الرجاء أذلّه الطمع و إن هاج به الطمع أهلكه الحرص و إن ملكه اليأس قتله الأسف وإن ناله الخوف شغله الحذر وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع وإن عضته الفاقة شغله البلاء » وفيه تصوير منه عليه السلام لضعف الانسان في نفسه وجسمه ثم صوّر جهة قوته والعظمة في الانسان بقوله عليه السلام : « الانسان يشارك السبع الشداد » أي ان موهبته لاتقف عند حدّ الظروف التي تحيط به ، بل يتعداها إلى القمر والزهرة والمريخ وسخّر الله تعالى له ما في الكون لحاجاته وأغراضه.

وقد أشار الامام على عليه السلام إلى الضعف أولاً كي لا يركن الانسان إلى قوته ، ويغترّ بها فيطغى ، و أشار إلى قوته ثانياً كي لا يستسلم للضعف إن أصابه ، فينصرف عن الجهاد والسعي والعمل ، و ان العاقل من يناضل و هو على حذر من المخبآت

والمفاجات . . .

وقوله تعالى : « وخلق الانسان ضعيفاً » النساء : ٢٨) لان الانسان أضعف الحيوانات و أحطها في منازل الوجود ولكن الله تعالى أتاه قوى يصعدبها إلى أعلى مراتب الملكوت ويطاول بفكره أرفع معالم الجبروت ، ويسامى بقوته ما يعظم عن ان يسامى من قوى الكون الاعظم .

ومن غير مراء ان أجل العلوم هوعلم الانسان بحقيقة جوهره ومعرفة نفسه وما تتصرف به الامور حالاً بعد حال إلى أن يبلغ إلى أقصى مدى غايته الذي هو قاصد نحوه ، و معرفته الله جل وعلا والعبودية له تعالى حق العبودية و هذا لب ذوى الالباب وجذر العلوم وعنصر الحكمة وفيه الكمال والعزة وسعادة الدارين...

وفي رواية : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على عليه السلام : « المعرفة بنيان النبل، و العلم لقاح المعرفة »

وفي رواية : قال الامام على عليه السلام : « العالم من عرف قدره والجاهل من جهل أمره »

وقال عليه السلام : « المعرفة نور القلب »

وقال عليه السلام : « العلم أول دليل والمعرفة آخر نهاية »

وقال عليه السلام : « أفضل المعرفة معرفة الانسان نفسه ،وأعظم الجهل جهل الانسان أمر نفسه »

وقال عليه السلام : « غاية المعرفة الخشية » .

وقال عليه السلام : « غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه » .

وقال عليه السلام : « من عرف الله كملت معرفته »

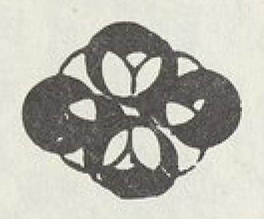
وقال عليه السلام : « من عرف شرف معناه صانه عن دناءة شهوته وزور معناه »

وقال عليه السلام : « ما أخلق من عرف ربه أن يعترف بذنبه »

وقال عليه السلام : « معرفة الله سبحانه أعلى المعارف، ومعرفة النفس أنفع المعارف»

وقال عليه السلام : « غاية كل متعمق فی معرفة الخالق سبحانه الاعتراف بالقصور عن إدراكها »

وقال بعض الحكماء : « من علم انه لايعلم فقد أحاط بكل العلم ، و من اعترف بالعجز عن أداء الشكر فقد أدى كل الشكر »



﴿ كلام فى معرفة الانسان و قواه ﴾

ومن البيّن ان الله جل وعلا خير محض ووجوده واجب ، بريء عن أنحاء النقص والاعدام والملكات . . .وان فيضه وفعله وعلمه وقدرته وما إليها من صفات الكمال ونعوت الجلال من خواص واجب الوجود بما هو وجود من غير أن يلحقه ضدّ ولا يصادفه مفسد ،مناف لوجوده الواجب وساحة قدسه .

بخلاف ماسواه من خلقه من الموجودات المرئية وغيرها لاشتمالها لها على التضاد والتغاير والتفاسد والاستحالة والتجدد ،فليس لها وجود إلاّ وجوداً مستحيلاً دائراً عادماً للعلم والادراك بماانه وجود حتى الملائكة إذ «قالوا سبحانك لاعلم لنا إلاّ ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم » البقره :٣٢) .

ولكل من الكائنات قوى وإستعداد على مراتبها تسير بها إلى كما لها اللائق بها،ومن بين ذلك هذا هو الانسان أكثر إستعداداً لقبول أثر الفيض الالهى،ولمعة نور الوجود الواجب كما نبّه جل و علا فى قوله ، «وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ـ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والارض » البقرة : ٣١ ـ ٣٣) .

وان هذا الانسان إذا بلغ إلى التوسط من الاطراف المتضادة فاعتدلت صار كالسبع الشداد لما فيه من الاستعداد لقبول الفيض الذى أكمل مما يمكن قبوله غاية الصفا والتقرب عن المبدأ الاعلى ،وإذا اعتدلت القوى فى الانسان سلك طريقاً إلى الكمال أكثر مما سلكته الملائكة وما إليها من العوالم غير المرئية حيناً ،

فضلاً عن الحيوان والنبات والجماد . . .

ولذلك الاستعداد في هذا الانسان أمر الله جل وعلا الملائكة المقربين بأن يسجد لهذا الانسان ،ولولا هذا الاستعداد لكان هذا الامر ظلماً على الملائكة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقال : «وما الله يريد ظلماً للعباد » غافر :٣١) وفي هذا الانسان مايدرك به الامور الكلية والمجردات ، ويفعل الافعال الفكرية ،وله باعتبار مايخصّه من القبول عمافوقه ،والفعل فيما دونه قوتان :

احدهما ـ قوة عالمة تدرك بها التصورات والتصديقات ، وتسمى بالعقل النظرى أوالقوة النظرية .

ثانيهما ـ قوة عاملة تستنبط بها الصناعات الانسانية ، ويعتقد الانسان بها القبيح والجميل فيما يفعل ويترك ، كما ان بالنظرية يعتقد الحق والباطل فيما يعقل ويدرك ،وتسمى هذه القوةالعاملة بالعقل العملى أوالقوة العملية ،وهى التى يستعمل الفكر والروية فى الصنائع المختارة للخير أومايظن خيراً فى العمل ، و لهاالجربزة والغباوة والتوسط بينهما يسمى بالحكمة العملية التى هى من الاخلاق لامن العلوم النظرية أوالعملية اللتين كانتا أكثر وأشد كان أفضل ،وهذه القوة خادمة للنظرية مستعينة بها في كثير من الامور ،ويكون الرأى الكلى عند النظرى والرأى الخبرى المعدّ نحو المعمول عند العملى .

ومن البيّن ان للانسان لاشتماله على نفس مجردة خواص لاتوجد في غيره:

اولها ـ النطق لاحتياجه في معيشته وتمدنه إلى اللباس والغذاء الحاصلين له بنوع من التعاون والمعاملة والمعاوضة والمشاركة ، وبذلك يمتاز فى عيشه من غيره فانه خلق لمعرفة الله جل وعلا والكمال المعنوى والسفر إلى دار الحيوان فيحتاج إلى إستعمال قوى إدراكية ،موضعها جسم لطيف ليّن سريع التغير و الانفعال ،سهل القبول للكيفيات والاشكال أزيد من أبدان غيره من الحيوان ، فلامحالة لايكفى اهابه وجلده للتوقى من الحرد والبرد الحاصلين فيما يحويه من

طبقة الهواء ، فلم يكن لباسه طبيعياً ، و كذلك البدن الذى هو موضوع لنفسه حيث يكون فى غاية الاعتدال .

ويكون كل واحد من نفسه وبدنه مستدرجاً فى البلوغ إلى الغاية محوجاً إلى البقاء الدنيوى مدةما ، ولتحليل البدن دائماً يفتقر إلى ورود بدل من الغذاء، فلم يتغذمن أى جسم كان إذ الغذاء يجب أن يكون مزاجه قريباً من مزاج المغتذى حتى يمكن أن يصير بعد تصرف الغاذية شبيهاً بالمغتذى ، بل يفتقر إلى غذاء موافق له، وذلك انما يندر وجوده فى الطبيعة ، فلم يمكن غذائه طبيعياً ، بل يحتاج فى تحصيل وجوده إلى صنعة ما، و لم يكن وجود هذه الصنعة المحصّلة للغذاء الموافق للانسان بصانع واحد لان هذه الصنعة متضمنة بصنايع كثيرة بآلات مختلفة ، و كل واحدة من تلك الصنايع قلما يحصل بالهام أووحى ، بل لا يستحفظ وجودها البقائى إلاّ بتعليم وتعلّم وإن كان وجودها الحدوثى بنحو الالهام أو الوحى أو الحدث .

والتعاون إنما يتحقق بمعاوضات مفتقرة إلى طلب و نهى ووعد ووعيد و ترغيب وترهيب ، وتعجيل وتأجيل ، وغيرها من اعلان مكنونات الضمائر وأعلام مسطورات البواطن ، فلهذه الاسباب ولغيرها آكد وأرجح منها لاحتياج الانسان للاقتدار على أن يعلم غيره من المتشاكين فى التعيش ونظام التمدن مافى نفسه بعلامة وضعية ولا يصلح لذلك شىء أخف من الصوت أو الاشارة والاول أولى لانه مع خفته مؤنة لوجود النفس الضرورى المتشعب بالتقاطيع إلى حروف مهيّاة بالتأليف لهيئات تركيبيه غير محصورة بلا تجشم تحريكات كبيرة كمافى الاشارة لا يختص إشعاره للقريب والحاضر بل يشتمل هدايته لهما ولغيرهما من البعيد والغائب ، ويشتمل أيضاً الصور والمعانى والمحسوسات والمعقولات . . .

ومن خواص الانسان : التعجب و هو إنفعال يحصل عقيب الادراك لامر نادر يتبعه الضحك أو التحير والأسف .

و منها : الزجر، وهو إنفعال نفسانى يتبع الادراك للأشياء المؤلمة والمؤذية

ويتبعه البكاء ...

و منها : الخجلة وهي إنفعال نفساني أيضاً يتبع شعوره بشعور غيره بانه فعل شيئاً من الاشياء التي قد أجمع على أنه لاينبغي أن يفعلها .

و منها : الخوف والرجاء بحسب المستقبل ، وفي غير الانسان من الحيوان يوجدان بحسب الآن ومايتصل بالآن ، ولايكون فيما يبعد من الآن إلاّ بضرب من الالهام كالذي تفعله النملة في نقل الحبوب بالسرعة إلى حجرتها منذرة لمطر يكون ، وهذه الخواص ... بعضها للبدن بسبب كونه ذات نفس ، وبعضها للنفس بسبب كونها ذات بدن ، وأخص الخواص بالانسان تصور المعاني العقلية المجردة عن المادة كل التجريد والتوصل إلى معرفة المجهولات تصوراً وتصديقاً من المعلومات العقلية .

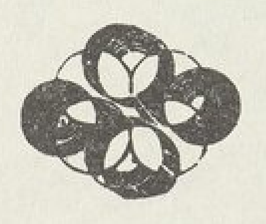
وان للانسان تصرفاً في الامور الجزئية والامور الكلية ، وفي الثاني إعتقاد فقط من غير أن يصير سبباً لفعل دون فعل إلاّ بضمّ آراء جزئية ، فللانسان إذاً قوتان : قوة تختصّ بالآراء الكلية والاعتقادات ، وقوة تختص بالرويّة في الامور الجزئية فيما ينبغي أن يفعل ويترك من المنافع والمضار ، ومما هو جميل وقبيح ، وما هو خير وشرّ ، ويكون حصوله تابعاً لضرب من القياس أو التفكر غايته أن يوقع رأياً في أمر جزئي مستقبل من الممكنات إذ الامور الضرورية والمستحيلة لايروى فيها ليوجد أوليعدم ، ومامضى فقدفات ، والروية عبث .

وإذا حصل الرأي الجزئي يتبع حكم القوة المروية قوة اخرى في أفعالها التحريكية أولها القوة الشوقية الغائية المسماة بالباعثة و الاخرى القوة الفاعلية المسماة بالمحركة كل هذه يستمدّ في الابتداء من القوة المتصرفة في الكليات باعطاء القوانين و كبريات القياس فيمايروى كما يستمدّ من التي بعدها صغريات القياس والنتيجة الجزئية ، فللنفس في ذاتها قوتان : نظرية وعملية ، وتلك للصدق والكذب وهذه للخير والشر في الجزئيات وتلك للواجب والممكن والممتنع وهذه

للجميل والقبيح والمباح ، ولكل من القوتين شدة وضعف في فعلها ، ورأي وظن في عقلها ، والعقل العملي يحتاج في أفعاله كلها دائماً إلى القوى البدنية وأما العقل النظرى فله حاجة ما إليها لا دائماً بل قد يكفي لذاتها .

فجوهر النفس مستعدلان يستكمل نوعاً من الاستكمال بذاتها ، وبما هو فوق ذاته بالعقل النظرى ومستعدلان يتحرز من الآفات ويتصرف فيما دونها بالعقل العملي ، ولكل منها مراتب إستعداد وكمال وحركة إلى الكمال قال الله تعالى: « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » الانسان : ٣)

و في رواية : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام :«اعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من حزم » .



﴿الانسان مجمع صفات الكائنات كلها﴾

ومن غير مراء ان التدبر فيما ورد حول الانسان وصفاته وملكاته في القرآن الكريم والروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين يلهمنا: ان هذا الانسان دفتر مملؤ من العلوم، ومختصر من اللوح المحفوظ، و انه أكمل الموجودات وأتم الكائنات، وجسمه جزء من أجزاء العالم بأسره، و كان هذا الجزء أشبه الاشياء بجملته صارت نفس الانسان أيضاً أشبه النفوس الجزئية بالنفس الكلية التي هي نفس العالم بأسره وصار حكم سريان قوى نفسه، و أفعالها في بنية جسده مماثلة لسريان قوى النفس الكلية في جميع العالم، و ان الله جل وعلا جعل في بنية جسد الانسان أعضاء بنيتها مناسبة لجملة بدنه بعضها لبعض وجعل لكل عضو منها قوة تختص بها ليظهر بها أفعاله في بنية الجسد و في سائر اطرافه...

وان هذا الانسان نسخة مختصرة من هذا الكون والوجود فيه بسائطه و مركباته ومادياته ومجرداته... بل هو العالم الكبير بل الاكبر كما قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام.

دواؤك فيك و ما تشعر　　و داؤك منك و ما تبصر
أتزعم انك جرم صغير　　و فيك انطوى العالم الاكبر

فكل واحد من أفراد الانسان عالم ومرآة ينعكس فيها هذا الوجود كله في صورة خاصة لاتتكرر أبداً على مدار الدهور، ولا نظير له من بين أبناء جنسه جميعاً

لافي شكله وملامحه ، ولافي عقله ومداركه ، ولافي روحه ومشاعره ، ولافي صورة الكون كما هي في حسّه وتصوّره ، فكل فرد في طوال الاعصار نموذج خاص و طبعة فريدة لاتتكرر يمرّ من خلالها الوجود كله في صورة لاتتكرر كمالاتوجد بصمة أصابع مماثلة لبصمة أصابع اخرى في هذه الارض في جميع الاعصار . . .

فكل واحد من الانسان مجمع صفات مافي الكون من الموجودات : سمائها وأرضها ، جمادها ونباتها ، ملكها وحيوانها . . . و يستعد لا تصاف ممدوحها و مذمومها ، حسنها وقبيحها ، عليّها ودنيئها ، خيرها وشرها ، وشريفها ووضيعها...

فانه مركب من صفات ملكوتية وشيطانية وبهيمية و سبعية و ربوبية . . . فمن الاولى العبودية المحضة ، ومن الثانية الاستكبار والاستبداد ، ومن الثالثة الشهوة ومن الرابعة الفجور ، ومن الخامسة العزة والرحمة . . .

فنفس الانسان مجمع صفات الكائنات المتضادة لايمكن الاعتدال بينها إلاّ بالايمان وصالح العمل والثبات ، ومن عرف نفسه فقد عرف الموجودات ولذلك قال الله تعالى : « أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض ومابينهما إلاّ بالحق » الروم : ٨)

تنبيهاً على أنهم لو تدبروا أنفسهم و عرفوها حق معرفة عرفوا حقائق الموجودات وصفاتها ، فانيها وباقيها ، وعرفوا خالقها .

قال الله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » فصلت : ٥٣)

وان الانسان إذا عرف نفسه التي تدور عليها إنسانيته عرف العالم كله ، و من عرف العالم عرف خالقه ، ولم يكن كالكفرة الجهلة والفجرة السفلة الذين قال الله تعالى فيهم : « ما أشهدتهم خلق السموات والارض و لا خلق أنفسهم » الكهف : ٥١)

و ان الانسان إذا عرف روحه يعرف العالم الروحاني وبقاءه ، و إذا عرف

جسده عرف العالم الجسدانى وفنائه ، و يعرف خسّة الفانيات و شرف الباقيات الصالحات وإذا عرف نفسه عرف أعدائه الكامنة فيها المشار إليها بقوله ﷺ : « أعدى عدوّك نفسك التى بين جنبيك فيستعيذ منها » وقال رسول الله الاعظم ﷺ : « اللهم ألهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى » وقال : « لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين فاهلك »

و من عرف أعدائه الكامنة و مكامنها ، و كيفية إنبعاثها أحسن أن يحترز منها ، وأن يجاهدها فيستحق ما وعدالله جل وعلا به المجاهدين فى سبيله ، ومن لم يعرفها فجدير أن يتراءى له عدوه الذى هو الهوى بصورة العقل فيتصور له الباطل بصورة الحق ، وقد قال النبى الكريم ﷺ : « الهوى شيطان » بل قال : هو إله يعبد من دون الله ، وقال ﷺ : « ما عبد فى الارض إله أبغض إلى الله من الهوى » ثم تلا : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » .

وانه اذا عرف نفسه عرف أن يسوسها ، ومن أحسن أن يسوس نفسه أحسن أن يسوس ، فيصير من خلفاء الله جل وعلا المذكورين فى قوله تعالى : «ويستخلفنكم فى الارض » الاعراف : ١٢٩) وقال : « وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض » النور : ٥٥)

وانه إذا عرفها فلم يجد عيباً فى أحد إلا رآه موجوداً فى ذاته ، إما ظاهراً منبعثاً أو كامناً فيه ككمون النار فى الحجر فلا يكون همّازاً ولمّازاً ومشّاءاً ولا عيّاباً ولا جاسوساً مردة الشيطان ولا مغتاباً . . . فان كل عيب تراءى له من غيره وجده فى نفسه ، ومن رأى عيب نفسه ، فجدير أن يكون ممن دعا له رسول الله الاعظم ﷺ بقوله : « رحم الله إمرءاً شغله عيبه من عيوب غيره » .

ومعرفة عيب النفس صعب مستصعب من حيث ان كل إنسان يحبّ نفسه وحبه لها يعميه عن معائبها كما قال النبى الكريم ﷺ : « حبك الشيء يعمى ويصمّ » والاعمى والاصم عن عيب الشيء قد يعجب به ولا ضرر أعظم من إعجاب

المرء بنفسه .

وانه اذا عرف نفسه ، فقد عرف الله جلاوعلا ، وقد روى انه ما أنزل الله تعالى من كتاب إلا وفيه : « اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك » .

فان معرفة الله سبحانه لاتمكن إلا أن تعرف النفس لانك إذا عرفتها على الحقيقة ، فقد عرفت العالم الواسع ، وإذا عرفت العالم عرفت انه محدث ، وان لا بدله من محدث لايشبه المحدث بوجه ، وذلك هوغاية معرفة الله جل وعلا، وعلى هذا يدل معنى قول مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام : « ان العقل لاقامة رسم العبودية لالادراك الربوبية » . ثم أنشأ يقول :

كيفية النفس ليس المرء يعرفها فكيف كيفية الجبار فى القدم
هو الذى أنشاء الاشياء مبتدئاً فكيف يدركه مستحدث النسم

وقال أيضاً :

العجز عن درك إلادراك إدراك والبحث عن سرّ ذات السر إشراك
و فى سرائر هممات الورى همم عن ذا الذى عجزت جن واملاك
يهدى إليه الذى منه إليه هدى مستدركاً و ولى الله مدرك

وقال الله تعالى : « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » الحشر : ١٩)

تنبيهاً على أنهم لو عرفوا أنفسهم لعرفوا الله جل وعلا ، فلما جهلوه دلّ جهلهم إياه على جهلهم إياها .

وبالجملة فقد جمع الله تعالى فى الانسان قوى بسائط العالم و مركباته و روحانياته وجسمانياته ومبدعاته ومكوّناته ،فالانسان من حيث انه بوساطة العالم حصل ، ومن أركانه وقواه وجد ، فهوالعالم ، ومن حيث انه صغرشكله وجمع فيه قواه كالمختصر من العالم ، فان المختصر من الكتاب هو الذى قلّ لفظه واستوفى معناه .

والانسان هكذا هوإذا اعتبر بالعالم ، و من حيث انه جعل من صفوة العالم

ولبابه وخلاصته وثمرته فهو كالزبد من المخيض والدهن من السمسم ، فما من شيء إلا والانسان يشبهه من وجه ، فانه كالاركان من حيث مافيه من الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة ، وكالمعادن من حيث ما هو جسم ، وكالنبات من حيث مايتغذى ويتربى ، وكالبهيمة من حيث ما يحس ويتوهم ويتخيل و يلتذ ويتألم ، وكالسبع من حيث ما يحرص ، ويغضب ، ويحسد ويعدو ويبغض ، وكالشيطان من حيث ما يوسوس ويغوى ، ويمكر ويحيل ويخدع ويضل . . وكالملائكة من حيث مايعرف الله تعالى ويعبده ويخلفه ، وكاللوح المحفوظ من حيث انه جعله الله تعالى مجمع الحكم التى كتبها فيه على سبيل الاختصار ، و كالقلم من حيث ما يثبت بكلامه صور الاشياء فى قلوب الناس كما أن القلم يثبت الحكم فى اللوح المحفوظ .

وقد قال بعض الحكماء المحققين : « ان فى بدن الانسان أربعة آلاف حكمة ، وفى نفسه قريباً من ذلك »

أقول : لايستطيع أحد باحصاء الحكم والاسرار التى فى هذا العالم الشاسع ، وان هذا الانسان الصغير نسخة مختصرة من هذا العالم الكبير ، و فيه ما فيه من الحكم والاسرار لولم نقل بزيادة وزيادة .

و قال بعض العلماء : ولكون الانسان من قوى مختلفة قال الله جل وعلا: « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج » الانسان : ٢) أى مختلطة من قوى أشياء مختلفة ، ولكون العالم والانسان متشابهين إذا اعتبرا قيل : الانسان عالم صغير والعالم إنسان كبير .

ولما كان كل مركب من أشياء مختلفة يحصل باجتماعهن معنى ليس بموجود فيهن على إنفرادهن كالمركبات من الادوية والاطعمة كذلك فى نفس الانسان حصل معنى ليس فى شيء من موجودات العالم ، وذلك المعنى هو ما يختص به من خصائصه التى بها تميز عن غيره من هيئات له كانتصاب القامة ، و عرض الظفر ، و إنفعالات له كالضحك و الحياء وأفعال . . . كتصور المعقولات و تعلم الصناعات و

إكتساب الاخلاق .

ان الله تعالى أوجد الانسان بعد ايجاد الكون وما فيه ، و جمع في هذا الانسان ما في هذا العالم فلنا أن نقول : ان الكون وما فيه كله كالاصفار بلا عدد ، و ان الانسان هو العدد لتلك الاصفار . . و لولا الانسان لما كان لهذا الكون معنى .

ان هذا الانسان لما كان هو جملة مجموعة من جسد جسماني و نفس روحانية ، من جسم مادي وعقل ملكوتي ، وهما جوهران متباينان في الصفات ، متضادان في الاحوال ، ومشتركان في الافعال العارضة والصفات الزائلة ، صار الانسان من أجل جسده الجسماني مريداً للبقاء في الحياة الدنيا متمنّياً للخلود فيها ، ومن أجل نفسه الروحانية صار طالباً للدار الآخرة متمنّياً للبلوغ إليها ، وهكذا أكثر امور الانسان وتصرف أحواله مثنوية متضادة :

من الحياة والممات ، من العلم والجهل ، من النوم واليقظة ، من التذكر و الغفلة ، من العقل والحماقة ، من الخمود والذكاء ، من المرض والصحة ، من العفة والفجور ، من البخل والسخاء ، من الجبن والشجاعة ، ومن الالم واللذة .

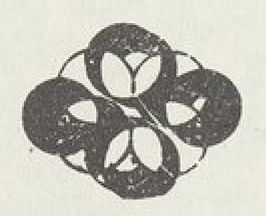
وان هذا الانسان هو متردد بين الصداقة والعداوة ، بين الفقر والغنى ، بين السعادة والشقاء ، بين العزة والذلة ، بين الشبيبة والهرم ، بين الخوف والرجاء ، بين الصدق والكذب ، بين الحق والباطل ، بين الصواب والخطاء ، بين الخير و الشر ، بين القبح والحسن وما شا كلها من الاخلاق والافعال والاقاويل المتضادة المتباينة التي تظهر من الانسان الذي هو جملة مجموعة من جسد جسماني و نفس روحانية .

وان تلك الخصال لا تنسب إلى الجسد بمجرده ، ولا إلى النفس بمجردها ، بل الى الانسان الذي هو جملتها ، والمجموع منهما الذي هو حيّ ناطق مائت ، فحياته و نطقه من قبل نفسه وموته من قبل جسده ، وان نومه من قبل جسده ، و يقظته من قبل نفسه ، وهكذا سائر أحواله المتباينة المتضادة ، بعضها من قبل النفس

، وبعضهامن قبل الجسد، مثال ذلك عقله وعلمه وحلمه وتفكره وسخاؤه وشجاعته وعفته، وعدله وحكمته وصدقه وصوابه وخيره ، وماشا كلهامن الخصال المحمودة ،فكلها من قبل نفسه ، وصفاء جوهرها وأضدادها من قبل أخلاط جسده ومزاجه أخلاطه . . .

ولذلك كله يمتاز الانسان من غيره من الموجودات إذلغيره كمال واحد إذقال الله جل وعلا : «الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى »طه : ٥٠) وللانسان كمالان حيث أشار بقوله . ««وهديناه النجدين »البلد : ١٠)

كمال جسمي بالا كل والشرب، و كمال روحي بالدين والمعرفة ، كمال جسمي بالمسكن واللباس، و كمال روحي بالعلم والعمل، كمال جسمي بالطيبات من الرزق و كمال روحي بتزكية النفس وتقواها . . .



﴿الانسان مجمع الصفات المتضادة﴾

وقد ورد في المقام روايات كثيرة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين ، ولكوننا على جناح الاختصار نكتفي بروايتين منها :

في اصول الكافي : باسناده عن سماعة بن مهران قال : كنت عند أبي عبدالله (ع) وعنده جماعة من مواليه، فجرى ذكر العقل والجهل ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا ، قال سماعة : فقلت : جعلت فداك لانعرف إلا ماعرّفتنا ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : إن الله عزوجل خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال له : أدبر فأدبر ، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى : خلقتك خلقاً عظيما وكرّمتك على جميع خلقي ، قال : ثم خلق الجهل من البحر الاجاج ظلماً نيّاً ، فقال له : أدبر فأدبر ، ثم قال له : أقبل فلم يقبل ، فقال له : استكبرت فلعنه ، ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً ، فلما راى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة ، فقال الجهل :

يارب هذا خلق مثلي خلقته وكرّمته وقوّيته و أناضدّه ولاقوة لي به فأعطني من الجند مثل ما أعطيته ، فقال : نعم فان عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي قال : قد رضيت ، فأعطاه خمسة و سبعين جنداً فكان مما اعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند :

الخير و هو وزير العقل وجعل ضدّه الشر وهو وزير الجهل ، والايمان و ضدّه الكفر ، والتصديق وضدّه الجحود، والرجاء وضدّه القنوط ، والعدل وضدّه

الجور، والرضا و ضدّه السخط ،والشكر وضدّه الكفران،والطمع وضدّها ليأس ، والتوكل وضدّه الحرص والرأفة وضدّها القسوة ،والرحمة وضدها الغضب ،والعلم وضدّه الجهل ، والفهم وضدّه الحمق ، والعفة و ضدّها التهتك ، والزهد و ضده الرغبة ،والرفق وضده الخرق ، والرهبة وضدّه الجرأة ، و التواضع وضدّه الكبر والتؤدة وضدها التسرّع، والحلم وضدّه (ضدّها خ) السفه،والصمت و ضدّه الهذر ، والاستسلام وضده الاستكبار ، والتسليم و ضدّه الشك ، والصبر و ضدّه الجزع ، والصفح وضدّه الانتقام ،والغنى و ضدّه الفقر ،والتذكر و ضدّه السهو ، والحفظ وضدّه النسيان ،و التعطف وضدالقطيعة .

والقنوع وضدّه الحرص،والمؤاساة وضدها المنع ،والمودة و ضدهاالعداوة ،والوفاء وضدهالغدر ،والطاعة وضدها المعصية،والخضوع وضده التطاول ،والسلامة وضدّها البلاء ، والحب وضدّه البغض ، والصدق و ضده الكذب ، والحق و ضدّه الباطل ،والامانة وضدّها الخيانة ، والاخلاص ضدّه الشوب ، والشهامة و ضدها البلادة ، والفهم وضده الغباوة ،والمعرفةوضدّه الافشاء ، والصلاة وضدّها الاضاعة ،والصوم وضدّه الافطار ، والجهاد وضدّه النكول ، والحج ، و ضدّه نبذالميثاق ، وصون الحديث وضدهالنميمة ، وبرّ الوالدين وضدّه العقوق ، والحقيقة وضدّها الرياء والمعروف وضدّه المنكر .

والستروضدّه التبرّج والتقية وضدّها الاذاعة ، والانصاف وضدّه الحمية،و التهيئة ، وضدّها البغى،والنظافةوضدها القذر ، والحياء وضدّها الجلع ،والقصد وضدّه العدوان ، والراحة وضدّها التعب ، والسهولة وضدّها الصعوبة ، والبركة وضدّها المحق ، والعافية وضدّها البلاء ، والقوام وضدّه المكاثرة ، والحكمة و ضدّها الهواء ، والوقار وضدّه الخفة ، والسعادة وضدّها الشقاوة،والتوبة و ضدّها الاصرار ، والاستغفار وضدّه الاغترار ، والمحافظة و ضدّها التهاون ، والدعاء و ضده الاستنكاف ، والنشاطوضدّه الكسل ، والفرح وضده الحزن ، والالفةوضدّها

الفرقة ، والسخاء وضده البخل .

فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلاّ في نبيّ أو وصي نبيّ أو مؤمن قد إمتحن الله قلبه للايمان ، وأما سائر ذلك من موالينا ، فان أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل ، و ينقى من جنود الجهل ، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الانبياء والاوصياء وإنما يدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده ، وبمجانبة الجهل وجنوده ، وفقّنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته».

و في تحف العقول : ـ في وصية الامام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام ـ قال : « الايمان ، الكفر ، التصديق، التكذيب ، الاخلاص النفاق ، الرجاء القنوط، العدل الجور ، الرضى السخط ، الشكر الكفران ، اليأس الطمع ، التوكل الحرص، الرأفة الغلظة ، العلم الجهل ، العفة التهتك ، الزهد الرغبة ، الرفق الخرق ، الرهبة الجرأة ، التواضع الكبر ، التؤد العجلة ، الحلم السفه ، الصمت الهذر ، الاستسلام الاستكبار ، التسليم التجبر ، العفو الحقد ، الرحمة القسوة ، اليقين الشك ، الصبر الجزع، الصفح الانتقام ، الغنى الفقر، التفكر السهو ، الحفظ النسيان، التواصل القطيعة .

القناعة الشره ، المؤاساة المنع ، المودة العداوة ، الوفاء الغدر ، الطاعة المعصية ، الخضوع التطاول ، السلامة البلاء ، الفهم الغباوة ، المعرفة الانكار ، المداراة المكاشفة ، سلامة الغيب المماكرة ، الكتمان الافشاء ، البر العقوق ، الحقيقة التسويف ، المعروف المنكر ، التقية الاذاعة ، الانصاف الظلم ، التقى الحسد ، النظافة القذر ، الحياء القحة ، القصد الاسراف ، الراحة التعب ، السهولة الصعوبة ، العافية البلوى ، القوام المكاثرة ، الحكمة الهوى ، الوقار الخفة .

السعادة الشقاء ، التوبة الاصرار ، المحافظة التهاون ، الدعاء الاستنكاف ، النشاط الكسل ، الفرح الحزن ، الالفة الفرقة ، السخاء البخل الخشوع العجب، صون الحديث النميمة ، الاستغفار الاغترار ، الكياسة الحمق .

ياهشام ! لاتجمع هذه الخصال إلا لنبى أووصى أومؤمن امتحن الله قلبه للايمان، وأما سايرذلك من المؤمنين فان أحدهم لايخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود من أجناد العقل حتى يستكمل العقل ، و يتخلص من جنود الجهل ، فعند ذلك يكون فى الدرجة العليا مع الانبياء والاوصياء عليهم السلام وفقنا الله و إياكم لطاعته » .



﴿الانسان بين طرفى الكمال والانحطاط﴾

قال الله تعالى : « انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » الانسان : ٣)

ان هذا الانسان لما فيه من الاستعداد للاتصاف بالصفات المتضادة يستطيع أن يفوق على الموجودات حتى الملائكة المقربين ، وينال بمالايتمكن أن ينال به غيره من الممكنات . . . و ذلك إذا اتبع عقله و زكّى نفسه و اتصف بصفات فاضلة . . . وأن ينحطّ عن كل ما سواه حتى الحيوان ، و ذلك إذا اتبع هواه و دسّى نفسه واتصف بصفات رذيلة . . . و لطرفى الكمال غايته ، والانحطاط منتهاه مراتب ودرجات . . .

ومن أتباع الهوى الذين لايعلمون من الامور إلا المحسوسات ، ولايعرفون من العلوم إلاّ الجسمانيات ، ولايطلبون إلاّ إصلاح الاجساد ، ولايرغبون إلاّ فى متاع الدنيا وشهواتها ، ولايتمنّون إلاّ الخلود فيها مع علمهم بانه لاسبيل لهم إلى ذلك ، ولايشتهون من اللذات إلاّ الاكل والشرب كالبهائم ، ولا يتنافسون إلاّ فى الجماع والنكاح كالخنازير والحمير ، ولا يحرصون إلاّ على جمع الذخائر من زخارف الدنيا ، ويجمعون مالايحتاجون إليه كالنمل ، و يحبون مالا ينتفعون به كالقعق ، ولايعرفون من الزينة إلاّ أصباغ اللباس كالطواويس ولا يرون الكمال الانسانى إلا الجاه والاشتهار والرئاسة الواهية وهم يتهارشون على حطام الدنيا كالكلاب على الجيف ، وهم وإن كانت صورهم الجسدانية صورة الانسان ، ولكن أفعال نفوسهم حيوانية . . .

فـي مراة العقول : جاء رجل إلى الامام أمير المؤمنين على عليه السلام فقال أخبرني إن كنت عالماً عن الناس و عن أشباه الناس و عن النسناس ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا حسين أجب الرجل !

فقال سيد الشهداء الحسين بن على عليهما السلام : « أما قولك : أخبرني عن الناس فنحن الناس ولذلك قال الله تبارك وتعالى ذكره فـي كتابه : « أفيضوا من حيث أفاض الناس » رسول الله الذى أفاض بالناس، وأما قولك : أشباه الناس فهم شيعتنا وهم موالينا وهم منا ، ولذلك قال ابراهيم : « فمن تبعني فانه مني » وأما قولك: النسناس فهم السواد الاعظم »

ثم أشار إلى جماعة الناس ، ثم قال : « إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلاً»

وفى الخصال : قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « الانس على ثلاثة أجزاء فجزء تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله ، و جزء عليهم الحساب والعذاب ، وجزء وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين »

و أما رتبة الانسان التـي تفوق رتبة الملائكة ، فلابد للانسان أن يجتهد فى تزكية النفس والتدين بدين الحق، ويسعى فى صالح الاعمال ، والاتصاف بصفات حميدة ، و أخلاق فاضلة ، وفى ترك أضدادها ، و أن يتعلم علوماً حقيقية و يعتقد آراء صحيحة ، ويرى المحسوسات مظاهر لما ورائها ، و يعبد الله جل و علا حق العبادة حتى يأتيه اليقين ، و يعرج إلى ملكوت السماء كلمته الطيبة و أعماله الصالحة . . .

«الانسان وفضله على الملائكة»

وقد اختلفت كلمات الحكماء والمتكلمين، والفلاسفة والاخلاقيين في فضل الانسان على الملائكة والعكس اختلافاً كثيراً لايسع المقام لذكرها. وما يستفاد من الايات القرآنية والروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين: ان الانسان بما هو إنسان أفضل من الملائكة لما فيه ماليس فيها من الاستعداد يستطيع به أن ينال إلى الكمال الذى لن ينال إليه غيره من الممكنات... ولذلك أمر الله تعالى الملائكة أن يسجدله إذ قال: «ولقد خلقنا كم ثم صوّرنا كم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» الاعراف: ١١)

في العلل: باسناده عن عبدالله بن سنان قال: سئلت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقلت. الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام: ان الله عزوجل ركب في الملائكة عقلاً بلاشهوة، وركب في البهائم شهوة بلاعقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم.

وفي تفسير العياشي: عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام قال: «لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضرت الصلاة فأذّن وأقام جبرئيل، فقال: يا محمد تقدّم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تقدّم يا جبرئيل، فقال له: إنا لا نتقدّم الآدميين منذ امرنا بالسجود لآدم عليه السلام».

اقول: ولما في هذا الانسان من الاستعداد فهو وحده جدير أن يدعى بـه

الخلافة الالهية فى أرض الله الواسعة ، إذ جعل الله تعالى لهذا الانسان مثلاً أعلى لايعقل أن يتصور مثلا أسمى منه مهما خلقنا فى جوّ الخيال ، و استلهمنا العلم والحكمة ، ذلك المثل الاعلى هو إنسان قد بلغ مراتب من الكمال ، يحق له أن يدعى خليفة الله فى أرضه على حدّ قوله تعالى : « وإذقال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة » .

ان هذه القصة تصرح بان أنواع العلوم والمعانى التى لم تصل إليها الملائكة مغروسة فى جبلّة الانسان ، وإذا كان الانسان من سمو الفطرة و شرف التكوين فى درجة تسجد له الملائكة ، فأىّ وازع أقوى من هذا يزعه عن مقارفة الرذائل و مقارنة الخسائس ، و أىّ دافع أشد منه يدفعه لطلب الغايات البعيدة و بلوغ النهايات القصوى ، وذلك لايمكن إلاّ بالتمسك بالكتاب الكريم وأئمة أهل البيت المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

ولو تتبعتم الدين الاسلامى لرأيتم انه يهدف فى جميع دساتيره ونظمه و تعاليمه إلى تكميل النفس الانسانية وإبلاغها أعلى مراتب الكمال الذى لا كمال فوقه لغيره من الممكنات . . . وقد سبق ان الانسان انسانان :

إنسان لم يحظّ من الانسانية إلاّ بالصورة التخطيطية من انتصاب القامة و عرض الظفر والقوة على الضحك ، ولغو من النطق يجرى مجرى المكاء والتصدية وهو دون البهائم وهو الذى قال الله تعالى فيه : « لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها و لهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون » الاعراف : ١٧٩)

وإنسان هو المعنىّ بما خلق لأجله ، فمن كان كذلك فله حالتان :

احدهما ـ حالته وهو فى الحياة الدنيا ولم يقتحم العقبة ولم يفك الرقبة ، بل هو صريع جوعة وأسير شعبة تنتنه العرقة و تؤلمه البقة و تقتله الشرقة ، ولما يقض ما أمره فهو مادام فى دنياه لايحكم له بأنه أفضل من الملائكة على الاطلاق .

ثانيهما- انه اقتحم العقبة وفك الرقبة بعد ماقضى ما أمره ، فصار من الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، بل قد جعل في مقعد صدق عند مليك مقتدر ذا حياة بلاممات وغنى بلافقر ، وعز بلا ذل ، وسعادة بلاشقاء ، وعلم بلاجهل ،وسلام بلا عناء ، وأمن بلاخوف ، ونعمة بلانقمة ، وسرور بلا لغو، ولذة بلا كدر ، ولهم ما يشتهون في جنات وعيون ، ويدخل عليهم الملائكة بسلام وتحية .

قال الله تعالى : « والذين صبروا إبتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة و أنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها و من صلح من آبائهم وأزواجهم و ذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » الرعد : ٢٤)

وقال : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا و ذرياتنا قرة أعين و اجعلنا للمتقين إماماً اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً » الفرقان : ٧٤ ـ ٧٦)

ولعمري من جعل له هذه المنزلة فهو أفضل من الملائكة المقربين ،أعاننا الله جل و علا على بلوغ هذه المنزلة ، و جعلنا من المترشحين لها برحمته بحق محمد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

﴿الانسان مفطور على السير الى الكمال﴾

قال الله جل وعلا : « اناهديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » الانسان:٣)

ان الاية الكريمة تدل على أن الانسان مفطور فى أصل الخلقة على أن يصلح أفعاله وأقواله ، وأخلاقه وتمييزه ، وعلى أن يفسدها ، وميسّر له أن يسلك طريق الحق والباطل ، طريق الايمان والكفر ، طريق الصواب والخطاء ، طريق الصدق والكذب ، طريق الهدى والضلال ، طريق السعادة والشقاء ، طريق الخير والشر ، وطريق الجنة والنار ، وإن كان منهم من هو بالجملة إلى أحد الطريقين أميل .

وكما انه مفطور على إكتساب الامرين وتمكنه من السبيلين فى ابتدائه مفطور على انه إذا تعاطى أحدهما إن خيراً وإن شراً ألفه ، فاذا ألفه تعوده، وإذا تعوده تطبع به وإذا تطبع به صارله طبعاً وملكة ،فيصير فيه بحيث لو أراد أن يتر كه لم يستطع بسهولة كما قيل : « وتأبى الطباع على الناقل » و « الامتناع بالاختيار لاينافى الاختيار » ويكون مثله كمثل شجر نبت فاعوج سهل فى الابتداء تثقيفه و تسويته بخيط يشد فيه أو بخشب يفرش بجنبه فيسدد به ، ثم إذا غلظ و اشتد مستوياً أمن أن يعوج بل لا يمكن تعويجه ، وإن ترك حتى يعوج فيصلب على عوجه لم يكن بعده تثقيفه .

ونعم ما قال الشاعر :

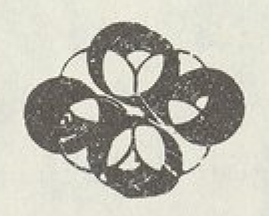
يقوّم بالثقاف العود لدناً و لا يتقوّم العود الصليب

وقد توهم أصحاب الاوهام : ان لا أثر للتأديب والتهذيب ، والتعليم والتربية بان الناس مجبولون على طبائع لا سبيل إلى تغييرها ، فمنهم أخيار بالطبع ، ومنهم أشرار بالطبع ، وهم غافلون عن أن الناس وإن تفاوتوا فى أصل الخلقة ، ولكن ما من أحد إلا و له قوة على إكتساب قدر ما من الفضيلة والكمال ، و على ترك الرذيلة والانحطاط ولولا ذلك لبطلت فائدة الوعظ والانذار والتأديب والتهذيب ، ولكان إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية لغواً .

وأما سبب تأخر الانسان عن الفضيلة والكمال ، فهو إما باتباع الهوى لحب الدنيا و متاعها أو لحب المقام والجاه أو لحب الشهوه والجماع ، و إما من مرب مضل ، ومعلّم مغو فيضله عن طريق السواء .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « انما أخاف على امتى ثلاثاً : شحاً مطاعاً و هوى متبعاً و إماماً ضالاً » .

وقال الامام على عليه السلام : « ألا وان اخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى و طول الامل » .



« الانسان الكامل وما فيه كماله »

فى الكافى : قال أبو عبدالله عليه السلام : « دعامة الانسان العقل ، والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم ، وبالعقل يكمّل وهو دليله ومبصره و مفتاح أمره ، فاذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذاكراً فطناً فهماً ، فعلم بذلك كيف ولم وحيث ، وعرف من نصحه و من غشّه ، فاذا عرف ذلك عرف مجراه و موصوله ومفصوله ، وأخلص الوحدانية لله ، والاقرار بالطاعة ، فاذا فعل ذلك كان مستدركاً لمافات ، و وارداً على ماهو آت يعرف ماهوفيه ، ولأيّ شيء هوههنا ، ومن أين يأتيه ، وإلى ماهوصائر، وذلك كله من تأييد العقل » .

و فى تحف العقول : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : « ثلاث خصال من رزقها كان كاملاً : العقل ، والجمال : والفصاحة » .

وفى معانى الاخبار : عن الامام أمير المؤمنين على عليه السلام انه قال : « كمال الرجل بستّ خصال : بأصغريه وأكبريه وهيئتيه (هيبتيه خ) فأما أصغراه فقلبه و لسانه ، إن قاتل قاتل بجنان ، وإن تكلّم تكلّم بلسان ، وأما أكبراه فعقله وهمته، وأما هيئتاه فماله وجماله » .

وفى الحكم المنسوبة الى الامام على عليه السلام انه قال : « الكمال فى خمس: ألاّ يعيب الرجل أحداً بعيب فيه مثله حتى يصلح ذلك العيب من نفسه ، فانه لايفرغ من إصلاح عيب من عيوبه حتى يهجم على آخر ، فتشغله عيوبه عن عيوب الناس، و ألا يطلق لسانه ويده حتى يعلم أفى طاعة ذلك ؟ أم فى معصية ؟ وألا يلتمس من

الناس إلاّ ما يعطيهم من نفسه مثله ، و أن يسلم من الناس باستشعار مداراتهم و توفيتهم حقوقهم ، وأن ينفق الفضل من ماله ، ويمسك الفضل من قوله » .

ان الله تعالى جعل لكل شيء كمالاً ينساق إليه طبعاً ، و قد هداه إلى التخصيص به تسخيراً كما نبّه عليه بقوله : « اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » طه: ٥٠) ولكن للانسان كما لان : كمال مادى يشارك فيه غيره من الممكنات . . . و كمال معنوى لابدله من السيرإليه إختياراً ليمتازبه من غيره ، و يفوق على ما سواه من الموجودات . . . ولذلك خلق الله جل و علا هذا العالم الشاسع لهذا الانسان .

وما من أحد إلاّ وهوفازع إلى الكمال يطلبه بجهد واختيار ولكن كثيراً يخطىء ، فيظن ماليس بكمال له فى ذاته انه كمال فيغترّ به ، ومن الخاطئين من يرى هذه الدنيا ومتاعها كمالاً لنفسه ، ومنهم من يرى المقام والجاه والاشتهار كمالاً لها ، ومنهم من يرى الانهماك فى الشهوات واللهو واللعب كمالاً لهاوهكذا

وأما أصحاب الكمال فلايرون الدنيا إلاّ ظرفاً للكمال الانسانى ، ولامتاعها إلاّ وسيلة للنيل إلى النعم الابدية،فيتوصلون بما فيها إلى حقيقة السعادةوالسعادة الحقيقية فيتصرفون متاعها فيما خلقت لأجله .

فالناس فى تناولها فريقان:فريق يتناولونها على الوجه الذى جعلهاالله تعالى له،فينتفعون بها ،فتكون الدنيا ظرفاً لكمالهم،ومتاعهاوسيلة لنيلهم بالنعمة الدائمة الاخروية ، و هم الذين قال الله جل وعلا فيهم : « الذين إن مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكرولله عاقبة الامور» الحج : ٤١)

وقال :« للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة و لدار الاخرة خيرولنعم دار المتقين ـ والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوّئنهم فى الدنيا حسنة ولاجر الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا و على ربهم يتوكلون »

النحل : ٣٠ ـ ٤٢)

ولهم فيها حياة طيبة إذ قال الله جل وعلا : « من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون» النحل : ٩٧)

وفريق لايرون الدنيا وزخارفها مارآها أصحاب الكمال والمعرفة، بل هم بتنا ولونها لاعلى الوجه الذى جعلها الله تعالى لهم فركنوا إليها فجعلوها ظرفاً لشقائهم وانحطاطهم وسبباً لعذابهم عاجلاً وآجلاً ، وهم الموصوفون بقوله تعالى على مراتبهم فى الانحطاط والشقاء : « الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً و غرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وماكانوا بآياتنا يجحدون» الاعراف : ٥١)

وقوله : « الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً اولئك فى ضلال بعيد» ابراهيم : ٣)

و قال : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون » الروم : ٧)

وقال : « وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون» الجاثية : ٢٤)

ومن البيّن ان هذا الانسان مسافر فى هذه الحياة الدنيا لابد له من الار تحال منها إلى دار القرار إذ أشار الله جل وعلا إلى ذلك بقوله : « ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين» الاعراف : ٢٤) فعلى الانسان فى هذا السفر من الزاد و الاغتنام والاعتبار والانتهاء إلى دار القرار : « انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة هى دار القرار» غافر: ٣٩)

و من غير مراء ان الانسان بما هو إنسان مجبول إلى طلب دار القرار ، ولكنه فى طلبها على طوائف :

فمنهم : الذين عموا عن الاخرة و صمّوا عما وراء المادية فهمّهم بطنهم وغاية وجودهم غائطهم و هم الذين يقولون : « ماهى إلاّ حياتنا الدنيا نموت و نحيا وما يهلكنا إلاّ الدهر » الجاثية : ٢٤)

ومنهم : من فعلوا فعل هؤلاء السفلة الجهلة ، و البغاة الفجرة ، و إن لم يقولوا قولهم فطلبوا قرارهم فى هذه الحياة الدنيا من حيث لابقاء ولا قرار لهم فيها قال الله تعالى فيهم : «ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً» الانسان : ٢٧)

ومنهم : الذين عرفوا الدنيا ومتاعها، والاخرة ونعيمها ، وعلموا أن الدنيا لاقرارلها و « ماهذه الحياة الدنيا إلاّ لهو ولعب وإن الدار الاخرة لهى الحيوان» العنكبوت : ٦٤)

وعلموا ان فيها يستقر الانسان ويطمئن: «ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية» الفجر: ٢٧-٢٨)

و علموا أن هذا الانسان يحتاج إلى أن يسافر من هذه الحياة الدنيا إلى الدار الاخرة ويطلب فيها الراحة والقرار فيها. كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :«سافروا تغنموا» فاحتملوا المشقة علماً ان كل تعب يؤديهم إلى راحة فهو راحة فسعدوا و كملوا إذ قال جل وعلا : « وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها » هود : ١٠٨)

وقد جعل الله تعالى للانسان حرثين مفيدين لزادين :

أحدهما- روحانى كالمعارف والحكم والعبادات والاخلاق الفاضلة والصفات الحميدة ، وثمارها الكمال الانسانى ، والاستكثار من ذلك كله محمود ، ولايكاد يطلبه إلاّ من قد عرفه وعرف منافعه ومايتبعه من الجنة ونعيمها .. وهو غايته.

ثانيهما- جثمانى كالامـوال و الاولاد و الازواج و الأثاث و المساكن و المراكب و ما إليها من زينة الحياة الدنيا المكتسبة من طريق الحلال من غير

أن يراها غاية لنفسه قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون» البقرة : ١٧٢)

وقال : « يا أيها الذين آمنوا لاتحرّموا طيبات ماأحل الله لكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً » المائدة : ٨٧ و٨٨)

و قال : « قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة» الاعراف: ٣٢)

وقال : «انا جعلنا ما على الارض زينةلها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ـ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً» الكهف : ٧ـ٤٦) وقال: « كلوا من طيبات مارزقناكم ولاتطغوا فيه فيحل عليكم غضبى» طه : ٨١)

وقال : « وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عندالله خير وأبقى أفلا تعقلون ـ وابتغ فيما آتاكالله الدار الاخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كماأحسن الله إليك ولاتبغ الفساد فى الارض ان الله لايحبّ المفسدين» القصص: ٦٠ـ٧٧) .

كل ذلك لان يبتغى بها الانسان فى الوصول إلى الزاد الاخروى،فلايولع بالركون إليها إلاّ من جهل حقائقها ومنافعها، وجهل ماخلقت لاجله،والاستكثار منها ليس بمذموم مالم يكن مثبطاً لصاحبه عن مقصده ، و للمجتمع البشرى عن غرضه ، وكان متناولاً على الوجه الذى يجب و كما يجب ، ومجعولاً إلى الوجه الذى ينتفع بهفى مقصده ولكن تناوله على هذا الوجه والاستكثار منها لايتأتى إلاّ إذا كان السلطان أو الحاكم عادلاً واقعاً لاشعاراً و ادعاءاً . . . و كانت الامور جارية على مجاريها،وكان الناس أحراراً فى معاملاتهم وتجاراتهم وأفكارهم وكان الحاكم ناظراً فى امورهم لامتصرفاً فى أموالهم وأنفسهم وأعراضهم كيفما يشاء ومن غير يسئل عما يفعل ـ فلايرى الحاكم أوالسلطان الحرية والثروة خطراً لسلطنته

أو حكومته، فيسلب الحرية عن المجتمع و يلغى المالكية عن الثراة و يجعل المعاملات و التجارات وطنية ويسير إلى الاشتراكية و الاستبدادية القح ولكن أكثر الناس لايعلمون جداً كل ذلك باسم الاسلام والاسلام من ذلك كله بريء ولعمرى ليست هذه الا خداعاً كما نرىفى أيامناهذه ـ فليحفظ الناس معاملاتهم و تجاراتهم وحرياتهم على مقتضى الشرع ثم يكون أصحاب الثروة ممن و صفهم الله تعالى فى قوله : « رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة و ايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الابصار » النور : ٣٧) و قوله : « ولايجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة» الحشر: ٩) .

و لعمرى لو لم يكن الامر كما ذكرنا من الاستقامة على الشرع حقيقة لاشعاراً، ولا على أساس الدين الاسلامى واقعاً لا إدعاءاً فستزول الدولة و تسقط الحكومة و كان ضررها على الاسلام والمسلمين أكثر ضرراً فى تاريخ الاسلام اذ كانت حكومةقاسية إستبدادية باسم الاسلام على طريق الخداع ، فلو أرادت هذه الحكومة ـ الجمهورية الاسلامية ـ بقاءها إلى حين و نفعها للاسلام و زيناً للمسلمين لاشيناً عليهمفلابدلهامن الاحترام باموال المسلمين ودمائهم وأعراضهم و حرياتهم فى المعاملات والتجارات ، و كانت ناظرة فى امورهم، وآخذةحقوق المظلومين من الظالمين وردّها إلى أصحابها لا إلى نفسها أو إلى أخصّائها .

فاعتبروا يا اولى الابصار ...

وبالجملة انالموفق فى الدنيا إذا رآىنفسه قاصرة عن الجمع بينالامرين إهتمّ بما يبقى ، وأقلّ العناية بما يفنى وآثر الآخرة على الدنيا ، فلايلتفتإلى الدنيا إلاّ بقدر مايتبلغ به إلى الآخرة مراعياً فيه حكم الشرع ، ومحافظاً لقول الله تعالى : «ياأيها الناس ان وعدالله حق فلاتغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور» فاطر: ٥)

و قال رسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم : « ما أنا والدنيا إنما مثلى فيها مثل راكب

سار فى يوم صائف فرفعت له شجرة فنزل فقام فى ظلها ساعة ثم راح وتركها»

و قدنبه الله عزوجل على حال من يريد أن يتجرد و يتخلص من مصيدة الدنيا على سبيل المثل بقوله : «ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى إلاّ من اغترف غرفة بيده» البقرة : ٢٤٩)

وحب الدنيا- كما قال النبى الكريم ﷺ - رأس كل خطيئة .

وقال ﷺ : «من سكن قلبه حب الدنيا بلى بثلاثة : شغل لايبلغ مداه ، وفقر لا يبلغ غناه ، وأمل لايبلغ منتهاه» .

وقال ﷺ : « من كانت الدنيا أكبر همه فرق الله تعالى عليه همته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلاّ ما كتب له و من كانت الاخرة أكبر همه جمع الله تعالى شمله وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة»

وهذا معنى قول الله عزوجل : «من كان يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الاخرة من نصيب» الشورى : ٢٠)

ومعرفة ذلك والوصول إليه لايمكن إلاّ أن يستضيىء العقل بنور الشرع معتمداً على من له الخلق والأمر .

«الاسلام وعلائم الكمال الانسانى»

فى تحف العقول : قال الامام أبوجعفر محمد بن على عليهما السلام : « الكمال كل الكمال التفقه فى الدين ، والصبر على النائبة ، وتقدير المعيشة »

وفى الكافى : باسناده عن أبى ولاد الحناط عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كان على بن الحسين عليهما السلام يقول: «ان المعرفة بكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لايعنيه وقلّة مرائه ، وحلمه وصبره وحسن خلقه» .

ومن البيّن ان الدين الاسلامى قد استهدف فى جميع نظمه وسننه تهذيب النفس الانسانية وتزكيتها ، و إبلاغها أقصى مرتبة من مراتب الكمال ، بل ان الغرض الاسمى من هذه الشريعة الكاملة المحمدية صلى الله عليه وآله هو تكوين نفس مهذبة، نفس طاهرة زكية نفس خالية من الادران والاوساخ كلها ، و نفس متحلية با - لكمال ، وذلك لايمكن إلاّ بمعرفة واقع هذه الشريعة السهلة السمحاء والايمان بها والائتمار بأوامرها والانتهاء عن نواهيها ، والتخلق بالاخلاق الفاضلة ، و التجنب عن رذائل الصفات . . .

و لابد لمن أراد الكمال الانسانى أن يتفقه فى هذا الدين الاسلامى ، و يتتبع فيما سنّ الله جل و علا من مراحل التكامل كى يحقق الكمال اللائق با لنفس الإنسانية ، فان النفس الانسانية أشبه شىء بقطعة حجر فيها معادن خسيسة لاقيمة لها ، وفيها الذهب الثمين فان الكيمياوى يجرى على هذه القطعة أنواع العمليات والصناعات ، ويضعها فى أنواع المحاليل كى يظفر بالذهب الخالص

كذلك الدين الاسلامى : فانه بقوانينه و دساتيره يجرى على النفس الا-نسانية أنواع الامتحانات و العبادات كي تصفو رويداً رويداً عما علق بها من ردىء الصفات وذمائم الاخلاق، فتتوجه نحو مكارم الصفات وفضائل الاخلاق، وتتمرّن عليها لتكون لها طبيعة ثانية : طبيعة فيها من المكارم والفضائل ما يجعل الانسان قميناً ليتنعم «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين و حسن اولئك رفيقاً »النساء : ٦٩) وجديراً بالخلود في «جنة عرضها السموات و الارض اعدت للمتقين »آل عمران : ١٣٣)

فحري بالانسان أن يجاهد نفسه ليخرج من هذه الدنيا بالذهب الخالص و لنعم ماقال الشاعر : «على الدر والذهب المصفى ».

فان الانسان عند ما يولد مستعد لان يتصف بفضائل الاخلاق قصواها، وبرذائل الاخلاق غايتها، فاذا أراد الاولى فلابد له من أن يدخل في السير التكاملي بتطبيق ماجاء في الدين الاسلامى لانه دين فطرة ودين كامل لاحاجة لاحد في قانون أوحكم في جميع شؤونه إلى غير هذا الدين فانه تبيان كل شيء ، وأن يتمسك بالكتاب الكريم وأهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين، فلا كمال ولا نجاة إلاّ بالتمسك بهما والعمل بما امرا به لوجه الله جل وعلا .

قال الله تعالى: «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً »المائدة : ٣)

وقال : «ان الدين عند الله الاسلام - ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين »آل عمران : ١٩- ٨٥)

وقال : «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون »الروم : ٣٠)

و قال : «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » النحل : ٨٩)

ومن وفق إلى التدبر فى القرآن الكريم وفى الروايات الواردة عن أئمة أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين فى شئون الافراد والاسر والمجتمع البشرى ممايتعلق بدنياهم وآخرتهم فقد شعربان الدين الاسلامى يستهدف تنزيه النفس الانسانية وتزكيتها وتهذيبها مماعلق بها من أدران المادة وحب المقام و الجاه والرئاسة والصفات الرذيلة واللوم والخبث، والركون إلى الدنيا وشهواتها . . ويستهدف تحلية النفس الانسانية بالفضائل والمكرمات والصفات الانسانية الكاملة كى تكون لائقة للقاء رحمة الله جل وعلا : رحمته الخاصة حرية بالخلود فى نعيم أبدى سرمدى.

فالدين الاسلامى دين صناعة النفس ، دين تكوين النفس ، دين تهذيب النفس ودين تزكية النفس وتحليتها . . وابلاغها الكمال المنشود ، فلابدلكل انسان من الائتمار بأوامره ، والانتهاء عن نواهيه كلها من غير دسّ فيها لمصالح شخصية واهية وبذلك تظهر آثار الكمال النفسى فى كل وقت ومكان . .

فالتكامل النفسى إنماهو نتيجة تعاليم روحية تؤدّى إلى كمال النفس الا- نسانية، وهى ليست من العلم المادى أى من السانتيمتر والغرام والثانية فى شىء . . انماهو دساتير روحية تكاملية قرّرها الله تعالى على لسان أنبياءه وأكملها فى هذاالدين الاسلامى وفقنا الله القادر المتعال على الائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه وأعاذنا من شرور أنفسنا ومن كل شروسوء بحق محمد وأهل بيته الابرار صلوات الله عليهم أجمعين.

﴿الابرار و سورة الانسان﴾

فى المقام كلام للسيد شرف الدين قدس سره فى الفصول المهمة ينبغى ذكره: اعلم ان علماء البيان وسائر أهل اللسان لا يرتابون فى ان الجمع المحلى بلام التعريف حقيقة في العموم وهذا ممالامراء فيه.

و أنت تعلم ان لفظ (الابرار) فى الآية الكريمة جمع بر أو بار محلى باللام كما ترى فظهوره فى الشمول والاستغراق مما لاريب فيه وانما اطلق على على بن ابيطالب و فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام تبيانا لكونهم اكمل الابرار وأذاناً بانهم الاخيار وبرهانا على انهم صفوة الصفوة وحجة على انهم خيرة الخيرة.

فماعسى أن يقول القائلون فيعظيم برهم أو يصف الواصفون سمو قدرهم؟ وأى مدحة توازن مدحة الفرقان؟ وأى ثناء يكايل ثناء الذكر الحكيم؟ و أى عبارة فاضلة شريفة مقدسة تكافىء قول الله عزوجل فيهم: «ان الابرار» عليا و فاطمة والحسن والحسين «يشربون» الشراب الطيب الطاهر يوم العطش الاكبر «من كأس» زجاجية اذاكانت فيها شراب وقديسمى الشراب نفسها كأسا أيضا.

وقد وصفها بقوله تعالى: «كان مزاجها» الذى تمزج به ماء من عين فى الجنة تسمى (كافورا) لان ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرودته فكأنها مزجت به وقال: «عينا يشرب بها عبادالله» الكاملون فى العبودية لله تعالى وحده.

وإنما وصل فعل الشرب فى الاية الاولى بمن الابتدائية و وصله فى الاية

الثانية بباء الالصاق لان الكأس مبتداء شربهم والعين يمزجون بها شرابهم فيكون المعنى يشربون الشراب بماء تلك العين كما تقول : شربت الماء بالغسل و هذه العين « يفجرّونها » أى يجرونها حيث شاؤا من كل مكان أرادوا « تفجيراً » سهلاً يسيراً لا تلحقهم فيه كافة ، ولا يجدون فيه من مشقة .

و قد بين الله تعالى السبب فى إستحقاقهم لهذه الكرامة بقوله : « يوفون بالنذر » جواباً لسئوال مضمر تقديره ما الذى فعلوه فاستحقوا به هذا الجزاء ؟ و أنت تعلم ان ليس المراد من وصفهم بالوفاء بالنذر إلاّ المبالغة فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه هو على نفسه كان بما أوجبه الله عليه أوفى وتلك شهادة لهم من الله جل وعلا ومن أصدق من الله قيلاً .

لم يقتصر سبحانه فى تزكيتهم بهذه الشهادة على المبالغة فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات حتى بالغ فى بعدهم عن المحرمات والشبهات بما وصفهم فيه من خشية الله والخوف من يوم القيامة إذ قال وهو أصدق القائلين :

« ويخافون يوماكان شره مستطيرا »

يريد بذلك ان هذا الخوف العظيم يستوجب كونهم نصب امره ونهيه وتلك منزلة المعصومين .

ومن تدبر القرآن الكريم وغاص على أسراره البالغة و جد فى هذه الايات البينات من عناية الله تعالى فى هؤلاء الابرار أمراً عظيماً لايوصف بكيف ولا يقدر بكمّ ألاترى كيف رتب هذه الشبهات فى تزكيتهم فكانت كل شهادة أكبر من سابقتها إذ شهد أولاً بانهم يوفون بالنذر ثم شهد ثانياً بأنهم يخافون يوماكان شره مستطيراً .

فكانت أعظم من الاولى لدلالتها بصريح العبارة على رسوخ الايمان بالله واليوم الاخر ثم شهد لهم ثالثاً بما هو أعظم من ذلك فقال : « و يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيماً وأسيراً »

الضمير في حبه للطعام على الاظهر والمعنى انهم يطعمون الطعام مع حبه لشدة جوعهم بسبب صومهم ثلاثة أيام لايذوقون في لياليها غير الماء وهذا على حد قوله تعالى: « وآتى المال على حبه» وقوله سبحانه: « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقوله: « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة »

و إنما كانت هذه الشهادة أعظم لكشفها على كمال نفوسهم و بلوغهم أقصى الغايات في حب الخير والايثار على أنفسهم إشفاقاً على المسكين و رأفة باليتيم وعطفة على الأسير وأنت تعلم انهم لولم يؤثروهم لماكان عليهم في ذلك من جناح لكنهم مثلوا الحنان والمرحة بأجلى مظاهرهما حين لم يكونوا مكلفين بذلك ولا مسئولين عنه وتلك من أفضل صفات المقربين.

بقي أعظم الشهادات و أجلها و أقوى الادلة على تزكيتهم و أدلها ألا وهو الذي أشار اليه تعالى إذقال بلسان حالهم عن مكنون سرائرهم:

« انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء » بفعل تفعلونه « ولاشكوراً» بقول تقولونه: « إنا نخاف من ربنا يوماً » موصوفاً على سبيل المجاز بكونه « عبوساً قمطريراً » شديد العبوس تشبيهاً له في شدته وضرره و تخويفه بالأسد العبوس أو بالحاكم المتنمر العبوس ويجوز وصفه بصفة أهله لعبوسهم يومئذ من شدة أهواله كقولهم: « نهارك صائم »

وأنت إذا تدبرت بشائره لهم بالأمن من أهوال ذلك اليوم تعرف مزيد عنايته بهم ﷺ حيث لم يكتف منها ببشارة واحدة بل جعل البشائر مترادفة متوالية و كل واحدة منها أعظم من سابقتها قال أولاً: « فوقاهم الله شر ذلك اليوم » تأمينا لهم من شره وضرره ثم أربى على ذلك.

فقال: « و لقاهم نضرة » في وجوههم « و سروراً » في قلوبهم بدل عبوس أعداءهم و حزنهم ثم ترقى في البشارة فقال: « و جزاهم بما صبروا » على الايثار مع شدة الجوع إبتغاء لمرضاة الله « جنة وحريرا » ثم لم يكتف في البشارة بالجنة

على سبيل الاجمال حتى فصل فيها أكثر الاحوال . . .

فقال : « متكئين فيها على الارائك » فهم في منتهى الراحة والرفاهة والغبطة والحبور مستبشرين فكهين « لايرون فيها شمسا » حرّها يحمى « ولازمهريراً » برده يؤذى .

فالشمس والزمهرير هنا كناية عن الحر والبرد وقد جمعوا بين البعد عنها ودنو الظلام عليهم كما أشار إليه بقوله تعالى : « ودانية عليهم ظلالها » .

ثم لم يكتف سبحانه بهذا القدر من بيان كرامتهم حتى قال : « وذللت قطوفها تذليلا » أي تدنوا ظلالها عليهم حال تذليل قطوفها لهم فلا تمتنع الثمار على قاطفها متى أراد وكيف شاء .

ولو اكتفى جل وعلا بهذا القدر من بيان فوزهم في دار كرامته لكفاهم شرفاً وفضلاً لكنه تعالى آثر الاطناب فيما تحدى به من معجزات الكتاب ليمثل بذلك عنايته التامة فيهم تمثيلاً وليفضلهم على من سواهم تفضيلا فقال :

« ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب » خلقها الله تعالى بباهر قدرته واتقان صنعه فقال : كوني من جنس الفضة في صفاء القوارير وشفيفها ولذا « كانت قواريرقوارير من فضة »

فتبارك الله أحسن الخالقين كيف جمع فيها بين صفتي المعدنين المتباينين ثم لم يكتف سبحانه ببيان جنس تلك القوارير وباهر وصفها حتى وصفها أيضاً بقوله : « قدروها » في أنفسهم « تقديراً » خاصا على كيفيات مخصوصة تشتهيها نفوسهم وتلذ بها أعينهم فجاءت كما قدروا على حسب ما يتمنون .

ثم شرح تبارك وتعالى ما يقع إستعماله منهم في تلك الاكواب فقال : « ويسقون فيها كأسا » أي شراباً موصوفة بقوله تعالى : « كان مزاجها » الذي تمزج به ماء من عين في الجنة تسمى « زنجبيلا » كأس عين « تسمى سلسبيلاً » لكونها في منتهى السلاسة .

ولم يكتف عزوجل بقوله : «ويطاف عليهم »حتى ذكر الطائفين عليهم القائمين بخدمتهم بأحسن الذكر وأجمله ووصفهم بألطف الواصف وأفضله فقال : «ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم »لجمال منظرهم وكمال هيئتهم وصفاء ألوانهم ومايروق العالمين من حسنهم ولطفهم وإنبثائهم فى انديتهم «لؤلؤا منشورا» ولم يكتف جل وعلا بتلك التفاصيل كلها حتى أفادسبحانه انالا- جمال فيما أعده الله تعالى لهم ممالابدمنه ولامندوحة عنه لامتناع تفصيله بسبب قصور العبائر وعجز أفهام الناس وقصر إدراكهم .

ولذا قال وهوأصدق القائلين : «وإذا رأيت ثم» فلم يجعل مفعولالرايت ظاهرا ولامقدرا لتكون الرؤيةعامة لجميع مائمةوالمعنى انك إذااوقعت رؤيتك هناك على أى شيء من الاشياء تجدك قد« رايت نعيماً »عظيما تفيق عنهالاوهام«و ملكاً كبيراً » تنقطع دونه الأماني ولايمكن وصفه إلا بهذا المقدار .

وهذه الاية أبلغ فى كرامتهم من كل ما تقدم وقدتدبرها من تدبرها فعلم أن فيها من فضلهم مالايحيط بهإلا الله تعالى ومع ذلك لم ينته ذكره تعالى لهم،و وعدوا إياهم بماهم أهله بل قال:«عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة»

وهم مزدانون بحلى الكرامة رافلون فى حلل دار المقامة وقدسقاهم ربهم جل وعلا هذا الساقى وتبارك ماأعظم عنايته فيهم وأجل اهتمامه ببيان كرامتهم إذنسب الساقى على سبيل المجاز إلى جلالته تعالى فمايقول الواصف بعدها وان أطنب و ماعسى أن يصف القائل فيهم وان أسهب وماظنك بمن يسقيهم ربهم بكأسه الاو فى «شراباً طهوراً » يرشح بعد ذلك من أبدانهم عرقا أطيب من ريح المشك لا كخمر الدنيارجساً نجساً خبيثاً منتناً سالباً للعقل متلفاً للجسم مسقطا للمرؤة معصورا بالأيدى الوضرة مدوساً بالارجل القذرة موضوعاً فى دنان قدلاتسلم من الجرائيم السامة و أباريق قدلا يعنى بتنظيفها مدارة بكؤوس تداولتها الايدى

الأثيمة، وولغت فيها الافواه البخرة .

وأنت هداك الله إذا أمعنت النظر فيما ألقاه عزوجل إليهم فى ختام البشائر العظيمة والمواهب الجسيمة تتمثل لك عناية الله تعالى بهم قالباً حسياً و ترى كرامتهم عليه وسمو منزلتهم لديه شخصاً مرئياً وذلك انه ختم كلامه فى شؤونهم بقوله مخاطبا لهم عليهم السلام : « ان هذا » الاكرام العظيم و هذا النعيم المقيم الذى فصلناه فى محكم الذكر تفصيلاً وفضلناكم على العالمين تفضيلاً .

« كان لكم جزاء » على أعمالكم المقدسة التى استوجبت هذا الاكرام الجسيم لم تنالوه بشفاعة أو بمجرد فضل و إنما اخذ تموه بالاستحقاق والعدل و « كان سعيكم » مع ذلك كله « مشكوراً » ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم .

بقيت نكتة شريفة و حكمة من حكم الفرقان منيفة حاصلها : ان هذه السورة المباركة كما بشرت هؤلاء الابرار فقد أنذرت أعداءهم الظالمين الكفار والآثمين بما أعد الله لهم من السلاسل والاغلال والعذاب الأليم وسعير النار .

فاذا أمعنت النظر إليها وجدت التصريح بذلك فى طرفى السورة .

ولايخفى ان آيات الثناء والبشائر فى هذه السورة كلها لعلى بن ابيطالب و فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام على ما ورد من الروايات الكثيرة عن طريق العامة .

وان آيات الوعيد والذم والتهديد فيها لاعدائهم بقرينة ان السبب فى نزول هذه السورة إنما هم عليهم السلام .

لكن الالفاظ فى كل من المقامين عامة شاملة لكل من اتصف بتلك الاوصاف وعلى هذا فالبشائر والمدائح فى هذه السورة تتناول علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أولا وبالذات ثم تتناول من اتصف بصفاتهم ثانياً وبواسطة دخولهم فى

تلك العمومات .

و كذلك القول فى آيات الذم والوعيد فانها تتناول أولا و بالذات أعداء اولئك الابرار الذين كانوا سبباً فى نزول السورة باجمعها ثم تتناول غيرهم لدخولهم فى العموم حيث ان المورد لايخصص الوارد والحمدلله رب العالمين إنتهى كلامه ورفع مقامه .



سورة هل أتى و أهل بيت الوحي

صلوات الله عليهم أجمعين

قال الله تعالى : « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً - ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً » الانسان : ٥ - ٢٢)

وقد اتفقت الامة المسلمة على نزول هذه السورة فى أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين وكافيك من فضائلهم وكرامة شأنهم ، وعلو درجاتهم ومنزلتهم عندالله جل وعلا نزولها فى حقهم حيث يشهدالله تعالى فيها على ذلك ، يشهد على أنهم الابرار ، وعلى أن تلك الدرجات العالية لهم ، التى ليس فوقها درجة لأحد من خلقه ، فذبذبة بعض العامة من مردة الشياطين كابن حزم فى كتابه « الملل والنحل » و عبد الحميد الآلوسى فى كتابة « نثر الئالى » مردودة بنفس ما أوردوا وأشرنا إليه سابقاً مضافاً إلى ما أوردجم غفير وجمع كثير من أعلام العامة ، وحملة آثارهم فى أسفارهم المعتبرة لديهم : ان الله عزوجل لم ينزل آية فى أحد ما نزلها فى حق الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام نشير إلى قليل من الكثير بما يسعه المجال .

١ ـ روى الهيتمى فى (الصواعق المحرقة ص ١٢٥ ط المحمدية بمصر) عن إبن عباس قال : نزل فى على عليه السلام ثلاثمأة آية .

٢ـ روى السيوطى فى (تاريخ الخلفاء ص ١٧ ط لاهور) مثله .

٣ـ روى الكنجى الشافعى فى (كفاية الطالب ص ١٠٨ ط الغرى)مثله .

٤- روى القندوزي الحنفي البلخي (في ينابيع المودة ص١٢٦ط إسلامبول) عن إبن عباس قال : نزلت في علي عليه السلام أكثر من ثلاثمأة آية في مدحه.

٥- روى الهيتمي أيضاً في (الصواعق المحرقة ص ١٢٥ ط المحمدية بمصر) عن إبن عباس قال : ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي عليه السلام .

٦- روى السيوطي أيضاً في (تاريخ الخلفاء ص ١١٧ ط لاهور) مثله .

٧- روى المناوي في (الكواكب الدرية ص ٣٩ ط مطبعة الازهر بمصر) مثله .

٨- روى القندوزي الحنفي أيضاً في (ينابيع المودة ص١٢٦ ط إسلامبول) ما لفظه : روى عن المناقب عن الاصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام قال : نزل القرآن على أربعة أرباع : ربع فينا ، و ربع في عدونا وربع سنن وأمثال، و ربع فرائض وأحكام، ولنا كرائم القرآن .

٩- روى إبن همام في (حبيب السير ج ٢ ص ١٣ ط الحيدري بطهران) مالفظه : روى الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه بسنده عن علي كرم الله وجهه قال : نزل ربع القرآن في شأننا ، وربعه في أعدائنا ، وربعه في السير و الامثال ، وربعه في الفرائض والاحكام ، ولنا كرائم كلام الملك العلام .

١٠- روى الثعلبي في تفسيره باسناده عن محمد بن منصور الطوسي يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول : ماجاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفضايل ما جاء لعلي بن أبي طالب عليه السلام .

١١- في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ١ ص ٧ ط مصر)مالفظه : « وأما السخاء والجود فحاله - علي عليه السلام - فيه ظاهرة كان يصوم ويطوى ويؤثر بزاده، وفيه أنزل : «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً» ثم قال : «وروى المفسرون : انه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية فأنزل

فيه : « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية »

١٢-وفي الشرح (ج ٩ ص١٦٦ الطبع) مالفظه : « واعلم ان أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه و بالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي آتاه الله تعالى إياه، واختصه بها وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة ، لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق صلوات الله عليه في أمره - إلى أن قال - الخبر الاول : « يا على ان الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منهـا ، هي زينة الابرار عندالله تعالى ، الزهد في الدنيا ، جعلك لاترزأ من الدنيا شيئاً ، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً ، ووهب لك حب المساكين ، فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً »

رواه أبو نعيم الحافظ في كتابه المعروف بـ « حلية الاولياء » وزاد فيه أبو عبدالله أحمد بن حنبل في « المسند » : « فطوبى لمن أحبك و صدق فيك و ويل لمن أبغضك و كذب فيك » .



﴿الامام على بن أبيطالب عليه السلام و اطعامه و صدقاته﴾

قال الله تعالى : «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكوراً »الانسان :٨-٩)

وقدوردت روايات كثيرة و كلمات عديدة عن طريق العامة فى المقام ،نشير إلى نبذة منها:

١ـ فى شرح نهج البلاغة لابن أبن الحديد(ج ١ص٦ط مصر) مالفظه : «وأما السخاء والجود فكان ـعلى بن أبيطالب عليه السلام ـيصوم ويؤثر بزاده ـ إلى أن قال ـ: و روى انه كان يسقى بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده ويتصدق بالاجرة ، ويشدّ على بطنه حجراً. ثم قال إبن ابى الحديد :ونقل عن الشعبى انه ـ علياً عليه السلام ـ ماقال : لالسائل قطّ ، وقال عدوه ومبغضه الذى يجتهد فى وصمه و عيبه معاوية بن أبى سفيان بعد كلام له : لوملك بيتاً من تبر ـ أى ذهب ـ وبيتاً من تبن لانفد تبره قبل تبنه ، وكان ـعلى عليه السلام ـيكنس بيوت الاموال ويصلى فيها، وهو الذى قال : ياصفراء ويابيضاء غرّى غيرى ،ولم يخلف ميراثاً ، وكانت الدنيا بيده الاّ الشام .

٦ـ فى (مكاشفة القلوب ص ١١٧)مالفظه : « وضع علىّ كرّم الله وجهه درهماً على كفّه ثم قال : أما انك مالم تخرج عنّى لاتنفعنى »

٣ـ روى أحمد بن حنبل فى (المسند ج ١ ص ١٥٩ ط الميمنية بمصر) باسناده عن محمد بن كعب القرظى : ان علياً رضى الله عنه قال : لقد رأيتنى مع

رسول الله ﷺ وانى لأربط الحجر على بطنى من الجوع ، وان صدقتى اليـوم لأربعون ألفاً .

و فى رواية اخرى : «وان صدقة مالى لتبلغ أربعين ألف دينار »

رواه جماعة من أعلام العامة :

١ـ الزمخشرى الحنفى فى(ربيع الابرار ص ٢٠٩)

٢ـ إبن الأثير فى (اسد الغابة ج ٤ ص ٢٣ طمصر سنة ١٢٨٥ ه)

٣ـ محب الدين الطبرى فى(الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٧ طمصر)

٤ـ الذهبى فى(تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٩٩ طمصر)

٥ـ الهيثمى فى(مجمع الزوائدج ٩ ص ١٢٣ طالقاهرة)وغيرهم تركنا ذكرهم للاختصار .

٦ـ فى شرح الحديد (ج ١ ص ١٧ طالقاهرة) مالفظه : « اناما رأينا شجاعاً جواداً قط كان عبدالله بن الزبير شجاعاً وكان أبخل الناس ، وكان الزبير أبوه شجاعاًوكان شحيحاً قال له عمر : لوو ليتها لظلت تلاطم الناس فى البطحاء على الصاع والمد ، وأراد على عليه السلام أن يحجر على عبدالله بن جعفر لتبذيره المال ، فاحتال لنفسه فشارك الزبير فى أمواله وتجاراته . . .

فقال-على عليه السلام -:أما انه قدلاذ بملاذ، ولم يحجر عليه وكان طلحة شجاعاً وكان شحيحاً أمسك عن الانفاق حتى خلف من الاموال مالايأتى عليه الحصر و كان عبدالملك شجاعاً وكان شحيحاً يضرب بهالمثل فى الشح،وسمى رشح الحجر لبخله ، وقد علمت حال أمير المؤمنين -على بن أبيطالب عليه السلام - فى الشجاعة و السخاء كيف هى؟ وهذا من أعاجيبه أيضاً عليه السلام .

٧ـ روى القشيرى النيسابورى فى(الرسالة القشيرية ص ١٢٥ طمصر) ما لفظه: «وقيل : بكى أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه يوماً، فقيل له : مايبكيك ؟ فقال : لم يأتنى ضيف منذسبعة أيام ، ويخاف أن يكون الله تعالى قد

أهانني ، رواه الغزالي في (مكاشفة القلوب ص ١١٧) والامر تسرى في (أرجح المطالب ص١٧٠ ط لاهور) .

٨- في شرح الحديد (ج ٤ ص ٣٥٤ ط القاهره) مالفظه : «وجاء في الاثران علياً عليه السلام عمل ليهودي في سقي نخل له في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمدّ من شعير ، فخبزه قرصاً ، فلما همّ أن يفطر عليه أتاه سائل يستطعم، فدفعه إليه ، وبات طاوياً تاجراً لله تعالى بتلك الصدقة ، فعدّ الناس هذه الفعلة من أعظم السخاء ،وعدّوها أيضاً من أعظم العبادة .

٩- مارواه الزمخشري في (ربيع الابرار ص١٠٣) مالفظه: «وقف على عليه السلام سائلاً كذا فقال لأحد ولديه : قل لامك: هاتي درهماً من ستة دراهم ، فقالت :هي للدقيق ، فقال : لايصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يدالله أوثق منه بما في يديه ، فتصدق بالستة، ثم مرّ به رجل يبيع جملاً فاشتراه بماة وأربعين ، وباعه بماتين فجاء بالستين إلى فاطمة ، فقالت : ماهذا ؟ قال : ماوعدنا الله على لسان أبيك: «من جاء بالحسنه فله عشر أمثالها» .

١٠- روى الصفوري البغدادي في (نزهة المجالس ج١ ص ٢٤٠ ط القاهرة) مالفظه : «جاء سائل إلى على رضى الله عنه، فنظر إليه وقد تغيّر وجهه من الحياء فقال على عليه السلام : اكتب حاجتك على الارض حتى لاأرى ذلّ المسئلة في وجهك فكتب :

لم يبق لي شيء يباع بدرهم ... تغنيك حالة منظري عن مخبري
إلاّ بقية ماء وجه صنته ... أن لايباع ونعم أنت المشتري

فأمر له على رضى الله عنه بجمل محمل ذهباً وفضة ثم قال على رضى الله عنه :

عاجلتنا فأتاك عاجل برّنا ... قلاّ ولو أمهلتنا لم تقتر
فخذ القليل وكن كأنك لم تبع ... ماصنته وكأننا لم نشتر

١١- في شرح الحديد (ج ٣ ص٤٣٣ ط القاهرة) مالفظه: «وكان على عليه السلام

يعمل بيده يحرث الارض ويزرعها ويستقى الماء ،ويغرس النخل كل ذلك يباشر بنفسه الشريفة ولم يستبق منه لوقته ولالعقبه قليلاً ولا كثيراً ، وإنما كان صدقة .

١٢- روى السمهودى محدث المدينة المنورة فى (وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٤٨ ط مصر) : «عين أبى نيزر- بفتح النون وسكون المثناة تحت وفتح الزاء ثم راء - بينبع من صدقة على بن أبيطالب رضى الله عنه .

قال إبن شيبه فيما نقل فى صدقة و كانت أمواله متفرقة بينبع و منها عين يقال لها : البيحر ، وعين يقال لها : عين أبى نيزر ، وعين يقال لها : نولا، وهى التى يقال: ان علياً رضى الله تعالى عنه عمل فيها بيده وفيها مسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو متوجه إلى ذى العشيرة وعمل على أيضاً بينبع البغيبغات .

وفى كتاب صدقته : ان ما كان لى بينبع من ماء يعرف لى فيها وما حوله صدقة وقفتها غيران رباحاً وأبانيزر وجيرا أعتقناها .

١٣- روى السمهودى فى (الكتاب ج ٢ ص ٢٥٨ الطبع) ونقل إبن شعبة ان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كان من صدقاته بالمدينة بئر الملك بقناة.

١٤ - روى إبن مسلم البصرى فى (أحكام الوقف ص ٨٣ ط حيدرآباد) مالفظه : «قد بلغنا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه : انه وقف أرضاً له، و وقف غلماً يعملون فيها » .

١٥- فى شرح الحديد (ج ٣ ص ٤٣٣ ط القاهرة) مالفظه : « و ان علياً عليه السلام مات و خلّف عقاراً كثيراً يعنون نخلاً قيل لهم : قد علم كل أحد ان علياً عليه السلام استخرج عيوناً بكدّ يده بالمدينة، وينبع وسويعة واحيى بها مواتاً كثيرة ثم أخرجها عن ملكه ، وتصدق بها على المسلمين ولم يمت وشيء منها فى ملكه

١٦ - روى السمهودى فى (وفاء الوفاء ط مصر) مالفظه : « قال أبونيزر جائنى على عليه السلام وأنا أقوم على الضيعتين (الفيعتين خ) عين أبى نيزر والبغيبغة فقال : هل عندك من طعام ، وذكر قصة أكله و شربه - قال : ثم أخذ المعول و

انحدر ، فجعل يضرب وأبطأ عليه الماء فخرج ، وقد تصبب جبينه عرقاً ، فانتكف العرق عن جبينه .

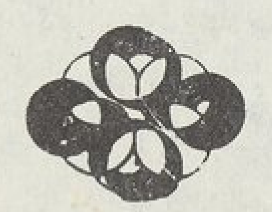
ثم أخذ المعول ، وعاد إلى العين ، فأقبل يضرب فيها ، وجعل يهمهم فسالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعاً وقال : أشهد الله أنها صدقة .

رواه الزمخشري في (ربيع الابرار)

١٧ـ في شرح الحديد (ج ١ ص ١٨٢ ط مصر) عن عبدالله بن الحسين بن الحسن قال : اعتق علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف مملوك مما مجلت يداه وعرق جبينه .

١٨ ـ روى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ١٣٦ ط اسلامبول) عن جعفر الصادق في حديث له : و لقد اعتق ـ أي علي عليه السلام ـ ألف مملوك من ماله الذي يجفي فيه يداه ويعرق جبينه إلتماس وجه الله عزوجل وثنائه .

١٩ـ أفرد في ذلك الحافظ أبومحمد العاصمي كتاباً بمجلدين سماه«زين الفتى في تفسير سورة هل أتى» وهو كتاب ضخم ممتع . وغيرها من الكتب المؤلفة والروايات الواردة عن طريق العامة في ذلك بأسانيد عديدة تركناها للاختصار .



﴿ فاطمة الزهراء عليها السلام وانفاقها ﴾

و قد كانت فاطمة الزهراء سلام‌الله عليها من هؤلاء الابرار الذين كانوا يطعمون الطعام ابتغاء لوجه الله جل وعلا ، ولايريدون جزاء ولاشكوراً ، و ان فاطمة الزهراء عليها السلام تبذل مالديها في سبيل الله تعالى ، وقد وردت في ذلك روايات كثيرة عن الطريقين لايسعها المقام جداً فنشير إلى قليل من الكثيرة :

في أمالي الصدوق رضوان‌الله تعالى عليه : أتى رجل من مهاجرة العرب إلى رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المسجد ،فيقول : إني جائع الكبد فأطعمني،وفقير فأغنني ، وعاري الجسد فاكسني .. فيقول له رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ماأجدلك شيئاً ولكن الدال على الخير كفاعله، انطلق إلى ابنتي فاطمة» وأمر بلالاً فوقف به على منزل فاطمة عليها السلام فنادى بأعلى صوته: «السلام عليكم ياأهل بيت النبوة ومختلف الملائكة يابنت محمد اني عاري الجسد ، جائع الكبد فارحميني يرحمك الله»

و كان علي و فاطمة ثلاثاً ماطعموا طعاماً ، فتعمد فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ كان ينام عليه الحسنان وتعطيه الشيخ قائلة : «عسى الله أن يتيح لك ماهو خير منه» فيقول الشيخ : «أنا شكوت إليك الجوع فناولتني جلد كبش، فما أنا صانع به مع ماأجد من السغب» فتعمد فاطمة عليها السلام إلى عقد في عنقها،أهدته إليها فاطمة بنت عمها حمزة،فتقطعه من عنقها،وتنبذه إلى الاعرابي ، وتقول:«خذوبعه فعسى الله أن يعوضك بما هو خير لك منه» فتقضى حاجة الرجل ويرجع إلى أهله موفوراً .

وفيه : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا قدم من سفره بدأبفاطمة ، فدخل عليها و أطال عندها المكث فخرج مرة فى سفره ، فصنعت فاطمة مسكتين من ورق (أى فضة) وقلادة وقرطين وستراً للباب لقدوم أبيها وزوجها ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها ، فوقف أصحابه على الباب ، فخرج عليهم ، و قد عرف الغضب فى وجهه ، حتى جلس عند المنبر ، فظنت فاطمة انه انما فعل ذلك لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر ، فنزعت ذلك وبعثت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت للرسول : قل له :

« تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول إجعل هذا فى سبيل الله » فلما أتاه ، قال: « فعلت فداها أبوها » ثلاث مرات ، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ، لو كانت الدنيا تعدل عندالله من الخير جناح بعوضة ماسقى كافراً شربة ماء ثم قام ، فدخل عليها »

وفى البحار : عن الامام على بن موسى الرضا عن آبائه عن على بن الحسين عليه السلام قال : حدثتنى أسماء بنت عميس قالت : كنت عند فاطمة جدتك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى عنقها قلادة من ذهب كان على بن أبيطالب عليه السلام إشتراها له من فيىء له ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لايغرّنك الناس أن يقول : بنت محمد وعليك لباس الجبابرة ، فقطعتها و باعتها و اشترت بها رقبة فأعتقتها فسرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك .

وفى رواية : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد دخل على فاطمة عليها السلام ذات يوم فرآى عليها كساء من أجلال الابل وهى تطحن بيديها ، وترضع ولدها ، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « يابنتاه تعجلى مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة » فقالت: « يارسول الله ! الحمد لله على نعمائه والشكر على آلائه » فأنزل الله تعالى: « ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

رواه الثعلبى فى تفسيره عن جعفر بن محمد عليه السلام والقشيرى فى تفسيره

عن جابر بن عبدالله الانصارى .

وفى بشارة المصطفى : بالاسناد عن حمزة بن حمران عن الصادق عن أبيه عليهما السلام عن جابر بن عبدالله الانصارى قال : « صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة العصر ، فلما انفتل جلس فى قبلته و الناس حوله ، فبيناهم كذلك إذ أقبل إليه شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل قد تهلّل و أخلق وهو لايكاد يتمالك كبراً وضعفاً ، فأقبل عليه رسول الله يستحثّه الخبر ، فقال الشيخ : يا نبى الله أنا جائع الكبد فأطعمنى ، وعارى الجسد فاكسنى ، وفقير فارشنى .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم ، ما أجدلك شيئاً ولكن الدال على الخير كفاعله ، إنطلق إلى منزل من يحبّ الله و رسوله ويحبه الله و رسوله ، يؤثر الله على نفسه ، إنطلق إلى حجرة فاطمة وكان بيتها ملاصق بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى ينفرد به لنفسه من أزواجه وقال : يابلال قم فقف به على منزل فاطمة ، فانطلق الاعرابى مع بلال ، فلما وقف على باب فاطمة نادى بأعلى صوته : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ! ومختلف الملائكة ، ومهبط جبرئيل الروح الامين بالتنزيل من عند رب العالمين فقالت فاطمة :

و عليك السلام فمن أنت يا هذا ؟ قال : شيخ من العرب أقبلت على أبيك سيد البشر مهاجراً من شقة ، وأنا يابنت محمد عارى الجسد ، جائع الكبد فواسينى يرحمك الله ، و كان لفاطمة و علىّ فى تلك الحال ، و رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً ماطعموا فيها طعاماً ، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك من شأنهما .

فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين ، فقالت : خذ هذا أيها الطارق ! فعسى الله أن يرتاح لك ما هو خير منه ، قال الاعرابى : يابنت محمد شكوت إليك الجوع ، فنا ولتينى جلد كبش ماأناصانع به مع ماأجد من السغب .

قال : فعمدت لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان فى عنقها أهدته لها

فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبدالمطلب ، فقطعته من عنقها ونبذته إلى الاعرابى، فقالت : خذه و بعه فعسى الله أن يعوّضك به ما هو خير منه ، فأخذ الاعرابى العقد وانطلق إلى مسجد رسول‌الله و النبى صلى الله عليه وآله وسلم جالس فى أصحابه ، فقال : يا رسول الله أعطتنى فاطمة بنت محمد هذا العقد، فقالت: بعه فعسى الله أن يصنع لك قال : فبكى النبى صلى الله عليه وآله وسلم و قال : و كيف لايصنع الله لك ، و قد أعطتكه فاطمة بنت محمد سيدة بنات آدم .

فقام عمار بن ياسر رحمة‌الله عليه فقال : يارسول‌الله أتأذن لى بشراء هذا العقد ؟ قال : إشتره يا عمار فلو اشترك فيه الثقلان ماعذّبهم الله بالنار ، فقال عمار : بكمْ العقد يا أعرابىّ ؟ قال : بشبعة من الخبز و اللحم ، و بردة يمانيّة أستر بها عورتى و اصلّى فيها لربى ، و دينار يبلغنى إلى أهلى ، و كان عمار قد باع سهمه الذى نفله رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم من خيبر ، ولم يبق منه شيئاً ، فقال: لك عشرون ديناراً ومأتادرهم هجرية وبردة يمانية وراحلتى تبلّغك أهلك و شبعك من خبز البرّ و اللحم ، فقال الاعرابى : ماأسخاك بالمال أيها الرجل ، و انطلق به عمار فوفّاه ماضمن له .

وعاد الاعرابى إلى رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم : أشبعت وا كتسيت؟ قال الاعرابى : نعم واستغنيت بأبى أنت وامى ،قال : فاجز فاطمة بصنيعها ، فقال الاعرابى:اللهم‌إنك إله ما استحد ثناك و لا إله لنا نعبده سواك وأنت رازقنا على كل الجهات اللهم أعط فاطمة مالاعين رأت ولااذن سمعت .

فأمّن النبى صلى الله عليه وآله وسلم على دعائه ، و أقبل على أصحابه ، فقال : إن الله قد أعطى فاطمة فى الدنيا ذلك : أنا أبوها وما أحد من العالمين مثلى، وعلىّ بعلها ولولا علىّ ما كان لفاطمة كفو أبداً ، و أعطاها الحسن و الحسين وما للعالمين مثلهما ، سيدا شباب أسباط الانبياء وسيدا شباب أهل الجنة - و كان بازائه مقداد وعمار وسلمان - فقال : وأزيدكم ؟ قالوا : نعم يارسول‌الله .

قال : أتانى الروح يعنى جبرئيل عليه السلام انها إذا هى قبضت و دفنت يسألها الملكان فى قبرها : من ربك ؟ فتقول : الله ربى ، فيقولان : فمن نبيك؟ فتقول: أبى فيقولان : فمن إمامك ؟ فتقول : هذا القائم على شفير قبرى على بن أبى طالب عليه السلام ألا و أزيد كم من فضلها ؟ ان الله قد و كل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها و من خلفها وعن يمينها و عن شمالها ، و هم معها فى حياتها وعند قبرها وعند موتها يكثرون الصلاة عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها، فمن زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى ، ومن زار فاطمة فكأنمازارنى، و من زار على بن أبى طالب ، فكأنما زار فاطمة ، و من زار الحسن و الحسين فكأنما زار علياً ، ومن زار ذريتهما فكانما زارهما .

فعمد عمار إلى العقد فطيّبه بالمسك ، و لفّه فى بردة يمانية ، وكان له عبد إسمه سهم ابتاعه من ذلك السهم الذى أصابه بخيبر . فدفع العقدإلى المملوك وقال له : خذ هذا العقد فادفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أنت له ، فأخذ المملوك العقد ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بقول عمار ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : إنطلق إلى فاطمة فادفع إليها العقد و أنت لها ، فجاء المملوك بالعقد و أخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخذت فاطمة عليها السلام العقد وأعتقت المملوك ، فضحك الغلام ، فقالت : مايضحك يا غلام ؟ فقال : أضحكنى عظم بركة هذا العقد ، أشبع جائعاً و كسى عرياناً وأغنى فقيراً ، وأعتق عبداً ورجع إلى ربه .

قوله : «سمل» السمل ـ بالتحريك ـ : الثوب الخلق و «قد تهلل» كناية عن إنخراق الثوب و«يستحثه الخبر» ، يرغّبه على ذكر أحوال الخبر، و«فارشنى»: فأحسن إلىّ ، و «بالقرظ» : بورق السلم يدبغ به و «يرتاح» : يرحم، و«السغب»: الجوع و « رعيلا» : ركّاباً على الخيل .

وفى البحار: ابن شاهين فى مناقب فاطمة عليها السلام وأحمد فى مسندالانصار باسناد هما عن أبى هريرة و ثوبان أنهما قالا : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يبدأ فى سفره

بفاطمة ويختم بها ، فجعلت وقتاً ستراً من كساء خيبرية لقدوم أبيها وزوجهافلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم تجاوز عنها وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس عندالمنبر، فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها و نزعت الستر، فبعثت به إلى أبيها و قالت: اجعل هذا في سبيل الله فلما أتاه قال عليه السلام : قد فعلت فداها أبوها ثلاث مرات مالآل محمد وللدنيا ، فانهم خلقوا للآخرة وخلقت الدنيا لهم .

أقول : ان الروايات الواردة في المقام عن طريق العامة كثيرة :

منها : ما رواه أبوالقاسم عبدالكريم بن هوازن الشافعي النيسابوري في (الرسالة القشيرية ص ٧٢ ط القاهرة) باسناده عن أنس بن مالك قال : جاءت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ماهذه الكسرة يافاطمة؟ قالت : قرصاً خبزته ، ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم :أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام .

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة من أعلام العامة :

١ـ الطبراني في (المعجم الكبير ص ٤١)

٢ـ الزبيدي الحنفي في (اتحاف السادة المتقين ج ٧ ص ٣٩١ط الميمنية بمصر)

٣ ـ الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣١٢ ط القدسي بالقاهرة) بأدنى تفاوت .

و منها : مارواه محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ٤٧ط القدسي بمصر) .

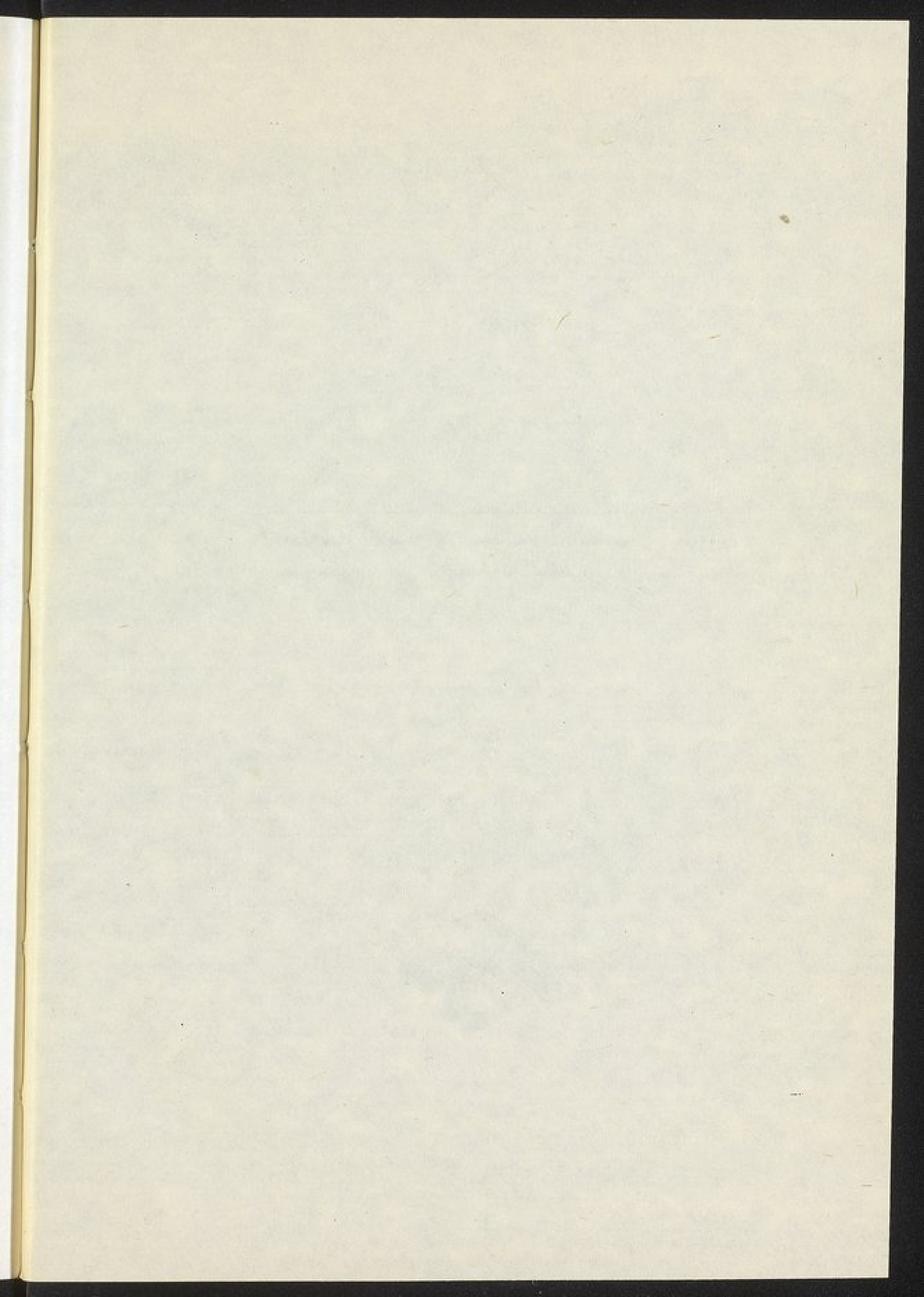
عن علي رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حفر الخندق إذجائته فاطمة بكسرة من خبز فرفعتها إليه ، فقال : ما هذه يا فاطمة ؟ قالت : من قرص إختبزته لابني جئتك منه بهذه الكسرة ، فقال : يابنية أما انها لأول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث .

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة :

منهم: القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ١٩٩ ط اسلامبول) و باكثير الحضرمى فى (وسيلة المآل ص ٩٠) وغيرهم تركناهم للاختصار .

تمت سورة الانسان و الحمدلله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين





سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسُونَ آيَةً ١

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ
ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَ
إِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ
مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾
كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ
مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ
كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ
وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا
يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ
جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

«فضلها و خواصها»

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عمرو الرمانى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: من قرأ «والمرسلات عرفاً» عرّف الله بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

أقول : رواه الطبرسى فى المجمع، والشيخ الحر العاملى فى وسائل الشيعة، والبحرانى فى البرهان ، والحويزى فى نور الثقلين ، والمجلسى فى البحار .

و ذلك لان من قرأها متدبراً فيها و آمن و اتقى و أحسن عرّف الله تعالى بينه و بين محمد صلى الله عليه وآله وسلم كيف لا و قد قال الله جل وعلا : « الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات والارض ـ ربنا اننا سمعنا منادياً ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفرلنا ذنوبنا و كفّر عنا سيّئاتنا و توفنا مع الابرار » آل عمران : ١٩١ ـ ١٩٣) .

و قال : « و من يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين و حسن اولئك رفيقاً » النساء : ٦٩) .

وفى الخصال : عن إبن عباس قال : قال أبوبكر : أسرع الشيب إليك يا رسول الله ؟ قال : شيّبتنى «هود» و «الواقعة» و «المرسلات» و «عم يتساءلون» .

أقول : ان التدبر فى وصف السورة يوم القيامة وأهوالها ومواقف المكذبين و مآل أمرهم فيها يلهمنا بصدق ما جاء فى الرواية .

وفى البرهان : روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من قرأ هذه السورة كتب انه ليس من المشركين بالله ، و من قرأها فى محاكمة بينه و بين أحد قواه الله

على خصمه و ظفر به .

وفيه : و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأها وهو فى محاكمة عند قاض أو وال نصره الله على خصمه .

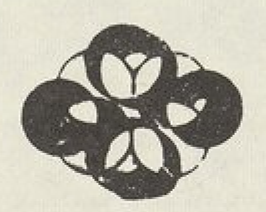
وفيه : وقال الصادق عليه السلام : من قرأها فى حكومة قوى على من يحاكمه ، وإذا كتبت ومحيت بماء البصل ثم شربه من به وجع فى بطنه زال عنه باذن الله تعالى.

أقول : ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ما قرأت فى الروايات، و ذلك إذا كان القارى مؤمناً ، وعاملاً بصالح الاعمال ، و لم يكن طلاقة العنان فى العقيدة والقول والعمل .

قال الله تعالى : « و ننزّل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين » الاسراء : ٨٢) .

و قال : « ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لايحب كل خوان كفور » الحج : ٣٨) .

و قال : « و أنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين » آل عمران : ١٣٩) .



﴿الغرض﴾

غرض السورة توكيد لوقوع الساعة ، وهول يوم القيامة حين تظهر آثار البعث من طمس النجوم وإنفراج السماء ونسف الجبال ، و توقيت الرسل لأجل الشهادة تنبيهاً على السامعين بأن أعمالهم محفوظة لاتنسى ، و خطورات القلوب محصاة لاتشتبه ، فيجب على المكذبين الجهلة الاعوراء ، و على المستكبرين السفلة الارتداع، وعلى المجرمين الفجرة الازدجار لان بعثهم وحسابهم وجزاءهم حقيقة لاتتحمل ريبة على سبيل الاقسام الربانية .

فوعد الله تعالى بذلك صادق واقع، وانه قادر على ذلك، وإن استتبعه تكذيب المكذبين فيما كانوا يظنون من عدم قدرة الله جل و علا على ذلك ببرهنة من إهلاك السابقين ، ومن أنفس المكذبين ، ومن كفات الارض وما عليها من الجبال وهم يعيشون على وجه الارض .

و فيها : بيان مصائر الجاحدين الرهيبة حسب سلوكهم ، و وصف هول مصير الكفار وشدة موقفهم يوم القيامة لاثارة الفزع والرعب فى نفوسهم وحملهم على الارعواء والارتداع والازدجار .

وفيها : تنويه بمصير المتقين المحسنين الصالحين يوم القيامة. وفى ختامها إنذار للمجرمين و تنديد بالمكذبين لاستكبارهم عن عبادة الله تعالى ، و تقريع لهم على عنادهم وعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من آيات الله جل وعلا مع ما فيها من الحجة الدامغة والموعظة البالغة .

﴿النزول﴾

سورة المرسلات مكية نزلت بعد سورة « الهمزة » وقبل سورة « ق » وهى السورة الثالثة والثلاثون نزولاً ، والسابعة والسبعون مصحفاً .

و تشتمل على خمسين آية سبقت عليها /٥٥٣ آية نزولاً و /٥٦٢٢ آية مصحفاً على التحقيق .

و مشتملة على /١٨٠ كلمة ، و قيل : /١٨١ كلمة ، و /٨١٦ حرفاً على ما فى بعض التفاسير .

فى الدر المنثور : عن إبن مسعود قال : بينما نحن مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى غار بمنى إذ نزلت عليه سورة « والمرسلات عرفاً » فانه يتلوها و انى لألقاها من فيه ، و إن فاه لرطب بها إذ و ثبت عليه حيّة ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : اقتلوها فابتدرناها ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : وقيت شركم كما وقيتم شرّها .

و فى المجمع : فى قوله : « و إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون » قال مقاتل : نزلت فى ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة ، فقالوا : لاننحنى . والرواية لا نحنى فان ذلك سبّة علينا فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لاخير فى دين ليس فيه ركوع و سجود .

و فى أسباب النزول للسيوطى : أخرج إبن المنذر عن مجاهد فى قوله: « و إذا قيل : لهم اركعوا لا يركعون » قال : نزلت فى ثقيف .

قال بعض المفسرين : و في إنطباق القصة ـ و قد وقعت بعد الهجرة ـ على الاية خفاء .

اقول : و يرتفع الخفاء بكون الايـة خاصة مدنيـة ، أو بتعـدد المـورد فتامل جيداً .

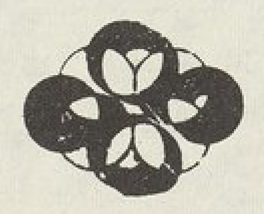


﴿القراءة﴾

قرأ حمزة وأبو عمرو « فالملقيات ذكراً » بتشديد الذال للادغام ، وقرأ أهل الحجاز والشام « عذراً » بسكون الذال ، وقرأ حمزة وعاصم و أبو عمرو « نذراً » بسكون الذال ، والباقون بضم الذالين .

وقرأ أبوعمرو « وقتت » بالواو والتخفيف ، وفي المجمع : أبو جعفر مكان أبوعمرو ، وهذا خطأ . وقرأ الباقون « اقتت » بابدال الواوهمزة ، وتشديدالقاف لثقل الضمة على الواو .

وقرأ نافع « قدرنا » مشددة الدال من باب التفعيل ، والباقون بالتخفيف ، وقرأحفص « جمالة » بالافراد . والباقون « جمالات » بالجمع .



﴿الوقف والوصل﴾

« عرفاً لا » لجواب القسم الآتى ، وكذلك معطوفاته ، و « لواقع ط »لتمام القسم ، و « طمست لا » وكذلك معطوفاته بناءاً على أن عامل إذا محذوف أى إذا كانت هذه الامور يفصل بين الخلق و « اقتت ط » لتمام الكلام ، و « اجلت ط » للفصل بين الجواب والسئوال ، و « ليوم الفصل ج » لتمام الكلام ، والعطف التالى و « مايوم الفصل ط » لتمام الكلام واستيناف التالى .

« الاولين ط » لا ستيناف ما بعده أى ثم نحن نتبعهم ، و « مهين لا » و « مكين لا » و « معلوم لا » لمكان الفائين و تعلق المجرور ، و « القادرون ط » لتمام الكلام ، وإستيناف مابعده ، و « كفاتاً لا » و « أمواتاً لا » للمفعول والعطف ، و « فراتاً ط » لما تقدم و « تكذبون ج » للتكرار مع الاية ، ووجه الوقف لمن قرأ بفتح اللام أوضح لانه إبتداء إخبار عن موجب عملهم بما امروا به .

و « شعب لا » للنعت التالى ، و « اللهب لا » للتعليل الآتى ، و « كالقصر ج » لان مابعده وصف لشرر لا للقصر ، و « صفر ط » لما سبق .

« لا ينطقون لا » للعطف ، و « يوم الفصل ج » لا حتمال ما بعد الاستيناف والحال أى اشير إلى يوم مجموعاً فيه ، و « الاولين لا » للتفريع التالى ، و « فكيدون ط » لما ذكر ، و « للمكذبين ع » ولا يخفى على القارى ان « ى » علامة العشر وتوضع عند إنتهاء عشر آيات ، و « ع » علامة انتهاء الركوع و هو الحصة اليومة لمن يريد حفظ القرآن فى عامين تقريباً ، و « عيون لا » للعطف ، و « يشتهون ط » لتمام الكلام وإلتفات التالى .

﴿ اللغة ﴾

٤١ - النشر - ١٥١٦

نشر ينشر نشراً - من باب نصر - : بسط وهو ضد طوى .

ويأتي في المحسوسات والمعاني :

تقول : نشرت الصحيفة ونشر علمه والله ينشر رحمته : يبسطها ويمنحها ، و تنشر الملائكة أجنحتها أو تنشر كتب الاعمال يوم القيامة .

قال الله تعالى : « ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » الاسراء:١٣) ولهذا سمى طوائف من الملائكة الناشرات .

و نشر الميت : حيي وانبعث قال تعالى : « ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً » الفرقان : ٣) النشور : الانبعاث بعد الموت فكأنهم خرجوا ونشروا بعد ما طووا .

ومنه : نشر النائم إذا استيقظ وتقلب في عمله كأنه كان ميتاً ثم انبعث باليقظة، وقد جعل الله تعالى النهار نشوراً أي ظرفاً للنشور واليقظة والاضطراب في الاعمال والحركات قال تعالى : « و جعل النهار نشوراً » الفرقان : ٤٧) أي زمن اليقظة التي تشبه الانبعاث بعد الموت .

انشر هذا الميت : أحياه بعد الموت قال تعالى : « ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره » عبس:٢١و٢٢)ومنه انشر اللحم : شده وقواه وفي الحديث : «لارضاع إلا ما أنشر اللحم وانبت العظم » ومنه أنشر الله الارض : أخرج زرعها واظهر نباتها

بما ينزل عليها من المطر كأنما أحياها بعد موتها قال تعالى : « فانشرناه به بلدة ميتا » الزخرف : ١١)

نشر ـ من باب التفعيل ـ : بسط فبالغ فى بسطه يقال : صحف منشّرة قال تعالى : « بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة » المدثر : ٥٢)

انتشر الناس و غيرهم : تفرّقوا و انتشر الناس فى الارض : تصرفوا فى معايشهم وتقلبّوا فى الارض . قال تعالى : « فانتشروا فى الارض » الجمعة : ١٠) أى فتفرقوا و تصرفوا فى معايشكم الانتشار . إنتفاخ عصب الدابة وفى الحديث: « من علامات الميت نشر منخريه» أى إرتفاعهما و إنتفاخهما . والنواشر : إنتفاخ عروق خارج الذارع وباطنها وذلك لانتشارها .

النشر : الريح الطيبة وقيل: مطلق الريح.

المنشار بالكسر :آلة ذات اسنان ينشربها الخشب و نحوه يقال : نشرت الخشبة : قطعتها بالمنشار .

المرأة المنشورة : السخيّة الكريمة. النشوار : ما تبقيه الدابة من العلف فارسى معرّب أصله نشخار .

النشرة بالضم : ضرب من الرقية والعلاج يعالج بها من كان يظنّ ان به مسّاً من الجن سميت نشرة لانه ينشربها عنه ماخامره من الداء أى يكشف ويزال. ومنه الحديث : « فلعل طبّاً أصابه ثم نشره بقل أعوذ برب الناس »اى رقاه.

النشير : المئزر سمى به لانه ينشر ليؤتزر به .

فى المفردات : نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة والحديث بسطها .

و فى النهاية : ومنه حديث الحسن : « أتملك نشر الماء » هو بالتحريك: ما انتشر منه عند الوضوء وتطاير . النشر: ضد الطى .

وفى اللسان : النشر: القوم المتفرقون الذين لايجمعهم رئيس. والنشير: الازار من نشر الثوب وبسطه وفى الحديث: «إذا دخل أحدكم الحمام فعليه بالنشير

ولا يخصف» .

أرض ناشرة وهى التى قد اهتز نباتها واستوت ورويت من المطر .

وفى القاموس وشرحه : النشر بضمتين : خروج المذى من الانسان .

وفى مجمع البحرين : النشرة : عوذة يعالج بها المجنون والمريض وفى الحديث « غسل الرأس بالخطمى نشرة » أى رقية و حرز .

٢٥ - العذر - ٩٩٠

عذر يعذر عذراً ومعذرة - من باب ضرب و نصر - : أتى بحجة يعتذر بها و أبدى عذراً ومن الحسى : العذار من الفرس : كالعارضين من الانسان ومن الارض والمعذرة : الخروج من الذنب وهى إسم من عذرة: اقيم مقام الاعتذار قال تعالى : « قالوا معذرة إلى ربكم » الاعراف : ١٦٤)

والمعاذير جمع المعذرة قال تعالى : « ولو ألقى معاذيره » القيامة : ١٥)

وعذّر - بالتشديد - أى إعتذر بغير عذر وتكلف ذلك إعتلالاً من غير حقيقة .

قال تعالى : « وجاء المعذرون من الاعراب » التوبة : ٩٠)

تعذّر عن الأمر : تأخر، وتعذّر عليه الامر : لم يستقم وصعب وتعسّر وضاق.

ومن هذا المعنى التعذر بمعنى الامتناع كتعذر الابتداء بالساكن .

والعذراء : الباكرة جمعها عذارى . والعذراء : شيء من حديد يعذب به الانسان .

يقال : إعتذرت المنازل : إذا درست وامّحت . واعتذرت الحياة : إنقطعت ، و من هذا يستخرج معنى العذر الذى يراد به محو الاساءة و طمسها بالحجة التى يمكن بها ذلك .

فى المفردات: العذر تحرّى الانسان ما يمحو به ذنوبه ويقال : عذر وعذر وذلك على ثلاثة أضرب : إما أن يقول : لم أفعل . أو يقول : فعلت لاجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنباً . أو يقول : فعلت ولا أعود ونحو ذلك من المقال.

وهذا الثالث هو التوبة فكل توبة عذر وليس كل عذر توبة .

واعتذرت إليه : أتيت بعذر وعذرته : قبلت عذره .

وقال بعضهم : أصل العذر من العذرة وهو الشيء النجس ومنه سمى القلفة ، العذرة ، فقيل : عذرت الصبى : إذا طهّرته وأزلت عذره .

وكذا عذرت فلانا : أزلت نجاسة ذنبه بالعفو عنه .

وسمى جلدة البكارة عذرة تشبيهاً بعذرتها التى هى القلفة فقيل : عذرتها : إفتضضتها .

وفى النهاية : فى الحديث : « الوليمة فى الاعذار حق » الاعذار : الختان ثم قيل للطعام الذى يطعم فى الختان : أعذار .

ومنه الحديث : « ولد رسول الله معذوراً مسروراً » أى مختوناً مقطوع السرّة . وفى صفة الجنة : « ان الرجل ليفضى فى الغداة الواحدة إلى مأة عذراء » العذراء : الجارية التى لم يمسها رجل وهى البكر .

يقال للرجل إذا عزم على الامر : هو شديد العذار . كما يقال فى خلافه : فلان خليع العذار كالفرس الذى لا لجام عليه فهو يعير وجهه لان اللجام يمسكه ، ومنه قولهم : « خلع عذاره » إذا خرج عن الطاعة وانهمك فى الغىّ .

وفى الحديث : « اليهود انتن خلق الله عذرة »

العذرة : فناء الدار وناحيتها ومنه الحديث : « ان الله نظيف يحب النظافة فنظّفوا عذراتكم ولا تشبّهوا باليهود » .

ومنه حديث على عليه السلام « عاتب قوماً فقال : مالكم لا تنظّفون عذراتكم » أى أفنيتكم .

وفى مجمع البحرين : عذار اللحية : جانباها يتصل أعلاها بالصدغ و أسفلها بالعارض استعير من عذار الدابة وهو ما على خديه من اللجام .

٢٥ - الطمس - ٩٤٢

طمس يطمس طمساً - من باب نصر -: بعد والطامس: البعيد.

من الحسى - قفر طامس - أى بعيد لا مسلك فيه و فلاة طامسة: بعيدة لا تتبين من بعد.

وإذا غطى الشيء حتى لايرى أودرس وانمحى اثره أومسخ وذهب عن صورته قيل: انه طمس - من باب ضرب ونصر - طموساً.

و طمسته طمساً - يتعدى و لا يتعدى - والمطموس: الاعمى الذى لايبين حرف جفنه.

قال الله تعالى: «ولو نشاء لطمسنا على أعينهم» يس: ٦٦) أى أعميناهم بذهاب نوربصرهم وقال: «فطمسنا أعينهم» القمر: ٣٧)

طمس الاعين والطمس عليها بمعنى ذهاب بصرها، رجل طميس: ذاهب البصروطمس الوجوه: تغييرها وقلبها على أنها الجوارح أو الوجوه: الرؤساء والوجهاء.

والطمس: قلب حالهم وطمس القلوب أى فسادها.

قال الله تعالى: «من قبل أن نطمس وجوها» النساء: ٤٧)

وقال: «ربنا اطمس على أموالهم» يونس: ٨٨) أى غيّرها وأهلكها.

وطمس النجوم: ذهاب ضوءها.

قال تعالى: «فاذا النجوم طمست» المرسلات: ٨) أى ذهبت ضوءها.

فى المفردات: الطمس: إزالة الأثر بالمحو.

وفى النهاية: الطمس: إستئصال أثر الشيء. وفيه فى حديث وفد مذحج: «ويسمى سرابها طامسا» أى انه يذهب مرّة ويعود اخرى.

وفى التهذيب: طمس الطريق والكتاب: درس. وطموس الكواكب: ذهاب ضوءها

وفى اللسان : فى صفة الدجال : انه مطموس العين أى ممسوحها .

وفى مجمع البحرين : طمس الشىء طمساً من باب ضرب : محوته . و .

الطموس : الدروس والانمحاء .

٣٥ - النسف - ١٥١٠

نسف الشىء ينسفه نسفاً - من باب ضرب - : اقتلعه من أصله .

تقول : نسف البعير الكلأ ونسف الرجل البناء .

قال الله تعالى : « وإذا الجبال نسفت » أى اقتعلت من أصلها ويقال : نسف الشىء : فرّق أجزاءه ونفضه . نسفت الريح التراب : فرقته وذرّته .

قال الله تعالى : « ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً » ط : ١٠٥) أى إقتلاعها أوتذريتها .

والمنسفة - بالكسر - : آلة يقلع بها البناء . والمنسف : الغربال الكبير والجمع مناسف .

فى المفردات: النسفة : حجارة ينسف بها الوسخ عن القدم .

وفى القاموس وشرحه : « وإذا الجبال نسفت » أى ذهب بها كلها بسرعة .

٣٩ - الفصل - ١١٥٨

فصل يفصل فصلاً - من باب ضرب - : حجز بين الشيئين .

من الحسى الفصيل : ولد الناقة إذا انفصل عن امه . والمفصل : ما بين الجبلين . ومفاصل العظام : مابين أجزائها . وفصل عن مكان كذا : جاوزه .

ومن المعانى الفصل : الحاجز بين الكلامين المتغايرين . والفواصل أواخر آيات القرآن الكريم .

الفصل : تمييز الشىء من الشىء وإبانته عنه . الفاصلة من السجع بمنزلة

القافية من الشعر و من هذا القبيل فواصل الايات أى أواخرها لانها تفصل بين الآيتين .

قال الله تعالى : « كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » هود : ١) أى جعلت آية آية وسورة سورة .

والمفصّل من القرآن الكريم :المبين كتفصيل نظم العقد قال تعالى«أنزل إليكم الكتاب تفصيلا » الانعام : ١١٤)

وقوله تعالى : «آيات مفصلات » أى بين كل آيتين فصل تمضى هذه وتأتى هذه بين كل آية مهلة .

والمفصل : اللسان إذ باللسان تفصل الامور و تميز . والفيصل : الحاكم والفصيلة : القطعة من أعضاء الجسد . و فصيلة الرجل : أقاربه الادنون والفصال للصبى : التفريق بينه وبين الرضاع .

قال تعالى : « فان أرادا فصالاً » البقرة : ٢٣٣)

وفصلت ولدها : فطمته وبين الزوجين :الافتراق . ويوم الفصل : يوم القيامة يفصل فيه بين أهل الحق والباطل قال تعالى : « يفصل بينهم » الحج : ١٧)

وقال : « وهو خير الفاصلين » الانعام : ٥٧)

والقول القاطع للخصومة والخطاب ومنه فصل الخطاب قال تعالى :«وفصل الخطاب » ص : ٢٠) والتفصيل : تفعيل من الفصل للتكثير .

فى المفردات : الفصل:إبانة أحدالشيئين من الاخر حتى يكون بينهمافرجة

وفى التهذيب : المفصل كل مكان فى الجبل لاتطلع عليه الشمس .

وفى اللسان : الفصول : أى فروع ومن الكتاب قطعة منه مستقلة منفصلة عن غيرها و يطلق الفصل فى الاصطلاح على طائفة من المسائل فصلت عن غيرها لغرض .

ويطلق أيضاً على الوقف لانه يقطع الكلام عمابعده فينفصل عنه و هو من

مصطلحات القراء .

وعلى زمن من أزمنة السنة الاربعة :وهى الربيع والصيف والخريف والشتاء.

٦٧ - المهين - ١٤٦٥

مهن يمهن مهانة - من باب كرم - فهومهين : قلّ وضعف ، ويقال : رجل مهين : فقير لان الفقر ضعف والغنى قوة .

قال الله تعالى حكاية عن فرعون فى موسى عليه السلام : « أم أنا خير من هذا الذى هو مهين » الزخرف : ٥٢) أى انه فقير لايليق للرئاسة .

ويقال : فلان مهين : حقير ضعيف فى الرأى والتمييز.

قال الله تعالى : « ولاتطع كل حلاّف مهين » القلم : ١٠) أى ضعيف الرأى قليل التمييز .

وقد خلق الانسان من ماء مهين وقال تعالى : « ألم نخلقكم من ماء مهين» المرسلات : ٢٠) وهى النطفة وهى قليلة ضعيفة لايؤبه لها .

فى النهاية: المهانة - بفتح الميم - : الحقارة والصغر .

٣١ - الكفت - ١٣٠٤

كفت الاشياء يكفتها كفتاً - من باب ضرب - :جمعها وضم بعضها إلى بعض وقبض . اكتفت المال : استوعبه وضمه إليه أجمع .

و كفت الشيء: صرفه عن وجهه. و كفت يكفت كفتاً : رجع راجعاً وبمعنى أسرع فى العدو والكفت : تقلّب الشيء ظهراً لبطن و بطناً لظهر .

والكفات : ما تجتمع فيه الاشياء أو الناس يقال : البيوت كفات الاحياء والقبور كفات الاموات .

فى المفردات: الكفت : القبض والجمع . والكفات : قيل : هو الطيران

السريع وحقيقته قبض الجناح للطيران .

وفى مجمع البحرين : الكفتة - بالفتح والسكون - إسم بقيع الغرقد وهومقبرة المدينة لانها تكفت الموتى أى تحرزهم .

وفى النهاية : فى الحديث : « اكفتوا صبيانكم » أى ضموهم إليكم و أحبسوهم فى البيوت عند إنتشار الظلام أو إطلاقاً لئلا يفسدوا .

ومنه الحديث : « يقول الله للكرام الكاتبين : إذا مرض عبدى فاكتبوا له مثل ماكان يعمل فى صحته حتى أعافيه أو اكفته » أى أضمه إلى القبر .

الكفيت : القوت من العيش والقوة على النكاح .

وفى اللسان : الكفت - بكسر الكاف - : القدر الصغيرة .

وكافت : غاركان فى جبل يأوى إليه اللصوص يكفتون فيه المتاع أى يضمّونه

وفى القاموس وشرحه : المكفت كمحسن: من يلبس درعين بينهما ثوب.

٣٦ - الرواسى - ٥٦٤

رسا الشيء يرسو رسوا ورسوّاً - من باب دعا - : ثبت أصله ورسخ فهو راس وهى راسية وهن راسيات ورواسى جمع الجمع .

قال الله تعالى : « و جعلنا فيها رواسى شامخات » المرسلات : ٢٢) أى الجبال الثوابت الرواسخ .

و أرساها : جعلها ثابت الاصل راسخاً قال تعالى : « والجبال أرساها » النازعات : ٣٢)

أرسى السفينة : جعلها تثبت ولاتسير والمرسى مصدر أرسى بمعنى ثبت أو هوبمعنى المنتهى والمستقر .

قال تعالى : « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها » الاعراف : ١٨٧) أى متى وقوعها وإقامة الله لها أومتى منتهاها ومستقرها .

وفى اللسان : رست قدمه : ثبتت فى الحرب ورسا الصوم : إذا نواه و رسا بينهم رسواً : أصلح .

٤٣- الشامخات - ٨١١

شمخ يشمخ شمخاً و شموخاً - من باب فرح - : علا و طال و ارتفع و منه الاصلاب الشامخة أى العالية .

نسب شامخ : شريف . تشمّخ الرجل بأنفه : تكبّر .

جبل شامخ وجبال شوامخ وشامخات : مرتفعات عاليات .

وفى اللسان : الجبال الشوامخ : الشواهق . و شمخ أنفه لى إذا رفع رأسه عزاً و كبراً .

١٦ - الفرات - ١١٣٥

فرت الماء يفرت فروتة فهو فرات - من باب كرم - : إذا عذب .

الفرات أشد الماء عذوبة .

وفرت يفرت فرتا - من باب نصر - : فجر .

وفرت الرجل يفرت فرتا - من باب علم - : ضعف عقله بعد مسكة .

الفرات : نهر عظيم مشهور يخرج من حدود الروم ثم يمر بأطراف الشام ثم بالحلّة ثم بالكوفة ثم يلتقى مع دجلة فى البطائح فيصيران نهراً واحداً ثم يصب عند عبادان فى بحر فارس .

والفرات : يكسر العطش لفرط عذوبته يطلق على الافراد والجمع فيقال : ماء فرات ومياه فرات . ويقال : فراتان : للفرات والدجلة .

﴿النحو﴾

١ - (والمرسلات عرفاً)

الواو للقسم، و «المرسلات» مجرور بوا والقسم على تقدير: اقسم بالمرسلات، و «المرسلات» جمع « المرسلة » من باب الافعال ، إسم مفعول ، وتأنيثها باعتبار الجماعات أو باعتبار الروح التى تنزل بها الملائكة ، والمعنى: اقسم بالجماعات المرسلات من ملائكة الوحى . وفى نصب « عرفا » وجوه : أحدها - منصوب على الحال من « المرسلات » أى متتابعة على أن « عرفا » : الشعر النابت على عنق الفرس يشبه به الامور إذا تتابعت يقال : جاؤا كعرف الفرس ، و يستعار فيقال : جاء القطا عرفاً أى متتابعة . ثانيها - مفعول له . على أن العرف : المعروف من الامر والنهى . ثالثها - منصوب على المصدر أى تباعاً . رابعها - منصوب بنزع الخافض أى والمرسلات بالعرف أو لعرف على أن المراد بالمرسلات الملائكة .

٢ - (فالعاصفات عصفاً)

الفاء للعطف والتعقيب ، و « العاصفات » : جمع « العاصفة » إسم فاعل ، مجرور بالعطف على « المرسلات » و نصب « عصفاً » على المفعول المطلق .

٣ - (والناشرات نشراً)

عطف بعد عطف . وقيل: الواو لقسم آخر على طريق الاستئناف لان المراد بالناشرات الارواح التى تنشر يوم الفصل والجزاء .

٤ - (فالفارقات فرقاً)

ان الكلام فى هذه الاية هو الكلام فى الاية الثانية .

٥ - (فالملقيات ذكراً)

« الملقيات » : جمع « الملقية » : إسم فاعل ، من باب الافعال ، و « ذكراً » مفعول به .

٦ - (عذراً او نذراً)

فى « عذراً أو نذراً » وجوه : أحدها - هما مصدران - كالشكر والكفر والضم لغة فى كل منهما كالنكر - على المفعول لهما أى للاعذار أو الانذار . والمعنى : إعذاراً من الله تعالى و إنذاراً إلى خلقه من عذابه . ثانيها - منصوبان على البدل من « ذكراً » على تقدير فالملقيات عذراً أو نذراً . و قيل : بيان ا « ذكراً » ثالثها - انهما مفعول بهما لقوله : « ذكراً » أى فالملقيات أن يذكر عذراً أو نذراً . رابعها - انهما جمعان من عذير و نذير ، منصوبان على الحال من الضمير فى « الملقيات » أى معذرين أو عاذرين أو منذرين . وقيل: عذر جمع عاذر والنذر جمع النذير بمعنى المنذر . فالمعنى : كأنهم يلقون الذكر فى حال العذر والانذار .

و « أو » للتنويع .

٧ - (انما توعدون لواقع)

«ان» حرف تأكيد ، و «ما» موصولة فى موضع نصب، إسم لها، و «توعدون» فعل مضارع للجمع المخاطب المذكر ، مبنى للمفعول من باب الافعال . وقيل: ثلاثى. والجملة صلة الموصول على حذف العائد أى توعدون به . وقيل: توعدونه. و قيل : إن العائد مافى « لواقع » من الضمير لانه إسم فاعل من « وقع » ، واللام للتأكيد ، و « واقع » خبر لحرف التأكيد ، والجملة جواب للقسم السابق .

٨ - (فاذا النجوم طمست)

الفاء تفصياية ، و « إذا » ظرف للاستقبال ، متضمّنة معنى الشرط، وتختص

هذه بالدخول على الفعل عكس « إذا » الفجائية ، و يكون الفعل بعدها ماضياً غالباً ، وقد تدخل على الاسم كالمقام لانه فاعل لفعل محذوف على شريطة التفسير لامبتداء ، خلافاً للأخفش. و « النجوم » : جمع النجم، فاعل لفعل مقدر، يفسّره « طمست » و هو فعل ماض مبنى للمفعول ، والتأنيث باعتبار جماعة « النجوم » فالجملة المقدرة هي الشرط و في الجواب وجوه : أحدها ـ على تقدير: بان الامر أو وقع الفصل . ثانيها ـ محذوف يدل عليه قوله تعالى : « لأى يوم اجلت ـ إلى قوله ـ للمكذبين » حذف الجواب إستغناء عنه بتلك الايات . ثالثها ـ ان هذه الايات نفسها جوابها . و عاملها هو جوابها . رابعها ـ ان الجواب هوقوله تعالى: « ويل يومئذ للمكذبين » .

٩ - (و اذا السماء فرجت)

عطف على ما قبلها .

١٠ - (و اذا الجبال نسفت)

عطف بعد عطف .

١١ - (و اذا الرسل اقتت)

« الرسل » جمع الرسول ، و أصل « اقتت » وقتت إلا انه لما انضمت الواو ضماً لازماً قلبت همزة . و قال الفراء : كل واو ضمت وكانت ضمتها لازمة جاز أن يبدل منها همزة لثقل الضمة على الواو ، و لم يجز البدل فى قوله تعالى : «ولاتنسوا الفضل منكم» لان الضمة غير لازمة. والمعنى جمعت الرسل لوقت معلوم.

١٢ - (لأى يوم اجلت)

اللام جارة ، و «أى» للاستفهام مجرور بها ، اضيف إلى «يوم» و «اجلت» فعل ماض، مبنى للمفعول من باب التفعيل، والضمير المستتر فيه هو الفاعل النيابى، راجع إلى الامور المذكورة : من طمس النجوم و فرج السماء و نسف الجبال ، و تأقيت الرسل . و قيل : راجع إلى « الرسل » . و قيل : راجع إلى ما اخبره

الرسل من أحوال القيامة و أهوالها ، و تعذيب الكافرين و تنعيم المتقين فيها .

١٣ - (ليوم الفصل)

جواب للاستفهام أي اخّرت تلك الامور ليوم الفصل، فالمجرور متعلق بالمحذوف

١٤ - (و ما أدراك ما يوم الفصل.)

الواو تحتمل العطف والاستئناف ، و « ما » إستفهامية في موضع رفع على الابتداء و « أدراك » الفعل ماض من باب الافعال ، و كاف الخطاب في موضع نصب، مفعول به ، والجملة خبر المبتداء ، و « ما » إستفهامية أيضاً ، مبتداء و « يوم الفصل » خبره .

١٥ - (ويل يومئذ للمكذبين)

« ويل » مبتداء ، والابتداء بالنكرة لمعنى الدعاء و « للمكذبين » خبره .
وعامل «يومئذ» محذوف ، يدل عليه قوله تعالى: «انما توعدون لواقع» والتقدير : فاذا طمست النجوم و فرجت السماء و نسفت الجبال واقتت الرسل وقعت القيامة .

١٦ - (ألم نهلك الاولين)

الهمزة للاستفهام ، و « لم » حرف جحد ، و « نهلك » فعل مضارع للتكلم مع الغير من باب الافعال ، مجزوم بحرف الجحد ، و « الاولين » مفعول به .

١٧ - (ثم نتبعهم الاخرين)

« ثم » حرف عطف ، و « نتبعهم » الفعل للاستقبال من باب الافعال ، و لم يجزم لان التقدير: ثم نحن نتبعهم بناء على نية الاستئناف أو عطف الجملة الاسمية على الفعلية ، وضمير الجمع الغائب في موضع نصب ، مفعول أول ، و « الآخرين » مفعول ثان .

١٨ - (كذلك نفعل بالمجرمين)

« كذلك » في موضع رفع على الابتداء ، و « نفعل » فعل مضارع للتكلم مع الغير ، و « بالمجرمين » متعلق بفعل التكلم ، والجملة خبر المبتداء .

١٩ - (ويل يومئذ للمكذبين)

إعرابها كالاعراب المتقدم مثلها ، و كذلك ما يأتي من مثلها .

٢٠ - (ألم نخلقكم من ماء مهين)

الهمزة للاستفهام ، و « لم » حرف جحد ، و « نخلقكم » الفعل للاستقبال، مجزوم بحرف الجحد و ضمير الجمع المخاطب في موضع نصب ، مفعول به ، و « من ماء » متعلق بـ « نخلق » و « مهين » نعت من « ماء » .

٢١ - (فجعلناه في قرار مكين)

الفاء تفريعية ، والفعل ماض للتكلم مع الغير ، و ضمير الغائب في موضع نصب ، مفعول به ، و « في قرار » متعلق بـ « جعلنا » وقيل : متعلق بمحذوف على تقدير : محفوظاً في قرار ، و « مكين » صفة لـ « قرار » .

٢٢ - (الى قدر معلوم)

« إلى قدر » في موضع نصب على الحال أي مؤخراً إلى قدر . وقيل: متعلق بـ « جعلنا » و « معلوم » صفة لـ « قدر » .

٢٣ - (فقدرنا فنعم القادرون)

الفاء للتفريع ، و « قدرنا » فعل ماض للتكلم مع الغير، و «نعم» من أفعال المدح ، و « القادرون » إسم لفعل المدح على حذف المخصوص وهو نحن . وفي القدر ههنا وجهان : أحدهما ـ القدر بمعنى التقدير أي فقدّرنا خلقه ، فنعم المقدرون له نحن . ثانيهما ـ القدر بمعنى القدرة مقابل العجز فالمعنى: فقدرنا على خلقه و تصويره و تدبيره كيف شئنا ، فنعم أصحاب القدرة نحن حيث خلقناه في أحسن تقويم .

٢٥ - (ألم نجعل الارض كفاتاً)

الهمزة للاستفهام ، و « لم » حرف جحد ، و « نجعل » فعل مضارع للتكلم مع الغير مجزوم بحرف الجحد ، و « الارض » مفعول أول ، و « كفاتاً» مفعول ثان،

وهو إسم لما يجتمع فيه الاشياء من الانسان و غيره . و قيل : إسم لما يكفت به مبنياً للمفعول كالشداد لضمام يشدّ به رأس القارورة . و قيل : « كفاتاً » : جمع كافت كالصائم والصيام . و قيل : مصدر على تقدير : ذات كفت أى جمع و ضمّ . وقيل: منصوب على الحال . وقيل: بدل من «الارض» .

٢٦ - (أحياء و أمواتاً)

فى نصب « أحياء » وجوه : أحدها - منصوب على الحال أى نجمعهم فى هاتين الحالين . و قيل : أى تكفتكم فى حال حياتكم وفى حال مماتكم . ثانيها- مفعول لـ« كفاتاً » أى أن يكفت أحياء وأمواتاً . فعلى هذا يكون « كفاتاً » مصدراً . و إن جعلته جمع كفت فيكون العامل فى أحياء معناه . والتقدير: واعية أحياء أو تعى أحياء . ثالثها - مفعول ثان لـ« نجعل » على تقدير: ألم نجعل بعض الارض أحياء ينبت ، و بعضها الاخرى أمواتاً لاينبت و « كفاتاً » على هذا حال . رابعها- منصوب لفعل مقدر دلّ عليه هذا الاسم أى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتاً فى بطنها . و قيل : على تقدير : مستودعاً يضمّ أحياء و أمواتاً .

٢٧ - (و جعلنا فيها رواسى شامخات و أسقيناكم ماء فراتاً)

الواو للعطف ، و « جعلنا » عطف على « لم نجعل » لانه فى معنى الاثبات ، و « فيها » متعلق بفعل الجعل، والضمير راجع إلى « الارض » و «رواسى» مفعول أول و « شامخات » مفعول ثان. وقيل: حال من « رواسى » و « أسقيناكم » الفعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال ، و ضمير الجمع المخاطب فى موضع نصب ، مفعول أول ، و « ماء » مفعول ثان ، و « فراتاً » نعت من « ماء » .

٢٩ - (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون)

« انطلقوا » فعل أمر لجمع الخطاب من باب الانفعال ، و « ما » موصولة فى موضع جر بـ« إلى » متعلق بفعل الانطلاق ، و « كنتم » فعل ماض لجمع الخطاب من أفعال الناقصة ، و « به » متعلق بـ« تكذبون » والضمير عائد الصلة و «تكذبون»

فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب في موضع نصب ا « كنتم » والجملة صلة الموصول .

٣٠ - (انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب)

« انطلقوا » بدل من « انطلقوا » المتقدم ذكره ، و « إلى ظل » متعلق ب « انطلقوا » و « ذى » اضيف إلى « ثلاث » وهو اضيف إلى « شعب »: جمع شعبة ، والمضاف والمضاف إليه نعت من « ظل » .

٣١- (لاظليل ولايغنى من اللهب)

« لا » ههنا إسم بمعنى غير ، يظهر إعرابها فيما بعدها كقوله تعالى : « لا مقطوعة ولا ممنوعة » الواقعة : ٣٣) وقوله : « لافارض ولابكر » البقرة : ٦٨) و « ظليل » مجرور بها ، نعت ثان من « ظل » و « لايغنى » صفة ثالثة ، و « من اللهب » متعلق ب « يغنى » و عدى « يغنى » ب « من » دون « عن » تنبيهاً إلى أن إبتداء الاغناء منه .

٣٢- (انها ترمى بشرر كالقصر)

« انها » حرف تأكيد ، والضمير راجع إلى « اللهب » وقيل : راجع إلى محذوف أى حر اللهب وقيل راجع إلى « اللهب » على حذف المضاف إليه أى لهب العطش ، و « ترمى » فعل مضارع للغيبة ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « اللهب » ، والفعل فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « بشرر » متعلق ب « ترمى » و « كالقصر » بمحذوف و هو صفة ا « بشرر » أى تشبه اللهب النارية القصر فى الارتفاع والاية تمامها نعت من « اللهب »

٣٣- (كانه جمالت صفر)

« كأنه » حرف تشبيه ، والضمير فى موضع نصب ، إسمها ، راجع إلى القصر ، و « جمالت » : جمع جمالة بمعنى جمل . ويحتمل أن تكون جمع جمال كر- جالات . وقيل : التاء من « جمالة » لتأكيد الجمع كحجر وحجارة .

٣٥- (هذا يوم لاينطقون)

« هذا » مبتداء ، و « يوم » خبره ، و«لاينطقون» صفة لـ « يوم » على حذف « فيه » أى لا ينطقون فيه . و فى « يوم » وجوه : أحدها ـ مبنى لا ضافته إلى الفعل وموضعه رفع . ثانيها ـ فى موضع نصب على أن يكون « هذا » إشارة إلى غير اليوم لانه مبنى إذا اضيف إلى مبنى والفعل ههنا معرب .

ثالثها ـ خبر لـ « هذا » وعليه أكثر النحويين .

٣٦- (ولا يؤذن لهم فيعتذرون)

عطف على « لاينطقون » و « يؤذن » فعل مضارع ، مبنى للمفعول ، و« لهم » متعلق بـ « يؤذن » ، والضمير راجع إلى « المكذبين » و « فيعتذرون » عطف على « يؤذن » أى فلا يعتذرون ، و لم يقل : « فيعتذروا » بالنصب لو قوعه بعد النفى كقوله تعالى : « لايقضى عليهم فيموتوا » فاطر : ٣٦) ليدل على نفى الاذن والا- عتذار عقيبه مطلقاً ، ولوجعله جواباً لدل على عدم إعتذارهم لعدم الاذن ، واوهم ذلك ان لهم عذراً ولكن يؤذن لهم فيه ، فلو نصب لاوهم انهم انمالم يعتذروا لأجل انهم لم يؤذنوا فى الاعتذار ، ولولا المنع لاعتذروا ، وهذا غير جائز .

وانما المراد انه لاعذر لهم فى نفس الامر كما لا إذن . فالفاء لمطلق النسق لاللتسبيب هذا مع أنه فيه رعاية الفاصلة ، وهى من جملة الفصاحة اللفظية ، ولهذا لم يقرأ فى سورة « اقتربت ـ إلى شىء نكر » القمر : ١ ـ ٦) إلاّ مثقلاً و قرى قوله فى آخر الكهف والطلاق : « عذاباً نكراً » بالوجهين قالوا وانما لم يؤذن لهم فى الاعتذار لانه سبحانه أزاح الاعتذار فى الدنيا بتقديم الانذار بدليل قوله تعالى : « فالملقيات ذكراً عذراً أو نذراً » ولهذا قال فى آخر هذا الاخبار : « ويل يومئذ للمكذبين »

و قيل : الفاء تفريعية إذ من فرع الاذن لهم نفى الاعتذار عنهم أى فلا يعتذرون .

٣٨- (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين)

« هذا » مبتداء ، و« يوم الفصل » خبره، و « جمعناكم » فعل ماض للتكلم مع الغير ، وضمير الجمع المخاطب للمكذبين فى موضع نصب ، مفعول به ، و « والاولين » الواو للمعية ، و مدخولها مفعول معه . و قيل : الواو للعطف ، و « الاولين » عطف على ضمير الجمع المخاطب .

٣٩- (فان كان لكم كيد فكيدون)

الفاء تفريعية على سبيل التعجيز ، ومدخولها حرف شرط ، و « كان » فعل الشرط، و « لكم » فى موضع نصب ، خبر« كان » و « كيد » إسمه ،و«فكيدون» الفاء جزائية ، والفعل للامر خطاب لجمع المذكر من المكذبين ، والنون للتكلم مع حذف ياء الوقاية أى فكيدونى . والجملة جواب الشرط .

٤١- (ان المتقين فى ظلال و عيون)

« ان » حرف تأكيد ، كسرت همزتها للابتداء و « المتقين » : إسم فاعل ، لجمع المتقى من باب الافتعال ، إسم لحرف التأكيد ، و « فى ظلال » متعلق بمحذوف وهو خبرها أى مستقرون فى ظلال ، و « عيون » : جمع عين،عطف على « ظلال » على تقدير : وشرب ماء عيون ، وحذف الماء للعلم بأن الماء من العين ماؤها نفسها .

٤٢- (وفواكه مما يشتهون)

الواو للعطف ، و « فواكه » جمع فاكهة لانتهاء الجموع . على تقدير :و فى أكل فواكه و يدل على ذلك قوله تعالى : « كلوا واشربوا هنيئاً » و « مما» متعلق بمحذوف وهو « آكل» و « ما » موصولة ، و « يشتهون » فعل مضارع لجمع الغيبة من باب الافتعال ، صلة الموصول على حذف العائد. و أصل « يشتهون » « يشتهيون » فثقلت الضمة على الياء ، فنقلت إلى ما قبلها بعد حذف حركة الهاء.

٤٣- (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

« كلوا » فعل أمر ، على حذف همزة الوصل ، خطاب للمتقين ، على حذف المفعول أى كلوا تلك الفواكه أكلاً هنيئاً لكم أو كلوا تلك الفواكه هنيئاً لكم ما تاكلونه ، و « اشربوا » عطف على « كلوا » على حذف المفعول أيضاً أى اشربوا من تلك العيون هنيئاً لكم ما تشربونه ، و « هنيئاً » وصف لمصدر محذوف، وقيل: حال أى متهنئين . و « بما » الباء سببية قيل : ان الجملتين فى موضع نصب، حالان من ضمير « المتقين » . و « ما » موصولة ، و « كنتم » فعل ناقص ، خطاب للمتقين، صلة الموصول ، و « تعملون » فى موضع نصب ، خبر ل « كنتم » مع حذف العائد أى تعملونه .

٤٤- (انا كذلك نجزى المحسنين)

« انا » حرف تأكيد مع إسمها ، و « كذلك » فى موضع رفع على الابتداء، و « نجزى » فعل مضارع للتكلم مع الغير ، خبر للمبتداء و « المحسنين » مفعول به والجملة الخبرية خبر لحرف التأكيد .

٤٦- (كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون)

« كلوا » فعل أمر ، خطاب للمكذبين ، على حذف المفعول و « تمتعوا » فعل أمر من باب التفعل ، عطف على « كلوا » و « قليلاً » صفة لمحذوف أى كلوا فى هذه الحياة الدنيا وتمتعوا تمتعاً أو زماناً قليلاً . و « انكم » حرف تأكيد مع إسمها و « مجرمون » خبرها ، والجملة فى موضع تعليل لقلة الاكل والتمتع .

٤٨- (واذا قيل لهم اركعوا لايركعون)

عطف على « انكم مجرمون » و « إذا » شرطية ، و « قيل » فعل الشرط ، و « لهم » متعلق ب « قيل » و « اركعوا » فعل أمر ، خطاب للمكذبين ، و « لا-يركعون » جزاء الشرط .

٥٠- (فباى حديث بعده يؤمنون)

الفاء للتفريع ، و « أى » استفهامية ، مجرور بحرف الباء ، اضيف إلى

« حديث » والجار والمجرور متعلق بـ« يؤمنون » وقدّم لمكان الاستفهام ورعاية الفواصل . . . و« بعده » الضمير متعلق بمحذوف منصوب على الظرفية ، والضمير راجع إلى القرآن الكريم ، و« يؤمنون » فعل مضارع لجمع الغائب المذكر من باب الافعال ، والفاعل هؤلاء المكذبون .



﴿البيان﴾

١- (والمرسلات عرفاً)

اقسام من الله جل وعلا ببعض أوصاف طوائف من الملائكة . . . فمنهم ملائكة الوحى الذين أرسلهم الله تعالى بوحيه حال كونهم متتابعين - واحداً بعد واحد - نازلين على الرسل عليهم السلام ، حاملين لوحى الرسالة ، ملقين له إليهم ليبلغوه للناس.

٢- (فالعاصفات عصفاً)

إقسام آخر لملائكة الوحى من سرعة السير والحركة إمتثالاً لامر الله جل وعلا ، فعصفن فى مضيهن كما تعصف الرياح ، فالمراد بالعصف سرعة السير إستعارة عن عصف الرياح أى سرعة هبوبها إشارة إلى سرعة سيرها إلى ما ارسلت إليه ، فيسرعون فى مضيهم كالرياح العاصفة ، وفى عطف العصف على الارسال بحرف الفاء دلالة على تعقيب الامتثال والائتمار بأوامر الله جل وعلا من غير توان ولا فصل كما فى قوله تعالى : « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » النحل : ٥٠)

٣- (والناشرات نشراً)

اقسام بوصف ثالث لملائكة الوحى - على طريق العطف - من إعلان الوحى وإذاعته ، ونشر الصحف والاخبار السماوية . . . وفى العطف ههنا بالواو دون السابق دلالة على الفصل بين الحركة والعمل بخلاف الامر والحركة .

٤- (فالفارقات فرقاً)

إشارة إلى وصف رابع لملائكة الوحى للفرق بين الحق والباطل ، بين الايمان

والكفر، بين الهدى والضلالة، بين السعادة والشقاء، وبين الحلال والحرام... بالوحى السماوى. وفى العطف بالفاء ههنا دلالة على أن الفرق صفة متفرعة على النشر المتقدم.

٥- (فالملقيات ذكراً)

إقسام بوصف خامس للملائكة من إلقاء الوحى إلى الرسل كافة، و إلى خاتمهم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، و فى توصيف الوحى السماوى بالذكر الملقى بعد ما ينشر و يفرق بين الحلال والحرام، والالقاء هنا من النبيين تنبيه إلى أن الملائكة هم رسل الخلق المذكرون لهم بوحى السماء، ولو من طريق الانبياء عليهم السلام.

ولعل تقديم الارسال واحداً بعد واحد، والعصف التالى، ثم نشر الشرائع والفرق المتعقب على النشر على الالقاء ايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها، أو إشعار بان كلاً من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على إستحقاق الموصوفين بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن، فلو جيىء بها على ترتيب الوقوع لفهم ان مجموع الالقاء والارسال والعصف والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق.

وقيل: ان الصفات الثلاث أعنى النشر والفرق والالقاء مترتبة، فان الفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام يتحقق بنشر الصحف و إلقائها، فبالنشر يشرع الفرق و فى التحقق، وبالقاء يتم تحققه، فالنشر يترتب عليه مرتبة من وجود الفرق و يترتب عليها تمام وجوده بالالقاء. ولا يخفى ان الله تعالى أقسم بأوصاف الملائكة لانفسها تنبيهاً إلى عظم شأن تلك الاوصاف عندالله تعالى.

٦- (عذراً أونذراً)

تنبيه إلى أن لا يبقى بعد محل للوم و تحجج إذ تمت الحجة.

٧- (انما توعدون لواقع)

جواب لما تقدّم من القسم الذى أقسم الله تعالى به ، وتأكيد الجملة بثلاث تأكيدات - إنّ واللام والجملة الموصولة المبهمة - من تفخيم أمر الوعد ووقوعه مالايخفى . مضافاً إلى أن الايات المتقدمة بصدد توكيد وقوع مايوعد به المكذبون أو الناس كلهم وهو يوم القيامة وحسابه وثوابه ، وكون الله جل وعلا ينزل الوحى مع الملائكة لانذار الناس والاعذار إليهم حتى يتعظوا ولايبقى لهم حجة بالغفلة.

وان الخطاب وإن كان للسامعين عامة كما تلهمه عبارة « توعدون » وهى من الوعيد موجه بخاصة إلى الكفار لانهم المحتاجون إلى التوكيد بسبب تكذيبهم بيوم البعث والجزاء ، وهم موضع الوعيد بسبب جحودهم وإعراضهم من الدعوة .

وقيل :ان الفرق بين الواقع والكائن : ان الواقع لايكون إلاّ حادثاً تشبيهاً بالحائط الواقع لانه من أبين الاشياء فى الحدوث ، والكائن أعم منه لانه بمنزلة الموجود الثابت يكون حادثاً وغير حادث ، فالواقع أبلغ من الكائن لما فيه من شائبة الاستقرار .

٨- (فاذا النجوم طمست)

تقرير لوقت تحقق الوعد الذى أخبر بوقوع يومه ، وتصوير لصور من مشاهد هذا اليوم وما تقوم بين يديه من تبدل نواميس الكون ومشاهده الكبرى ، ومن أعلام هذا اليوم أن تطمس النجوم أو يذهب ضوءها ، فلاتراها العيون على ماعهدتها عليه من قبل فى هذه الدنيا .

وفى **تلخيص البيان** للسيد الرضى رضوان الله تعالى عليه : « وهذه إستعارة والمراد بطمس النجوم والله أعلم: محو آثارها وإذهاب أنوارها وإزالتها عن الجهات التى كان يستدل بها ويهتدى بسمتها فصارت كالكتاب المطموس الذى اشكلت سطوره واستعجمت حروفه ، والطمس فى المكتوبات حقيقة و فى غيرها إستعارة » إنتهى كلامه ورفع مقامه .

و لا يخفى على القارىء الخبير ان الجملة المستعارة و ما يليها - إلى قوله تعالى- و اذا الرسل اقتت » بيان لليوم الموعود بذكر حوادث واقعة تلازم تبدل نواميس الكون و إنقراض العالم وإنقطاع النظام الدنيوى من انطماس النجوم و إنفراج السماء و إندكاك الجبال ، وتحوّل هذا النظام إلى نظام آخر يغايره .

و قد تكرر ذلك فى كثير من السور القرآنية ، و خاصة السور القصار كسورالتكوير والانفطاروالانشقاقوالزلزال والقارعة، والنازعات والنبأوالقيامة والحاقة ، وغيرها من السور كسورالحج والذاريات والطور والقمر والواقعة . . .

و قد عبّرت عن الامور المذكورة و ما إليها فى الاخبار بأشراط الساعة .

و من البين من الايات القرآنية والروايات الواردة فى أمر الاخرة : ان نظام الحياة فى جميع شئونها فى الاخرة غير نظامها فى الحياة الدنيا ، فان الدار الآخرة دار أبدية فيها محض سعادة لطائفة لهم فيها ما يشاؤن ، و محض شقاء للآخرين ليس لهم فيها إلاّ ما يكرهون من نار و عذاب ، و ان الحياة الدنيا دارفناء و زوال لا يحكم فيها إلاّ الاسباب والعوامل الخارجية الظاهرية ، يختلط فيها الموت بالحياة والفقدان بالوجدان والشقاء بالسعادة والتعب بالراحة والمساءة بالسرور .

و أما الآخرة فهى دار جزاء و لا عمل ، والدنيا دار عمل و لا جزاء إن خيراً فخيراً و شراً فشراً ، فالنشأة الاولى غير النشأة الاخرة قال الله تعالى: « وان عليه النشأة الاخرى » النجم : ٤٧) .

فتعريفه تعالى نشأة البعث والجزاء بأشراطها من إنطواء بساط الدنيا بخراب بنيان أرضها وإلقاءها مافيها وتحديث اخبارها و إندكاك جبالها و إنفراج سماءها وتكوير شمسها و إنكدار نجومها ، ومايعرض المنبعثين من الاحوال والاهوال كل ذلك من قبيل تحديد نشأة بسقوط النظام الحاكم فى نشأة اخرى .

قال الله جل وعلا : « ثم الله ينشىء النشأة الاخرة ان الله على كل شىء قدير »

العنكبوت : ٢٠) .

٩ - (و اذا السماء فرجت)

ومن إرهاصات هذا اليوم الموعود أن تنشق السماء ، فلا ترى سقفاً مصمتاً مغلقاً كما تبدو للناظرين اليوم .

١٠ - (و اذا الجبال نسفت)

ومن إرهاصات يوم البعث أن تضيع معالم الجبال ، فلا يرى لها على وجه الارض عين و لا أثر .

١١ - (و اذا الرسل اقتت)

و من إرهاصات يـوم القيامة أن يؤجل بعث الرسل إلى الناس ، فلا يبعث فيهم رسول بعد خاتمهم ، و فيه تنبيه على أننا المسلمين منـذ بعثة نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على مشارف هـذا اليوم الموعود إذ كان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم خاتم رسل الله جل و علا ، و ان لا نبى بعده .

١٢ - (لأى يوم اجلت)

سئوال وارد على الخبر فيقوله تعالى : « و اذا الرسل اقتت » على طريق الاستئناف البياني على تقدير القول ، فكأنه قيل : لأىّ يوم اخرت تلك الامور . . والاستفهام للتعظيم والتهويل والتعجيب لامر هذا اليوم الموعود .

١٣ - (ليوم الفصل)

جواب عن السئوال المتقدم ، و بيان لغاية تأجيل الرسل و تعطيل عملهم ، و وقوع اليوم الموعود و تبدل نواميس الكون ، وهواليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق و يقضى فيه بين الناس ، وهو كناية عن يوم القيامة . و ان المراد من السئوال و جوابه تعظيم ذلك اليوم و تهويل أمره والتعجيب من هوله .

١٤ - (و ما ادراك ما يوم الفصل)

ان المراد بالاستفهام تهويل هذا اليوم ، ومايقع فيه من أحداث ، لايمكن

أن تتصورها الاوهام ولا أن تحيط بها العقول . والمعنى : أي شيء جعلك داريا ما هو؟ ما شدته ومهابته ؟ فوضع موضع الضمير لزيادة تفظيع هذا اليوم وتعظيمه وتهويل لشأنه على أن « ما » الثاني خبر ، و « يوم الفصل » مبتداء لا العكس لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل أمراً بديعاً هائلاً لايقادر قدره ولايكتنه كنهه .

١٥ - (ويل يومئذ للمكذبين)

تهويل و وعيد و تهديد ثالث للمكذبين بهذا اليوم الموعود ، فلهم الويل بسبب تكذيبهم بهذا اليوم ، ففيها من تعليق الحكم على الوصف ما لا يخفى .

١٦ - (ألم نهلك الاولين)

الاستفهام للانكار ، و دخولها على المنفي يؤدي إلى إثبات مدخولها ، والمراد بالاستفهام هنا التقرير ، و إستنطاق الواقع الذي شهدته الحياة و سجله التاريخ . . .

ان هذه الكريمة و مايليها - إلى قوله تعالى - و أسقينا كم ماء فراتاً » تذكر حججاً دالة على كمال قدرة الله جل وعلا على تحقيق ما يوعد به المكذبون من البعث والحساب والجزاء ، كما أن ايثار الفعل واحداً بعد واحد على التكلم مع الغير على صيغ الماضي والاستقبال يشعر بذلك مع التعظيم . وهي ثلاثة مقاطع كل منها ينتهي بانذار المكذبين بهول ذلك اليوم ، في كل مقطع حجة مقتطعة مما يعرفه السامعون من حقائق لاسبيل للماراة فيها من قدرة الله جل وعلا وعظمة كونه و دقة نواميسه فيه حيث تستحكم الحجة فيهم .

وقد جاءت المقاطع باسلوب السؤال الاستنكاري الذي ينطوي فيه تقرير معرفة السامعين لجوابه الصحيح ، وهو التسليم بقدرة الله تعالى و صدق الحجة ، فهم يعرفون ان الله جل و علا قد أهلك الاولين بسبب كفرهم وتكذيبهم الانبياء واليوم الاخر ، و أتبعهم بمن بعدهم ، وان هذه عادته في المجرمين ، وهم يعرفون

ان الله تعالى خلقهم من ماء مهين قدر له وقتاً معلوماً فى الرحم ، و انه هو الذى سواهم على أحسن تقدير وحساب وتكوين ، و هم يعرفون ان الله عزوجل جعل الارض نطاقاً واسعاً للأحياء والاموات ، وجعل فيها الرواسى الشامخات ، وأجرى فيها المياه العذبة التى يستقون منها ، والتى فيها قوام حياتهم ، و فى ذلك كله دليل قاطع و برهان واضح على قدرة الله جل وعلا على البعث والحساب والجزاء بعد الموت .

و ان اسلوب الايات الكريمة و إن كان عاماً للسامعين على إختلافهم ، ولكن المتبادر من روحها انها موجهة إلى الكفار والمكذبين فى كل وقت ومكان على سبيل الانذار والتقريع والافحام والدعوة إلى الارعواء ، و ان الايات ظاهرة قرآنية جليلة و هى ان الدعوة كانت تقوم على الاقناع والجدل المنطقى الذى فيه الحجة الدامغة والافحام ، و على لفت النظر إلى وجود الله سبحانه و قدرته الشاملة و حكمته البالغة و علمه المحيط بما فى ملكوت السموات والارض ، و بما فى تكوين وقوى الناس أنفسهم الذين يوجه إليهم الخطاب من آيات ومشاهد باهرة قائمة مما يعترفون به و مما لا يتحمل مماراة ، و لا يحتاج إلى براهين خارقة ، و ان الله جل وحده يليق للخضوع والعبودية والاتجاه .

١٧ - (ثم نتبعهم الاخرين)

وعيد شديد و تهديد و تخويف للمكذبين فى كل وقت و مكان بالهلاك الدنيوى ، و أخذهم بما أخذ الله تعالى به المكذبين من قبلهم فى الامم السابقة بعيدها و قريبها .

١٨ - (كذلك نفعل بالمجرمين)

مستأنف بيانى فى موضع التعليل كأن قائلاً يقول : لما ذا الاهلاك والاتباع؟ فاجيب : كذلك نفعل بالمجرمين على سبيل تعليق الحكم على الوصف ، من غير تخصيص الحكم بطائفة دون طائفة ، و امة دون امة مع حصول وصف الاجرام .

أى كمافعلنا بالاولين بسبب تكذيبهم وإجرامهم نفعل بكل مكذب ومجرم فى كل عصر و مكان، لانا كذلك نفعل بالمجرمين فى كل امة وفى كل جيل، و انما هذا هو حكم الله جل و علا فى أصحاب الجرم لا إستثناء فيه، فمن ركب من الاخرين نفس الطريق الذى ركبه المجرمون من الاولين فله الويل يومئذ من عذاب الله المرصود لكل مكذب و مجرم . . .

و فى الاية الكريمة من أمر السياسة فى الاسر والبيئات والمجتمع البشرى ما لا يخفى على أصحابها: السياسة الالهية لا السياسة الشيطانية فتدبر و اغتنم جداً

قيل : ان الايات الثلاث : ١٦ ـ ١٨) إنذار و إرجاع البيان إلى الأصل المضروب فى السورة أعنى قوله تعالى : « ويل يومئذ للمكذبين » و هى بعينها حجة على توحّد الربوبية، فان إهلاك المجرمين من الانسان تصرّف فى العالم الانسانى و تدبير؛ و إذ ليس المهلك إلاّ الله تعالى ـ و قد اعترف به المشركون ـ فهو الرب لا ربّ سواه و لا إله غيره.

على أنها تدل على وجود يوم الفصل لان إهلاك قوم لاجرامهم لايتمّ إلاّ بعد توجّه تكليف إليهم يعصونه، و لا معنى للتكليف إلاّ مع مجازاة المطيع بالثواب، و العاصى بالعقاب، فهناك يوم يفصل فيه القضاء، فيثاب به المطيع، و يعاقب به العاصى و ليس هو الثواب و العقاب الدنيويين لانهما لايستوعبان فى هذه الدار، فهناك يوم يجازى فيه كل بما عمل، و هو يوم الفصل ذلك يوم مجموع له الناس.

٢٠ ـ (ألم نخلقكم من ماء مهين)

إلتفات من الغيبة إلى الخطاب للتحقير كما تشعر بذلك كلمتا «ماءمهين» و تقرير لهم بأن الله تعالى قادر على البعث بعد الموت للحساب والجزاء بتعديد النعم وآثار القدرة الالهية فى أنفسهم على طريق الاستفهام الانكارى، ففيها توبيخ لهم على استبعادهم البعث بعدالموت ودعوة لهم إلى أن يعيدوا النظر فى موقفهم

من إنكار البعث وتكذيبهم به و استبعادهم له حتى يخلصوا بأنفسهم من هذا الويل المطل عليهم ، فهذه هى فرصتهم الاخيرة ، فان لم يبادروها و يصححوا موقفهم فيها أقلعت سفينة النجاة ، و تركتهم يغرقون فى هذا الطوفان المقبل عليهم .

فهؤلاء الذين يستبعدون البعث ، ويستعجزون قدرة الله جل وعلا عن إعادتهم إلى الحياة بعد الموت - ألم يخلقهم الله من ماء مهين ؟ فما الفرق بين خلقهم من هذا الماء المهين ، و بين بعثهم من التراب ؟ و فى وصف الماء الذى خلق منه الانسان بانه مهين - إشارة إلى أنه فى ظاهره شىء لا وزن له فى مرأى العين ، بل هو شىء مستقذر ، لا يحرص عليه إنسان .

٢١ - (فجعلناه فى قرار مكين)

« قرار مكين » كناية عن الرحم ، و « مكين » : هو حصين وحريز، وهو رحم الام الذى يتمكن فيه ما يتكون منه الولد ، و ما يمكنه من قرار الحياة الجنينية ، إن هذا الماء المهين إذن ليس كما يبدو فى ظاهر الامر شيئاً محقراً ، أشبه بفضلات الانسان ، و إنما هو فى حقيقته حياة ، تضمّ فى كيانها هذه المخلوقات البشرية . . انه الناس فى صورهم و أشكالهم . . . انه صورهم المضمرة و وجودهم المستور . . ولهذا صانه الله عزوجل ، و أودعه هذا القرار المكين الذى أعدّه له .

٢٢ - (الى قدر معلوم)

كناية عن مدة الحمل بان هذا المستودع الذى أودع فيه هذا الماء لا يمسك هذا الماء إلاّ إلى زمن محدود ، و غاية ينتهى إليها ، و هى مدة حمل الجنين فى رحم الام من إستقرار النطفة فيه إلى خروجها منه بشراً سوياً .

٢٣ - (فقدرنا فنعم القادرون)

تفخيم وتعظيم من الله جل وعلا لذاته على فعاله ، و ثناء منه ذاته الكريمة التى لا يحسن الثناء عليها ولا يوفيها حقها إلاّ هو تعالى ، و فى هذا قال رسوله الخاتم ﷺ فى تمجيد ذات ربه والثناء عليه : « سبحانك لا احصى ثناء عليك ،

أنت كما أثنيت على نفسك » وفى هذا الثناء من الله جل وعلا على ذاته الكريمة إشارة إلى أن هذا الابداع فى الخلق ، والاحكام فى التصوير ، مشهد يقف الوجود كله مبهوراً أمام جلاله و روعته ، ثم لايجد من صيغ الثناء ما ينطق به فى هذا المقام ، فكان صمته أبلغ من كل كلام ، و كانت حجته على الصمت ، أن نطق أحكم الحاكمين رب العالمين .. فليس بعد قول الله عزوجل قول ، ولابعد ثنائه ثناء و لا بعد فعله فعل !

والمعنى : فقدرنا بقدرتنا الشاملة ، و حكمتنا البالغة مسيرة هذه النطفة فى الرحم ، وتنقلها فيه من طور إلى طور ، بقدر معلوم ، وتقدير موزون وحساب محكم دقيق . . . فالويل يومئذ لمن كان لا يرجو لله عزوجل وقاراً و لا يعرف لجلاله قدراً ! .

و لا يخفى ان الايات الاربع : ٢٠ ـ ٢٣) مشهد ثان من مقاطع الثلاث يدل على توحيد الربوبية والقدرة الشاملة والحكمة البالغة والعلم المحيط نظير المقطع الاول ، و يدل على تحقق يوم الفصل ، فان الربوبية تستوجب خضوع المربوبين لساحتها ، و هو الدين المتضمن للتكليف و لا يتم التكليف إلاّ بجعل جزاء على الطاعة والعصيان، على الكفر والايمان ، و على الخضوع والطغيان . . . واليوم الذى يجازى فيه بالاعمال هو يوم الفصل إن خيراً فخيراً وإن شراًفشراً .

٢٤ - (ويل يومئذ للمكذبين)

توبيخ و تخويف من وجهين : أحدهما ـ ان النعمة كلما كانت أعظم كان كفرانها أفحش ثانيهما ـ ان القادر على الابداء أقدر على الاعادة ، فالمنكر لهذا الدليل الواضح والبرهان القاطع يستحق غاية التوبيخ .

٢٦ - (ألم نجعل الارض كفاتاً)

إستفهام تقريرى ، و توبيخ و تنبيه و ايقاظ للمكذبين بتعديد نعم الآفاق عليهم بعد ذكر نعم الانفس . ان هذه الاية الكريمة والآيتان التاليتان لها مشهد ثالث من المشاهد على قدرة الله تعالى المطلقة على مايعيش عليه الانسان من الارض،

فاذا عميت بعض البصائر عن أن ترى مسيرة هذا النطفة المهينة ، و أن تشهد ما انطوت عليه من حياة ، وما تفجر منها من مخلوقات ـ فانها تستطيع أن تنظر إلى كائن آخر حجماً من هذه النطفة . . انه الارض ! ! الارض كلها بما على ظهرها ، وما في بطنها . . . فماذا يرى من هذه الارض ، ظاهراً أو باطناً ؟

انها نطفة مكبّرة ، انها حياة وموت . . في وقت معاً . . انها حياة منطلقة من موات ، وموات يتخلف من حياة . . انها رحم كبير ، يتفتح لنطف الماء الذى يتحلب عليه من السحاب .

٢٦ـ (أحياء وأمواتا)

. تنكيرهما للتفخيم أى هذه الارض التى تعيشون عليها تضمُ على ظهرها أحياء لاتعدّ ، وتحمل فى بطنها أمواتاً لاتحصى .

٢٧ـ (وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتاً)

« رواسى » كناية عن الجبال ، ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث فى غير العقلاء مطرد ، وتنكيرها للتفخيم أو للاشعار بأن فيها مالم يعرف بعد . وفى الجملة الاولى إشارة إلى الجبال التى تبرز على وجه الارض عالية شامخة تهول و تروع وتحدّث عن قدرة الصانع وحكمته وعظمته ، الذى أقام تلك الجبال هكذا على وجه الارض . ولعل ذكر الجبال المرتفعة توطئة لقوله : « وأسقيناكم ماء فراتاً» لأن الانهار والعيون الطبيعية تنفجر من الجبال ، فتجرى على السهول .

٢٨ـ (انطلقوا الى ماكنتم به تكذبون) .

خطاب موجه إلى المكذبين بصراحة على طريق الاخبار عما سوف يقال لهم يوم الفصل ، ومآل أمرهم فيه من النار وعذابها لما أصرّوا على موقفهم من التكذيب به ، وبعد أن ضربوا صفحاً عن كل ماقام بين أيديهم من شواهد . ..و ما انتصب لهم من أدلة على قدرة الله التى لايعجزها شىء ، فمضوا فى طريق الكفر والضلال حتى ضمتهم القبور ، ثم هاهم أولاء يبعثون من قبورهم ، ويتلفتون إلى أى

مساقهم مسوقون إليه ، وإذا صوت مزلزل يخترق أصماخ آذانهم ، و يلقى فيها بهذا الامر الصادع : « انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون » أى إنطلقوا إلى موقف الحساب والجزاء إلى ساحة الفصل ، فهذا يومه الذى كنتم به تكذبون .

وقد تكرر هذا الاسلوب في القرآن الكريم كثيراً بقصد تصوير الحال كأنما يراها السامع حتى يرتدع عن الغى ويستجيب إلى الدعوة ، والقائل هو الله تعالى لقوله فى آخر الايات : « إن كان لكم كيد فكيدون » فيقول لهم توبيخاً وتقريعاً: « انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون » .

٣٠- (انطلقوا الى ظل ذى ثلث شعب)

تفصيل لاجمال المتقدم ، والوصف فيه قوى مرعب لحملهم على الارعواء والازدجار عما هم عليه من التكذيب والطغيان ، وفى إنشعاب الظل إلى ثلاث شعب إشارة إلى عظيم الدخان ، فان الدخان العظيم يتفرّق تفرّق الذوائب . . .

أمر يكشف لهم عن وجه المنطلق الذى ينطلقون اليه . . . وأين ذلك الظل ذو الثلاث شعب ؟ انه على غير ما يعرف الناس من ظل فى الحياة الدنيا ،فليبحثوا عنه هنا فى المحشر ، انه بلاجدال ليس من ظلال الجنة ، فان ظلالها ممتدة دائمة إذ وصفها الله جل وعلا فى قوله : « وظل ممدود » الواقعة : ٣٠)

وإذن فهذا الظل لامكان له إلاّ فى جهنم ، إذ ليس فى هذا اليوم إلاّ الجنة والنار . . وانه لهناك فعلاً ،وقد جاء فى القرآن الكريم وصف لهذا الظل الجهنمى فى قوله تعالى : « وظل من يحموم » الواقعة : ٤٣) واليحموم : الدخان الاسود الكثيف الذى ينعقد فى الجو ، والدخان الكثيف اذا خرج من موقده كان فى أول أمره كتلة واحدة ، فاذا ارتفع قليلاً فى الجو تخلله الهواء ورق قليلاً ، وكان طبقة أرق من الطبقة التى تحته ، ثم إذا علا فى الجو رقّ ، فكان أرق مما تحته . . . ثم إذا ارتفع أكثر من هذا المدى ذاب فى الهواء وتبدد ، ولم يعد له ظلّ !!

فهذا هو الظل، وتلك هى شعبه الثلاث التى تشعب إليها، و كأن كل شعبة من

الشعب الثلاث كيان قائم بذاته ، وانما سميت شعبة لان أصلها من مصدر واحدو هوالنار .

٣١- (لاظليل ولا يغنى من اللهب)

وصفان آخران للظل ، وفيهما تهكم بهم ونفي لايكون فيه راحة لهم، وايذان بان ظلهم غير ظل المتقين ، واوردالوصف : « لاظليل » لما اوهمه لفظ الظل، فان الظل الظليل هو المانع من الحر والأذى بستر على المستظل، فكون الظل غير ظليل كونه لايمنع ذلك ، وجاء الوصف الاخر : « ولايغنى من اللهب » تأكيداً وتهكماً آخر ، وقد ضرب عليها رواق ذوثلاث شعب يظنه الرائي ظلاً واقياً ولكنه لايلبث أن يعرف انه لايصلح للاستظلال ولايقى من اللهب .

فالظل الجهنمى لايستظل به من حر ،ولا يأوى إلى ظله محرور من الكائنات الحية ، وانه لايدفع عنهم لهب جهنم الذى ينوشهم من كل جانب . . . وفى دعوتهم إلى الانطلاق إلى ظل هو من دخان جهنم ، لاإلى جهنم ذاتها مع انهم مدعوون إليها أصلاً إستهزاء بهم وسخرية منهم ومبالغة فى ايلامهم ، حيث يلوح لهم بالظل الذى يفتح لهم باباً من الامل ، فاذا هذا الظل لايتمتع به إلا من أخذ مقعده من النار ! !

٣٢- (انها ترمى بشرر كالقصر)

وصف رابع للنار الملتهبة الجهنمية فى موضع التعليل لاوصاف الثلاث المتقدمة، وفى تشبيه الشرر - وهوما يتطاير من النار متبدداً فى كل جهة - بالقصر ايماء إلى عظم حجمها وزيادة طولها وارتفاعها ، ففى الاية تصوير لنار جهنم أى انها تتطاير كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها . . .

٣٣- (كأنه جمالت صفر)

وصف خامس لزيادة البيان ،فأتبعها تشبيهاً آخر من تشبيه لونها بالجمالت الصفر ، فان الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر تشبيهاً فى العظمة والفخامة

وقيل : سود لان سواد الابل يضرب إلى الصفرة ، ففيه تشبيه فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة .

و فى جمع الجمل ـ على قول ـ على جمالات إشارة إلى أنها من الجمال المتخيرة من بين الجمال ضخامة وامتلاء . . مثل رجالات التى هى جمع لرجال ذوى صفات متميزة ، وفى وصف الجمال بانها صفر إشارة إلى وصف لون الشرر ، بعد أن وصف بالضخامة بانه كالقصر ، وفى وصف لون الشرر بالجمالات الصفر دون غيرها من كل ذى لون أصفر إشارة إلى الحركة واللون والضخامة كلها . فهذا الشرر ينطلق بعضه إثر بعض فى تتابع كأنه قطعان من الجمال الصفـراء ينطلق بعضها إثر بعض !

وقد جاءت الاوصاف لان يثير الفزع فى السامعين فى كل وقت ، ويحملهم على تدبر أمرهم فى كل مكان قبل فوات الوقت ، وعلى الارعواء والازدجار عماهم عليه من التكذيب والاجرام .

وفى التشبيهين نكات دقيقة ينبغى ذكرها :

أحدها ـ ان فى تشبيه الشرر بالجمالة دلالة على حركة الشرار و تتابعها كالجمالات . . .

ثانيها ـ ان فى تشبيه الشرارة بالقصر الذى هو موضع الامن إشارة إلى أن الكافر انما يعذب بآفة من الموضع الذى يتوقع منه الامن .

ثالثها ـ ان العرب تعتقد ان الجمال فى ملك الجمال وتمام النعم فى حصول النعم ، ففى الاية إشارة إلى أنكم العرب الجهلة المتعصبة ، والفجرة السفلة ، وشديد الكفر والنفاق كنتم تعدّون الجمال ، فخذوا هذا اليوم تلك الشرارات التى هى كالجمالات . . . وهذا على طريق التهكم والسخرية .

رابعها ـ ان الابل إذا نفرت و شردت متتابعة نال من وقع فيما بينها بلاء شديد ، فتشبيه الشرر بها يفيد كمال الضرر .

خامسها - إن في تشبيه الشرر بالقصر مفرداً - دون القصور جمعاً - تارة في العظم والارتفاع، والضخامة والطول ، وبالجمالات وهي جمع الجمع - دون الجمل مفرداً - تارة اخرى دلالة على نهاية الرعب والفزع وإحاطة الشرر والعذاب .

سادسها - ان التشبيه بشيئين كالقصر والجمالات في إثبات الوصفين من العظم والصفرة أقوى في ثبوت الوصفين من التشبيه بشيء واحد للوصفين بعينهما لان الاول كالمبيَن المفصل، والثاني كالمجمل المبهم إذ يحتمل أن يكون وجه التشبيه واحداً منهما فقط .

سابعها - ان الانسان انما يكون طيب العيش إذا كان وقت الانطلاق راكباً ووقت النزول راقداً في الظل ، فكانه قيل في المقام على سبيل التهكم والسخرية: مركوبكم هذه الجمالات من الشرر ، وظلكم من مثل هذا القصر .

٣٥- (هذا يوم لاينطقون)

وصف لهول مصير الكفار المكذبين ، والعصاة المجرمين ، وشدة موقفهم يوم القيامة لاثارة الرعب والفزع في نفوسهم وحملهم على الارعواء والازدجار عن الكفر والتكذيب ، وعن المعصية والاجرام . . . مع كونه وصفاً ليوم فيه الشرر للمكذبين والمجرمين . لان « هذا » إشارة إلى يوم الفصل . وقيل : إشارة إلى وقت دخولهم في النار أى هذا يوم لاينطقون فيه بشيء لما ان السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ، ويوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت .

٣٦- (ولا يؤذن لهم فيعتذرون)

تعليل لعدم النطق على طريق العطف كما أن الفاء لتعقيب الاعتذار على الاذن فلولا الاذن لما تعقب الاعتذار ، أولم يكن لهم عذر فيعتذرون ، فلا يؤذن لهم بكلام يلقون فيه بأعذار يعتذرون بها عن جناياتهم في الحياة الدنيا .

٣٨- (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين)

تبيين لقوله تعالى : « هذا يوم لاينطقون » مع زيادة تهديد وتوبيخ ،وسمى يوم الفصل لما ان الله جل وعلا يفصل يومئذ بين أهل الحق والباطل ، بين أهل الايمان والكفر ، ويميز أصحاب الهدى من أصحاب الضلالة ، أهل النجاة من أهل الهلاكة ، والسعيد من الشقى ، والمطيع من العاصى ، والمصلح من المفسد ، والمخلص من المنافق ، وأصحاب الجنة من أهل النار . . . بالقضاء والجزاء .

وقوله تعالى : « جمعناكم والاولين » إلتفات من الغيبة إلى الخطاب على طريق التفخيم والتعظيم لذاته تعالى تهكماً بهم فكأنهم يتحدون باسلوب السخرية والاستهتار فيقال لهم : لقد جمعناكم جميعاً الاولين والآخرين ، فاصطنعوا أى حيلة ؟ وتوسلوا بأى وسيلة للخلاص من قبضة الله جل وعلا إذا استطعتم؟ وفى الجملة زيادة بيان لان الفصل بين الخلائق لايجوز إلاّ باحضار الكل . وان الخطاب لمكذبى هذه الامة بما أنهم من الآخرين ، و لذا قوبلوا بالاولين ، و فيها تقرير للفصل بين هذه الامة وبين الامم السابقة ، والجمع بينهم إذا اتصفوا بما وصفوا به من التكذيب .

٣٩- (فان كان لكم كيد فكيدون)

خطاب تحقير وتخجيل ، والامر تعجيزى ينبىء على إنسلاب القوة والقدرة عنهم يوم الفصل تماماً ، حيث يواجه المأمور بما هو محال ، فالسالبة منتفية بانتفاء الموضوع إذلا كيد لهم ولاحيلة يومئذ بين أيديهم لدفع هذا البلاء . و ان الاية الكريمة أوسع مدلولاً من قوله تعالى : « يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون إلاّ بسلطان » الرحمن:٣٣) لاختصاصه بنفى القدرة على الفرار بخلاف مانحن فيه .

وقوله تعالى : « فكيدون » إلتفات مع الغير إلى التكلم وحده ، و لعل النكتة فى وجه الالتفات ان متعلق هذا الامر التعجيزى إنما هو الكيد لمن له القوة والقدرة فحسب ، و هو الله تعالى وحده . و لو قيل : فكيدونا لفات الاشعار

بالتوحد .

وهذا التعجيز والتحقير والتخجيل من جنس العذاب الروحانى ، ولهذا عقبه بقوله : « ويل يومئذ للمكذبين » . وقيل : هذا توبيخ من الله جل وعلا للمكذبين وتقريع لهم وإظهار لعجزهم عن الدفع عن أنفسكم فضلاً عن أن يكيدوا غيرهم ، وإنما هو على انكم كنتم تعملون فى دار الدنيا ما يغضبنى ، فالآن عجزتم عن ذلك وحصلتم على وبال ماعملتم .

٤١- (ان المتقين فى ظلال وعيون)

إلتفات من خطاب المكذبين إلى الغيبة عرضاً لحال أهل الايمان والتقوى يوم الفصل وتقريراً لمصير المتقين المحسنين بعد ذكر مصير الآثمين المجرمين يوم القيامة ، وإنتقالاً من الترهيب إلى الترغيب ومن عذاب الاشرار إلى ثواب الاخيار . حيث يدعون إلى الجنة ونعيمها من ظلال وعيون ، على طريق الحكم على الوصف مشعراً بعلية الوصف فى الحكم .

وفى هذا المقطع زيادة فى حسرة المكذبين وغمّ المجرمين بتعديد ماأعدّ للمتقين المحسنين من الظلال والعيون بدل ظلال هؤلاء البيغاة الجهلة ، والفجار السفلة التى لاروح فيها ولاراحة ولاتغنى عن الحرّ والعطش . و فى المقطع نفسه أيضاً دعوة للمكذبين إلى التقوى وصالح الاعمال . . . لينالوا بما نال أهل التقوى واليقين .

٤٢- (وفواكه مما يشتهون)

إعلام بأن المأكل والمشرب فى الجنة بحسب إشتهاءات أهلها بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس فى الأغلب . وفى تنكير الثلاث : « ظلال وعيون وفواكه » على صيغ الجمع للكثرة والانتهاء و تعليقها على اشتهاء المتقين مالايخفى على القارىء الخبير .

٤٣- (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

إلتفات من الغيبة إلى الخطاب للمتقين على طريق التعليل تسجيلاً لسعادتهم وتبشيراً لهم بعيشهم الرغيد، وفي هذه الكرامة الربانية والضيافة الجنتية إلى تلك الموائد الممدودة لهم، وحثّهم على نعيم الجنة وثمارها، وعلى طعام الجنة و شرابها كبت للمكذبين المجرمين وإثارة للحسد الذي يأكل قلوبهم إن كان ثمة بقية لم تأكلها نار جهنم وعقاربها. . فللمتقين أن يأكلوا ماطاب لهم وليهنئوا بما أكلوا وما شربوا جزاء بما كانوا يعملون.

وقيل: إن مفاد الاية الكريمة هو الاذن والاباحة للمتقين، وكأن الاكل والشرب كناية عن مطلق التنعم بنعم الجنة والتصرف فيها، وإن لم يكن بالاكل والشرب، وهو شائع كما يطلق أكل المال على مطلق التصرف فيه.

٤٤- (انا كذلك نجزى المحسنين)

تعليل لما تقدم على طريق التعظيم والتفخيم، وتعليق الحكم على الوصف، على أن الجزاء المتقدم ذكره الذى أعده الله تعالى انما هو لاهل التقوى والاحسان من عباده لاغير.

ولايخفى ان صفتي التقوى والاحسان تعنيان الايمان بالله جل وعلا ورسالة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فان في إستعمالهما كما هو متبادر تلقيناً مقصوداً به تقرير كون الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم يجب أن يكون له أثر بارز في سلوك المؤمنين، و تصرفهم نحو الله سبحانه والناس بحيث يجتهدون في تقوى الله عزوجل باجتناب الآثام والفواحش، وفي الحصول على رضائه بالعمل الصالح والاحسان والاخلاص فيه وبكلمة ثانية بحيث في سلوكهم وتصرفهم صفتا المتقى المحسن، فيكونون أهلاً لرضوان الله جل وعلا وتكريمه، وهكذا يبدو التلقين قوياً رائعاً وهو مستمر المدى.

٤٦- (كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون)

إلتفات من الغيبة إلى الخطاب للمكذبين يحتوى تهديداً وإنذاراً لهم، و

تنديداً باجرامهم ، وتوبيخاً وتذكيراً بحالهم السمجة ، وبما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم . مواجه للمجرمين ، وهم فى أماكنهم من دنياهم ،، و ماهم فيه منها من لهو و لعب ، فليأكلوا و ليتمتعوا فى دنياهم بما شاؤا . . . انهم مجرمون يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام ثم تساق إلى الذبح .

وقوله تعالى : « قليلاً » إشارة إلى أن هذا المتاع الذى يناله المشركون فى الدنيا هو - مهما كثر - متاع قليل لايلبث أن يزول معقباً وراءه بلاء طويلاً و عذاباً دائماً .

وقوله تعالى : « انكم مجرمون » تعليل لما قبله من قلة الاكل والتمتع فى الحياة الدنيا ، وفيه وعيد لكل مجرم .

٤٨- (واذا قيل لهم اركعوا لايركعون)

ذم على المكذبين بسبب تركهم الخشوع والتواضع لله تعالى ، و تنديد بالمجرمين بسبب استكبارهم عن الركوع لله جل وعلا وقبول وحيه ، وفى العدول عن الخطاب إلى الغيبة إستدعاء لغيرهم أن يشهد موقفهم هذا الآثم ، وأن ينكره عليهم ويتلقى منهم عبرة وموعظة، فلا يقع تحت طائلة هذا التهديد الذى هددوا به. وان الاية بصدد التقرير لاحد موارد إجرامهم وهو أهمها .

وقيل : ان وجه الالتفات هو الاعراض عن مخاطبتهم بعد تركهم و أنفسهم يفعلون ما يشاؤن .

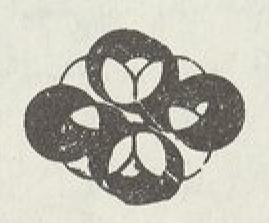
٥٠- (فبأى حديث بعده يؤمنون)

تنديد بالمكذبين لموقفهم من دعوة الحق التى دعوا إليها ، والتى حملها إليهم القرآن الكريم الذى يتلوه عليهم رسول كريم صلى الله عليه وآله وسلم و تقريع لهم على عنادهم وعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من كتاب الله جل وعلا ونذره مع ما فيها من الحجة الدامغة والموعظة البالغة على طريق الاسلوب الاستنكار القوى، والتعجيب من حال الكفرة الفجرة وإصرارهم على جهالاتهم وضلالاتهم بعد القرآن الكريم

وبياناته . . .

وهم مع ذلك كله لم يسمعوا نصيحة الداعي ولم يتبعوا عظاته ، وما فيه رشدهم وصلاحهم وعزتهم وكمالهم وسعادتهم ونجاتهم في دنياهم وآخرتهم . . . وانهم إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن الكريم ، ولم ينكشف لهم على ضوئه طريق الهدى والايمان ، فبأيّ حديث إذن بعد هذا الحديث يؤمنون ؟ وبايّ نور بعد نوره يبصرون ؟ فبايّ شيء يؤمنون إذا لم يقنعهم هذا ولم يؤمنوا به ؟ انهم إذا لم يهتدوا بهذا القرآن الكريم فلن يهتدوا أبداً ولن يجدوا إلى نور الحق سبيلاً .

وهذا إياس من ايمانهم بالله جل وعلا ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وباليوم الاخر ، وكالتنبيه على أن رفع اليد عن دعوتهم إلى الايمان بالقاء قوله : « كلوا وتمتعوا » إليهم في محله فليسوا بمؤمنين ، ولا فائدة في دعوتهم غير أن فيها إتماماً للحجة عليهم .



﴿الاعجاز﴾

و قد سبق منا كراراً : ان إعجاز القرآن الكريم لا يقصر فى تمامه، و لا فى كل سورة و لا فى كل آية، و إنما كل جملة من هذا الكتاب السماوى معجزة خالدة، و انه خلق شريف كخلق الانسان له أجزاء و أعضاء، كل جزء و عضو منه معجزة لن يقدر أحد من الجن والانس أن يخلق مثله و هو الذى يهتف : « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » الطور : ٣٤) .

فجملته معجزة كجملته: معجزة فى معانيها و مبانيها، معجزة فى نظمها و اسلوبها، معجزة فى تنسيقها وتأثيرها فى النفوس، معجزة فى كل زمان ومكان لايتطاول إليه أحد من الثقلين، ومعجزة فى أدائها سواء آمنوا بها أم لم يؤمنوا، و ان كل جملة من هذا القرآن الكريم يتفرد فى ايقاعاته على فطرة البشر، و فى مناهجه فى بيان الحجج والبراهين لكل ما يهدف إليه .

منهج فى مخاطبة الكينونة البشرية بحقائق الوجود، و هو الذى لا يدع خاطراً لا يجاوبه و لا يدع هاتفاً لا يلبّيه فتدبر أيها القارى الكريم فيما جاء فى جمل هذه السورة الكريمة منها قوله تعالى : « ألم نخلقكم من ماء مهين - ألم نجعل الارض كفاتاً - و أسقينا كم ماء فراتاً » : ٢٠-٢٧) منهج يتناول قضايا هذا الوجود، فيكشف منهاما تتلقاه فطرة الانسان وقلبه وعقله ووجدانه بالتسليم المطلق، والتجاوب الحى والرؤية الواضحة، و يوقظ فيها طاقاتها المكنونة، و يوجهها الوجهة الصحيحة .

منهج يأخذ بيدالفطرة الانسانية خطوة خطوة ، ويصعد بها فى هينة و رفق و فى حيوية كذلك و حرارة وفى وضوح و على بصيرة و درجات السلم فى المرتقى الصاعد إلى القمة السامقة فى المعرفة والرؤية ، و فى الانفعال والاستجابة ، وفى التكيف والاستقامة و فى اليقين والثقة و فى الراحة والطمأنينة إلى حقائق هذا الوجود الصغيرة والكبيرة « فبأى حديث بعده يؤمنون » المرسلات : ٥٠)

و إن شئت قدم النظر إلى لطيف صنعة البيان فى كل جملة من الايات الست التى بدئت بها هذه السورة ، فانها مع ما تتضمن الاقسام لتأكيدالخبر الذى فى الجواب كيف تتضمن الحجة على مضمون الجواب ، وهو وقوع الجزاء الموعود ، فان التدبير الربوبى الذى يشير إليه القسم أعنى إرسال المرسلات ، فالعاصفات، و نشرها الشريعة و صحفها ، و فرقها و إلقاءها الذكر للنبى صلى الله عليه وآله وسلم تدبير لايتم إلا مع وجود التكليف الالهى، و ان التكليف لايتم إلا مع تحتم وجود يوم معد للحساب والجزاء فيجازى المؤمن والكافر، المصلح والمفسد، الصادق والكاذب ، المحسن والمسيئ ، المتقى والفاجر ، الخاضع والطاغى والمطيع والعاصى . . . من المكلفين .

فالذى أقسم الله جل وعلا به من التدبير لتأكيد وقوع يوم الموعود للحساب والجزاء هو بعينه حجة قاطعة و برهان ساطع على وقوعه ، فكأنه قيل : اقسم بهذه الحجة ان مدلولها واقع لا محالة .

ثم تفكر فى أعلام اليوم الموعود من تبدل نواميس الكون ومشاهده الكبرى، و تدبر فى منهج السورة فى التدليل على قدرة الله جل وعلا على تحقيق ما يوعد به الناس من البعث والحساب والجزاء ، وفى كل مقطع من مقاطعها حجة مقتطعة مما يعرفه السامعون من حقائق لا سبيل للمماراة فيها من قدرة الله جل و علا و عظمة كونه و دقة نواميسه فيه حيث تستحكم الحجة فيهم .

ثم تدبر فى التهديد المكرر للمكذبين بصراح : « ويل يومئذ للمكذبين »

عشر مرات ، و فيما يحكى عما سوف يقال لهم يوم القيامة : « انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون . . . » : ٢٩ـ ٣٩) بقصد تصوير الحال كأنما يراها السامع حتى يرتدع عن الغيّ والضلال ، عن الكفر والفساد ، و عن التكذيب والاجرام ، و يستجيب إلى الدعوة الحقة السماوية . . . « فبأيّ حديث بعده يؤمنون » .

و لهذه السورة خصوصية نظمية من تكرير الويل للمكذبين لما ينطوى فيه تشديد فى الانذار والتقريع ، والوعيد والتهديد .

ولبعض المفسرين ـ بناء على أن المراد بـ « المرسلات . . . » : الرياح كلام لا يخلو من فائدة : انه فرق بين الرياح فى مهابها على الارض ، و بين الرياح فى مدارها مع الحساب فى طيّه و نشره ، و فى سوقه و توجيه مساره . . .

فيقسم الله تعالى أولاً بالرياح على إطلاقها : « والمرسلات عرفاً » ثم يعطف على هذه الرياح حالاً من أحوالها العارضة و هى العواصف : « فالعاصفات عصفاً » ثم يقسم جل وعلا قسماً آخر بالرياح ، وهى تنشىء السحاب وتنشره : « والناشرات نشراً » و يعطف على هذه الرياح ـ صور مواليدها التى تولّدت عنها من سحب متفرقة ، و من غيوثها طلة : « فالفارقات فرقاً فالملقيات ذكراً » . . .

و فى القسم بالرياح و آثارها إلفات إلى قدرة الله جل و علا ، و إلى أن تلك القدرة التى سخرت هذه الرياح ، و أودعت فيها ما أودعت من أرواح سارية ، يستمد منها الاحياء حياتهم ، و يلتقطون أنفاس الحياة منها ، ثم لا تقف عند هذا بل تسوق إليهم مادة الحياة و قوامها ، من هذا الماء الذى يتحلب من السحاب المتولد عنها ، والمنشأ على يديها ـ هذه القدرة لا يعجزها أن تبعث الموتى من قبورهم ، و أن تحشرهم يوم القيامة للحساب والجزاء : « انما توعدون لصادق » فمن كذب بهذا الوعد إستبعاداً له ، و إعجازاً لأية قدرة أن تحققه ـ جاءه من عالم الرياح شهود عدول يدينونه ، و يفضحون مدعياته الباطلة .

﴿التكرار﴾

و قد تكررت هذه الاية « ويل يومئذ للمكذبين » فى هذه السورة عشر مرات : (١٥ و ١٩ و ٢٤ و ٢٨ و ٣٤ و ٣٧ و ٤٠ و ٤٥ و ٤٧ و ٤٩) لوجوه :

احدها - تكررت فى كل مقطع من مقاطع هذه السورة للتخويف حيناً، وللتعجيز حيناً آخر، وللتوكيد ثالثاً، والوعيد رابعاً، والتقرير خامساً، والتوبيخ سادساً . . . كل ذلك شائع فى كلام العرب ولكن شتان بين كلام الخالق القادر، و كلام المخلوق العاجز .

ثانيها - تكررت لان يجد المكذبون عند إستماع كل نبأ من أنباء الاولين إدكاراً و إتعاظاً ، و أن يستأنفوا تنبيهاً و استيقاظاً إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث إليه كى لا يغلبهم السهو، ولا تستولى عليهم الغفلة ، وهكذا حكم التكرار فى غير هذه السورة من بعض السور القرآنية ، ومنه تكرير القصص القرآنية . . . مع ما فى التكرار من التشديد فى الانذار والتقريع .

ثالثها - كرر الويل فى هذه السورة عند كل مقطع لمن كذب بشىء من المقاطع . . . لانه قسّمه بينهم على قدر تكذيبهم ، فجعل لكل مكذب بشىء من العذاب سوى عذابه بتكذيب شىء آخر ، فأراد بكل قول منه غير الذى أراده بالآخر كأنه ذكر شيئاً، فقال : ويل لمن يكذّب بهذا ثم ذكر شيئاً آخر، فقال : ويل لمن يكذّب بهذا ، ثم ذكر شيئاً آخر ، فقال : ويل لمن يكذب بهذا ثم كذلك إلى آخرها . . .

فيكون متعلق كل واحد من التكاذيب العشر و ويلاتها غير الاخر، فالاول راجع إلى تكذيبهم يوم الفصل والثانى راجع إلى غفلة المكذبين عن تبعات التكذيب والاجرام فى الحياة الدنيا من الهلاك والدمار والثالث راجع إلى غفلتهم عن قدرة الله تعالى التى تشاهد فى خلقهم ، والرابع راجع إلى غفلتهم عن قدرة الله تعالى التى تشاهد فيماهم يعيشون على وجهه من الارض والخامس راجع إلى تكذيبهم جزاء يوم الفصل، والسادس راجع إلى تكذيبهم أهوال هذا اليوم، والسابع راجع إلى تكذيبهم بعجزهم يومئذ عن الكيد كما كانوا يكيدون فى الدنيا ، والثامن ، راجع إلى تكذيبهم ثواب أهل التقوى والاحسان من الجنة و نعيمها. والتاسع راجع إلى تكذيبهم قلة تمتعهم فى الحياة الدنيا إذ كانوا يحسبون الدوام والخلود فيها كما فى السورة السابقة نزولاً: «الذى جمع مالاً و عدده يحسب ان ماله أخلده» الهمزة : ٢ و ٣) والعاشر راجع إلى تركهم العبادة والخضوع لله جل و علا و إعراضهم عن الدعوة الحقة .

رابعها- تكررت عشر مرات كلها تدعّ المكذبين المجرمين دعاً، وتلقاهم على رأس كل مرحلة من مراحل مسيرتهم إلى جهنم بالويل والثبور ، وترجمهم باللعنات تصبها على رؤسهم صباً و أكثر من هذا فانهم يساقون إلى جهنم، وإذ يلقون فى جحيمها ويستظلون بظلها ذى الثلاث شعب - يجيئهم حديث عن أهل الجنة ، ومايلقون فيها من نعيم ، فاذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب الجنة ردّوا عنها بهذه الصاعقة يرمى بها فى وجوههم : «ويل يومئذ للمكذبين» انهم ليس لهم إلاّ الويل يأتيهم من كل لسان و فى كل مقام .

خامسها- ان الله تعالى كرّر لانه عدّد النعم ، فذكره عند كل نعمة ، فلا يعدّ ذلك تكراراً .

سادسها- تكررت عشر مرات لان كل واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الاولى، فلايكون تكراراً مستهجناً ، ولولم يكرر كان متوعداً على بعض دون بعض.

سابعها - إن من عادة العرب التكرار والاطناب كما فى عادتهم الاقتصار والايجاز ، و لان بسط الكلام فى الترغيب والترهيب أدعى إلى إدراك البغية من الايجاز .

ثامنها - ان هذا التكرار البليغ برهان على كونه وحياً إلهياً يستشعره كل مطلع على أسرار فصاحة اللغة العربية ، و ان الشاعر أو الكاتب إذا كرّر قولاً لا يكون كلامه الثانى بدرجة الاول فى الفصاحة ، بل تظهر عليه علامات الضعف والتكلف والتفكك . . . أما اسلوب القرآن الكريم فقد بلغ الغاية فى الفصاحة فى جميع ما كرر من قصص و سواها ، و من غير مراء ان فى التكرار أثراً ملموساً فى التأثير على الافراد والجماعات ، فاذا تكرر الشيء رسخ فى الاذهان رسوخاً ينتهى بها إلى قبوله ، و هذه حقيقة ساطعة .

و نحن نشير فى المقام إلى صيغ عشر لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة - جاءت فى هذه السورة و فى غيرها من السور القرآنية :

١- جائت كلمة (النشر) على صيغها فى القرآن الكريم نحو: ٢١ مرة .
٢ - » » (العذر) » » » : ١٢ » .
٣ - » » (الطمس) » » » :خمس مرات:
١ - المرسلات : ٨) ٢ - يس : ٦٦) ٣ - القمر : ٣٧) ٤ - النساء : ٤٧) ٥ - يونس : ٨٨) .
٤ - » » (النسف) » » » : خمس مرات:
١ - ٤ - طه : ٩٧ و ١٠٥) ٥ - المرسلات : ١٠) .
٥ - » » (الفصل) » » » : ٤٣ مرة .
٦ - » » (المهين) » » » : أربع مرات :
١ - المرسلات : ٢٠) ٢ - القلم : ١٠) ٣ - الزخرف : ٥٢) ٤ - السجدة : ٨)

٧ ـ « « (كفاتاً) « « « : مرة واحدة

وهى فى هذه السورة : ٢٥) .

٨ ـ « « (الرسى) « « « : ١٤ مرة .

٩ ـ « « (الشمخ) « « « : مرة واحدة وهى فى

هذه السورة : ٢٧) .

١٠ ـ « « (الفرات) « « « : ثلاث مرات :

١ ـ المرسلات : ٢٧) ٢ ـ فاطر : ١٢) ٣ ـ الفرقان : ٥٣) .



﴿ التناسب ﴾

ان البحث فى المقام على جهات ثلاث :

أحدها - التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً .

ثانيها - التناسب بينها وما قبلها مصحفاً .

ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى: فان هذه السورة نزلت بعد سورة « الهمزة » فبالتدبر فيما تستهدف السورتان يجد القارىء الخبير مساساً واضحاً بينهما إذ جاء فى سورة الهمزة إشارة إلى ما يكون كثيراًما موجباً للتكذيب والطغيان، والكفر والعصيان من جمع المال وتكثيره حاسباً انه يخلده فى الحياة الدنيا ، وإلى مآل أمره من نارالموقدة ، وجاء في سورة المرسلات وعيد قارع على المكذبين وتهديدهم فى الحياة الدنيا بالهلاك والدمار كالامم المكذبة السالفة ، و بالنار والعذاب فى يوم الاخرة .

وأما الثانية : فمناسبة هذه السورة لما قبلها مصحفاً فبامور أهمها : ان الله تعالى أقسم فى هذه السورة بامورتأكيداً على تحقيق ما تضمنته السورة السابقة من وعد الابرار المؤمنين ، ووعيد الفجار الكافرين .

وذلك لان الله جل وعلا قال فى ختام السابقة : « يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً » و فيها وعد للمؤمنين و وعيد للكافرين ، فكان السامع يتوقع أن يقرّر له زمن يتحقق فيه هذا الوعد و ذاك الوعيد ، فبيّن الله

جل وعلا فى هذه السورة يوماً يتحققان فيه تأكيداً على وقوعه ، وذلك مما يزيد فى إيمان المؤمنين ، ويرفع الحجب الكثيفة عن عيون كثير من الكافرين ويزيل شكوك الاخرين على طريق الدليل والبرهان ليتم عليهم الحجة ، فلا يكون لهم يومئذ إعتذار فى تكذيبهم بالوعد والوعيد ولا فى طغيانهم وإجرامهم . . .

وأما الثالثة : فان الله تعالى لما أقسم بالمرسلات فالعاصفات والناشرات فالفارقات فالملقيات لوقوع ما وعد من البعث للحساب والجزاء لامحالة أشار إلى بعض علائم الوقوع : من إنطماس النجوم وإنفراج السماء ، وإنتساف الجبال، ولكن لما كان هناك من يكذب بقدرة الله جل وعلا على ذلك إستشهد على قدرته على ذلك باءمور من طريق الادنى إلى الاعلى :

أحدها : إهلاك المكذبين من الامم الماضية بسبب تكذيبهم بالله تعالى و رسله و باليوم الاخر تهديداً لمن سلك مسلكهم من هذه الامة على ذلك بقوله : « ألم نهلك الاولين - ويل يومئذ للمكذبين » : ١٦ - ١٩) .

ثانيها - بانه تعالى هو الذى خلقهم من ماء مهين تذكيراً لهم بجزيل نعمه تعالى عليهم فى خلقهم وايجادهم مما يستدعى جزيل شكرانهم ، وللارعواء عن موقفهم التكذيب بقوله تعالى : « ألم نخلقكم من ماء مهين - ويل يومئذ للمكذبين » : ٢٠ - ٢٤) .

ثالثها - بانه جل وعلا جعل الارض كفاتاً و ما فيها من الجبال العالية و أسقاهم بماء عذب ، تذكيراً لهم بما أنعم عليهم فى الآفاق و ما يحيط بهم وهم يعيشون على وجهها .

بقوله تعالى : « ألم نجعل الارض كفاتاً - ويل يومئذ للمكذبين »: ٢٥-٢٨) .

فمن كان قادراً على تلك الامور الواقعة فلا يقدر على البعث للحساب والجزاء ليفصل بين أهل التقوى واليقين ، وأصحاب الكفر والشيطان الرجيم .

ولما كان المكذبون مصممين على تكذيبهم و كفرهم وعنادهم و إجرامهم

كما هودأب المكذب الشاردبالنسبة إلى الحق وأهله ثبت له الحق أم لا؟ اشير إلى مصائرهم الرهيبة حسب سلوكهم، وما يحيط بهم من الاهوال والعذاب و خرسهم يوماً كانواهم يكذبون به. بقوله جل وعلا: «إنطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون - ويل يومئذ للمكذبين»: ٢٩ - ٣٧).

فاذا وقعت الواقعة ورأوا ماوعدوابه من يوم الفصل وأهواله وجّه الخطاب إليهم على طريق التوبيخ والتعجيز والتخجيل والتهديد بما استحقوه بفساد عقيدتهم وعملهم بقوله تعالى: «هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين - ويل يومئذ للمكذبين» : ٣٨ - ٤٠).

ولماكان من لطافة صنعة البيان تقارن الوعد من الوعيد تشويقاً للوعد و تفريعاً من الوعيد اشير إلى بعض ما يتنعم به المتقون يوم القيامة في قوله جل و علا: «ان المتقين في ظلال وعيون - ويل يومئذ للمكذبين»: ٤١ - ٤٥).

ولماكان الله تعالى يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور وجّه الخطاب في الختام إلى المكذبين توبيخاً لهم بان تمتعكم في الحياة الدنيا قليل، وانماينقطع بسرعة وأنتم تحسبون دوامه وخلودكم فيها، معللاً بالاجرام والاعراض عن ذكر الله تعالى وهما الموجبان للويل والعذاب على طريق الالتفات بقوله جل وعلا: «كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون - ويل يومئذ للمكذبين»: ٤٦ - ٤٩)

وفي الترابط بين بدء السورة وختمها من قوله تعالى: «انماتوعدون لواقع - فبأي حديث بعده يؤمنون»: ٧ - ٤٠) مالا يخفى على القارىء الخبير المتأمل فتدبر واغتنم جداً.

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

قيل : ان قوله تعالى : « كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون » المرسلات: ٤٦) منسوخ بآية السيف وهي قوله جل وعلا : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. . . » التوبة : ٥)

اقول: ان آية المرسلات إستدراج على ضرب من التوعد والتهديد بمستقبل أسود ، وليس معناه إباحة ترك الانذار ، و ترك الدعوة إلى الاسلام . و أين هذا هذا من النسخ ؟! وأما التشابه فلم أجد فيها آية متشابهة ، فآياتها محكمات والله هو أعلم .



﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

١- (والمرسلات عرفاً)

فى الاية أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و أبى صالح : المرسلات : الانبياء المرسلون الذين ارسلوا بـ «لا إله إلاالله» وبمايعرفون به من البينات والمعجزات وقيل : هم جاؤا بالمعروف والارسال نقيض الامساك . ٢ـ عن إبن عباس وأبى صالح أيضاً و إبن مسعود و مجاهد وقتادة : المرسلات : الرياح إذا تتابعت بأن يتبع بعضها بعضاً كعرف الفرس . فالله تعالى أقسم بالرياح المرسلة من عنده فى هبوب دائم على الوجه المعروف للناس من الرياح .

٣ـ عن أبى صالح أيضاً ومقاتل والكلبى ومسروق : المرسلات : الملائكة التى ارسلت بالمعروف من أمر الله تعالى ونهيه والاخبار السماوية والوحى. فأقسم الله رب العزة بطوائف الملائكة الذين ارسلوا بأوامره حال كونهن متتابعة كشعر العرف . وقيل : هم الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى لايصال النعمة إلى قوم والنقمة إلى آخرين ، وهم المرسلون إلى الانبياء عليهم السلام بالاحسان والمعروف ليبلغوه للناس . فشبّه تلك الامور إذا تتابعت بعرف الفرس أونها نفسها معروف بناء على أن عرفاً بمعنى معروفاً . فالعرف ههنا خلاف النكر أى أرسلهن الله تعالى للاحسان والمعروف ، فالملائكة إن بعثوا للرحمة فمعنى الاحسان حينئذ ظاهر ، وإن بعثوا لاجل العذاب فذلك و إن لم يكن معروفاً للكفار . و لكنه معروف للانبياء والمؤمنين الذين إنتقم الله من الكفار لاجلهم .

وقيل: «عرفاً» أي متتابعة، فان العرف - بالضم فالسكون -: هو الشعر النابت على عنق الفرس، والمراد من التتابع إما تتابع نزول الملائكة، و إما تتابع إلقاء الوحي من الاوامر والنواهي والاخبار والقصص على الانبياء عليهم السلام.

٤- قيل: المرسلات: الملائكة والرسل والرياح... فاقسم الله جل وعلا بالطاقات المرسلات: الروحية من الملائكة والمادية من البشر و غيرهما من الآفاقية كرياح الرحمة أو النفسية كالفطر والعقول، و ان المرسلات الالهية متتابعة كالايات القرآنية النازلة، وانها عرف بذواتها وطاقاتها، وعرف في إرسالها ورسالاتها وغاياتها، ارسلت حال كونها عرفاً، وأرسلها الله تعالى ولغاية هي العرف: المعروف بالاحسان، و رغم ما يبدله الانسان و يواجهه بغير إحسان، فملائكة الوحي والحياة والموت والتدبير من المرسلات عرفاً كما ان النبيين أجمع مرسلات روحية في الآفاق والعقول والفطر مرسلات روحية في الانفس: معروفاً من الاحسان متتابعاً.

وان رياح الرحمة وأمطارها وأشباهها مرسلات مادية، فهذه المرسلات، وتلك ترسل عرفاً، وتهدف عرفاً، وهي عرف في ذواتها وصفاتها... فقد عمّ الله تعالى بأقسام الرسالة بكل ماكانت صفته ما وصف، فكل من كانت صفته كذلك، فهو داخل في قسمه ذلك ملكاً كان أو ريحاً أم رسولاً من بني آدم مرسلاً.

٥- قيل: المرسلات: السحاب لما فيها من نعمة لقوم، ونقمة للآخرين، عارفة بما ارسلت فيه، ومن ارسلت إليه. ٦- عن إبن مسعود أيضاً: المرسلات: الزواجر والمواعظ متتابعات كعرف الفرس. وعن الحسن: «عرفاً» أي جاريات في القلوب. وقيل: أي معروفات في العقول.

٧- قيل: المرسلات: الرياح والملائكة معاً. ٨- قيل: المرسلات: الايات القرآنية التي ارسلت متتابعة أو بكل معروف وخير. ٨- قيل: المرسلات هي الدواعي والالهامات الربانية ارسلت فأخذت في العصوف والاشتداد بحيث أزالت

عن القلب حسب ما سوى الله وانبثت آثارها في سائر الاعضاء والجوارح . . .ففرقت بين الوجود المجازي وهو وجود ما سوى الله والوجود الحقيقي وهو الله تعالى .

أقول . ولم أجد في الاية الكريمة ومايليها من خمس آيات رواية صحيحة يمكن الاعتماد بها في تفسيرها ، فنرى لكل وجهاً ولكن الاوجه لما يمكن لنا الاستظهار من سياق السورة و طرفيها من السور نزولاً ومصحفاً هو الثالث ، فتدبر جيداً .

٢- (فالعاصفات عصفاً)

في الاية أقوال : ١- عن إبن عباس وإبن مسعود ومجاهد وأبي صالح وقتادة: العاصفات هي الرياح العواصف تأتي بالعصف وهو ورق الزرع وحطامه . والمعنى: اقسم بالرياح الشديدات الهبوب السريعات الممر ، فحين يشتدّ هبوبها تتحوّل إلى عواصف . . . ٢- قيل :العاصفات : الملائكة الموكلون بالرياح يعصفون بها.

٣- قيل : العاصفات : الملائكة تعصف بروح الكافر ، يقال : عصف بالشيء أي أباده وأهلكه وناقة عصوف أي تعصف براكبها ، فتمضي كأنها ريح في السرعة ، وعصفت الحرب بالقوم أي ذهبت بهم وأهلكتهم ، فالمراد ان الملائكة حين ارسلن للعذاب طرن بروح الكافر . ٤- قيل : العاصفات هي الايات المهلكة كالزلازل والخسوف وغيرهما . . .

٥- قيل : العاصفات : الملائكة وهم عصفن عقيب الامر في مضيّهن كما عصفت الرياح بداراً إلى إمتثال الامر . وقيل : هم سريعون في الحركة والسير ، نازلون بالرحمات ، مبعدون ما سوى الحق بسرعة كما تبعد العواصف التراب والتبن والهباء وغيرها ، سريعة كاسرة الموانع والعراقيل . . . ٦- قيل : العاصفات هي الايات القرآنية التي قهرت سائر الملل والاديان والكتب بالنسخ عقيب الارسال

أقول : ان الكلام فيها هو الكلام في سابقها ، فالخامس هو الاوجه .

٣- (والناشرات نشراً)

في الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن مسعود ومجاهد وأبي صالح وقتادة و الحسن والجبائي : الناشرات هي الرياح التي يرسلها الله تعالى نشراً بين يدى رحمته أى تنشر السحاب في جوّ السماء نشراً للغيث كما تلحقه للمطر. ٢- عن أبي صالح أيضاً : الناشرات هي الامطار التي تنشر النبات . فالنشر بمعنى الاحياء يقال : نشر الله الميت وأنشره أي أحياه . ٣- قيل : الناشرات الملائكة الموكلون بالسحب ينشرونها .

٤- عن إبن عباس والسدى : انها الملائكة تنشر كتب الله تعالى و أعمال بني آدم . ٥- عن أبي صالح أيضاً وأبي حمزة الثمالي : انها الملائكة تنشر الكتب السماوية عن الله تعالى إلى الانبياء عليهم السلام . والنشر بمعنى الاعلان والبسط والاذاعة ٦- عن الضحاك : انها الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال العباد . ٧- عن الربيع : انه البعث للقيامة تنشر فيه الارواح . . . ٨- قيل : هي الملائكة التي نشرن أجنحتهن في الجو عند نزولهن بالوحي إلى الارض .

٩ - قيل : هي الملائكة التي نشرن الشرائع في الارض أواحيين النفوس الميتة بالكفر والجهل بما اوحين . ١٠ - قيل : أي تنشر الاجساد من الاجداث فالى ربهم ينسلون . ١١- قيل : اريد بالناشرات الانبياء الذين ينشرن الشرائع... ١٢- قيل : ان الله تعالى اقسم بالناشرات نشراً ، ولم يخصص شيئاً من ذلك دون شيء ، فالرياح تنشر السحاب ، والمطر ينشر الارض ، والملائكة تنشر الكتب و آثار رحمته تعالى في النفوس الحية . ١٣- قيل : الناشرات هي الايات القرآنية نشرت تدريجاً آثار الحكم وأنوار الهداية في قلوب الناس .

أقول : والخامس هو الانسب بما قدّمناه سابقاً .

٤- (فالفارقات فرقاً)

في « الفارقات » أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد والضحاك وأبي صالح : الفارقات الملائكة الذين ينزلون بالفرق بين الحق والباطل ، والحلال والحرام .

٢ ـ عن إبن عباس أيضاً: الملائكة التى تفرق الاقوات والارزاق والآجال بين العباد. ٣ ـ عن مجاهد: الرياح تفرق بين السحاب و تبدّده. و قيل: هى الرياح وأفعالها بالسحب، فهى بعد أن تبسطها فى السماء تسوقها أمامها، وتذهب بها إلى مواقع مختلفة متفرقة من الارض، فبعضها شرقاً أو غرباً، وبعضها شمالاً أو جنوباً.

٤ ـ عن أبى حمزة الثمالى وقتادة والحسن وإبن كيسان: الفارقات: الفرقان وهو القرآن الكريم فرّق الله تعالى فيه بين الحق والباطل، بين الحلال والحرام، بين المصدق والمكذب، و بين العباد حسب تقديراتهم، ففريق فى الجنة وفريق فى النار. ٥ ـ قيل: الفارقات: الرسل والانبياء الذين فرقوا بين ما أمرهم الله تعالى به ونهاهم عنه أى بيّنوا ذلك للناس فانهم ارسلوا بالوحى المستعقب لكل خير و مفتاحه: «لا إله إلا الله» فأخذ أمرهم فى العصوف والاشتداد إلى أن بلغ غايته، و انتشرت دعوتهم، ففرّقوا بين المؤمن والكافر، وبين المقر والجاحد، و ألقوا الذكر والتوحيد إلى الناس عامة أو إلى طائفة خاصة.

٦ـ قيل: الفارقات: السحابات الماطرة تشبيهاً بالناقة الفارق، وهى الحامل التى تخرج و تندّ فى الارض حين تضع. و نوق فوارق و فرّق و ربما شبّهوا السحابة التى تنفرد من السحاب بهذه الناقة.

٧ ـ قيل: ان الله تعالى أقسم بالفارقات، وهى الفاصلات بين الحق والباطل، ولم يخصص بذلك منهن بعضاً دون بعض، فذلك قسم بكل فارقة بين الحق والباطل ملكاً كان أم رسولاً أو كتاباً أو غير ذلك...

اقول: ان فى الاية التالية دلالة واضحة على أن المقسم به هم الملائكة لانهم الذين ينزلون بالوحى الذى يحتوى الانذار أو الاعذار ويلقونه، من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر فتدبر جيداً.

٥ ـ (فالملقيات ذكراً)

في « الملقيات ذكراً » أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و قتادة : أي الملائكة تلقى كتب الله تعالى إلى الانبياء وتلقيه الانبياء إلى اممهم كأنها الحاملات للذكر الطارحات له ليأخذه من خوطب به . والالقاء : طرح الشيء على غيره . ٢ ـ عن قطرب : الملقيات الرسل الذين كانوا يلقون إلى اممهم ما أنزل الله تعالى عليهم.

٣ ـ قيل: الملقيات: جبرئيل فقط، و سمي باسم الجمع لانه كان ينزل بها.

٤ ـ قيل : الملقيات : الملائكة الذين ينزلون بالوحي على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فالمراد بالذكر هو القرآن الكريم . وقيل: اريد بالذكر مطلق الوحي النازل على الانبياء المقروء عليهم عليهم السلام .

٥ ـ قيل : الملقيات : هي السحب الممطرة التي تلقي بما حملت من ماء على المواقع التي ساقها الله تعالى إليها ، ويسمي المطر « ذكراً » لانه مما يذكر بالله جل و علا و يحدث عن واسع فضله و عظيم رحمته ، فأنظار الناس وآمالهم متعلقة بالمطر في حال إمساكه أو حال نزوله لان فيه حياتهم و حياة حيوانهم و زروعهم . . .

اقول : والرابع هو الانسب بظاهر السياق لان الخطاب في قوله تعالى : « انما توعدون لواقع » لمكذبي هذه الامة كما ان الخطاب في قوله جل وعلا : « و ما أدراك » لنبي هذه الامة صلى الله عليه وآله وسلم .

٦ ـ (عذراً او نذراً)

في الاية أقوال : ١ ـ عن إبن عباس والفراء : أي تلقي الملائكة الوحي إعذاراً من الله تعالى أو إنذاراً إلى خلقه من عذابه . وقيل : أي عذراً لله سبحانه من الجور والظلم أو نذراً لخلقه من عذابه . ٢ـ عن أبي صالح : أي الرسل يعذرون و ينذرون . ٣ ـ عن قتادة : أي عذراً لله جل و علا على خلقه و نذراً للمؤمنين ينتفعون به و يأخذون به .

٤ ـ عن إبن عباس أيضاً : أي ما يلقيه الله تعالى من معاذير أوليائه ، و هي

التوبة أو ينذر أعدائه . . . وقيل : أى عذراً للمحقين أو نذراً للمبطلين فيكون عذراً للذين يعتذرون إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار و إنذاراً للذين يغفلون عن الله تعالى و عن شكره و عبادته إذ ينسبونها إلى الأنواء .

٥ ـ قيل : ان هذا الذكر الذى يحدثه المطر إما أن يكون إعذاراً ، أو إنذاراً ، فهو إعذار للمؤمنين الذين غفلوا عن ذكر الله تعالى و إنذار للكافرين الذين لا يذكرون الله أصلاً .

٦ ـ عن الحسن : أى عذراً يعتذر الله تعالى به إلى عباده فى العقاب انه لم يكن إلاّ على وجه الحكمة ، و نذراً أى إعلاماً بموضوع المخافة . وقيل: عذراً أى إعذاراً و هو التنبيه حتى لا يبقى محل للوم والتحجج أو نذراً أى إنذاراً . فينزل الله تعالى الوحى مع الملائكة لانذار الناس والاعذار إليهم حتى يتعظوا ولايبقى لهم حجة بالغفلة ٧ـ قيل: ان الملائكة يلقون الذكر ليكون إتماماً للحجة على المكذبين و تخويفاً لغيرهم . و قيل : أى إعذاراً إلى الخلق و إنذاراً لهم بعقاب الله إن هم خالفوا أمره .

أقول : والرابع هو الانسب بسياق السورة من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد فتأمل جيداً .

٧ ـ (انما توعدون لواقع)

فى الاية الكريمة أقوال : ١ ـ عن الكلبى : أى كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع . و ان الخطاب لعامة البشر . ٢ـ قيل: أى ان الذى وعدكم الله تعالى أيها المكذبون به من البعث والحساب والجزاء : الجنة ونعيمها لاهل التقوى واليقين ، والنار و عذابها لأهل الكفر والاجرام سيتحقق لا محالة .

٣ـ قيل : أى كلما كانوا هم يكذبون به من يوم الفصل و وعيدهم بالاهلاك كالاولين ، و قدرة الله تعالى على ذلك ، و من مصيرهم إلى النار و كونهم خرساء يوم القيامة و عجزهم فيه من الكيد ، و من تنعم المتقين من نعيم الجنة ، و من

إنقطاع تمتع المكذبين فى هذه الحياة الدنيا عن قريب .

قول : و على الثانى جمهور المفسرين ، و قريب منه الثالث .

١٠ - (و اذا الجبال نسفت)

فى « نسفت » أقوال : ١ - قيل : أى ذهب بها كلها بسرعة حتى لا يبقى لها أثر على وجه الارض . من نسفت الشيء و أنسفته : إذا أخذته كله بسرعة .

٢ - عن المبرد : نسفت أى قلعت من موضعها و ازيلت . يقول الرجل للرجل يقتلع رجليه من الارض : أنسفت رجلاه . من نسفت الناقة الكلأ : إذا قلعته من أصله .

٣ - قيل : النسف : تفريق الاجزاء حتى تذوروها الرياح ، فلم يبق لها عين ولا أثر . و منه نسف الطعام لانه يحرك حتى يذهب الريح بعض ما فيه من التبن . والمعنى: فتتت الجبال وسيرت أجزائها فى الهواء كالحب إذا نسف بالمنسف.

أقول : والمعانى متقارب والمآل واحد على سبيل التلازم فتدبر جيداً .

١١ - (و اذا الرسل اقتت)

فى الاية الكريمة أقوال : ١ - عن إبن عباس ومجاهد و إبن زيد والزجاج : ان المراد بالتوقيت ههنا : هو تعيين الوقت الذى تحضر الرسل فيه للشهادة على اممهم و كان هذا الوقت مبهماً عليهم قبل ذلك كسائر أعلام البعث والساعة . فالمعنى: جمعت الرسل وحضرت لوقتها المتعين يوم القيامة للشهادة على اممهم . والوقت هو الاجل الذى يكون عنده الشيء المؤخر إليه . فجعل لها وقت و أجل للفصل والقضاء بينهم و بين الامم . . . فتزول الشكوك يومئذ .

٢ - قيل: أى بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وهو يوم القيامة . ٣ - قيل: أى اوعدت أى جعل لهم موعد موقوف . ٤ - قيل: هذا فى الحياة الدنيا أى جمعت الرسل لميقاتها الذى ضرب لها فى إنزال العذاب بمن كذبهم بأن الكفار ممهلون.

٥ - عن الزجاج أيضاً والفراء : أى ارسلت الرسل لاوقات معلومة على ما علمه الله تعالى و أراد . ٦ - قيل : أى اجلت بعثة الرسل إلى الناس ، فلا يبعث

فيهم رسول بعد بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنحن على مشارف هذا اليوم الموعود إذ كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خاتم رسل الله تعالى و لا نبي بعده.

٧ ـ قيل: اريد بالرسل ههنا: العقول الرشيدة والفطر السليمة في الناس، حيث ان مع كل إنسان رسولاً إلى نفسه و هو عقله و فطرته، فاذا انتهى الامر بالناس إلى أن تضل عقولهم جميعاً عن الحق و أن تزيغ قلوبهم كلها عن الهدى فلم يبق فيهم مؤمن بالله تعالى قائم على شريعته كان ذلك ايذاناً بقرب يوم القيامة، فيكون معنى توقيت الرسل ههنا تعطل العقول عن عملها، و وقوع الخلل والفساد في الطبيعة البشرية وتنكيسها في الخلق. ٨ ـ قيل: اقتت أي عرفت وقت الساعة والحساب والجزاء لانهم في الدنيا لايعرفون متى تكون الساعة وقيل: أي عرفت ثوابها في ذلك اليوم.

اقول: و على الاول جمهور المفسرين، ولكن الخامس هو المروي من غير تناف بينه و بين الاقوال الاخر، فتأمل جيداً.

١٢ - (لاى يوم اجلت)

في الاية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي لأيّ يوم اخّرت تلك الامور الهائلة العجيبة العظيمة من طمس النجوم و فرج السماء و نسف الجبال وتأقيت الرسل.

٢ ـ قيل: أي لأيّ يوم اخرت الرسل وتوقيتهم إلى يوم القيامة. على أن الضمير في «اجلت» راجع إلى «الرسل» ٣ـ قيل: أي لايّ يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل مما اخبروا به من أهوال الاخرة و أحوال المكذبين و عذابهم بالنار و تنعم المتقين بالجنة و نعيمها.

اقول: والاول هو الانسب بظاهر الاطلاق.

١٥ - (ويل يومئذ للمكذبين)

في «ويل» أقوال: ١ـ قيل: دعاء على المكذبين بالعذاب والخزي والذلة.

٢ ـ قيل: الويل: الهلكة والبلاء المبين، و هذا الهلاك قد يهلك المكذبين

في الحياة الدنيا كما يهلكهم يوم القيامة . ٣ - قيل: الويل: حلول الشر . ٤ - قيل: الويل : العذاب الشديد في الاخرة .

٥ - عن إبن عباس : ويل إسم واد في جهنم يسيل فيه من صديد أهلها و قيحهم من أسفلهم ، و قعره سبعون سنة . و عن إبن عباس أيضاً والنعمان بن بشير: ويل واد في جهنم فيه ألوان العذاب . وقال إبن عباس : إذا خبت جهنم اخذ من جمره ، فالقى عليها فيأكل بعضها بعضاً . ٦ - عن قتادة : ويل والله طويل .

٧ - قيل : ويل : مجمع ما يسيل من قيح أهل النار و صديدهم ، و إنما يسيل الشيء فيما سفل من الارض و انفطر ، و قد علم العباد في الحياة الدنيا : ان شر المواضع في الدنيا ما استنقع فيها مياه الادناس والاقذار والغسالات من الجيف و ماء الحمامات . و قيل : ويل واد مستنقع صديد أهل الكفر والعناد ، و أهل الشرك واللجاج ليعلم ذوو العقول انه لا شيء أقذر منه قذارة ، و لا أنتن منه نتناً ، ولا أشد منه مرارة ، و لا أشد سواداً منه ، و هذا أعظم واد في جهنم.

اقول : و على الاول جمهور المفسرين .

١٧ - (ثم نتبعهم الاخرين)

في « الاخرين » أقوال : ١ - قيل : اريد بالاخرين الامم الغابرة من بعد قوم نوح و عاد و ثمود كقوم إبراهيم و قوم لوط و أصحاب مدين و قوم فرعون . . . والمعنى: قد أهلكنا المكذبين من الامم الاولين من قوم نوح و عاد و ثمود ، ثم انا نهلك الامم الاخرين الذين جاؤا من بعدهم من قوم إبراهيم ولوط وأصحاب مدين و فرعون و من سلك مسلكهم في الكفر والتكذيب و في الغيّ والضلالة قبل الامة المسلمة من الامم . . .

٢ - عن الحسن : ان الاخرين هم الذين تقوم عليهم القيامة . ٣ - قيل : هم كفار مكة أهلكهمُ الله تعالى يوم بدر و غيره من المواطن ، و من سلك مسلكهم في الكفر والتكذيب ، وفي العناد واللجاج والطغيان إلى يوم القيامة.

والمعنى: قد أهلكنا الذين كذّبوا رسلنا و دارالاخرة من الامم الماضية، ونلحق الاخرين بهم فى الاهلاك ممن كذّب رسولنا الخاتم محمداً المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم و ما جائهم به و يوم الفصل إما بالسيف و إما بالتدمير والاهلاك .

أقول : والسياق يؤيد الثالث و فى معناه الثانى .

٢٢ - (الى قدر معلوم)

فى القدر المعلوم قولان : أحدهما ـ عن مجاهد : أى إلى أن نصوّره . ثانيهما ـ قيل : أى إلى وقت الولادة .

أقول : و على الاخير جمهور المفسرين .

٢٣ - (فقدرنا فنعم القادرون)

فى الاية الكريمة أقوال : ١ ـ عن إبن عباس والضحاك : أى فملكنا فنعم المالكون . ٢ـ قيل: أى فدبّرنا فى خلق الانسان فنعم المدبّرون . وقيل: فحسبنا خلق الانسان ، فنعم الحاسبون نحن .

٣ ـ قيل : أى هيّئناه للتكامل الجنينى ، و قوّيناه على التكامل الانسانى بعد ولادته .

٤ ـ عن القتبى: « قدرنا » بالتخفيف بمعنى « قدّرنا » بالتشديد كما تقول: قدرت كذا و قدّرته . و منه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الهلال : « إذا غم عليكم فاقدروا له » أى قدّروا له المسير والمنازل . . . وقال الفراء : «قدرنا» بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد لان العرب تقول : قدر عليه الموت و قدّر . قال الله تعالى: « نحن قدرنا بينكم الموت » بقراءة التخفيف والتشديد .

٥ ـ عن عكرمة و أبى عبيد و أبى حاتم والكسائى : « فقدرنا » بالتخفيف من القدرة مقابل العجز لقوله تعالى : « فنعم القادرون » والمعنى : فقدرنا على خلقه و تصويره كيف شئنا ، فنعم أصحاب القدرة نحن حيث خلقناهم فى أحسن تقويم . ٦ ـ عن إبن مسعود : « فقدرنا » من التشديد والمعنى : فقدرنا الشقى

والسعيد فنعم المقدرون نحن .

٧ ــ قيل : أى خلقناكم و قدرناكم قصيراً أو طويلاً ، ذكراً أم انثى ، و ما يجرى عليكم من الحوادث والطوارىء من صحة و مرض ، و غنى و فقر ، ومن نفع وضر ... فالقدر بمعنى التقدير . ٨ ــ قيل: أى «قدرنا» ــ بالتشديد ــ وقت الولادة و أحوال النطفة فى التنقيل من حالة إلى حالة حتى صارت بشراً سوياً .

أقول : ان السياق ليس بصدد التقدير ، و انما المقام بصدد إبراز القدرة الالهية و ذلك لان الايات الكريمة بصدد الدعوة التى تقوم على الاقناع والجدل المنطقى الذى فيه الحجة الدامغة والافحام ، و على لفت النظر إلى وجود الله جل و علا و قدرته الشاملة و حكمته البالغة والتدبير التام فى ملكوت السموات والارض و فى تكوين الانسان ، فيوجه إليهم الخطاب من آيات و مشاهد باهرة قائمة مما يعترفون به ، ومما لا يتحمل مماراة و لا يحتاج إلى براهين خارقة ، و استحقاق الله تعالى وحده من أجل ذلك للخضوع والعبودية والاتجاه .

٢٥ - (ألم نجعل الارض كفاتاً)

فى الاية الكريمة أقوال : ١ــ عن إبن عباس و إبن مسعود ومجاهد وقتادة : أى ألم نجعل الارض ضامّة تضمّ الاحياء على ظهرها ، والاموات فى بطنها . وقيل: ان الارض تضم الاحياء إلى منازلهم والاموات فى قبورهم . وقيل: أى تكف الارض أذاهم من حال حياتهم وجيفهم بعد مماتهم . و عن بنان انه قال: خرجنا فى جنازة مع الشعبى ، فنظر إلى الجنازة فقال : هذه كفات الأموات ثم نظر إلى البيوت فقال : هذه كفات الاحياء . و روى ذلك عن الامام أمير المؤمنين على عليه السلام .

و عن إبن مسعود انه وجد قملة فى ثوبه فدفنها فى المسجد ثم قال : ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء و أمواتاً . و عن مجاهد : تكفت الارض أذاهم أحياء تواريه و أمواتاً يدفنون تكفتهم ، و قد . و تكفت الارض أذاهم ومايخرج منهم أحياء وأمواتاً . ٢ــ قيل: الاحياء والاموات ترجع إلى الارض بأن الارض منقسمة

إلى حيّ و هو الذى ينبت ، و إلى ميت و هو الذى لا ينبت .

٣ ـ عن أبى عبيد : أى ألم نجعل الارض أوعية تجمع الاحياء والاموات والخلائق كلها . . .

وقيل : ان الارض مجتمعة للاحياء من إنسان وحيوان ، ونبات وللاموات من الجمادات . . . ٤ـ قيل : ان الارض رحم كبير تستودع فيها الاحياء والاموات معاً لما ان رحم الام تستودع فيه النطفة . ٥ـ قيل : ان إستقرار الناس على وجه الارض و اضطجاعهم عليها إنضمام منهم إليها . ٦ ـ قيل : ان الارض جامعة لما يحتاج إليه البشر فى حياته على وجهها فى كل وقت ومكان إلى يوم القيامة .

٧ـ قيل : كفات الارض: حركتها حول مدارها ، وطيرانها فى جوّ السماء كالطير فى جوّ السماء شديدة التقبض ، فتسير الارض حولها فلكها كل ساعة مأة ألف كيلومتراً ، ولا يستطيع أىّ إنسان مواجهة الرياح بهذه السرعة . فالكرة الارضية طائرة قوية وسفينة جوية وتسبح فى فلكها . ٨ـ قيل : الكفات : دفن ما يخرج من الانسان من الفضلات فى الارض إذا لاضمّ فى كون الناس عليها، والضمّ يشير إلى الاحتفاف من جميع الوجوه . . .

أقول : والاول هو المروى .

٢٩ـ (انطلقوا الى ماكنتم به تكذبون)

فى الاية الكريمة أقوال : ١ـ قيل : أى يقال يوم القيامة لهؤلاء المكذبين: سيروا أيها المكذبون إلى الذى كنتم فى الحياة الدنيا تكذبون به من نار جهنم و عذابها فقد شاهد تموها عياناً ، من غير أن نعلم ان القائل هو الله تعالى أو الملائكة أو خزنة النار لفقد القرينة الدالة عليه .

٢ـ قيل : أى تقول الخزنة للمكذبين بعد الفصل والقضاء بين الخلائق ... إذهبوا أيها المكذبون إلى النار التى كنتم بها تكذبون فى الحياة الدنيا . و ان الانطلاق هو الانتقال من مكان إلى مكان من غير مكث ولا توقف .

٣- قيل : أي يقول الله تعالى حين البعث والحشر لهؤلاء المكذبين: إنتقلوا من موضع الحشر إلى موقف الحساب والقضاء الذى كنتم فى الحياة الدنيا تكذبون به . فهم يتلفتون إلى أى مساقهم مسوقون إليه وإذا صوت مزلزل يخترق أصماخ آذانهم ويلقى فيها بهذا الامر الصادع : « انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون » انطلقوا إلى موقف الحساب والقضاء إلى ساحة الفصل ، فهذا يومه الذى كنتم فى الحياة الدنيا تكذبون به .

٤- قيل : يقول الله تعالى للمكذبين بعد الحساب والقضاء بينهم: إنتقلوا من موقف الحساب من غير مكث و لا توقف فيه بعد القضاء إلى موقف الجزاء الذى كنتم فى الحياة الدنيا تكذبون به . ٥- قيل : أى يقول الله تعالى لهم بعد الحشر : إنتقلوا من المحشر إلى النار التى كنتم تكذبون به .

اقول : والسياق ، وخاصة الايات : (٣٥ - ٣٩) يؤيد الثالث من الاقوال وإن كان للرابع وجه بناء على كون « انطلقوا » التالى بدلاً من سابقه .

٣٠- (انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب)

فى « ظل » أقوال : ١- عن مجاهد وقتادة : أى إلى دخان جهنم له ثلاث شعب تحيط بالكفار والمجرمين . وسمى الدخان ظلاً كما قال : « أحاط بهم سرادقها » أى من الدخان الآخذ بالانفاس . . . ٢- عن الحسن انه قال : ما أدرى ما هذا الظل ، ولاسمعت فيه بشىء .

٣- قيل : أى إلى نار جهنم لها ثلاث شعب سمى النار بالظل مجازاً ، سماها لسواد نار جهنم . ٤- قيل : أى يخرج من النار لسان ، فيحيط بالكافر كالسرادق، فيتشعب ثلاث شعب ، فيكون فيها حتى يفرغ من الحساب . ٥ - قيل : أى عنق يخرج من النار ، فيتشعب ثلاث شعب فاما النور فيقف على رؤس المؤمنين ، وأما الدخان فيقف على رؤس المنافقين، وأما اللهف الصافى فيقف على رؤس المؤمنين .

اقول وعلى الاول أكثر المفسرين .

وفى « ذى ثلاث شعب » أقوال : ١- قيل : أى الدخان الذى يتصاعد ثم يتشعب

إلى ثلاث شعب ، و كذلك شأن الدخان العظيم إذا ارتفع تشعب ثلاثاً .فهو عبارة عن عظم الدخان ، فان الدخان العظيم تراه يتفرّق تفرّق الذوائب . . . ٢- قيل: أى النار من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومحيط بهم . ٣ - عن قتادة : هو الدخان شعبة عن يمينهم واخرى عن يسارهم والثالثة من فوق تظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش .

٤- عن أبى مسلم : هى الاوصاف الثلاثة التى ذكرها الله تعالى عقيبه وهى: « لاظليل ولايغنى من اللهب انها ترمى بشرر كالقصر » ففيه تهكم بهم و تعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين فى الجنة التى ظلها ممدود . فظل الكفار غير مانع من حرّ الشمس ، وغير مغن من حرّ اللهب شيئاً أى ولاروح . و ذلك لان الشمس تقرب يوم القيامة لرؤس الكفار ، وليس عليهم يومئذ لباس فتلفحهم الشمس و تسفعهم وتأخذ بأنفاسهم ، ويحمى الله تعالى برحمته من يشاء وهم المؤمنون إلى ظل من ظلاله ، فهناك يقولون : « فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم » .

٥- قيل : الشعب الثلاث هى القوى الثلاثة فى الانسان : أحدها - الغضبية و منشأها القلب فى الجانب الايسر . ثانيها - الشهوية و منشأها الكبد فى الجانب الايمن . ثالثها - الشيطانية و منشأها الدماغ من فوق ، فيتولد من اتباع هذه الثلاثة ثلاثة أنواع من الظلمات . . . ٦- عن الضحاك : الشعب الثلاث هى الضريع والزقوم والغسلين .وقيل : هى اللهب ثم الشرر ثم الدخان لانها ثلاثة أحوال هى غاية أوصاف النار إذا اضطرمت واشتدّت .

اقول : وعلى الثاني جمهور المفسرين .

٣١- (لاظليل ولايغنى من اللهب)

فى « اللهب » أقوال : ١- عن قطرب : ان اللهب ههنا هو العطش . ٢- قيل : اللّهب : ما يعلو على النار إذا اضطرمت من أحمر وأصفر وأخضر . ٣- قيل : اللهب ههنا نار جهنم نفسها .

اقول : ولكل وجه فتدبر جيداً .

٣٢- (انها ترمى بشرر كالقصر)

فى « القصر » أقوال : ١- عن إبن عباس وإبن مسعود و مجاهد : القصر: البناء العالى ، واحد القصور ، وهو فى معنى الجمع على طريق الجنس كالطير والطيور. والمعنى : ان نارجهنم ترمى بشرر كالمدائن والحصون فى العظم والضخامة والارتفاع.

٢- عن إبن عباس أيضاً انه قال : كنا نرفع الخشب بقصر ثلاثة أذرع أو أقل، فنرفعه للشتاء ، فنسميه القصر ، فشبه الشرر بما يجمع من الخشب .

٣- عن سعيد بن جبير والضحاك : القصر غليظ من اصول الشجر ، وقطعه ، ومن النخل العظام إذا وقع أو قطع ورفع بعضها بعضاً . وقيل : هى أعناق الشجر و أفنانه . و قيل : هى الحطب الكبيرة . ٤- قيل : القصر : الجبل ، فشبه الشرر بالجبل فى الارتفاع والطول . ٥- عن قتادة : القصر : أعناق الابل .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

٣٣- (كأنه جمالت صفر)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن الحسن وقتادة ومجاهد : أى كأن الشرر الذى ترمى به نارجهنم كالقصر جمالات صفر أى أينق سود . وقيل لها سودلان ألوان الابل سود تضرب إلى الصفرة ، و لذلك سمت العرب سود الابل صفراء . فشبّه شرر النار الملتهبة فى اللون بالجمالة الصفر ، وهى الابل السود ، فكأنه أشبه شىء بالجمل الاسود الذى يشوبه شىء من الصفرة . ٢- قيل : أى كأن شرر نارجهنم جمالت فى سرعة سيرها . فشبهها بالجمالة فى سرعة سيرها . وقيل: لمتابعة بعضها بعضاً .

٣- عن إبن عباس : الجمالت الصفر : حبال السفن وقلوسها يجمع بعضها إلى بعض فتوثق بها السفن حتى تكون كأوساط الرجال . ٤- عن سعيد بن جبير ومجاهد أيضاً : جمالت صفر : قلوس الجسر وهى الحبال .

٥- عن الجبائى : الصفر - من الصفرة - : لون النار لأن لونها صفراء . ٦- عن إبن عباس أيضاً : كأنه قطع النحاس . ٧- قيل : أى هذه الشرر ترتفع كأنها شيء مجموع غليظ أصفر . ٨- قيل : اريد بهذه الصفرة سواد يعلوه صفرة .

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر فتدبر جيداً .

٣٥- (هذا يوم لاينطقون)

فى قوله تعالى : « لاينطقون » أقوال : ١- قيل : أى لايتكلمون فى بعض أحوال ذلك اليوم لأنهم لاينطقون ذلك اليوم كله ، إذ فى يوم القيامة مواقف يختصمون ويتكلمون فى بعضها ، وتختم أفواههم ولا يتكلمون فى بعضها الاخر.
سئل نافع بن الأرزق إبن عباس عن الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى :« ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون» الزمر: ٣١)فأجاب عن ذلك بتغاير الزمانين وتباين الموطنين .

قيل : ان الدليل على ذلك إضافة « يوم » إلى « لاينطقون » فان العرب لا تضيف اليوم إلى فعل إلا إذا أرادت الساعة من اليوم والوقت منه . وذلك كقولهم : آتيك يوم يقدم فلان أى آتيك ساعة يقدم فلان ، فلايكون اتيانه إياه اليوم كله لان ذلك لو كان الاتيان اليوم كله لم يضف اليوم إلى الفعل .

٢ - عن الحسن : أى انهم لا ينطقون بحجة صحيحة و عذر واضح . و إن نطقوا ، فكأنهم لم ينطقوا ولم يعتذروا . قيل : إن تسئل : ان قوله تعالى :« هذا يوم لاينطقون » ينفى وجود الاعتذار منهم لان الاعتذار انما يكون بالنطق ، فما فائدة نفى الاعتذار بعد نفى النطق ؟ تجيب : ان المكذبين لاينطقون ابتداء بعذر مقبول وحجة صحيحة ، ولابعد أن يوذن لهم فى الاعتذار ، فان الأسير والجانى الخائف عادة قدلا ينطق لسانه بعذره وحجته إبتداء لفرط خوفه ودهشته ، ولكن إذا أذن له فى إظهار عذره وحجته انبسط وانطلق لسانه ، فكانت الفائدة فى الجملة

فقوله تعالى : « ولايؤذن لهم فيعتذرون » نفى هذا المعنى : أى لا ينطقون بعذر ابتداء ولابعد الاذن .

٣- قيل : ان المكذبين حين يعرضون يوقفون على الذنوب ويحاسبون ، فاذا انتهت المسئلة وجبت الحجة ، و انقطع الكلام و ذهب الخصام ، و اسودّت وجوه قوم ، وابيضت وجوه الاخرين ، فعرف الفريقان بسيماهم ، وتطايرت الصحف من الايدى ، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة ، و آخذ ذات الشمال إلى النار ، ففى الموقف الاول يسئلون وفى الثانى لايسئلون ، فاذا صدر الحكم و قضى عليهم قيل لهم : لاتنطقوا ولاتعتذروا ، فليس ذلك بمغن عنكم ، و لا نافع لكم ، وقيل لهم : اخسؤافيها ولاتكلمون .

٤- قيل : أى لاينطقون بنطق ينتفعون به ، فكأنهم لم ينطقوا وإن نطقوا بمالا ينفعهم بل قد يضرّهم و يخجلهم . ٥- قيل : ان الله تعالى لا يأذن لمن لا حجة له فى كفره وطغيانه ، وتكذيبه وإجرامه بعد أن تمت الحجة عليه فى الحياة الدنيا أن يتكلم يوم القيامة. وهذا لاينافى نطق من له الحجة وسؤال المجرمين عن إجرامهم يوم القيامة من غير تصوير إختلاف فى المواقف ، وإن كان هناك مواقف . . . كما يقول الحاكم العدل للمتخاصمين : لو كان لاحد حجة، فينطق بهافيتكلم ذوالحجة ولايأذن لمن لاحجة له أن يتكلم ثم يسئله عن جرمه تقريعاً وتوبيخاً.

أقول : والخامس هوالمروى .

٣٩- (فان كان لكم كيد فكيدون)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- قيل : أى فان كان لكم حيلة فى الخلاص من أهوال يوم الفصل وعذابه تحتالونها فى التخلص منها فاحتالوا ، ولا حيلة لكم فى دفع البلاء والعذاب عن أنفسكم يومئذ كما كنتم تحتالون فى الدنيا و تؤذون بذلك الانبياء والاولياء . ٢- عن إبن عباس والضحاك : أى إن قدرتم على حرب يومئذ فحاربونى كما كنتم فى الدنيا تحاربون رسولى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم و تحاربوننى . ٣-

قيل : أى انكم كنتم تعملون بالمعاصى ، وقد عجزتم الآن عنها ، وعن الدفع عن أنفسكم . ٤- قيل : انه من قول رسول الله ﷺ فيكون كقول هود : «فكيدونى جميعاً ثم لاتنظرون » .

أقول : وعلى الاول جمهور المحققين من المفسرين .

٤٦- (كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون)

فى « مجرمون » أقوال : ١- قيل : أى كافرون . ٢- قيل : أى مكتسبون فعلاً يضرّكم فى الاخرة من الشرك والمعاصى . . . ٣- قيل : أى بما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم . ٤ - قيل : هم مشركون مستحقون للعقاب .

أقول : ولكل وجه والاوجه هو التعيم .

٤٨- (واذا قيل لهم اركعوا لايركعون)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن مجاهد و مقاتل : أى إذا قيل للمكذبين صلّوا لا يصلّون . وعبّر عن الصلاة بالركوع باعتبار إشتمالها على الركوع. وان الصلاة هى ما كان يطلب من الناس عامة منذ بدء الدعوة . ٢- قيل : أى اذا قيل لهم : إخضعوا للحق لله تعالى لايخضعون له جل وعلا ، فهو عام للصلاة وغيرها ، و ذكر الركوع لانه من ركن الصلاة ، و انه من أظهر المصاديق للخضوع و لان الصلاة أصل الشرائع بعد التوحيدوان الامر بالصلاة أمر بالايمان لانها لا تصح من غير ايمان .

٣- عن إبن عباس : يقال لهم هذا يوم القيامة ، فيدعون إلى السجود فلا يستطيعون السجود من أجل انهم لم يكونوا يسجدون لله تعالى فى الدنيا لقوله تعالى : « ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون » القلم : ٤٢) و إنما يدعون إلى السجود لكشف حالهم فى الحياة الدنيا ، فمن كان يسجد فيها لله تعالى وحده ، فيقدر يومئذ أن يسجد لله جل وعلا ، ومن كان لا يسجد فى الدنيا لله أصلاً أو كان

يسجد رئاءاً صارظهره طبقاً واحداً ، فلايقدرأن يسجد .

٤- قيل : أي إذا قيل لهم : آمنوالايؤمنون ،ون كرالى كوع لانهمن مظاهر الايمان . وعن قتادة : هذا في الحياة الدنيا . ٥- قيل : ان هذا خبرمن الله تعالى عن هؤلاء المجرمين بانهم كانوا له مخالفين في أمره ونهيه لا يأتمرون بأمره ولا ينتهون عمانهوا عنه . ٦- قيل : أي إذا قيل لهم : استجيبوا الله تعالى وأسلموا له لايسمعون ولايستجيبون عناداً ولجاجاً وإستكباراً وضلالاً .

٧- قيل : أي اعبدوا الله تعالى و أطيعوه و اخشوا يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار استكبروا واصرّوا على عنادهم لايعبدون .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .



﴿التفسير والتأويل﴾

١- (والمرسلات عرفاً)

و من المرسلات التى اقسم بها الله جل وعلا ههنا طوائف من ملائكته متتابعين فيما امروا به مع معرفتهم به ، فمنهم من ارسلوا بالوحى والبشارة إلى الانبياء عليهم السلام ، ومنهم مأمورون بحفظ عبادالله تعالى و بكتابة أعمالهم ، و منهم مرسلون لهلاك قوم ودمارهم ، ومنهم مبشرون النعمة والرحمة بالصالحين ، ومنهم مرسلون لقبض الارواح . . .

قال الله تعالى : « الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس » الحج:٧٥)

وقال : « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » القدر:٤)

وقال : « ولقد جائت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً - قالوا لا تخف إنا ارسلنا إلى قوم لوط » هود : ٦٩ - ٧٠)

وقال : «له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله» الرعد:١١)

وقال : « وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون» الانفطار : ١٠ - ١٢)

وقال : « أم يحسبون انا لا نسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون» الزخرف : ٨٠)

وقال: « يمدد كم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين» آل عمران:١٢٥)

و قال : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ

تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفي الاخرة » فصلت : ٣٠ - ٣١)

وقال : « ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرّطون » الانعام : ٦١)

وقال: « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » النحل : ٥٠)

ونظير الاية وتاليها قوله تعالى : « والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً » الصافات : ١ـ ٣)

٢- (فالعاصفات عصفاً)

أقسم الله جل وعلا بالملائكة الذين يرسلون متتابعين عقيب الامر السماوى، فيسرعون فى سيرهم وحركاتهم كالرياح العاصفة أوالامواج سريعة الحركة فى الجو والفضاء بداراً إلى إمتثال الامر من غير توان . فينزلون بسرعة كما يعرجون إلى ما امروا فيه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

قال الله تعالى : « تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » المعارج : ٤)

٣- (والناشرات نشراً)

واقسم الله جل وعلا بالملائكة الذين ينشرن صحف الوحى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فيتلقاه .

قال الله تعالى : « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين وانه لفى زبر الاولين » الشعراء :١٩٢-١٩٦)

و قال : « وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلاّ رحمة من ربك » القصص: ٦ - ٨)

وقال : «قل من كان عدواً لجبريل فانه نزّله على قلبك باذن الله مصدّقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » البقرة : ٩٧)

وقال : «وكتاب مسطور في رق منشور » الطور : ٢و٣)

وقال :« كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة » عبس : ١١ - ١٦)

٤- (فالفارقات فرقاً)

الفارقات : المفرّقات بين شيء وشيء آخر. ان الله تعالى أقسم بالملائكة النازلين بأمر الله تعالى الذين يفرّقون بين الحق والباطل، بين الصواب والخطاء، بين الايمان والكفر، بين الصلاح والفساد، بين السعادة والشقاء، بين الهدى والضلالة وبين الحلال والحرام بما يلقونه من الذكر والوحي إلى الانبياء الماضين عليهم السلام وإلى خاتمهم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم خاصة .

قال الله تعالى : « انا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا انا كنا مرسلين » الدخان : ٣ - ٥)

وقال : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة و ما تفرّق الذين اوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة » البينة : ١ - ٤)

و قال : « الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون» الزمر : ٢٣ - ٤٥)

٥- (فالملقيات ذكراً)

واقسم الله تعالى بالملائكة الذين كانوا ينزلون بالوحي السماوي إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ليبين للناس ما فيه من المواعظ والزواجر ، من الاوامر والنواهي، من الحكم والمعارف ، ومن الترهيب والترغيب . . .

قال الله تعالى : « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده

أن أنذروا انه لا إله إلاّ أنا فاتقون - وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم و لعلهم يتفكرون - قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » النحل : ٢ - ٤٤ - ١٠٢)

و قال : « و انك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم » النمل : ٦) .

و قال : « و ما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلاّ رحمة من ربك » القصص : ٨٦) .

و قال : « و ما هو إلاّ ذكر للعالمين » القلم : ٥٢) .

و قال : « و لقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر - ءالقى الذكر عليه من بيننا » القمر : ٢٢ - ٢٥) .

و ان الاية الكريمة في معنى قوله تعالى : « فالتاليات ذكراً » الصافات : ٣) .

٦ - (عذراً أو نذراً)

ان الملائكة كانوا ينزلون بالوحى السماوى و يلقونه على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ليكون عذراً لعباده المؤمنين بالوحى ، و تخويفاً و ترهيباً للمكذبين به فلا عذر لهم فى كفرهم و إجرامهم يوم القيامة .

قال الله تعالى : « ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل و نخزى » طه : ١٣٤) .

وقال : « و إذ قالت امة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بماكانوا يفسقون » الاعراف : ١٦٤ - ١٦٥) .

و قال : « رسلاً مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل و كان الله عزيزاً حكيماً » النساء : ١٦٥) .

و قال : « قل الله شهيد بيني و بينكم و اوحى إلى هذا القرآن لانذركم

به و من بلغ » الانعام : ١٩) .

٧ - (انما توعدون لواقع)

أقسم الله جل وعلا بتلك الامور العظام : ان الذى توعدون به أيها المكذبون من البعث والحساب والجزاء : الجنة ونعيمها لاهل التقوى واليقين والاحسان ، والنار و لهيبها و شرها وعذابها لواقع بكم و نازل عليكم لامحالة ، وإن كنتم به تكذبون ، و تقولون متى هذا الوعد ؟ ءإذا كنا تراباً و عظاماً وآباؤنا ءإنا لمخرجون ؟ هيهات هيهات لما يوعدنا .

قال الله تعالى: « ان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين » الانعام: ١٣٤) .

و قال : « إنما توعدون لصادق و ان الدين لواقع » الذاريات : ٥ و ٦) .

و قال : « و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة ولاتستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن و لا بالذى بين يديه » سباء : ٢٩ - ٣١) .

و قال : « و قال الذين كفروا ءإذا كنا تراباً و آباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن و آباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الاولين - ولا تحزن عليهم و لا تكن فى ضيق مما يمكرون و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين » النمل : ٦٧ - ٧١) .

و قال : « قل هو الذى ذرأكم فى الارض و إليه تحشرون و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنما العلم عندالله و إنما أنا نذيرمبين » الملك: ٢٤ - ٢٦) .

و قال : « أيعدكم انكم إذا متم و كنتم تراباً و عظاماً انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين » المؤمنون : ٣٥ - ٣٧) .

٨ - (فاذا النجوم طمست)

كان وقوع ما وعد به المكذبون و تحققه حين ذهب ضوء النجوم و محى نورها بالانكدار ، و ازيلت عن أماكنها بالانتثار . فبالطمس - و هو إذهاب نور النجوم - يبدء إنقراضها ، و يستتبعه ذهاب صفاءها بالانكدار ثم تنمى آثارها و تزيل عن أماكنها بالانتثار .

قال الله تعالى : « و إذا النجوم انكدرت » التكوير : ٢) .

و قال : « و إذا الكواكب انتثرت » الانفطار : ٢) .

٩ - (و اذا السماء فرجت)

و من أعلام وقوع البعث و تحقق الوعد و يوم الفصل إنقراض هذا العالم الشاسع ، و إنقطاع النظام الدنيوى ، وتحوّل هذا النظام المشاهد إلى نظام آخر يغايره حين إنفراج السماء وإنفتاحها وإنشقاقها و إنفطارها وإنكشاطها وإنصداعها فى كافة أرجائها بزوال نجومها و بروجها فكانت السماء أبواباً ، و صار فيها فروج ، و ليس لها فروج قبل ذلك .

قال الله تعالى : « فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذوانتقام يوم تبدّل الارض غير الارض والسموات وبرزوالله الواحد القهار » ابراهيم: ٤٧-٤٨).

و قال : « هذا يومكم الذى كنتم توعدون يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب » الانبياء : ١٠٣ - ١٠٤) .

و قال : « ان يوم الفصل كان ميقاتاً يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجاً و فتحت السماء فكانت أبواباً » النباء : ١٧ - ١٩) .

و قال : «السماء منفطر به كان وعده مفعولاً» المزمل : ١٨) .

و قال : « يوم تكون السماء كالمهل » المعارج : ٨) .

و قال : « و انشقت السماء فهى يومئذ واهية » الحاقة : ١٦) .

و قال : « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » الرحمن : ٣٩)

و قال : « ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع يوم تمور السماء موراً »

الطور : ٧ ـ ٩) .

وقال: « و إذا السماء كشطت ـ علمت نفس ماأحضرت » التكوير:١١ـ١٤).

وقال: «إذا السماء انفطرت ـ علمت نفس ماقدمت وأخرت» الانفطار:١ـ٥).

و قال : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زيناها و مالها من فروج » ق : ٦) .

١٠ - (و اذا الجبال نسفت)

و يجيىء اليوم الموعود حين اقتلعت الجبال عن مواضعها ، فسارت سيراً، و بست بساً وتفرقت أجزائها و كانت هباء منبثاً ، فضاعت معالمها ، فلا يرى لها على وجه الارض ظل، و لا يبقى لها عليها عين و لا أثر .

قال الله تعالى : « و يسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً و لا أمتاً » طه : ١٠٥ ـ ١٠٧) .

و قال : « و يوم نسير الجبال و ترى الارض بارزة و حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً » الكهف : ٤٧) .

و قال : « و بست الجبال بساً فكانت هباء منبثاً » الواقعة : ٥ ـ ٦) .

وقال: « فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة » : الحاقة : ١٣ ـ ١٥) .

وقال: « يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً» المزمل:١٤).

وقال: « ان يوم الفصل كان ميقاتاً ـ وسيرت الجبال فكانت سراباً» النباء: ١٨ ـ ٢٠) .

وقال: «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش» القارعة : ٤ ـ ٥) .

١١ - (و اذا الرسل اقتت)

وحين بعثت الرسل و احضرت للشهادة على اممهم واحدة بعد واحدة قال

الله تعالى : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم » المائدة : ١٠٩) .

و قال : « هذا يوم الفصل جمعنا كم والاولين » النباء : ٣٨) .

و قال : « ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود » هود : ١٠٣) .

و قال : « قل إن الاولين والاخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم » الواقعة : ٤٩ ـ ٥٠) .

و قال : « فلنسئلن الذين ارسل إليهم و لنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم و ما كنا غائبين » الاعراف : ٦ ـ ٧) .

و قال : « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » التغابن : ٩) .

وقال : « و يوم نبعث فى كل امة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنابك شهيداً على هؤلاء » النحل : ٨٩) .

وقال: « وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجئى بالنبيين والشهداء و قضى بينهم بالحق و هم لا يظلمون » الزمر : ٦٩) .

١٢ - (لأى يوم اجلت)

فكأنه يقال: لأى يوم عظيم هائل اخرت تلك الامور الهائلة العجيبة العظيمة من طمس النجوم و فرج السماء و نسف الجبال و تأقيت الرسل .

و ان الأجل : ضرب المدة للشيء ، والتأجيل: جعل الأجل له ، ويستعمل فى لازمه و هو التأخير كقولك : دين مؤجل أى له مدة بخلاف الحال .

قال الله تعالى: « ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقى و سعيد » هود : ١٠٣ ـ ١٠٥) .

وقال: « ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لايشعرون ـ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون » العنكبوت : ٥٣ ـ ٥٥) .

وقال : « و أن عسى أن يكون قداقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون. يسئلونك أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لايجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عندالله و لكن أكثر الناس لا يعلمون » الاعراف : ١٨٥ ـ ١٨٧) .

١٣ - (ليوم الفصل)

اخرت تلك الامور العظيمة الهائلة من تبدل نظام الكون ونواميس التكوين والتدوين ، و انقطاع التكليف والعمل ليوم يفصل الله جل و علا فيه بين خلقه بالحكم والقضاء ، يفصل بينهم فيماكانوا فيه يختلفون ، يفصل بين الحق و أهله ، والباطل وأصحابه ، يفصّل بين صالح الاعمال وفسادها، يفصل بين المؤمن والكافر ، بين المطيع والعاصى، بين السعيد والشقى ، بين الامين والخائن ، بين المخلص والمرائى، بين الصادق والكاذب ، ويفصل بين المتقى والفاجر . . . فيأخذ من الظالم للمظلوم حقه ، و يجزى المحسن باحسانه والمسيىء باسائته ، و يثيب المتقين بجنته و نعيمها ، و يعاقب المجرمين بنار جهنم و لهيبها .

قال الله تعالى : « ان يوم الفصل كان ميقاتاً يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجاً وفتحت السماء فكانت أبواباً وسيرت الجبال فكانت سراباً» النباء: ١٧ـ٢٠).

و قال : « ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً و لا هم ينصرون إلا من رحم الله » الدخان ٤٠ ـ ٤٢) .

و قال : « فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون و قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وماكانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم » الصافات : ١٩ـ٢٣) .

وقال : « لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير » الممتحنة : ٣) .

و قال : « ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون »

السجدة : ٢٥) .

و قال : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد » الحج : ١٧) .

١٤ - (و ما أدراك ما يوم الفصل)

و ما أعلمك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما يوم الفصل ؟ و أيّ شيء شدته و مهابته و أهواله و فزعه ؟ و ما يقع فيه من أحداث لا تستطيع الاوهام أن تتصورها ، و لا العقول أن تحيط بها ؟ ولكنها بما أدراك ربك فلا سبيل لها إلا وحي السماء .

قال الله تعالى : « و ما أدراك ما الحاقة - فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة » الحاقة:٣-١٥).

وقال : « وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش » القارعة : ٣ - ٥) .

و قال : « ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله » الانفطار : ١٨ - ١٩) .

و قال : « و يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات و من في الارض إلا من شاء الله و كل أتوه داخرين » النمل : ٨٧) .

و قال : « و نفخ في الصور ذلك يوم الوعيد و جاءت كل نفس معها سائق و شهيد » ق : ٢٠ - ٢١) .

١٥ - (ويل يومئذ للمكذبين)

« ويل » كلمة تضجّع تنبيء عن التحسّر لضرّ نزل و عند حلول الشر والعذاب والخزي والذلة والنكال والفضيحة ، والهلاك والبلية ، وتقال لمن يستحق العذاب الشديد في الآخرة لكفره و طغيانه ، و لفساد عقيدته و سوء فعاله في الحياة الدنيا .

و فى المقام تقال يوم القيامة : العذاب الشديد للذين كذبوا بيوم الفصل والجزاء و ما وعدوا به .

قال الله تعالى : « فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم » مريم : ٣٧) .

و قال : « و قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون » الصافات : ٢٠ ـ ٢١) .

و قال : « فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون » الذاريات : ٦٠) .

و قال : « ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدّين ومايكذّب به إلاّ كل معتد أثيم » المطففين : ١٠ ـ ١٢) .

و قال : « و نفخ فى الصور فاذاهم من الاجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعدالرحمن وصدق المرسلون » يس: ٥١-٥٢).

و قال : « و اقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصارالذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين » الانبياء : ٩٧) .

١٦ - (ألم نهلك الاولين)

ألم نهلك الامم الماضين فى الحياة الدنيا بسبب تكذيبهم ما وعدناهم به من البعث والحساب والجزاء ، وتكذيبهم رسلنا كقوم نوح و عاد وثمود وفرعون و قوم تبع و أصحاب الايكة و إخوان لوط كما اشير إليهم فى سورة «ق» النازلة بعد هذه السورة فى قوله تعالى : « كذّبت قبلهم قوم نوح و أصحاب الرّسّ وثمود و عاد و فرعون و إخوان لوط و أصحاب الايكة و قوم تبّع كل كذّب الرسل فحق وعيد » ق : ١٢ ـ ١٤) .

و قال تعالى : « كذّب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لايشعرون فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا و لعذاب الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون » الزمر : ٢٥ ـ ٢٦) .

و قال : « و إن يكذّبوك فقد كذّبت قبلهم قوم نوح و عاد و ثمود وقوم

ابراهيم و قوم لوط و أصحاب مدين و كذّب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير » الحج : ٤٢ ـ ٤٤) .

وقال : « وقال الملأ من قومه الذين كفروا و كذّبوا بلقاء الاخرة وأترفنا هم في الحياة الدنيا ماهذا إلاّ بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه و يشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشراً مثلكم انكم إذاً لخاسرون أيعدكم انكم إذامتم و كنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت و نحيي و ما نحن بمبعوثين ـ فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلنا غثاء فبعداً للقوم الظالمين » المؤمنون : ٣٣ ـ ٤١)

١٧- (ثم نتبعهم الآخرين)

إنا أهلكنا الذين كذّبوا رسلنا والبعث والجزاء من الامم الماضية، ونلحق بهم من كذّب رسولنا الخاتم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ويوم الفصل في الاهلاك إما بالسيف و إما بالتدمير . . .

قال الله تعالى في السورة اللاحقة نزولاً أعني سورة « ق » : « ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب وإذا متنا و كنا تراباً ذلك رجع بعيد ـ و كم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيص ـ فاصبر على ما يقولون ـ نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » ق : ١ ـ ٤٥)

وقال : « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكّنّاهم في الارض ما لم نمكّن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم » الانعام : ٦)

وقال : « ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لمّا ظلموا وجائتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون

لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن ابدّله من تلقاء نفسي إن أتبع إلاّ ما يوحى إليّ - قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون » يونس : ١٣ - ٥٠)

١٨- (كذلك نفعل بالمجرمين)

مثل ما فعلناه بمن تقدّم من الامم الماضية نفعل أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بكل من أجرم فيما يستقبل من هذه الامة المسلمة من التكذيب و إنكار يوم الفصل والجزاء، فنهلكهم إما بالسيف ، وإما بالهلاك والدمار ، وبالخزي والهوان .

قال الله تعالى : « هل ينظرون إلاّ أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن » النحل : ٣٣ - ٣٤)

وقال : « وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال » ابراهيم : ٤٥)

وقال : « فماجزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزي في الحياة الدنيا» البقرة: ٨٥)

و قال : « تدمّر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لايرى إلاّ مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين - و لقد أهلكنا ما حولكم من القرى و صرّفنا الآيات لعلهم يرجعون - فهل يهلك إلاّ القوم الفاسقون » الاحقاف : ٢٥ - ٣٥) وما ورد في المقام فمن باب التأويل فتدبر جيداً .

١٩- (ويل يومئذ للمكذبين)

الخزي والهوان وشديد العذاب يوم القيامة للذين كذّبوا باخبار الله تعالى بهلاك الاقوام السابقين بسبب كفرهم وتكذيبهم ، وبهلاك اللاحقين الذين سلكوا مسلك الاولين في الكفر والتكذيب والاستهزاء .

قال الله تعالى : « ويل لكل أفّاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشّره بعذاب أليم » الجاثية : ٧ - ٨)

وقال : « وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذّبوا فسيأتيهم أنباؤا ما كانوا به يستهزؤن » الشعراء : ٥ ـ ٦)

٢٠- (ألم نخلقكم من ماء مهين)

الماء المهين هو المنيّ ، وهي الضعيفة القذرة الحقيرة التي لا يعبأ بها ، وان الانسان لم يخلق من تمامها، بل من بعضها يعبّر عنه بالنطفة لاوزن له في مرأى العين لانه سلالة من ماء مهين كما ان الماء نفسه كان من سلالة من طين .

فالمعنى : ألم نخلقكم أيها المكذبون من بعض الماء المهين لا يعبأ بتمامه، فضلاً عن بعضه الذي لاوزن له .

قال الله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » المؤمنون:١٢)

وقال : « ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » السجدة : ٨)

وقال : « هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة » غافر : ٦٧)

وقال : « ألم يك نطفة من منيّ يمنى » القيامة: ٣٧)

٢١- (فجعلناه في قرار مكين)

فجعلناه بعضاً من هذا الماء المستقذر المهين في مكان حصين ـ و هو رحم الام الذي أعدّه الله تعالى للحياة الجنينية ـ يستقر فيه ما يتكوّن فيه الولد .

٢٢- (الى قدر معلوم)

إلى مدة معلومة وهي مدة الحمل ووقت الولادة ، وهي ستة أشهر إلى تسعة أشهر عدا بعض الحالات الشاذة ، فينقلها من حال إلى حال حتى أخرجها بشراً سوياً.

قال الله تعالى : « يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة و غير مخلقة لنبين لكم و نقرّ في الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً » الحج : ٥)

وقال :« الله يعلم ماتحمل كل انثى وماتغيض الارحام وماتزداد و كل شيء عنده بمقدار » الرعد : ٨)

وقال : « وما تحمل من انثى ولاتضع إلاّ بعلمه » فصلت : ٤٧)

وقال : « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » الاحقاف : ١٥)

٢٣- (فقدرنا فنعم القادرون)

فقدرنا بقدرتنا وحكمتنا مسيرة هذه النطفة في الرحم وتنقلها فيه من طور إلى طور ، وذلك بقدرمعلوم وتقدير موزون وحساب محكم دقيق ، فنعم القادرون نحن على تدبير جميع ذلك ، وعلى مالا يقدرعليه أحد إلاّ نحن .

فاذا كنا قادرين على خلقكم في أحسن تقويم من ماء حقير لايعبأ به ،وعلى جمله مستقراً في الرحم ما نشاء إلى مدة معلومة ، فنقدرعلى بعثكم يوم الفصل للحساب والجزاء ، فنعم القادرون نحن على ذلك و على ذلك .

وهذا المقطع- ٢٠ - ٢٣ - في معنى قوله تعالى : « يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغيرمخلقة لنبيّن لكم ونقرّ في الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلاً يعلم من بعد علم شيئاً و ترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هوالحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور» الحج : ٥ - ٧)

٢٤- (ويل يومئذ للمكذبين)

ويل يوم القيامة للذين يكذّبون بقدرة الله تعالى على الاعادة للحساب والجزاء، وقد خلقهم من هذا الماء المهين. فحقاًان المنكر يستحق غاية التوبيخ وعذاب الشديد .

والاية الكريمة في معنى قوله تعالى : «ويقول الانسان إذامامت لسوف اخرج حياً أولايذكر الانسان اناخلقناه من قبل ولم يك شيئاًفوربك لنحشرنهم والشياطين

ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً » مريم : ٦٦ - ٦٨)

وقوله : « أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » ق: ١٥-١٦)

٢٥و٢٦- (ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء وأمواتاً)

ألم نجعل الارض ضامّة تضمّ أحياءكم أيها المكذبون على ظهرها، فتعيشون على وجهها ، وتتصرفون على ظهرها ، وتنقلبون إليها ، وتضمّ أمواتكم في بطنها فتدفنون فيها فتوارى جثثكم . فالارض وعاء ونطاق متسعة للأحياء والاموات . . .

قال الله تعالى : « الذى جعل لكم الارض فراشاً » البقرة : ٢٢)

و قال : « ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين قال فيها تحيون و فيها تموتون ومنها تخرجون » الاعراف : ٢٤ - ٢٥)

وقال : « الله الذى جعل لكم الارض قراراً » غافر : ٦٤)

وقال : « ومن آياته انك ترى الارض خاشعة » فصلت : ٣٩)

وقال : « قد علمنا ما تنقص الارض منهم » ق : ٤)

وقال : « والارض فرشناها فنعم الماهدون » الذاريات : ٤٨)

وقال : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها و كلوا من رزقه وإليه النشور » الملك : ١٥)

وقال : « والله أنبتكم من الارض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً والله جعل لكم الارض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً » نوح : ١٧ - ٢٠)

٢٧- (وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتاً)

وجعلنا في الارض جبالاً ثابتات طوالاً مرتفعات على ظهرها لئلا تميد بكم، وجعلنا لكم من الجبال سقياً من الماء العذب ، فأجريناه أنهاراً تشربون بها و تسقون منها زروعكم وحدائقكم ، و ذلك كله حجة دامغة على أننا قادرون على البعث للحساب والجزاء .

قال الله تعالى : « وهو الذى مدّ الارض وجعل فيها رواسى و أنهاراً - و إن تعجب فعجب قولهم ء إذا كنا تراباً أئنالفى خلق جديد » الرعد : ٣ - ٥)

و قال : « وجعلنا فى الارض رواسى أن تميدبهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون » الانبياء : ٣١)

وقال : « وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها و قدّر فيها أقواتها فى أربعة أيام » فصلت : ١٠)

وقال : « ألم نجعل الارض مهاداً والجبال أوتاداً » النباء : ٦ - ٧)

و قال : « والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها و مرعاها والجبال أرساها متاعاً لكم ولانعامكم » النازعات : ٣٠ - ٣٣)

و قال : « والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزّلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد » ق : ٧ - ٩)

٢٨- (ويل يومئذ للمكذبين)

ويل يوم القيامة للذين كذّبوا بتلك النعم الالهية الدالة على العلم والتدبير والحكمة والقدرة المطلقة لله جل وعلا على الاعادة للحساب والجزاء .

قال الله تعالى : « أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شىء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » الاحقاف : ٣٣ - ٣٤)

٢٩- (انطلقوا الى ماكنتم به تكذبون)

يوم يدعو الداعى هؤلاء المكذبين إلى موقف السؤال والحساب و يقول لهم : اسرعوا أيها المكذبون إلى موقف الحساب للفصل والقضاء ، الذى كنتم فى الحياة الدنيا تكذبون به .

قال الله تعالى : « يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر » القمر : ٦ ـ ٨)

وقال : « يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون » المعارج : ٤٣-٤٤)

وقال : « يومئذ يتبعون الداعى لاعوج له و خشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً » طه : ١٠٨)

و قال : « و قالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا و ما نحن بمبعوثين ولوترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا » الانعام : ٢٩ ـ ٣٠)

و قال : « لا يسئل عما يفعل و هم يسئلون » الانبياء : ٢٣) .

و قال : « فوربك لنسئلنهم أجمعين عماكانوا يعملون » الحجر: ٩٢-٩٣).

و قال : « فلنسئلن الذين ارسل إليهم و لنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون و من خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » الاعراف : ٦ ـ ٩) .

٣٠ ـ (انطلقوا الى ظل ذى ثلث شعب)

ثم يقال لهؤلاء المكذبين الجهلة ، هؤلاء المجرمين السفلة ، و هؤلاء الكافرين الفجرة بعد الفصل والقضاء بينهم يوم القيامة : إنتقلوا من موقف الحساب بلامكث ولاتوقف فيه إلى موقف الجزاء : إلى ظل عظيم لايعرفه الناس فى الحياة الدنيا، ظل جهنمى، ظل نارجهنم يتشعب ذى ثلاث شعب لعظمه ، تحيط بالكفار والمجرمين ، تحيط بالفجار والمكذبين ، تحيط بالفساق والمنافقين ، و تحيط بأصحاب الشمال والمترفين ، تحيط بهم من فوقهم و من تحت أرجلهم ، و من جوانبهم كلها . . . كما انهم الذين أحاطت بهم خطاياهم فى الحياة الدنيا بسوء

إختيارهم.

قال الله تعالى : « و أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم و حميم و ظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرّون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا تراباً و عظاماً ءإنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون » الواقعة : ٤١ ـ ٤٨).

و قال : « قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار و من تحتهم ظلل ذلك يخوّف الله به عباده يا عباد فاتقون » الزمر : ١٥ ـ ١٦).

و قال : « إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها » الكهف : ٢٩).

و قال : « بلى من كسب سيئة و أحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » البقرة : ٨١).

٣١ - (لا ظليل و لا يغني من اللهب)

ظل جهنمي لا يظل المكذبين إذا استظلوا من حرّ نار جهنم ، ولا يغنيهم من إشتعالها الذي ينوشهم من كل مكان ، ظل لا بارد ولا كريم، فهم فيها لا يموتون و لا يحيون ، و لا محيص لهم من عذابها .

قال الله تعالى: « و ظل من يحموم لا بارد ولا كريم » الواقعة : ٤٣-٤٤) .

و قال : « سيصلى ناراً ذات لهب » المسد : ٣) .

و قال : « الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها و لا يحيى » الاعلى: ١٢ ـ ١٣) .

و قال : « والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور » فاطر : ٣٦) .

و قال حكاية عن المكذبين المستكبرين : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص » ابراهيم : ٢١) .

٣٢ و ٣٣ - (انها ترمى بشرر كالقصر كانه جمالت صفر)

الشرر واحدته شررة، والشرار واحدته شرارة، وهو ما تطاير من النار فى كل جهة، و أصله من شررت الثوب إذا بسطته فى الشمس ليجف.

فيتطاير من نار جهنم شرر متفرق فى جهات كثيرة كأنه القصر عظماً و إرتفاعاً، وكأنه الجمال الصفر لوناً و كثرة و تتابعاً و سرعة و حركة.

ان الله تعالى شبه الشرر فى العظم والارتفاع بالقصر ثم شبهها فى الكون والكثرة والتتابع و سرعة الحركة بالجمالات الصفر، و ذلك ان الابل إذا نفرت و شردت متتابعة نال من وقع فيما بينها بلاء شديداً، فتشبيه الشرر بها يفيد كمال الضرر.

والمعنى: ان نار جهنم الملتهبة التى يعذب بها المكذبون المجرمون ترتفع بشرر كالقصر فى الارتفاع والضخامة والحجم والطول، كأن هذا الشرر ينطلق بعضه إثر بعض فى تتابع كأنه قطعان من الجمال الصفراء ينطلق بعضها إثر بعض.

قال الله تعالى: «فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصليها إلا الأشقى الذى كذب و تولى» الليل: ١٤ - ١٦).

٣٤ - (ويل يومئذ للمكذبين)

ويل يوم القيامة للذين كذبوا بهذه النار التى ترمى بهذا الشرر العظيم الذى توعدهم الله تعالى به.

قال الله تعالى: «ويل للكافرين من عذاب شديد» ابراهيم: ٣).

وقال: «فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون يوم يدعون إلى نار جهنم دعاً هذه النار التى كنتم بها تكذبون» الطور: ١١ - ١٤).

٣٥ - (هذا يوم لا ينطقون)

هذا اليوم الذى تقع فيه تلك الاهوال بالمكذبين المجرمين هو يوم لا

ينطقون هم فيه على طريق الاحتجاج والاعتذار الموجه إذ لا حجة لهم على الله تعالى فى تكذيبهم و إجرامهم حيث تمت عليهم الحجة فى الحياة الدنيا، ولاعذر لهم فى كفرهم و عصيانهم إذ جاءتهم الرسل و بيّنوا لهم ما فيه خيرهم وشرهم، كمالهم و نقصانهم، سعادتهم و شقاءهم، و صلاحهم و فسادهم . . . فلا يأذن الله تعالى لمن لاحجة له يوم القيامة أن يتكلم، فلاتتحرك ألسنتهم بمثل هذا الزور والتكذيب الذى كانت تتشدق به فى الحياة الدنيا.

و هذا لا ينفى انهم يتكلمون يوم القيامة، و لكن ليس الكلام الذى كان يجرى على ألسنتهم فى الدنيا من كفر و كذب، من زور و بهتان، ومن تفاخر و تطاول على العباد . . . إن كل شيء فيهم يومئذ إلاّ ينطق بالحق.

قال الله تعالى: «يوم يأت لا تكلم نفس إلاّ باذنه» هود: ١٠٥).

و قال: «لا يتكلمون إلاّ من أذن له الرحمن و قال صواباً» النباء: ٣٨).

و قال: «ويوم نحشر من كل امة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاؤا قال أكذبتم بآياتى و لم تحيطوا بها علماً أماذا كنتم تعملون و وقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون» النمل: ٨٣ ـ ٨٥).

٣٦ ـ (و لا يؤذن لهم فيعتذرون)

ولايؤذن لهولاءالمكذبين المجرمين يوم القيامة بكلام يلقون فيه بأعذار يعتذرون بها عن جناياتهم فى الحياة الدنيا، فلا حجة ولا عذر لهم فى تكذيبهم بيوم الفصل والحساب والجزاء، وماجاءتهم الرسل، إذ ليس يوم الفصل يوم جدال بلاحجة، ولايوم مخاصمة بلابرهان، ولايوم إدّعاء بدون دليل، وقدتمت عليهم الحجة فى الحياة الدنيا.

قال الله تعالى: «ويوم نبعث من كل امة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون» النحل: ٨٤)

وقال: «وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم

البعث فهذا يوم البعث و لكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون » الروم : ٥٦ - ٥٧)

وقال : «يا أيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون» التحريم : ٧)

٣٧- (ويل يومئذ للمكذبين)

خزى وعذاب شديد يوم القيامة للذين كذّبوا بهذا الخبر ، بانهم لاينطقون يومئذ ولايعتذرون إذ لاحجة ولاعذرلهم يوم القيامة فيما فعلوا في الحياة الدنيا .

٣٨- (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين)

يقال لهؤلاء المكذبين من هذه الامة يوم القيامة : هذا اليوم يوم الفصل، يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق . . . يفصل بين الكافر والمؤمن ، بين العاصي والمطيع ، بين الشقي والسعيد ، بين الكاذب والصادق ، بين الظالم والمظلوم ، بين الخائن والامين ، بين المستكبر والخاضع ، بين المرائي والمخلص ، و بين المصلح والمفسد . . . فيتبيّن المحق من المبطل بالحكم والقضاء ، ففريق إلى الجنة و نعيمها ، و فريق إلى جهنم و لهيبها .

جمعناكم أيها المكذبون المجرمون في هذا اليوم الذى كنتم في الحياة الدنيا تكذبون به ، والذين كانوا من قبلكم من الامم الماضية . . .

قال الله تعالى : « فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه و وفيت كل نفس ما كسبت و هم لا يظلمون » آل عمران : ٢٥) .

و قال : « قل إن الاولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين » الواقعة: ٤٩ - ٥٦) .

وقال: « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى و ربى لتبعثن ثم لتنبئون

بما عملتم و ذلك على الله يسير - يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » التغابن : ٧ - ٩) .

و قال : « إن كانت إلا صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون فاليوم لاتظلم نفس شيئاً ولاتجزون إلا ما كنتم تعملون - وامتازوا اليوم أيها المجرمون » يس : ٥٣ - ٥٩) .

و قال : « قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق و هو الفتاح العليم » سبأ : ٢٦) .

و قال : « و تنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير » الشورى : ٧) .

٣٩ - (فان كان لكم كيد فكيدون)

فان كان لكم أيها المكذبون الضالون حيلة فى دفع أهوال يوم الفصل و عذابه ، أو التخلص من نار جهنم و لهيبها بأى وسيلة كنتم تزعمونها من الآلهة المزعومة و غيرها فاحتالوا كما كنتم تحتالون فى الحياة الدنيا ، و لكنكم لا تقدرون عليها يوم القيامة و لا يغنى عنكم كيدهم فيها شيئاً فيها .

قال الله تعالى : « و يوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين - إن ما توعدون لآت و ما أنتم بمعجزين » الانعام : ٢٢ - ١٣٤) .

و قال : « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا و رأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب » البقرة : ١٦٦) .

و قال : « و يوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم و شركاؤكم فزيلنا بينهم و قال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون » يونس : ٢٨) .

و قال : « و يوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا

لهم وجعلنا بينهم موبقاً و رأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً » الكهف : ٥٢ ـ ٥٣) .

و قال : « و برّزت الجحيم للغاوين و قيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاون » الشعراء : ٩١ـ٩٤).

و قال : « فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً و لا هم ينصرون » الطور : ٤٥ ـ ٤٦) .

٤٠ - (ويل يومئذ للمكذبين)

خزى و عذاب شديد للذين كذّبوا بجمع الخلائق يوم القيامة للحساب والجزاء ، و كذّبوا بتخجيل المكذبين وتذليلهم و تعجيزهم عن الكيد والحيلة يوم القيامة .

قال الله تعالى : « و أعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً » الفرقان : ١١) .

و قال : « و أما الذين كفروا و كذّبوا بآياتنا و لقاء الاخرة فاولئك فى العذاب محضرون » الروم : ١٦) .

و قال : « فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون » سباء : ٤٢) .

٤١ - (ان المتقين فى ظلال و عيون)

ان الذين اتقوا عقاب الله تعالى بترك المعاصى ونواهيه ، و بأداء الفرائض والامتثال بأوامره فى الحياة الدنيا ، هم يوم القيامة فى ظلال ما خطر ببال، ظلال ظليل لايصيبهم أذى حرّ و لا قرّ ، ظلال تعاكس ظلال المكذبين ذا ثلاث شعب لاظليل ولايغنى من اللهب ، و هم فى الجنة فى عيون ما رأتها عين ، فيتنعمون بشرب منها ، خلاف ما كان للمكذبين من لهيب النار و شررها . و تجرى من العيون أنهار خلال أشجار جناتهم و قصورهم . . .

قال الله تعالى : « مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار

اكلها دائم و ظلها تلك عقبى الذين اتقوا » الرعد : ٣٥) .

و قال : « ان المتقين فى جنات و عيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين لايمسّهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين » الحجر : ٤٥ ـ ٤٨) .

و قال : « ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون » يس : ٥٥ ـ ٥٦) .

و قال : « ان المتقين فى جنات و عيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين » الذاريات : ١٥ ـ ١٦) .

و قال : « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود و طلح منضود و ظل ممدود و ماء مسكوب » الواقعة : ٢٧ ـ ٣١) .

و قال : « والذين آمنوا و عملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة و ندخلهم ظلاً ظليلاً » النساء : ٥٧) .

٤٢ - (و فواكه مما يشتهون)

و للمتقين فواكه كثيرة بألوان مختلفة وطعوم متنوعة فى الجنة من كل ما تشتهى أنفسهم و تلذ أعينهم من غير خوف ضرّها ، و لا عاقبة مكروهها .

قال الله تعالى: « و ان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة و شراب » ص : ٤٩ ـ ٥١) .

وقال: « ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون » فصلت: ٣١) .

و قال : « و فيها ما تشتهيه الانفس و تلذ الاعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون » الزخرف : ٧١ ـ ٧٣) .

وقال : « ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون ـ يدعون بكل فاكهة

آمنين » الدخان : ٥١ ـ ٥٥) .

٤٣ ـ (كلوا و اشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

يقال لهؤلاء المتقين مستقرين في ظلال الجنة وعيونها: كلوا أيها المتقون من فواكه الجنة الدائمة التي لاتقطع ولاتمنع عنكم قط ، و اشربوا من شرابها هنيئاً لكم ، هذا جزاء بما كنتم في الحياة الدنيا تعملون من الائتمار بأوامر الله جل و علا والانتهاء عن نواهيه . . .

قال الله تعالى: « فأما من اوتي كتابه بيمينه ـ فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا و اشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الايام الخالية » الحاقة : ١٩ ـ ٢٤) .

و قال : « و فاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة » الواقعة : ٣٢ ـ ٣٣) .

٤٤ ـ (انا كذلك نجزى المحسنين)

انا كما وصفنا لك أيها النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من الجزاء نثيب به كل من أحسن دينه و طاعته و عمله لله جل وعلا من ذكر أو انثى ، فلا نضيع أجر من أحسن عملاً .

قال الله تعالى : « و من يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً و من أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله و هو محسن و اتبع ملة ابراهيم حنيفاً » النساء : ١٢٤ ـ ١٢٥) .

و قال : « للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة و لدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين ـ من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة و لنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » النحل : ٣٠ ـ ٩٧) .

و قال : « والذي جاء بالصدق و صدّق به اولئك هم المتقون لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك جزاؤا المحسنين » الزمر : ٣٣ ـ ٣٤) .

الكهف : ٣٠)

وما ورد في المقام فهو اللب فان الائمة أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين هم نواه الايمان وحماة الدين واسوة التقوى وصالح العمل والاحسان ،و عليهم تدور حقيقة الايمان وصلاح الدين ومعارف الاسلام . . . جداً فتدبر واغتنم.

٤٥- (ويل يومئذ للمكذبين)

ويل يوم القيامة للذين يكذّبون بوعدالله تعالى للمتقين من جزاء الحسنى وتكريمهم بما أكرمهم الله جل وعلا به في الجنة .

قال الله تعالى : « تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً ـ و يقول الانسان ءإذا مامت لسوف اخرج حياً» مريم : ٦٣ ـ ٦٦)

وقال : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلاوسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ـ ونودوا أن تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ونادى أصحاب الجنة أصحاب النارأن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذّن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدّون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً وهم بالاخرة كافرون » الاعراف : ٤٢ ـ ٤٥)

٤٦- (كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون)

كأنه يقال لهؤلاء المكذبين : كلواو تمتعوا في هذه الحياة الدنيا من متاعها زماناً أوتمتعاً قليلاً لايعبأ به بالنسبة إلى الاخرة ، فتمتعكم من متاع الدنيا قليل جداً ، وليس لكم في الاخرة من نصيب ولاخلاق لانكم مجرمون لما أنتم فيه من لهو ولعب وإنهماك في الشهوات واللذائذ الواهية. . .

قال الله تعالى : « والذين كفروا يتمتعون و يأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ١٢)

وقال : « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » الحجر: ٣)

وقال : « و فرحوا بالحياة الدنيا و ما الحياة الدنيا في الاخرة إلا متاع » الرعد : ٢٦) .

وقال : « وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عندالله خير وأبقى أفلا تعقلون أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لا قيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين » القصص : ٦٠ - ٦١)

و قال : « أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ماكانوا يمتعون » الشعراء : ٢٠٥ - ٢٠٧)

وقال : « ومن كفر فامتعه قليلاً ثم اضطره إلى عذاب النار » البقرة : ١٢٦)

وقال : « فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة إلا قليل » التوبة : ٣٨)

وقال : « من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الاخرة من نصيب » الشورى : ٢٠)

وقال : « اولئك لاخلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » آل عمران : ٧٧)

٤٧- (ويل يومئذ للمكذبين)

ويل للذين كذّبوا بهذا الوعيد الذي أخبرهم الله تعالى من أكلهم وتمتعهم قليلاً . والاية الكريمة في معنى قوله تعالى : « فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون» الذاريات: ٥٩ - ٦٠)

٤٨- (واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون)

وإذا قيل لهؤلاء المجرمين المكذبين بوعيد الله تعالى : صلّوا لله جل و علا لا يصلّون .

وهذا من قبيل ذكر الجزء وإرادة الكل لأهمية الجزء لان الركوع مظهر

للصلاة في الدين الاسلامي ، ورکن لها کما أن السجود مظهر لها .

قال الله تعالى : «وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً» الفرقان : ٦٠) وما ورد في المقام من قبيل الجرى والانطباق فتأمل جيداً .

٤٩ـ (ويل يومئذ للمكذبين)

ويل يوم القيامة للذين كذّبوا بوجوب الصلاة والعبادات ، وردّوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مابلغ من أمر الله تعالى إياهم ونهيه لهم .

قال الله تعالى : «ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذّب بيوم الدين» المدثر : ٤٢ـ٤٦)

وقال : «والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق فلاصدّق ولاصلّى ولكن كذّب وتولى» القيامة : ٢٩ ـ ٣٢)

٥٠ـ (فبأى حديث بعده يؤمنون)

فبأيّ كلام بعد هذا القرآن الكريم يؤمنون به إذا لم يؤمنوا به ، وهو كلام الله المجيد ، وآية معجزة خالدة إلهية ، ودلالة واضحة على صدق خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فبأى شيء يصدّقون بعد هذا الكتاب السماوى مع وضوح برهانه وصحة دلائله، وفيه الحجج البالغة والايات الظاهرة على توحيد الربوبية، وعلى أنه حق من عندالله جل وعلا ، وفيه بيان واضح لهم ان أمامهم يوم الفصل يوم يفصل فيه بين المؤمن والكافر ، بين المصلح والمفسد ، بين السعيد والشقى، بين الظالم والمظلوم، بين الصادق والكاذب ، بين المخلص والمرائى، وبين الامين والخائن بأوضح بيان وساطع برهان ؟

فبأيّ خبر بعد هذا الوحى يؤمنون إذا لم يؤمنوا به ، ولم ينكشف لهم على ضوئه طريق الهدى والايمان ، طريق الغى والضلالة ، طريق النجاة والكمال ، طريق الهلاك الانحطاط ، طريق العزة والسعادة ، طريق الذلة والشقاء ، وبالجملة

سبيل الجنة والنار ؟

فبأىّ حديث إذن بعد هذا الحديث يؤمنون ؟ و بأىّ نور بعد هذا النور يبصرون ؟ وبأىّ كلام بعد كلام الله جل وعلا يهتدون ؟ انهم إذا لم يهتدوا بهذا: بهذا القرآن ، بهذا النور ، بهذا البيان ، بهذا الحديث ، بهذا الهدى ، بهذا الفرقان ، بهذا الذكر ، بهذا الوحى . بهذا الروح ، بهذا القول ، بهذا الحق ، و بهذا البرهان فلن يهتدوا أبداً ، و لن يجدوا إلى نورالحق سبيلاً ، وهم إذا لم يصدقوا بهذا القرآن مع إعجازه وحسن نظمه واسلوبه ، وعلومعانيه ومبانيه ... فلن يصدقوا بشىء ، فان من لم يؤمن به مع مافيه من الحجة الظاهرة والاية الباهرة لايؤمن بغيره إذالم يؤمنوا بهذه الدلائل على تجلّيها ووضوحها ، فهل فى الكون حديث و كلام وقول وخبر أثبت من حديث الله جل وعلاوأضبط من كلام الله تعالى؟ فأنى تؤفكون أيها المكذبون المجرمون ؟

قال الله تعالى : « الله لاإله إلا هوليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه و من أصدق من الله حديثاً » النساء : ٨٧)

وقال : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء و أن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأىّ حديث بعده يؤمنون » الاعراف:١٨٥)

وقال : « وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلاّ كانوا عنه معرضين » الشعراء : ٥)

وقال : « ان الذين كفروا سواء عليهم ء أنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون » البقرة : ٦)

و قال : « وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولابالذى بين يديه » سباء : ٣١)

و قال : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأىّ حديث بعد الله و آياته

يؤمنون » الجاثية : ٦)

وقال : « قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون » يونس : ٣٤)

وقال : « فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون » يونس : ٣٢)



﴿ جملة المعانى ﴾

٥٦٢٣ - (والمرسلات عرفاً)

اقسم بملائكة الوحي السماوى الذين ارسلوا متتابعين إلى أنبياء الله تعالى و رسله و منهم خاتمهم محمد ﷺ إلى ما امروا به .

٥٦٢٤ - (فالعاصفات عصفاً)

فتسرع هؤلاء الملائكة المأمورون إلى ما امروا به بسرعة كالرياح العاصفة من غير توان .

٥٦٢٥ - (والناشرات نشراً)

و اقسم بالملائكة الذين ينشرون صحف الوحي نشراً للنبى ﷺ فيتلقاه .

٥٦٢٦ - (فالفارقات فرقاً)

فهؤلاء الملائكة يفرّقن بالوحي السماوى الملقى إلى النبى ﷺ بين الحق والباطل ، و بين الصواب والخطأ . .

٥٦٢٧ - (فالملقيات ذكراً)

فان هؤلاء الملائكة يلقين إلى النبى الكريم ﷺ الوحي الذى يفرق به الايمان من الكفر .

٥٦٢٨ - (عذراً او نذراً)

تلقى الملائكة الوحي ليكون عذراً للمؤمنين و تخويفاً للكافرين .

٥٦٢٩ - (انما توعدون لواقع)

أقسم الله تعالى بالملائكة مشيراً إلى أهمّ صفاتها المناسبة لمقام التكليف والوعيد : ان الذى توعدون به أيها المكذبون من البعث للحساب والجزاء لواقع لا محالة .

٥٦٣٠ - (فاذا النجوم طمست)

فكان زمن تحقق الوعد والوعيد حين ذهب ضوء النجوم و محى نورها بالانكدار .

٥٦٣١ - (و اذا السماء فرجت)

و حين فتحت السماء فكانت أبواباً ، و ما كان لها فروج من قبل .

٥٦٣٢ - (و اذا الجبال نسفت)

و حين اقتلعت الجبال عن مواضعها ، و ضاعت معالمها فلا يبقى لها عين و لا أثر .

٥٦٣٣ - (و اذا الرسل اقتت)

و حين بعثت الرسل و احضرت للشهادة على اممهم واحدة بعد واحدة .

٥٦٣٤ - (لاى يوم اجلت)

لأىّ يوم عظيم هائل اخّرت تلك الأمور الهائلة . . .

٥٦٣٥ - (ليوم الفصل)

اخّرت تلك الامور ليوم يفصل الله تعالى فيه بين خلقه بالحكم والقضاء .

٥٦٣٦ - (و ما أدراك ما يوم الفصل)

و ما أعلمك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما يوم الفصل ؟ و أىّ شىء شدته و أهواله ؟

٥٦٣٧ - (ويل يومئذ للمكذبين)

ويل يوم القيامة للذين كذّبوا بيوم الفصل والحساب والجزاء فيه .

٥٦٣٨ - (ألم نهلك الاولين)

ألا يا أيها المكذبون الجهلة والمجرمون السفلة ألم نهلك الامم الماضية

فى الحياة الدنيا بسبب تكذيبهم و إجرامهم أفلا تعتبرون .

٥٦٣٩ - (ثم نتبعهم الاخرين)

ثم نلحق بهؤلاء المكذبين ، مكذبى هذه الامة المسلمة فى الاهلاك إما بالسيف و إما بالتدمير .

٥٦٤٠ - (كذلك نفعل بالمجرمين)

مثل ما فعلناه بمن تقدم من الامم الماضية نفعل أيهاالرسول ﷺ بكل من أجرم فيما يستقبل من هذه الامة المسلمة .

٥٦٤١ - (ويل يومئذ للمكذبين)

خزى يوم القيامة وشدة عذابه للذين كذبوا بما أخبرالله تعالى من إهلاك المكذبين السابقين و إتباع اللاحقين بهم .

٥٦٤٢ - (الم نخلقكم من ماء مهين)

ألم نخلقكم أيها المكذبون من ماء ضعيف حقير قذر لا يعبأ به .

٥٦٤٣ - (فجعلناه فى قرار مكين)

فجعلنا بعض هذا الماء المستقذر فى مكان حريز يستقر فيه ما يتكون فيه الولد .

٥٦٤٤ - (الى قدر معلوم)

الى مدة معلومة ، و هى مدة الحمل و وقت الولادة .

٥٦٤٥ - (فقدرنا فنعم القادرون)

فقدرنا بقدرتنا و حكمتنا مسيرة هذه النطفة فى الرحم بقدر معلوم ، فنعم القادرون نحن على تدبير جميع ذلك .

٥٦٤٦ - (ويل يومئذ للمكذبين)

ويل يوم القيامة للذين يكذبون بقدرة الله تعالى على الاعادة للحساب و الجزاء .

٥٦٤٧ - (ألم نجعل الارض كفاتاً)

ألا يا أيها المكذبون الجاهلون والمجرمون الفاجرون ألم نجعل الارض ضامّة .

٥٦٤٨ - (أحياء و أمواتاً)

تضمّ هذه الارض أحياءكم على وجهها ، وأمواتكم في بطنها .

٥٦٤٩ - (و جعلنا فيها رواسي شامخات و أسقيناكم ماء فراتاً)

و جعلنا في الارض جبالاً ثابتات طوالاً ، و أسقيناكم أيها المكذبون ماء عذباً سائغاً للشاربين .

٥٦٥٠ - (ويل يومئذ للمكذبين)

ويل يوم القيامة للذين كذّبوا بتلك النعم الالهية الدالة على قدرة الله تعالى على الاعادة للحساب والجزاء .

٥٦٥١ - (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون)

يقال حين البعث والحشر: انتقلوا أيها المكذبون مسرعين من موقف الحشر إلى موقف السئوال والقضاء الذي كنتم تكذبون به .

٥٦٥٢ - (انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب)

ثم يقال لهم بعد الفصل والقضاء بينهم : إنتقلوا مسرعين من موقف القضاء إلى موقف الجزاء : إلى ظل نار جهنم يتشعب ذي ثلاث شعب تحيط بكم .

٥٦٥٣ - (لا ظليل و لا يغني من اللهب)

ظل جهنمي لا يظل المكذبين إذا استظلوا من حرّ نارها ، و لا يغنيهم من إشتعالها .

٥٦٥٤ - (انها ترمي بشرر كالقصر)

ان نار جهنم ترتفع بشرر كارتفاع القصر .

٥٦٥٥ - (كأنه جمالت صفر)

كأن هذا الشرر جمالت صفر لوناً و كثرة و تتابعاً و سرعة و حركة .

٥٦٥٦ - (ويل يومئذ للمكذبين)

خزى و عذاب شديد يوم القيامة للذين كذّبوا بهـذه النار التى ترمى بهذا الشرر .

٥٦٥٧ - (هذا يوم لا ينطقون)

هذا اليوم الذى تقع فيه تلك الأهوال بالمكذبين يوم لا ينطقون هم فيه على طريق الاحتجاج .

٥٦٥٨ - (و لا يؤذن لهم فيعتذرون)

و لا يؤذن لهؤلاء المكذبين فيعتذرون بأعذار لا وجه لها .

٥٦٥٩ - (ويل يومئذ للمكذبين)

ويل يوم القيامة للذين كذّبوا بهذا الخبر .

٥٦٦٠ - (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين)

يقال لهؤلاء المكذبين من هذه الامة يوم القيامة : هذا اليوم يوم الفصل : يفصل فيه بين المحق والمبطل ، جمعناكم أيها المكذبون فى هذا اليوم والذين من قبلكم من الامم الماضية .

٥٦٦١ - (فان كان لكم كيد فكيدون)

فان كان لكم أيها المكذبون يومئذ حيلة فى دفع أهوال هذا اليوم وعذابه فاحتالوا .

٥٦٦٢ - (ويل يومئذ للمكذبين)

خزى وعذاب شديد يوم القيامة للذين كذّبوا بهذا الخبر والوعيد والتعجيز .

٥٦٦٣ - (ان المتقين فى ظلال و عيون)

ان الذين اتقوا عقاب الله تعالى فأطاعوه هم فى ظلال ما خطر ببال ، وعيون ما رأتها عين .

٥٦٦٤ - (و فواكه مما يشتهون)

و للمتقين فی الجنة فواكه كثيرة من كل ما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم .

٥۶۶٥ - (كلوا و اشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

يقال لهؤلاء المتقين مستقرين فی ظلال الجنة وعيونها: كلوا أيها المتقون من فواكه الجنة ، و اشربوا من شرابها هنيئاً لكم ، جزاء بما كنتم تعملون به فی الحياة الدنيا .

٥۶۶۶ - (انا كذلك نجزی المحسنين)

انا كما وصفنا لك أيها النبی صلى الله عليه و آله و سلم من الجزاء نثيب به كل من أحسن دينه و عمله .

٥۶۶٧ - (ويل يومئذ للمكذبين)

ويل يوم القيامة للذين كذّبوا بما وعد الله تعالی هؤلاء المتقين من الجنة و نعيمها .

٥۶۶٨ - (كلوا و تمتعوا قليلاً انكم مجرمون)

كأنه يقال لهؤلاء المكذبين : كلوا أكلاً من مأكولات الدنيا و تمتعوا من متاعها زماناً قليلاً لا يعبأ به لانكم مجرمون .

٥۶۶٩ - (ويل يومئذ للمكذبين)

ويل يوم القيامة للذين كذّبوا بهذا الوعيد .

٥۶٧٠ - (و اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون)

و إذا قيل لهؤلاء المكذبين فی هذه الحياة الدنيا: صلوا لله تعالی لا يصلّون.

٥۶٧١ - (ويل يومئذ للمكذبين)

خزی وعذاب شديد يوم القيامة للذين كذّبوا بأمر الله تعالی والاعراض عنه.

٥۶٧٢ - (فبای حديث بعده يؤمنون)

فبأیّ كلام بعد هذا القرآن الكريم يؤمنون به إذا لم يؤمنوا به .

﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : في قوله تعالى : « والمرسلات عرفا . . . الخ » قال : آيات يتبع بعضها بعضاً . وقوله تعالى : « عذراً أونذراً » قال : أعذر كم فانذر كم بما أقول .

وفي المجمع : في قوله تعالى : « والمرسلات عرفاً » وقيل : انها الملائكة ارسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه . وفي رواية اخرى عن إبن مسعود وعن أبي حمزة الثمالي عن أصحاب علي عنه عليه السلام .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « فاذا النجوم طمست » قال: يذهب نورها وتسقط .

وفيه : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « فاذا النجوم طمست » فطمسها ذهاب ضوئها « وإذا السماء فرجت » قال : تفرج وتنشق « واذا الرسل أقتت » قال : بعثت في أوقات مختلفة .

وفي المجمع : وقال الصادق عليه السلام : « اقتت » أي بعثت في أوقات مختلفة.

و في التوحيد : باسناده عن عبدالله بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث طويل - فيأمر الله عزوجل أن تنفخ في وجوه الخلائق نفخة فتنفخ ، فمن شدة نفختها تنقطع السماء وتنطمس النجوم و تجمد البحار و تزول الجبال و تظلم الابصار وتضع الحوامل حملها و تشيب الولدان هولها يوم القيامة .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « لأي يوم اجلت » قال : اخرّت .

وفي الكافي : باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي قال: قلت : « ويل يومئذ للمكذبين» قال : يقول: ويل للمكذبين يا محمد بما اوحيت إليك من ولاية علي عليه السلام «ألم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين» قال : الاولين الذي كذبوا الرسل في طاعة الاوصياء« كذلك نفعل بالمجرمين » قال : من اجرم إلى آل محمد وركب من وصيه ما ركب .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « ألم نخلقكم من ماء مهين » قال : منتن « فجعلناه في قرار مكين » قال : في الرحم ، وأما قوله : « إلى قدر معلوم » يقول : منتهى الاجل .

و في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة: « أيها المخلوق السوي والمنشأ المرعي في ظلمات الارحام ، و مضاعفات الاستار بديت من سلالة من طين ، ووضعت في قرار مكين إلى قدر معلوم و أجل مقسوم تمور في بطن امك جنيناً لاتحير دعاء ولاتسمع نداء » .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « ألم نجعل الارض كفاتاً » قال: الكفات المساكن ، و قال : نظر أمير المؤمنين عليه السلام في رجوعه من صفين إلى المقابر فقال : هذه كفات الاموات أي مساكنهم ثم نظر إلى بيوت الكوفة ، فقال : هذه كفات الاحياء ثم تلا قوله : « ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء وأمواتاً » .

وفي الكافي : باسناده عن إبن فضال عن بعض أصحابه عن أبي كهمس عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تبارك وتعالى : « ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء وأمواتاً » قال : دفن الشعر والظفر .

و في معاني الاخبار : باسناده عن حماد بن عيسى عن أبي عبدالله عليه السلام انه نظر إلى المقابر فقال : يا حماد هذه كفات الاموات ونظر إلى البيوت فقال: هذه كفات الاحياء ثم تلا: « ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء وأمواتاً» .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « وجعلنا فيها رواسى شامخات» قال: جبال مرتفعة . وقوله : « انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب » قال: فيه ثلاث شعب من النار ، وقوله : «انها ترمى بشرر كالقصر » قال : شرر النار مثل القصور و الجبال وقوله : « كأنه جمالت صفر » أى سود .

و فى الارشاد للشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث طويل - قال : وتزفر النار بمثل الجبال شرراً .

وفى الخصال : عن أبى عبدالله عليه السلام - فى حديث فى بيان الايام - قال : قلت : فالثلثاء؟ قال خلقت النار فيه وذلك قوله تعالى : « انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب لاظليل ولايغنى من اللهب » قال : قلت فالاربعاء ؟ قال : بنيت أربعة أركان النار يوم الاربعاء .

وفى البرهان : بالاسناد عن أحمد بن سيار عن أبى عبدالله عليه السلام قال : إذا لاذ الناس من العطش قيل لهم : انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون يعنى أمير المؤمنين عليه السلام قال : فاذا أتوه قال لهم : انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب لاظليل ولايغنى من اللهب يعنى من لهب العطش .

وفى روضة الكافى : باسناده عن حماد بن عثمان قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول فى قول الله تبارك وتعالى : « ولايؤذن لهم فيعتذرون » فقال : الله أجل وأعدل وأعظم من أن يكون لعبده عذر لايدعه يعتذر به ولكنه فلج فلم يكن له عذر .

اقول : يقال : فلج أصحابه وعلى أصحابه إذا غلبهم أى صار مغلوباً بالحجة فليس له عذر . فالمراد : انه ليس لهم عذر حتى يؤذن لهم فيعتذروا .

وفى تفسير القمى : وفى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله عزوجل : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً » فبلغنا والله أعلم انه إذا استوى أهل النار إلى النار لينطلق بهم قبل أن يدخلوا النار فيقال لهم : ادخل إلى ظل ذى ثلاث شعب من دخان النار ، فيحسبون انها الجنة ثم يدخلون

النار أفواجاً وذلك نصف النهار .

وفى شواهد التنزيل للحاكم الحسكانى الحنفى باسناده عن إبن عباس فى قوله تعالى : « ان المتقين » قال : يعنى الذين اتقوا الشرك و الذنوب و الكبائر وهم علىّ و الحسن والحسين « فى ظلال » يعنى ظلال الشجر و الخيام من اللؤلؤ «وعيون» يعنى ماء طاهراً يجرى «وفواكه» يعنى ألوان الفواكه«مما يشتهون» يقول : مما يتمنّون « كلوا و اشربوا هنيئاً » لاموت عليكم فى الجنة ولاحساب « بما كنتم تعملون» يعنى تطيعون الله فى الدنيا « انا كذلك نجزى المحسنين» أهل‌بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى الجنة .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : «ان المتقين فى ظلال وعيون» قال: فى ظلال من نور أنور من الشمس .

وفى الكافى : باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن الماضى‌قال: قلت : «ان المتقين» قال : نحن والله وشيعتنا ليس على ملة ابراهيم غيرنا وسائر الناس منها براء .

وفى البرهان: بالاسنادعن أبى حمزة الثمالى قال : سئلت أباجعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل : « و إذا قيل لهم اركعوا لايركعون » قال : هى فى بطن القرآن ، وإذا قيل للنصاب : توالوا علياً لايفعلون .

و فى تفسير القمى : فى قوله‌تعالى:« وإذا قيل لهم اركعوا لايركعون قال : اذا قيل : توالوا (تولواخ) الامام لم يوالوه (لم يولّوه خ) وقوله تعالى : «فبأىّ حديث بعده» أى بعد هذا الذى احدثك به «يؤمنون» .

﴿ بحث فقهي ﴾

وقد استدل بعض الفقهاء بقوله تعالى: «ألم نجعل الارض كفاتاً» المرسلات ٢٥) على وجوب مواراة الميت ودفنه، و دفن شعره وسائر مايزيله عنه، ويدل على ذلك قول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «قصّوا أظافركم وادفنوا قلاماتكم» فالله جل وعلا جعل ظهر الارض للاحياء وبطنها للاموات والكفات: الضمام، فأراد انها تضمهم في الحالين. وقال بعضهم: وهذا يدل على أن شعر الانسان وشيئاً من بدنه لايجوز بيعه ولاالتصرف فيه، لان الله تعالى قد أوجب دفنه، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله الواصلة» وهي التي تصل شعر غيرها بشعرها، فمنع الانتفاع به، وهو معنى مادلّت عليه الاية، و نظيرها قوله جل و علا: «ثم أماته فأقبره» يعني انه جعل له قبراً.

اقول: وقد سبق الكلام منا تفصيلاً في تدفين الميت فراجع.

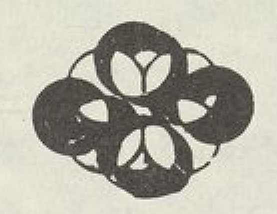
واستدل بعضهم بقوله تعالى: «انها ترمي بشرر كالقصر» المرسلات ٣٢:) على جواز إدّخار الحطب و الفحم وما إليهما وإن لم يكن من القوت، فانه من مصالح المرء ومغاني مفاقره، و ذلك مما يقتضي النظر أن يكتسبه في غير وقت حاجته ليكون أرخص و حالة وجوده أمكن كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدّخر القوت في وقت عموم وجوده من كسبه وماله، و كل شيء محمول عليه. وقد بيّن إبن عباس هذا بقوله: كنا نعمد إلى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع، و فوق ذلك و دونه، وندّخره للشتاء و كنّا نسمّيه القصر.

اقـول : وفى بحث الاحتكار والادخار كلام يناسب المقام فراجع .

وقد استدل بعض المحققين من فقهاء المفسرين بقوله جل و علا : « هذا يوم الفصل جمعنا كم والاولين » المرسلات : ٣٨) على عدم جواز القضاء على الغائب ، فلا يجوز للقاضى أن يحكم بين المتحا كمين ، وأحد هما غائب ، ولا يقضى على أحد ، وهو غير حاضر بمجلس القضاء .

اقـول : وقد سبق منا كلام فى باب القضاء فراجع .

واستدل بعض الفقهاء بقوله تعالى : « و اذا قيل لهم اركعوا لاير كعون » المرسلات : ٤٨) على وجوب الركوع و إنزاله ركناً فى الصلاة ، و قد انعقد الاجماع عليه .



﴿ بحث مذهبى ﴾

يستدل بقوله تعالى : « و إذا الرسل اقتت لأىّ يوم اجّلت ليوم الفصل » المرسلات : ١١-١٣) على ختمية نبينا محمد المصطفى ﷺ وذلك لان الايات الكريمة بصدد بيان ان هذه الامة المسلمة منذبعثة الرسول الكريم ﷺ على مشارف هذا اليوم الموعود ، فكان الرسول ﷺ خاتم الرسول ، و أن لانبى بعده ، وهذا ماأشار إليه النبى الخاتم ﷺ بقوله : «بعثت أنا والساعة كهاتين » وقد أشار ﷺ باصبعيه : السبابة والوسطى .

ويستدل بقوله تعالى فى المكذبين المجرمين : « انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ـ فان كان لكم كيد فكيدون » المرسلات: ٢٩ ـ ٣٩) و فى المتقين المحسنين : « ان المتقين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا و اشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون » المرسلات : ٤١ ـ ٤٣) علـى المعاد الجسمانى رداً على أكثر الفلاسفة و أصحاب الاوهام و المشككين القائلين بالمعاد الروحانى فحسب ، وهم الذين يزعمون ان الجنة المزينة المحلاة بأنواع حليّها و ظلالها وعيونها وفواكهها وطعامهاوشرابها وزنجبيلها وسلسبيلها كناية عندهم عن إدراك المعقولات والوصول إلى الحقائق العقلية ، و ان دركات جهنم و نارها و ظلها و شررها وقيودها وسلاسلها وحميمها و زقومها عبارة عن رذائل الاخلاق و ذمائم الصفات ، وخصوصاً الجهل المركب و العناد و التعصب فى الآراء و المذاهب و المسالك الذى يوجب العذاب الدائم على وجه أشد من إحراق كل نار وتجميد

كل زمهرير ومن أعضل شبههم للمعاد الجسمانى وأعظم إشكالاتهم للجنة والنار هو المكان للحشر وكون الجنة والنار فى جهة من الجهات ...

اقول : ولعمرى انهم غلبت عليهم النشأة الدنياوية ، وطرت عليهم الغفلة والنسيان عن امور القيامة وأهوالها و أحوالها . . . فيئسوا من الاخرة كما يئس الكفارمن أصحاب القبور، فلم يدركوا من الحقائق الاخروية والمواعيدالنبوية مما جاء به الكتب السماوية ورسل الوحى والمرسلون ...

وأما العلماء المحققون ـ وخاصةالمتمسكون بكتاب الله جل وعلاوبأهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين ـ فلايعتريهم ريب فى حقائق النشأةالاخروية على ما أخبرهم به الرسل كما وقع للنبى الكريم ﷺ ليلة المعراج حيث حكى مارأى أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ، وعيّن بعضاً منهم، وهم بعدما ماتوا وماقتلوا : ان فلاناً وفلاناً ... رأيتهم فى الجنة ، وان فلاناً وفلاناً...رأيتهم فى النار ، ورآى الانبياء عليهم السلام ، وقد انقرضت أزمنة حياتهم الدنياوية ...

ومن البديهى ان الامور الجسمانية والصور العادية جعلها الله تعالى كلها مثالات دالات على الامور العينية الاخروية كما انها أيضاً مثالات دالات على الروحانيات العقلية التى هى عالم الجبروت وحضرت الربوبية والاشعة الالهية ، وان العوالم متطابقة وجميعها مظاهر و منازل لاسماء الله جل وعلا باعتبار وعين تلك الاسماء باعتبار آخر .

وان سبب التعذيب بالنار انما يحصل من التلذذ بالحسيات ، فدخول النار هو نتيجة إرتكاب اللذات الدنياوية ، كما ان دخول الجنة هو من نتائج الزهد فى الدنيا ، و الورع من محارم الله جل وعلا : و قد سبق منا الكلام فى المعاد الجسمانى فى هذا التفسير ، فراجع .

الرسالة فى الاسلام

و استمرارها الى يوم الفصل

قال الله تعالى : «وإذا الرسل اقتت لأىّ يوم اجلت ليوم الفصل» المرسلات: ١١-١٣)

و فى المقام كلمات عديدة ، ولكننا نكتفى بذكر قصة تاريخية و جدناها مناسباً للمقام وفيها عظات وعبر ، فلابد للقارى الخبير من التأمل والتفكر فيها :

فى السيرة النبوية لابن هشام: قال إبن إسحق : وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ، فرآى رؤياهالته ، و فظع بها فلم يدع كاهناً ولاساحراً ولاعائفاً ولامنجّماً من أهل مملكته إلاّ جمعه إليه فقال لهم : انى قد رأيت رؤياً هالتنى و فظعت بها ، فأخبرونى بها و بتأويلها ! قالوا لـه : اقصصها علينانخبرك بتأويلها قال :

إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئنّ إلى خبركم عن تأويلها ، فانه لايعرف تأويلها إلاّ من عرفها قبل ان اخبره بها ، فقال له رجل منهم : فان كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشق فانه ليس أحد أعلم منهما ، فهما يخبرانه بما سئل عنه ، فبعث إليهما عليه سطيح قبل شق ، فقال له : انى رأيت رؤياً هـالتنى وفظعت بها فاخبرنى بها ، فانك إن أصبتها اصبت تأويلها قال : افعل .

رأيت حممة - الحممة - بضم الهاء وفتح الميمين - : الفحمة ، و المراد بها النار - خرجت من ظلمة أى من ظلام يعنى من ناحية البحر يريد خروج

عسكر الحبشة من أرض السودان - فوقعت بأرض تهمة - التهمة: الارض المتصوّبة نحو البحر - فأكلت منها كل ذات جمجمة - يريد بذات الجمجمة النفوس و جميع ذوات الارواح - فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئاً ياسطيح فما عندك في تأويلها؟

فقال: أحلف بما بين الحرّتين - الحرّة: أرض فيها حجارة سود - من حنش لتهبطنّ أرضكم الحبش فليملكن مابين أبين: أبين: موضع في جبل عدن - إلى جرش - الجرش: من مخاليف اليمن من جهة مكة وقيل: هي مدينة عظيمة باليمن، و ولاية و اسعة - فقال له الملك: و أبيك ياسطيح ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن؟

أفي زماني هذا أم بعده؟ قال: لا بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين قال: أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟

قال: لابل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ثم يقتلون و يخرجون منها هاربين قال: ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرم بن ذي يزن - و المعروف هو سيف بن ذي يزن - يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحداً منهم باليمن قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟

قال: لابل ينقطع قال: ومن يقطعه؟ قال: نبيّ زكي يأتيه الوحي من قبل العليّ قال: و ممّن هذا النبي؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك ابن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر قال: وهل للدهر من آخر؟

قال: نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون قال: أحق ماتخبرني؟ قال: نعم والشفق والغسق والفلق إذا اتسق إنّ ما ماأنبأتك بهلحق، ثم قدم عليه شقّ فقال له كقوله لسطيح و كتمه ماقال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان؟ فقال: نعم رأيت حممه، خرجت من ظلمه، فوقعت بين روضة واكمه فاكلت منها كل ذات نسمه.

قال : فلما قال له ذلك عرف انهما قد اتفقا ، و ان قولهما واحد إلاّ أن سطيحا قال : « وقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة » و قال شق : «وقعت بين روضة واكمه فاكلت منها كلذات نسمة» فقال له الملك :مااخطأت ياشق منها شيئاً ، فما عندك فى تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحرّتين من إنسان لينزلن أرضكم السودان فليغلبنّ على كل طفلة البنان ـ الطفلة : الناعمة الرخصة ـ وليملكنّ مابين أبين إلى نجران فقال له الملك :

وأبيك ياشق ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن ؟ أفى زمانى أم بعده؟ قال : لابل بعده بزمان ثم يستنقذ كم منهم عظيم ذوشأن و يذيقهم أشدّ الهوان قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : غلام ليس بدنىّ ولامدنى ـ المدنى: المقصر فى الامور أو الذى يتبع خسيسها ـ يخرج عليهم من بيت ذى يزن فلايترك منهم باليمن قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك فى قومه إلى الفصل .

قال : و ما يوم الفصل ؟ قال : يوم يخزى فيه الولاة ويدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الاحياء والاموات ، و يجمع فيه بين الناس للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات قال: أحق ماتقول ؟ قال : أى ورب السماء والارض و ما بينهما من رفع وخفض ان ما أنبأتك بهلحق ما فيه أمض ـ فوقع فى نفس ربيعة بن نصر ماقالا فجهزّ نبيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، و كتب لهم إلى ملك من ملوك فارس ، يقال له : سابور بن خرّزاذ فأسكنهم الحيرة .

وفيه : فى ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن :

قال إبن إسحق : فأقام وهرز والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الابناء الذين باليمن اليوم ، وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين ان دخلها أرياط إلى ان قتلت الفرس مسروق بن أبرهة،واخرجت الحبشة اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة: أرياط،ثم أبرهة ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة.

ثم مات وهرز فأمّر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات المرزبان فأمّر كسرى إبنه التينجان بن المرزبان على اليمن، ثم مات التينجان فأمّر كسرى ابن التينجان على اليمن ثم عزله، و أمّر باذان، فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمداً النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الزهري: كتب كسرى إلى باذان: انه بلغني ان رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم انه نبيّ فسر إليه فاستتبه، فان تاب، وإلاّ فابعث إليّ برأسه، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا فلما أتى باذان الكتاب توقّف لينظر و قال: إن كان نبياً، فسيكون ماقال: فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إبن هشام: قتل على يدي ابنه شيرويه.

فلما بلغ ذلك باذان بعث باسلامه وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله، فقالت الرسل من الفرس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إلى من نحن يا رسول الله؟ قال: أنتم منا وإلينا أهل البيت.

قال الزهري: فمن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سلمان منا أهل البيت.

قال إبن هشام: فهو الذي عنى سطيح بقوله: «نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي» و الذي عنى شق بقوله: «بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق و العدل من أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل»

﴿ يوم الفصل و طوائف المكذبين ﴾

ان الله جل و علا وجّه الخطاب للمكذبين بيوم الفصل للحساب والجزاء أربع عشر مرة فى هذه السورة آيات : ٧ و ٢٠ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٦ و ٤٨) و لنا البيان إجمالاً طوائف المكذبين، و هم كثيرون بحسب تشبثاتهم بما ينكرون به البعث والحساب والجزاء ، و لكنهم يرجعون إلى طائفتين :

الاولى : و هم الذين أنكروا الخالق والبعث والحساب و كذّبوا بالنبوة والوحى وماوراءالمادة ، وبالجنة والنار، وهم الدهريون الماديون الذين قالوا : ان الطبع هوالمحيى والدهر هوالمفنى، و هم الذين أخبر عنهم القرآن الكريم فيقول : « وقالوا ما هى إلاّ حياتنا الدنيا نموت و نحيى و ما يهلكنا إلاّ الدهر» الجاثية:٢٤) إشارة إلى الطبائع المحسوسة فى العالم السفلى وقصراً للحياة والموت على تركبها و تحللها ، فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر .

فاستدل عليهم بضرورات فكرية وآيات فطرية فى هذه السورة وفى غيرها من السور القرآنية منها :

قوله تعالى : « ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ـ ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء و أمواتاً و جعلنا فيها رواسى شامخات و أسقيناكم ماء فراتاً » المرسلات : ٢٠ ـ ٢٧) .

و قوله : « أولم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيّؤا ظلاله عن اليمين والشمائل » النحل : ٤٨) .

و قوله : « و من آياته ان خلقكم من تراب ـ و من آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ـ ومن آيات خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم و ألوانكم ـ و من آياته منامكم بالليل والنهار ـ ومن آياته يريكم البرق خوفاً و طمعاً ـ و من آياته أن تقوم السماء والارض بأمره و من آياته أن يرسل الرياح مبشرات » الروم : ٢٠ ـ ٤٦) .

و غيرها من الايات الكريمة . . . فأثبت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق و انه قادر على الكمال إبتداء و إعادة .

والطائفة الثانية : و هم المشركون الذين اعترفوا بالخالق ، وجعلوا له أنداداً ، و أقرّوا ابتداء الخلق والابداع ، و أنكروا البعث و كذّبوا بيوم الفصل للحساب والجزاء و هم الذين اخبر عنهم القرآن الكريم فى قوله تعالى حكاية عنهم : « و قالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا و ما نحن بمبعوثين » الانعام : ٢٩) .

وقوله تعالى: « أإذا متنا و كنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون » الصافات:١٦):

و قوله : « قال من يحيى العظام و هى رميم » يس : ٧٨) .

واستدل عليهم بالنشأة الاولى إذ اعترفوا بالخلق الاول، فقال الله جل وعلا: « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » يس : ٧٩) .

و قال : « أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد » ق: ١٥).

و قال : « ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون » المرسلات : ٢٠ ـ ٢٣) .

وقال : « أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شىء قدير » الاحقاف : ٣٣) .

و لكل من الطائفتين وليدات من الملل والنحل يقلدونهم فى ذلك بخرص وظن وتخمين بغير علم و أىّ برهان قال الله تعالى فيهم : « ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ـ وإذا قيل ان وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندرى

ما الساعة إن نظن إلا ظناً و ما نحن بمستيقنين » الجاثية : ٢٤ ـ ٣٢) .

و هم الذين استبقوا الشيطان إلى هذا الكفر والانكار ، و إلى هذا الجحد والتكذيب، و صدق عليهم مثل إشتداد حرارة الظرف على المظروف، إذ اعترف الشيطان بوجود الخالق ووقوع البعث والحساب والجزاء إذ قال الله تعالى حكاية عنه: « قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون » الحجر : ٣٦) .

و أما أتباع الشيطان ومردته فأنكر طائفة منهم وجود الواجب ، و كذب الاخرون منهم بيوم الفصل و جزائه من الجنة والنار .

و لهذا الانكار والتكذيب عوامل أهمها أمران :

أحدهما ـ حب الدنيا و متاعها والغفلة عن الآخرة .

ثانيهما ـ حب الشهوات و شهوة المقام والجاه والغفلة عن تبعاتها . . .

قال الله تعالى : « ويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً اولئك في ضلال بعيد » ابراهيم : ٢ ـ ٣) .

و قال : « ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة و ان الله لايهدى القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم و سمعهم و أبصارهم و اولئك هم الغافلون » النحل : ١٠٧ ـ ١٠٨) .

و قال مخاطباً لهم : « كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة » القيامة : ٢٠ ـ ٢١) .

وقال: «ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً» الانسان:٢٧).

و قال : « وتحبون المال حباً جماً كلا إذا دكت الارض دكاً دكاً وجاء ربك والملك صفاً صفاً وجيىء يومئذ بجهنم يتذكر الانسان وأنى له الذكرى » الفجر : ٢٠ ـ ٢٣) .

و قال : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة

من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث » آل عمران : ١٤) .

و قال : « و غرتكم الحياة الدنيا » الجاثية : ٣٥) .

و هم الذين إنهمكوا في حب الدنيا و زخارفها ، وفي الشهوات والمعاصي ، و أهملوا أفكارهم و جهلوا أقدارهم و شغلهم عن التفكر في مبدئهم و منتهاهم ، وفي منشائهم و مآل أمرهم ، و شغفهم بمازين لهم من متاع الدنيا وشهواتها . . . وهم لايرون إلاّ المادة المحسوسة ، وهمهم البطن والفرج ، والاشتهار والشهوة ، والجاه والمقام و هم عن حقيقة أنفسهم غافلون فضلاً عما ورائها . . .

قال الله تعالى فيهم: « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم » سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ١٢) .

و قال : « و لقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون » الاعراف : ١٧٩) .

و أما من كان سوياً ولم يمش مكباً على وجهه وتأمل في الآفاق والانفس و تفكّر في أجزاء العالم علم أن أفضلها ذوات الارواح ، و أن أفضل ذوات الارواح ذو والارادة والاختيار في هذا العالم ، و ان أفضل ذوى الارادة والاختيار الناظر في العواقب و هو الانسان المستعد للسعادة والشقاء ، للضلالة والهدى ، للغواية والتقى ، و للخسران والفلاح . . .

فيعلم ان النظر في العواقب والتفكر في العالم والتدبر في الافاق والانفس من خواص الانسان ، و ان الله تعالى لم يجعل هذه الخاصية في هذا الانسان إلاّ لامر جعله له في العقبى ، و إلاّ لكان وجود هذه القوة فيه باطلاً ، فلو لم يكن للانسان عاقبة ينتهي إليها غير هذه الحياة الخسيسة ، وهذه الدنيا الفانية المملوءة نصباً و هماً و حزناً ، ولايكون بعده حال مغبوطة لكان أخس البهائم أحسن حالاً من الانسان .

فيقتضى أن تكون هذه الحكم الالهية والبدائع الربانية التى أظهرها الله تعالى فى الانسان كما نبّه الله جل و علا عليه بقوله : « أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً و انكم إلينا لا ترجعون » المؤمنون : ١١٥) .

فان أحكام بنية الانسان مع كثرة بدائعها و عجائبها ثم نقضها وهدمها من غير معنى سوى ما تشاركه فيه البهائم من الاكل والشرب والسفاد مع ما يشوبه من التعب الذى قد أغنى عنه الحيوانات سفه « كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً » النحل : ٩٢) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

و ما أظهر عند من ألقى عن مناكبه دثار العماية صدق أمير المؤمنين على عليه السلام فى قوله : « الدنيا دار ممرٍّ لا دار مقرٍّ فاعبروها و لا تعمروها و قد خلقتم للأبد و لكنكم تنقلون من دار إلى دار حتى يستقر بكم القرار » و كثير من الجهال والسفلة اغترّوا بقوم يصفونهم بوفور العقل فى امور الدنيا وشهواتها حيث أنكروا أمر الاخرة و حسابها و جزائها ، فيقولون : لو كان ذلك حقاً لما أنكره أمثالهم مع وفور عقولهم و ذكائهم و كثرة فهمهم و زيادة دركهم . . .

غافلين عن أن ما فيهم ليس بعقل ، و انما هو شيطنة كما ورد فى ذلك روايات كثيرة : ان ما كان فى معاوية ابن أبىسفيان عليهما الهاوية و من سلك مسلكه ليس عقلاً و « انما العقل ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان » لا ما عبد به الشيطان و اكتسب به النيران .

﴿ انكار المعاد الجسمانی و اثباته ﴾

و قد علمت سابقاً : ان المكذبين بيوم الفصل قدذهبوا إلى إستحالة حشر النفوس والاجساد،وإمتناع أن يتحقق منهما المعاد،وهم الماديون والمشركون الذين هم كالانعام بل هم أضل سبيلاً ، فلااعتداد بهم فى العقل والحكمة زعماًمنهم ان الانسان ليس إلاّ هذاالهيكل المحسوس،حامل الكيفية المزاجية، ومايتبعهامن القوى والاعراض ، وان جميعها يفنى بالموت وينعدم بزوال الحياة ، ولايبقى إلاّ المواد العنصرى المتفرقة ، فالانسان كسائر الحيوان إذامات فات ، وسعادته و شقائه تنحصر فيماله بحسب اللذات والآلام الحسية المادية الدنيا وية،وان المعدوم لايعاد ، فاذا انعدم الانسان بهيكله لم يمكن إعادته ، فامتنع الحشر ، فلا بعث ولاحساب ولاجزاء

وههنا طائفة آخرون أنكروا المعاد الجسمانى،واعترفوا بالمعاد الروحانى فحسب ،وهم أكثر الفلاسفة و أصحاب الاوهام الواهية وأهل الشك و الريبة فى الحقائق الكونية والآفاقية و الانفسية ، وانهم وإن لم يكونوا منكرين بالبعث و الجزاء إطلاقاً ، و لكنهم غير خارجين من زمرة المنكرين إذ آمنوا ببعض و كفروا ببعض . . . وقالوا : ان البدن ينعدم بصورته وأعراضه ، فلايعاد والنفس جوهر باق لاسبيل إليه الفناء فيعود إلى عالم المجردات لقطع التعلقات بالموت الطبيعى. ولهذا الجحد والانكار عوامل أهمها الاشتغال بألفاظ بارقة واصطلاحات مصطنعة فلسفية يونانية والاعتلاق بها، والاشتغال بقاعدتى الدور والتسلسل والقيل والقال

فی اصلی الوجود و الماهیة لاأصل لهما، والغفلة عن مبدأ الوحی و مهبطه ، وعن المعارف الالهیة والحقائق التکوینیة والتدوینیة . . .

نعم إذاثبت وجود الواجب بقاعدتی الدور و التسلسل و بالتقول فی أصلی الوجود والماهیة المتقولة الیونانیةمن عبدة الاوهام والاذهان السقیمةلابالتفکر فی الافاق و الانفس فهذا الواجب لایقدر علی إعادة المعدوم ، ولا یکون قادراً علی أن یجعل للحشر مکاناً و للحساب موقفاً ، و للجنة والنار محلاً علی ما هم یزعمون .

وأما المثبتون فمنعوا بفناء هیکل الانسان ، و قالوا : ان الانسان أجزاء باقیة متجزیة أوغیر متجزیة،وقالوا : انالمعاد جسمانی وروحانی معاً،وانالنفس مجردة تعود إلی البدن ، و لکنهم اختلفوا فی المعاد من جانب البدن أهو هذا البدن بعینه أوبمثله، و کل من العینیة والمثلیة أهی یکون باعتبار کلواحدمن الاعضاء والاشکال والهیئات والخطوط .. . أم لا ؟

فذهب منهم إلیأن بدن المعاد غیرالبدن الاول بحسب التشخص. فانقیل : فعلی هذا یکون المثاب و المعاقب باللذات و الآلام الجسمانیة غیر من عمل الطاعة وارتکب المعصیة ؟قالوا : ان العبرة فیذلك بالادراك ، وانما هوللروح ولو بواسطة الآلات الاخری وهوباق بعینه ، ولهذا یقال للشخص من الصبا إلی الشیخوخة ، انههو بعینه، وإن تبدلت الصور والهیئات . . . بل کثیر منالاعضاءو الآلات ، ولایقال لمن جنی فیالشباب فعوقب فی المشیب: انه عقاب لغیرالجانی.

وأما المحققون منهم ـ وخاصة المتمسکون بکتاب اللهجل وعلاو بأهلبیت الوحی صلوات الله علیهم أجمعین ـ فذهبوا إلی أن المعاد هوبعینه بدن الانسان المشخص الذی مات بأجزائه بعینها لامثله بحیث لو رآه أحد یقول : انه بعینه فلان الذی کان فی الحیاة الدنیا ، وقالوا : منأنکر هذا فقدأنکر الشریعة، ومن أنکر الشریعة فهوکافر عقلاً وشرعاً،ومن أقرّ بعود مثلالبدن الاوّل باجزاءآخر

فقد أنكر المعاد حقيقة،ولزمه إنكار شيء كثير من النصوص القرآنية والروايات الصحيحة الواردة في باب المعاد .

ومنهم من قال: ان الشخص إنما يتشخص ويتخصص بخصوصية أجزائه مادة وصورة روحاً وبدناً ، وليس خصوص التأليف و تشخصه معتبراً في الشخص ، بل المعتبر أشخاص الاجزاء بتأليف نوعي لاشخصي باقياً بعينه،ثم إذا بطل التأليف وانحل التركيب المعتبر لم يبق الشخص الاول لالزوال الاجزاء فانها باقية بأشخاصها وأعيانها بل لزوال النظم والتأليف المعتبر بينها نوعاً، ثم إذا حصل مرة اخرى من نوع التأليف المعتبر بين الاجزاء الباقية بعينها عاد الشخص الاول، وكان هو الاول .

ومنهم من قال: ان شيئية البدن بصورته لان شيئية الشيء بصورته لا بمادته، وان السرير سرير بهيئته لا بخشبته،وان الموجود موجود بوجوده لا بماهيته، فصورة العالم إذا فرضت مجردة عن الهيولى محفوظة الصورة الجسمية والصور النوعيات والصور الشخصيات بحالها كما في الاخرة كانت عالماً بالحقيقة إذا لم يحذف عنه إلا ماهو من لوازم الهيولى التي هي من لوازم دنيويتها، ولوازم الهيولى المحذوفة مثل قبول التركيب والازدواج والكون والفساد .

وقد ثبت أيضاً : ان وجود الشيء تشخصه ، فالبدن الصوري الاخروي بعينه هو البدن الدنيوي لان وجودهما الذي هو أصل محفوظ فيهما واحد، والعوارض المشخصة قد علمت انها أمارة التشخص الحقيقي، فلابأس ببقاء الشخص بعينه مع زوالها رأساً كما في النفس الانسانية بحسب تجردها وإستقلالها بعد إختلاطها و ضعفها بل بعد كونها كالطبع في أول الامر .

اقول : ان المعاد هو مجموع النفس بعينها وشخصها،والبدن بعينه وشخصه دون بدن عنصري آخر، وان المعاد أصل من الاصول الاعتقادية الاسلامية التي

لايجوز التقليد فيها من أحد ومنكره كافر بلاريب وعليه جمهور الفقهاء المحققين من الشيعة الامامية الاثنى عشرية قديماً و حديثاً ، خلافاً لبعض السفلة الجهلة من المتفقهين- فى أيامنا هذا - إذ قال : «ومن المحتمل أن يكون المعاد أصلاً من اصول الدين الاسلامى » فان كان هو مريباً فيه فهو من زمرة الكافرين من غير ريب



﴿يوم الفصل و أدلة المثبتين﴾

إعلم أن إثبات يوم الفصل من أهم أغراض الحكمة الاسلامية، وللمحققين من العلماء و خاصة علماء الشيعة الامامية الاثنى عشرية فى إثباته طرق، عديدة أهمها - بعد الكتاب الكريم و ماورد عن أهل‌بيت الوحى عليهم السلام : طريق الحسن و القبح العقليين ، و لهم على وجوب يوم الفصل من هذا الطريق حجج عقلية :

احدها - ان الله جل‌وعلا خلق الانسان ، و أعطاهم عقولاً و قدراً ، فيجب فى حكمته ان يرغبهم فى الخيرات و صالح الاعمال ، و يزجرهم عن السيئات والمفاسد . . . و هذا الترغيب والزجر لا يمكن إلاّ بربط الثـواب على العقل ، والعقاب المرهب غير حاصل في الحياة الدنيا ، فلابد من دار اخرى و هى دار الاخرة ليحصل فيها ذلك و إلاّ لزم أن يكون الله سبحانه كاذباً فى‌قوله جل‌وعلا: « انما توعدون لواقع- هذا يوم الفصل جمعنا كم والاولين » المرسلات:٧-٣٨)

و فى قولـه تعالى : « اليـوم تجـزى كل نفس بما كسبت » غافر : ١٧) و غيرها من الايات الكريمة . . .

ان تسئل : لم لا يكفى فى الترغيب والترهيب ما أودع الله جل وعلا فى العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات ، فلا يحتاج إلى الوعد والوعيد؟ و لئن سلّم فلم لايجوز أن يكون الغرض من الترغيب والردع نظام العالم لانه يفعل ذلك ، ولايلزم منه الكذب على‌الله سبحانه ؟ ألستم تخصصون أكثر عمومات القرآن الكريم ، ثم تزعمون انه لا كذب؟ سلمنا انه يفعل لكن لم لايجوز أن

يكون الثواب والعقاب هو ما يصل إلى الانسان فى الحياة الدنيا من الراحات والآلام ؟

تجيب : ان العقل و إن كان يدعو إلى فعل الخير وترك الشر، إلى الايمان وترك الكفر، إلى الفلاح و ترك الغي، و إلى الصلاح و صالح الاعمال و ترك الفساد وسوء الاعمال . . . إلا ان الهوى والنفس تدعوان الانسان إلى الانهماك فى الشهوات الجسمانية ، واللذائذ الزائلة الواهية . . . و إذا حصل هذا التعارض ، فلابد من مرجح وماذاك إلا ترتيب الوعد والوعيد على العقائد والاعمال: صالحها وفاسدها...

و تجويز الخلف فى ذلك مناف للغرض ، و أخذ الاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد مادام فى الحياة الدنيا فهو فى العمل . وقد نرى أزهد الناس و أعلمهم و أتقاهم مبتلى بالآفات والبليات و نرى أفسق الناس و أجهلهم و أفجرهم فى تمام اللذات و أتم المسرات . . .

ثانيها - ان صريح العقل يوجب فى حكمة الحكيم أن يفرق بين المؤمن والكافر، بين المخلص والمنافق، بين المحسن والمسيء و بين المصلح والمفسد ، و يفصل بين المحق والمبطل ، بين الظالم والمظلوم ، بين البار والفاجر ، بين الصادق والكاذب ، بين المطيع والعاصى بين المهتدى والضلال ، و بين أصحاب الجنة والنار . . . و أن لا يجعل من كفر به و عصاه كمن آمن به و أطاعه . . .

وهو يقول : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » السجدة : ١٨).

و يقول : « لا يستوى أصحاب النار و أصحاب الجنة » الحشر : ٢٠) .

و يقول : « ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء و من رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون و ضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء و هو كل على مولاه أينما يوجهه لايأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » النحل : ٧٥ - ٧٦) .

ويقول : « قل لايستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولى الالباب لعلكم تفلحون » المائدة : ١٠٠) .

ويقول : « قل هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون » الانعام: ٥٠).

ويقول : « أم نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار » ص : ٢٨) .

و يقول : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب » الزمر : ٩) .

و يقول : « و لا تستوى الحسنة و لا السيئة » فصلت : ٣٤) .

وليست هذه التفرقة والفصل بين المحقين والكافرين وبين المخلصين والمرائين فى الحياة الدنيا ، فلابد من دار اخرى يفصل بينهما و يظهر فيها التفاوت .

ثالثها - ان الله جل و علا كلّف عباده بالعبادة والطاعة و صالح الاعمال من حين التكليف إلى وقت الموت ، و ان الحكيم العادل الخبير العالم إذا أمر عبده بشيء ، فلابد أن يجعله فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه الاشتغال بأداء تكليفه، والناس جبلوا على طلب اللذات والتبادر إلى تحصيل أسباب الراحات، فلولم يكن زاجر من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن وحينئذ لايتفرغ المكلف لأداء ما امر به .

ان تسئل : لم لا يكفى فى نظام العالم مهابة الملوك و سياستهم ؟

تجيب : إن لم يكن السلطان قادراً قاهراً على الرعية ، فلافائدة فيه ، وإن كان قاهراً غالباً ، و لا خوف له من يوم الفصل بين الظالم والمظلوم ، فحينئذ يقدم السلطان على أنواع الظلم والايذاء لان الداعية النفسانية قائمة ، ولاوازع له فى الحياة الدنيا ولا فى الاخرة ، مع انهم يظلمون ويقتلون بغيرحق ويسلبون مع انهم يعلمون بيوم الفصل وإن كان حب الدنيا والجاه والشهوات تحثهم على ذلك ، فكيف إذا علموا بعدمه .

رابعها- ان الله تعالى خلق هذا العالم، وخلق فيه الناس، و ان الحكيم الخبير العليم لايخلق عبثاً: «أفحسبتم انماخلقناكم عبثاًو انكم إلينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لاإله إلاّ هو رب العرش الكريم» المؤمنون: ١١٥-١١٦).

وقال: «وماخلقنا السماء والارض ومابينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار» ص: ٢٧).

فوجب أن يقال: ان الله جل وعلا خلق الانسان لخير و مصلحة وغرض، و ليس ذلك فى الحياة الدنيا لان لذات هذا العالم جسمانية لا حقيقة لها إلاّ إزالة الألم و إزالة الألم أمر عدمى، و كان هذا حاصلاً قبل الوجود، فلا يبقى للتخليق فائدة، مع أن لذات الدنيا مشوبة بالآلام، بل اللذة فى الحياة الدنيا كالقطرة من البحر: «قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير و أبقى» النساء: ٧٧) و «فما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة إلاّ قليل» التوبة: ٣٨).

فيحكم العقل السليم ان للراحة لا ألم فيها، واللذة لامنقصة لها، وللسرور لا حزن لها داراً اخرى.

خامسها- انه لولم يحصل للانسان يوم الفصل: يفصل فيه بين تابعي العقل و أتباع الشهوات النفسية اللذين يدعو أحدهما الانسان إلى الهدى والعبودية، والاخر إلى الضلال و طلاقة العنان لكان الانسان أخس من جميع الحيوانات لانها تشاركه في اللذات الحسيّة، فان الروث فى مذاق الجعل كاللوز فى فم الانسان، والانسان يزيد عليها بعقل هو سبب تألمه و تأذيه في أغلب الاحوال...

يتفكر فى الاحوال الماضية والله جل و علا يقول: «ألم نهلك الاولين» المرسلات: ١٦) فيتأسف منها المتأسفون، و يتأمل فى الاحوال الآتية و هو يقول: «ثم نتبعهم الآخرين» المرسلات: ١٧) فيخاف منها الخائفون.

فلو لم يكن للانسان يوم الفصل يكمل فيه حاله، و يظهر فيه سعادته، و يتميز فيه ممن اتبع نفسه الامارة بالسوء لكان عقله سبباً لشقائه وحرمانه وخسته

دون سعادته و كماله و تنعّمه و شرفه و مزيته و كرامته...

سادسها- ان ايصال النعم إما أن يكون مشوباً بالآفات أو خالصاً عنها، فلما أنعم الله جل وعلا علينا فى الحياة الدنيا بالمرتبة الاولى إقتضى العقل السليم، أن ينعم علينا بالنعمة غير مشوبة بالآفات، وليس هذا إلا فى دار الاخرة، فهناك ينعم على المطيعين و يعفو عن الذين لم يخرجوا بالذنوب فى الدنيا من دائرة الاسلام، فلا غمّ و لا همّ و لا آفة و لا مخافة يومئذ.

قال الله تعالى: «ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون» الاعراف:٤٩).

و قال: «لا يحزنهم الفزع الأكبر و تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون» الانبياء: ١٠٣).

و قال: «لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلّا قيلاً سلاماً سلاماً» الواقعة: ٢٥ - ٢٦).

ومما يقوى هذا الكلام ان الانسان دائماً فى الترقى من حين كونه جنيناً فى بطن امه إلى أن يخلص من ذلك السجن، ويخرج إلى فضاء الدنيا، وإلى أن ينتقل من تناول اللبن والشد الوثيق فى المهد إلى تناول الاطعمة اللذيذة والمشى والعدو إلى أن يصير أميراً نافذ الحكم على الخلق أو عالماً مشرفاً على حقائق الاشياء فمن الضرورة بحكم هذا الاستقراء أن يكون حاله بعد الموت أشرف وأبهى من اللذات العاجلة المشوبة بالآلام والمنقصات...

سابعها- ان أحوال الانسان من صباه إلى هرمه تضاهى حال الارض من الربيع إلى الشتاء ثم انا نرى الارض فى الربيع الثانى تعود إلى تلك الحياة، فلم لا يعقل مثل ذلك فى الانسان؟.

قال الله جل و علا: «ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة - و هو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم» الحج: ٦٣ - ٦٦).

ثامنها- ان الانسان إنما يتولد من نطفة تولدت من الاغذية الكائنة من

الاجزاء العنصرية المتفرقة فى مشارق الارض و مغاربها ، فاذا مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع أن تجتمع مرة اخرى على مثال الاجتماع الاول ، و قال حكايه عن شبهة المنكرين و دفعها عنهم : « و قالوا ءإذا كنا عظاماً و رفاتاً ءإنا لمبعوثون خلقا جديداً ـ قل الذى فطر كم أول مرّة » الاسراء : ٤٩ ـ ٥١) .

تاسعها ـ ان النظر فى تغيّرات العالم أدّى إلى إثبات صانع حكيم قادر قاهر ، والعقل يحكم بان هذا الحكيم لا يليق به أن يترك عباده سدى و هملاً يكذّبون عليه ، ويجورون ، فلابد من أن يكون له أمر و نهى و وعد و وعيد ، و إنذار و بشارة من غير تجويز خلف فيها كما مرّ ، ولا يتحقق جميع ذلك إلاّ فى دار الجزاء .

قال الله تعالى : « أيحسب الانسان أن يترك سدى » القيامة : ٣٦) .

فان الله جل وعلا عالم قادر مختار حكيم يعلم بجميع المعلومات: الكليات والجزئيات فلا يعجزه تميز أجزاء بدن زيد، و إن اختلطت باجزاء التراب والبخار عن أجزاء بدن عمرو و إذا ثبت هذا الامكان ، وقد دلّ الدليل على صدق الانبياء عليهم السلام ، و على أن القرآن الكريم كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن .

و ان القرآن الكريم مشحون بآيات البعث والحساب والجزاء ، فوجب علينا القطع بالمعاد الجسمانى والروحانى معاً .

قال الله تعالى: « انما توعدون لواقع ـ ويل يومئذ للمكذبين » المرسلات: ٧ ـ ٤٥) فتأمل جيداً .

﴿النظام العدل ويوم الفصل﴾

قال الله تعالى : « ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين إلى قدر معلوم ـ ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء وأمواتاً وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتاً » المرسلات : ٢٠ـ٢٧) .

إنا إذا نظرنا بعين البصيرة فيما أودع الله تعالى فى هذا العالم من الحكم والعدل والقوانين السارية فى العلويات والسفليات والانسان والحيوانات ولغاتها وإدراكاتها وعقولها وما فيها من القوى ، نحكم بالبداهة على أنها جارية على نواميس حقة وحساب منتظم دقيق لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. ان هذه الكواكب والشمس والقمر سابحة فى مداراتها على قوانين لا تقبل التغيير والتبديل .

ثم نلفت النظر إلى السفليات نجدها حذت حذو العلويات فى النسق و الترتيب والنظام ، فأى حيوان تعدى طوره ؟ وأى نبات تجاوز سنته ؟ ثم نتفكر بنور الله تعالى فى العقول البشرية نجدها مفطورة على حب العدل و النظام و حذت حذو ذلك النظام الاعلى، فلا ترى إنساناً على وجه الارض إلا وهو يستحسن العدل ، ويستقبح الجور على طبعه السليم وهو يقول : لابد وأن يجازى المحسن باحسانه والمسيء باسائته، وأن يأخذ الحق من الظالم على المظلوم ، وأن يفصل بين المحق والمبطل ، وأن يميز الحق من الباطل ...

ثم ننظر سيد العائلة وراع الرعية ، فانه يعاقب على ذنوب اسرته، ويسئل عن رعيته ، ويجازى كلاً بما فعل ، بل أى انسان ولو من أضعف الناس عقلاً و

أقلهم إدراكاً، رآى رجلاً يضرب آخر، فانه لايتمالك نفسه أن يأخذ بناصر الضعيف.

ثم انظر إلى الحيوانات و تفكر فيها فانه مركوز فى جبلتها العدل أيضاً لما شهد كثيراً فيها انها تعاقب بالقتل على التهمة بـالزنا، و غير ذلك مما هو مشاهد، فثبت ان هذه الفطرة منبثة فى كل حىّ على وجه البسيطة، بل هى من الموازين التى قامت بها السموات والارض واستقر بها كل موجود، ومن المعلوم لكل من اطلع على الفقه والاصول والتفسير والحكمة والهيئة والفلك والنبات و الحيوان والانسان والمنطق والاحكام والأدب وما إليها من العلوم...

ان هذه العلوم كلها قوانين تدلنا على سريان النظام فى كل شىء من الموجودات، و على نهجها وضعت قوانين للمجرمين فى هذا العالم تجرى على يد الانسان ولكنها مهما بالغ العقلاء فيها لاتحكم إلاّ على الظواهر ولا يمكن وصولها إلى الحقائق بوجه مافهى أشبه شىء بالجمال الظاهرى، فانه يدل غالباً على الجمال الباطنى، و كذلك الاحكام بالقوانين الشرعية أو الوضعية تابعة لاقوال الشهود والقرائن و دلالتها ظاهرية فحسب.

ولكن كل شىء فى العالم يسير على نهج الحق والصدق والميزان العدل فلابد أن يكون لباطن هذه القضايا حاكم يحكم فيها فى وقت معين آخر حتى يكون ميزانها على حسب الموازين الاخرى الصادقة من العلويات والسفليات... مع أنه قدتقرّر انه لا يضيع شىء سدى فى هذا العالم كما هو مقرر فى العلوم الطبيعية، فلاتضيع حركة ولاخطورة قلب ولاحرارة ولا كهربائية ولاخائنة عين قطّ فكيف الاعمال...

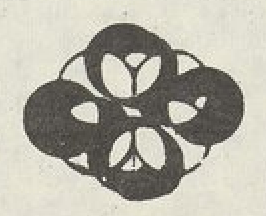
ألاترى ان زارع الورد لايجنى الشوك، وزارع النخل لا يجنى الذرة، و على هذا القياس ترى النفوس البشرية تتأثر بأقوالها التى تصدر منها حسناً و قبيحاً، فمن أكثر من ذكر شىء أحبه بل خاطر الانسان يؤثر على أخلاقه شرفاً

وضعة ، وإذا علمنا ان هذه القاعدة مطردة فى المحسوسات والمعقولات ، و جميع الموجودات نجزم باليقين انه لابد من يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين، فيقوم بينهم بالقسط ، ولما ثبت ان العالم : علويه و سفليه قائم بالعدل ، و بقيت أفعال الانسان لم تؤذن إلاّ وزناً ظاهرياً .

فلابد من وزن آخر ليكون فصلاً حقاً بميزان عدل لايخسّ شعيره، و كيف ينتقم رئيس الاسرة وسيّد العشيرة من المسيىء ، ويحسن إلى المحسن ، ولايفعل ذلك رب الارباب وهو يقول: «أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار» ص : ٢٨)

و قال : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون » القلم : ٣٥ _ ٣٦)

وقال: «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم و مماتهم ساء مايحكمون » الجاثية : ٢١) و غيرها من الايات القرآنية ...



﴿ الفطرة ويوم الفصل ﴾

ومما لامراء فيه اننا نرى بنى آدم إطلاقاً على أىّ عقيدة كانوا على امور تدل هى بنفسها على البعث ويوم الفصل والحساب و الجزاء ، وعلى الحياة بعد الموت سواء اعترفوا بذلك أو انكروا ؟ وصدّقوها أم كذّبوا بها ؟ وهى :

منها : انهم يحبوّن تخليد أسمائهم إما نقشاً على الاحجار و تصويراً على الجدار أو فى الكتب المؤلفة أوعلى ألسنة الناس ، و ينفقون فى ذلك أموالهم ، ويتعبون أنفسهم فى حياتهم .

و منها : انهم يحبّون الخلود فى الدنيا، ويتمنّون طول أعمارهم، ولانرى أحداً يحب الفناء حتى أفقر الناس وأشدهم مرضاً ، بل انما يحبّون تفدية جميع ما جمعوه طول حياتهم ، و يصيرون عبيداً لغيرهم ليبقوا سنة واحدة اخرى بل شهراً أواسبوعاً .

و منها : انهم يحبون إنفاق أموالهم بعد موتهم ، حتى يذهب بها بعض أصحاب المذاهب السخيفة وأهلها معهم فى قبورهم ، ويوصون ورّاثهم على الانفاق حاسّين بالفطرة على أنهم مفتقرون بها بعد موتهم .

و منها : اننا نرى جميع من على وجه الارض قاطبة يزورون موتاهم و يتصدّقون على أرواحهم ، ويستغفرون لهم من ربهم ، و يطلبون لهم من أوّليائه تعالى الشفاعة حقاً أو باطلاً حتى المنكرون الذين ينكرون الخالق و البعث و الجنة والنار .

وتلك الفطر المنغرسة فى نفوس البشر تدلّنا دلالة واضحة على أنّ لنا بقاء بعد موتنا وحساباً بما فعلناه فى حياتنا الدنيا .

إذ جميع فطرنا التى فطرنا عليها صادقة، وإن تنحرف عنها لعروض الاوهام عليها بعض المواقع ، ولكن ليس فيها كذب ، و عموم هذه الفطرة فى جميع الانسان دليل على الحياة بعد الموت والحساب بعد العمل والجزاء يوم الفصل ، ويستتبع تلك الفطر شعور و هو أعلى ، وأوضح دلالة منها ، وهو اننا لانقنع نحن فى هذه الحياة الدنيا بأمرين مهما نلنا إليهما :

أحدهما ـ المال .

ثانيهما ـ العلم .

كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « منهومان لايشبعان طالب علم وطالب مال » .

و كل نفس من النفوس البشرية تستشعر فى نفسها حب لذة أعلى من جميع اللذات فى العالم المشاهد لها بدليل انها لاتقف عند حدّ محدود ، بل كلما ارتفعت زهدت فيما و صلت إليه ، واحبت أعلى منه ، و ما سمعنا بعد بأن أحداً قال غير هذه العبارة : « هل من مزيد » .

فهذا الاستشعار العام للنفوس البشرية كلها بأن لها لذة أعلى من هذه التى نالت بها ، فلابد وأن تكون لذة فى عالم آخر الذى يطابق وصفه ما احبته النفوس وحنت إليه .

﴿المتقون ويوم الفصل﴾

قال الله جل وعلا : « ان المتقين فى ظلال و عيون و فواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون انا كذلك نجزى المحسنين» المرسلات : ٤١ ـ ٤٤)

مقابلاً لما جاء به فى هذه السورة من عذاب المكذبين ووعيدهم وتهديدهم وتخويفهم والتوبيخ عليهم ، ولايسع المقام بذكر ماللمتقين يوم القيامة، ولكنا لانتركه تماماً :

فى قرب الاسناد : باسناده عن سيد الشهداء الامام الحسين بن على عن أبيه عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أكثر ماتلج به امتى فى النار الاجوفان: البطن والفرج وأكثر ماتلج به امتى فى الجنة: تقوى الله وحسن الخلق» :

وفيه : بهذا الاسناد أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أحب أن يعلم ماله عندالله فليعلم مالله تعالى عنده .

و فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الامام امير ـ المؤمنين على عليه السلام قال : سادة الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الاخرة الاتقياء .

وفى البرهان: ـ فى حديث ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وقد اجتمع مايتواصى به المتواصون من الاولين والآخرين فى خصلة واحدة وهى التقوى قال الله عزوجل: « ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله» النساء:١٣١) وفيه جماع كل عبادة صالحة و به وصل من وصل إلى الدرجات العلى و

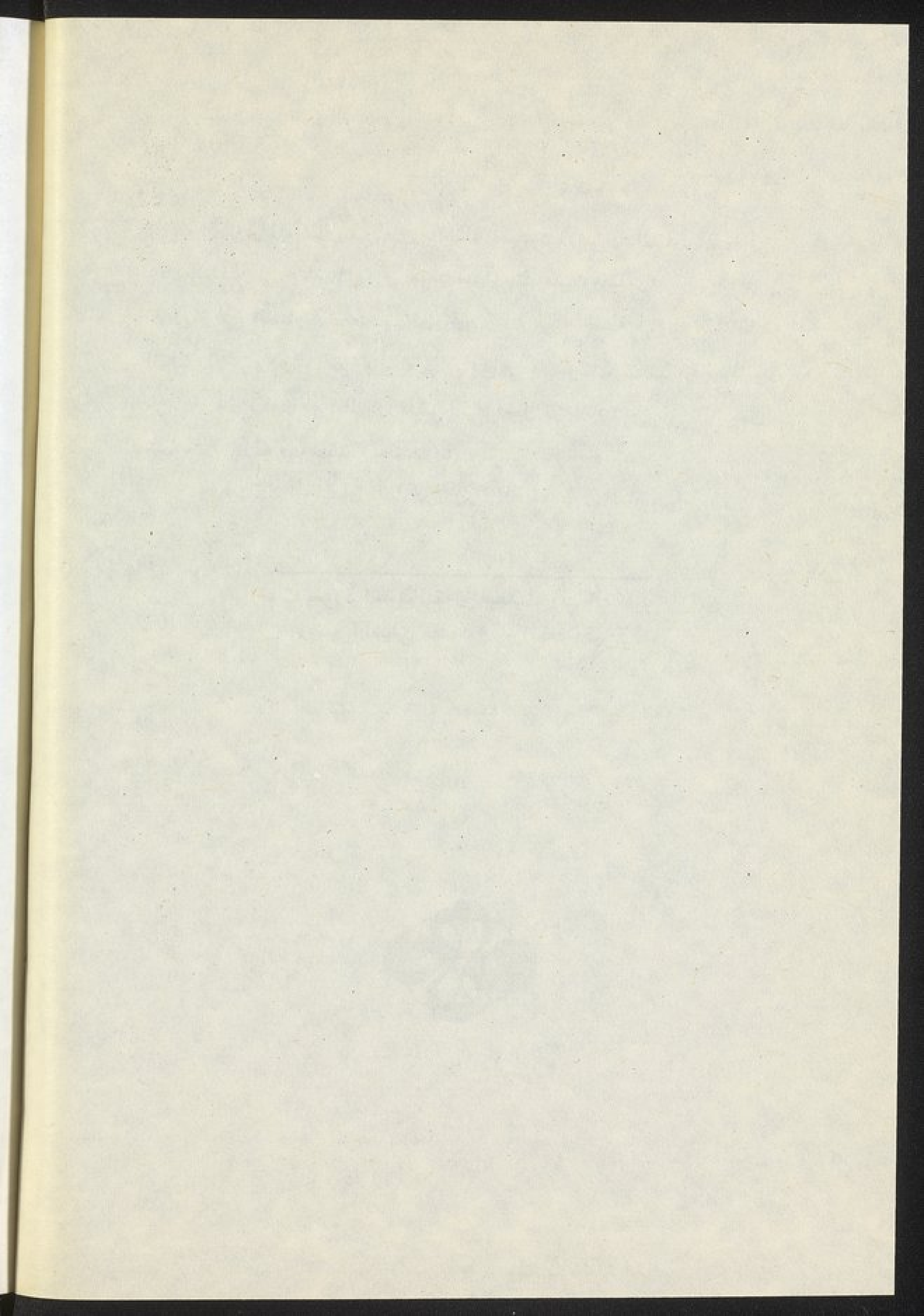
الرتبة القصوى و به عاش من عاش بالحياة الطيبة و الانس الدائم قال الله تعالى : « ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

وفى البحار : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : خصلة من لزمها اطاعته الدنيا والاخرة وربح الفوز بالجنة قيل : وماهى يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال: التقوى من أراد أن يكون أعز الناس فليتق الله عزوجل ثم تلا « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب» .

وفيه : قال أبوعبدالله الصادق عليه السلام : القيامة عرس المتقين .

تمت سورة المرسلات والحمدلله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله المعصومين





سورة النبإ اٰياتها اربعون وهي نزلت بمكة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُوْنَ (١) عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيْمِ (٢) الَّذِيْ هُمْ فِيْهِ مُخْتَلِفُوْنَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُوْنَ (٤)
ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُوْنَ (٥) اَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ مِهٰدًا (٦) وَّالْجِبَالَ اَوْتَادًا (٧) وَّخَلَقْنٰكُمْ اَزْوَاجًا (٨)
وَّجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَّجَعَلْنَا الَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَّجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَّبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا
(١٢) وَّجَعَلْنَا سِرَاجًا وَّهَّاجًا (١٣) وَّاَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا (١٤) لِّنُخْرِجَ بِهٖ حَبًّا وَّنَبَاتًا (١٥) وَّجَنّٰتٍ
اَلْفَافًا (١٦) اِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيْقَاتًا (١٧) يَّوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ فَتَاْتُوْنَ اَفْوَاجًا (١٨) وَّفُتِحَتِ السَّمَآءُ
فَكَانَتْ اَبْوَابًا (١٩) وَّسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) اِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطّٰغِيْنَ مَاٰبًا (٢٢)
لّٰبِثِيْنَ فِيْهَآ اَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوْقُوْنَ فِيْهَا بَرْدًا وَّلَا شَرَابًا (٢٤) اِلَّا حَمِيْمًا وَّغَسَّاقًا (٢٥) جَزَآءً وِّفَاقًا (٢٦) اِنَّهُمْ
كَانُوْا لَا يَرْجُوْنَ حِسَابًا (٢٧) وَّكَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ اَحْصَيْنٰهُ كِتٰبًا (٢٩) فَذُوْقُوْا فَلَنْ نَّزِيْدَكُمْ
اِلَّا عَذَابًا (٣٠) اِنَّ لِلْمُتَّقِيْنَ مَفَازًا (٣١) حَدَآئِقَ وَاَعْنَابًا (٣٢) وَّكَوَاعِبَ اَتْرَابًا (٣٣) وَّكَاْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُوْنَ
فِيْهَا لَغْوًا وَّلَا كِذّٰبًا (٣٥) جَزَآءً مِّنْ رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا (٣٦) رَّبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
الرَّحْمٰنِ لَا يَمْلِكُوْنَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُوْمُ الرُّوْحُ وَالْمَلٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُوْنَ اِلَّا مَنْ
اَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَآءَ اتَّخَذَ اِلٰى رَبِّهٖ مَاٰبًا (٣٩) اِنَّآ اَنْذَرْنٰكُمْ
عَذَابًا قَرِيْبًا يَّوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدٰهُ وَيَقُوْلُ الْكٰفِرُ يٰلَيْتَنِيْ كُنْتُ تُرٰبًا (٤٠)

﴿فضلها و خواصها﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن الحسين بن عمرو الرماني عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال- في حديث-: ومن قرأ «عم يتساءلون» لم تخرج سنته إذا كان يد منها في كل يوم حتى يزور بيت الله الحرام إن شاء الله. الحديث.

اقول: رواه الطبرسي في المجمع، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار، والشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة.

و لقد ثبت لي بالتجربة صدق الرواية، و بها ترتفع ما يمكن أن يعتري على الانسان من التجلج. نعم لتأثير قراءة هذه السورة ذاك الاثر شرائط أهمها الايمان و صالح العمل.

وفي البرهان: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأها و حفظها كان حسابه يوم القيامة بمقدار صلاة واحدة، ومن كتبها و علقها عليه لم يقربه قمل و زادت فيه قوة و هيبة عظيمة».

و في رواية اخرى: «بمقدار سورة مكتوبة» بدل «بمقدار صلاة واحدة».

اقول: من قرأها متدبراً فيها، ومؤمناً بها، متخوفاً بوعيدها وإنذارها، و متبشراً بوعدها و بشارتها، فهو يحاسب يوم القيامة حساباً يسيراً.

قال الله تعالى: «فأما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً و ينقلب إلى أهله مسروراً» الانشقاق: ٧ - ٩).

وفي المجمع : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « و من قرأ سورة « عم يتساءلون » سقاه الله برد الشراب يوم القيامة .

و في البرهان : و قال الصادق عليه السلام : من قرأها لمن أراد السهر سهر و قراءتها لمن هو مسافر بالليل بالليل يحفظه من كل طارق باذن الله تعالى .

اقول : ومن غير بعيد أن يكون من خواص هذه السورة إذا اجتمعت الشرائط ما ورد في هذه الرواية وماتقدم ذكره من البرهان ، فتدبر جيداً و اغتنم جداً .



﴿الغرض﴾

غرض السورة إخبار بمجيىء يوم الفصل مع وصفه ببعض أعلامه على طريق الاستنكار لما يبدو من الكفار من إستعظام خبر البعث والحساب والجزاء الاخرويين.

وتوكيد بوقوعها، وتدليل على قدرة الله جل وعلا على تحقيق النبأ العظيم الذى يتساءل عنه الكفار قوياً ملزماً بمشاهد الكون وعظمته وهيبته ونواميسه، و بما يتمتعون به من أسباب الحياة . . .

و إنذار بأهوال يوم الفصل، و وعيد بمشاهده ، و وصف قوى لمصائر الكفار والطاغين، وموقف الابرار والمتقين فيه، وإثارة الرعب والرهبة فى قلوب المكذبين وحملهم على الارعواء وترغيبهم إلى الايمان والتقوى، و بعث الاغتباط والطمأنينة فى قلوب المؤمنين و تبشيرهم بالجنة و نعيمها .

فتضع هذه السورة المباركة الناس كلهم أمام مصير واضح لاينجو من هوله إلا من اتقى و سار فى سبيل الله جل و علا .

﴿النزول﴾

سورة «النبأ» مكية نزلت بعد سورة «المعارج» وقبل سورة النازعات، وهي السورة الثمانون نزولاً، والثامنة والسبعون مصحفاً.

و تشتمل على أربعين آية إجماعاً، سبقت عليها / ٤٣١٨ آية نزولاً، و ٥٦٧٢ آية مصحفاً على التحقيق.

ومشتملة على / ١٧٣ كلمة، و / ٧٧٠ حرفاً على مافي بعض التفاسير.

ولها أربعة أسماء: أحدها - سورة «النبأ» ثانيها - سورة «عم» ثالثها - سورة «التساؤل» ٤- سورة «المعصرات».

و على الاول خواص الناس و هم جمهور المفسرين، و الثاني مشهور بين عوام الناس، وللاخيرين وجه فتأمل جيداً.

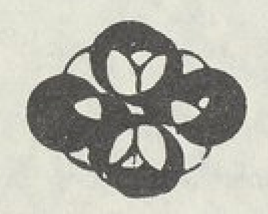
في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن عبدخير عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله، فقال: الامر بعدك لمن؟ قال: لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى، فانزل الله: «عم يتساء لون» يعني يسئلك أهل مكة عن خلافة علي عليه السلام: «عن النباء العظيم الذي هم فيه مختلفون» فمنهم المصدق، و منهم المكذب بولايته «كلاسيعلمون ثم كلا سيعلمون» وهو ردّ عليهم سيعرفون خلافته انها حق إذ يسئلون عنها في قبورهم، فلايبقى ميت في شرق ولاغرب ولابرّ ولابحر إلاّ ومنكر ونكير يسئلانه يقولان للميت: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ومن إمامك؟

اقول : رواه بعينه سنداً ومتناً أبوبكر بن مؤمن الشيرازى وهومن أعلام العامة أيضاً فى كتابه : «رسالة الاعتقاد»

وفى تفسير النيسابورى : قال : قال القائل فى حقه - يعنى علياً عليه السلام - : هو النبأ العظيم ، و فلك نوح - وباب الله وانقطع الخطاب .

و فى رواية : عن إبن عباس قال : كانت قريش تجلس لما نزل القرآن ، فتتحدث فيما بينها ، فمنهم المصدق ومنهم المكذب به ، فنزلت «عم يتساءلون».

وفى أسباب النزول للسيوطى أخرج إبن جرير وإبن أبى حاتم عن الحسن قال : لما بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم جعلوا يتساءلون بينهم ، فنزلت «عم يتساءلون عن النباء العظيم» .



﴿القراة﴾

قرأ عاصم وحمزة «فتحت» بالتخفيف، و الباقون بالتشديد، و قرأ حمزة «لبثين» مقصوراً، والباقون «لابثين» بالألف. وقرأ حفص «غساقاً» بتشديد السين والباقون بالتخفيف.

و عن الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام انه قرأ «و كذبوا بآياتنا كذاباً» بتخفيف الذال، والقراءة المشهور بتشديدها.

وقرأ أبو جعفر ونافع وإبن كثير وأبوعمر و «رب السموات» برفع الباء على تقدير هو فتقديره: هو رب السموات، والباقون بكسرها على البدل من «من ربك» وقرأ عاصم وإبن عامر «الرحمن» بالجر على البدل من «رب» على الجر، أو البيان، والباقون بالرفع على الاستيناف أى هو الرحمن على حذف المبتداء أو انه مبتداء، وخبره «لايملكون»

﴿الوقف والوصل﴾

« يتساءلون ج » لاحتمال تعلق المجرور « عن النبأ » بفعل التساؤل، فاريد به التهديد ، و تعلقه بالمحذوف كأن سائلاً يسئل : عن أىّ شيء يتساءلون ؟ فاجيب : عن النباء العظيم .

« العظيم لا » للموصول الآتى على الوصفية ، و « مختلفون ط » بناء على أن معنى « كلا » : حقاً و « سيعلمون لا » لمكان العطف بحرف « ثم » و« مهاداً لا » للعطف، و« أوتاداً ص » فيجوز الوقف للضرورة فان «ص» علامة الوقف المرخص ضرورة ، و « أزواجاً لا » و « سباتاً لا » للعطف .

و « لباساًى لا » « ى » علامة العشر التى توضع عند إنتهاء عشر آيات ، و «لا» لمكان العطف و « معاشاً ص » لما تقدم ، و «شداداً لا » للعطف ، و« وهّاجاً ص» لما سبق ، و «ثجاجاً لا» لمكان العلة التالية ، و «نباتاً لا» لمكان العطف، و « ألفافاً ط» لاستيناف التالى ، و « ميقاتاً لا » لان ما بعده بدل ، و « أبـواباً لا » للعطف ، و « سراباً ط » لتمام الكلام ، و استئناف التالى ، و « مرصاداً » لمكان المجرور الآتى ، و «مآباً لا» لمكان الحال الآتية ، و « أحقاباً ج » لان ما بعده يصلح للاستئناف والحال والصفة .

و « شراباً لا » لمكان الاستثناء ، و « غساقاً لا » لمكان التعليل التالى، و «حساباً لا» للعطف ، و « كذاباً ط » لاستيناف التالى لان التقدير : أحصينا كل شيء ، و « مفازاً لا » للبدل ، و « أعناباً لا» للعطف ، و « أتراباً لا » لما تقدم ، و

«دهاقاً ط» لتمام الكلام و تشويقاً وتعديداً للنعم ، و « كذاباً ج » لان « جزاء » يصلح أن يكون مصدراً ، ومفعولاً له ، و « حساباً لا» لان «رب السموات » بدل من « ربك » و «خطاباً لا» بناء على أن « يوم » ظرف لـ «لايملكون» .

و «صفاً ط» بناء على أن «يوم» ظرف لـ «لايتكلمون» و «الحق ج»لاحتمال فاء التالى التفريع والاستئناف ، و «قريبا ج»لان «يوم» يحتمل أن يكون متعلقاً بـ «اذكر» محذوفاً ، وبقوله : «عذاباً» أو «قريباً» .



﴿ اللغة ﴾

٢٥ - الارض - ٢٥

أرض يأرض أرضا ـ من باب أمر ـ : هيأ وسوى .

يقال : أرضت الكلام: اذا هيأته وسويته وهذبته. يقال :أرضت بينهم: أصلحت بينهم وقد تطلق على كل ما سفل من المحسوس : أرض النعل : ما أصاب الارض منها ومن المعنوى يقال : هو ابن ارض اى غريب لايعرف له ابوان . و يقال : «من اطاعنى كنت له ارضا » يراد بها التواضع .

الأرض : المكان الذى كثير فيه الكلاء. والتأرض : تمكن النبت من أن ينجز. والتأريض : التلبيث . الأريض : المعجب للعين يقال : روض أريض و أرض أريضة . وان الارض فى القرآن الكريم تطلق على امور :

أحدها ـ على الكوكب الذى يعيش على وجهه الانسان وهو مايقابل السماء.

قال الله تعالى : « الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء » البقرة : ٢٢)

و قال : « يا عبادى الذين امنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون » العنكبوت : ٥٦)

اريد بها الكوكب الذى يعيش على ظهره الانسان .

ثانيها ـ على جزء من هذا الكوكب .

قال تعالى : « وما تدرى نفس بأى أرض تموت » لقمان : ٣٤)

اريد منها المكان منها .

وقال حكاية عن يوسف عليه السلام: « قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم » يوسف : ٥٥)

ثالثها - على أرض الجنة .

قال الله تعالى حكاية عن المتقين الذين دخلوا في الجنة : « و قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء » الزمر: ٧٤)

وجميع ماوردت كلمة الارض في القرآن الكريم معرفة بالالف واللام نحو ٤٥٠ مرة لا تخرج عن هذه المعاني الثلاثة و فيها من معنى التمهيد والتهيئة والتسوية مالا يخفى .

رابعها - على دابة من دواب الارض على سبيل الاضافة وهي الأرضة وهي دويبة تأكل الخشب ونحوه .

قال الله تعالى : « فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الارض تأكل منسأته » سباء : ١٤)

وجاءت بمعنى جزء من الارض منكرة ومضافة .

كقوله تعالى : « وأورثكم أرضهم و ديارهم و أموالهم وأرضا لم تطؤها » الاحزاب : ٢٧)

و قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف عليه السلام : « اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم » يوسف : ٩)

في المفردات : الارض : الجرم المقابل للسماء وجمعه أرضون ولاتجيىء مجموعة في القرآن ، ويعبّر بها عن أسفل الشيء كما يعبّر بالسماء عن أعلاه .

و في النهاية : يقال : أرّضت الكلام : إذا سوّيته و هيأته .

وفي الحديث : « لاصيام لمن لم يؤرّضه من الليل » أي لم يهيئه ولم ينوه و الاراض : البساط الضخم . وقيل : حتى صبّوا اللبن على الارض أي على السباط.

وفي اللسان : الارض : التي عليها الناس انثى وهي إسم جنس و كان حق

الواحدة منها أن يقال : أرضة . وفي التنزيل : « وإلى الارض كيف سطحت »

يقال : بعير شديد الارض : إذا كان شديد القوائم . والارض : أسفل قوائم الدابة . وأرض الرجل : ركبتاه فما بعدهما و تأرض المنزل : إرتاده و تخيّره للنزول .

وتأرّض فلان بالمكان : إذا ثبت فلم يبرح . والتأرض : التأني والانتظار . والأرض : الرعدة والنفضة و منه قول إبن عباس : أ زلزلت الارض أم بي أرض . يعني الرعدة .

المأروض : الذي به خبل من الجن وأهل الارض وهوالذي يحركه رأسه وجسده على غير عمد .

الأرضة: بالتحريك : دودة بيضاء ، شبه النملة تظهر في أيام الربيع .

وهي ضربان : ضرب صغار مثل كبار الذر وهي آفة الخشب خاصّة و ضرب مثل كبار النمل ذوات أجنحة وهي آفة كل شيء من خشب ونبات غير أنها لا تعرض للرطب وهي ذات قوائم . . .

و في مجمع البحرين : إذا اتى على الأرضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما وهي الدابة التي دلت الجن على موت سليمان عليه السلام .

والنملة عدوها وهي أصغر منها فتأتي من خلفها فتحملها إلى جحرها .

وفي قاموس وشرحه : أرضون: الواو عوض عن الهاء المحذوفة المقدرة. أصلها أرضة و فتحوا الراء في الجمع ليدخل الكلمة ضرب من التكسير استيحاشاً من يوفروا لفظ التصحيح ليعلموا ان أرضاً مما كان سبيله لو جمع بالتاء ان تفتح راؤه فيقال : أرضات .

٦٤ - المهد والمهاد - ١٤٦٢

مهد الشيء يمهده مهداً ـ من باب منع ـ : وطّأه وجعله سهلاً .

ومن المحسوس : مهد الفراش : جعله ليّنا يسهل القعود والنوم عليه .

قال الله تعالى : « الذى جعل لكم الارض مهداً و سلك لكم فيها سبلاً » طه : ٥٣)

أى جعل الارض فى سهولة العيش عليها ويسر التقلب فيها كمهد الصبىّ .

والمهاد : الفراش للوطأ المعدّ لراحة الانسان .

قال تعالى : « ألم نجعل الارض مهاداً » النبأ : ٦)

إلاّ إذا ذمّ كقوله تعالى : « فحسبه جهنم ولبئس المهاد » البقرة : ٢٠٦)

وجمع المهاد : أمهدة ومهد بضمتين ومهد بضم فسكون .

والمهد : الفراش الذى يهيّأ للصبى ليضطجع فيه وينام و هو فى الاصل مصدر سمى به الفراش لانه يمهد قال تعالى: « ويكلم الناس فى المهد » آل عمران:٤٦)

وجمع المهد : مهود والمهدة بالضم : الارض المنخفضة فى سهولة واستواء جمعها مهد .

ومن المعنوى : مهد الأمر لنفسه : نظر و دبّر فيه ما ينفعها كما يمهد الرجل فراشه .

ومنه قوله تعالى : « من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون» الروم : ٤٤)

مهّد الشىء تمهيداً : وطّأه و ثبّته و تقول : مهّد الله لفلان : وسع له فى الرزق وأسباب الحياة وبسطة اليد .

قال الله تعالى : « ومهّدت له تمهيداً » المدثر : ١٤)

تمهيد الامور : تسويتها وإصلاحها . التمهد : التمكن .

فى المفردات : المهد مايهيّئ للصبى والمهد والمهاد المكان المهد الموطّأ .

ومهّدت لك كذا : هيّأته وسويته .

وامتهد السنام أى تسوى فصار كمهاد أومهد .

٦ - الجبل والجبال - ٢٢٢

الجبل: ما ارتفع من الارض: إذاعظم وطال ويجمع على الجبال .

كقوله تعالى : « والجبال أوتاداً » النبأ : ٧)

والجبل: كل وتدللارض عظم وطال خلاف الساحل .

ومنه قول عيسى عليه السلام : « فى السهل ينبت الزرع لا فى الجبل » إستعارة يدل عليه قوله عليه السلام : « بالتواضع تعمر الحكمة لابالتكبر وبالسهل ينبت الزرع لابالجبل »

فى النهاية فى صفة ابن مسعود : « كان رجلا مجبولاً ضخماً » المجبول المجتمع الخلق .

وفى اللسان : الجبل : إسم لكل وتد من أوتاد الارض إذاعظم وطال من الاعلام والاطواد والشناخيب وأما ماصغر و انفرد فهو من القنان والقور والأكم والجمع: أجبل واجبال وجبال .

واجبل القوم : صاروا إلى الجبل . وتجبّلوا: دخلوا فى الجبل وجبل القوم: أى سيدهم وعالمهم .

رجل مجبول : عظيم على التشبيه بالجبل . وجبلة الارض : صلابتها .

٦ - الوتد والاوتاد - ١٦٣٩

وتد الشىء يتده وتداً - من باب ضرب - : ثبّته لازم ومتعد .

الوتد : قطعة من خشب أوحديد تثبّت فى الارض أوالجدار يشدّ بها حبل هوزمام لدابة أوطنب لخيمة ونحوذلك والجمع أوتاد .

قال الله تعالى : « والجبال أوتاداً » النبأ : ٧)

أى تثبت بها الارض و تحفظ من الميدان والاضطراب وجاء فى وصف

فرعون انه ذوالاوتاد أى بالجنود التى بها يثبت ملكه كما تثبت الخيمة بالاوتاد أوانه كان يعذّب بأوتاد يشد إليها من يراد تعذيبه .

قال الله تعالى : « وفرعون ذوالاوتاد » ص : ١٢)

فى اللسان : : أوتاد الارض : الجبال لانها تثبتها وأوتاد البلاد :رؤساؤها .

وأوتاد الفم : أسنانه على التشبيه ووتّد فى بيته : أقام وثبت .

ووتّد الزرع : طلع نباته فثبت وقوى .

١٠٦ - النوم - ١٥٨١

نام ينام نوماً ونياماً ـ من باب علم ـ :رقد ونعس وزال عنه الحس والتمييز فهو نائم والجمع نيام . النوم: ضد اليقظة.

قال الله تعالى : « وجعلنا نومكم سباتا » النبأ : ٩)

المنام يأتى مصدراً ميمياً فى معنى النوم .

قال تعالى : « ومن آياته منامكم بالليل والنهار » الروم : ٢٣)

فى المفردات : النوم فسّر على اوجه كلها صحيح بنظرات مختلفة .

قيل : هو إسترخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه .

وقيل : هو أن يتوفى الله النفس من غير موت قال الله تعالى : « الله يتوفى الانفس » الاية .

وقيل : النوم:موت خفيف والموت :نوم ثقيل. والمنام : النوم .

وفى النهاية : ومنه حديث حذيفة وغزوة الخندق : « فلما أصبحت قال : قم يانومان » هو الكثير النوم واكثرما يستعمل فى النداء .

و فى مجمع البحرين : النوم : معروف وهو على ما قيل:ريح تقدم من أغشية الدماغ ، فاذا وصل إلى العين فترت وإذا وصل إلى القلب نام .

وحدّه الفقهاء بذهاب حاسة السمع والبصر وغيبة إدراكهما عنهما تحقيقاً

أو تقديراً .

وفى اللسان : الاسم : النيمة . نامت السوق : كسدت . و نامت الريح : سكنت . ونامت النار : همدت كله من النوم الذى هوضد اليقظة .

وفى القاموس وشرحه : قال : الازهرى : حقيقة النعاس: السنة من غير نوم والرقاد هوالنوم حقيقة .

و كل شيء سكن فقد نام . ومن المجاز المستنام كل مطمئن يستقر فيه الماء

٥ - السبت والسبات - ٦٦٤

سبت يسبت سبتاً وسباتاً - من باب ضرب - : إستراح وسكن وقطع وترك و أسرع .

السبات والسبت : الراحة والسكون والقطع وترك العمل والسير السريع قال الله تعالى : « وجعلنا نومكم سباتاً » النبأ : ٩)

وسبت اليهودى : ترك الاعمال والاقامة بالسنة الواجبة عليهم فى يوم السبت.

قال الله تعالى : « إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم » الاعراف : ١٦٣)

فى المفردات : أصل السبت : القطع و منه سبت السير : قطعه . و سبت شعره : حلقه .

وفى اللسان : المسبت : الذى لايتحرك . واسبت الحيّة إسباتاً إذا اطرق لا يتحرك .

السبات : الانقطاع عن الحركة وبقاء الروح فى البدن .

والسبت : القطع فكأنه إذا نام فقد انقطع عن الناس .

والسبت : السير السريع . والسبت : السبق فى العدو .

وفرس سبت :إذا كان جواداً كثير العدو .

السبت : من أيام الاسبوع وانما سمى السابع من أيام الاسبوع سبتا لان الله تعالى ابتدأ الخلق فيه وقطع فيه بعض خلق الارض .

ويقال : أمر فيه بنو إسرائيل بقطع الاعمال وتركها .

وفى المحكم : إنما سمى سبتاً لان ابتداء الخلق كان من يوم الاحد إلى الجمعة ولم يكن فى السبت شيء من الخلق .

قال الله تعالى : « ان ربكم الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش » الاعراف : ٥٤)

آخرها يوم الجمعة فانقطع عمل الخلق فسمى السابع يوم السبت .

٧٥ - الوهج والوهاج - ١٧٠٨

وهجت النار تهج وهجاً ووهجاناً - من باب وعد - : توقّدت وأضاءت فهى وهجة . ووصف المبالغة وهّاج كشدّاد : الشديد الوهج .

قال تعالى : « وجعلنا سراجا وهّاجاً » النبأ : ١٣)

يقال : نجم وهّاج : متوقد ومضيء والشمس سراج وهّاج : تشيع الحرارة والضوء كالنار الوهّاجة .

يوم وهيج ووهجان : شديد الحر وليلة وهيجة كذلك .

أوهج النار ايهاجاً : أوقدها .

فى المفردات : الوهج : حصول الضوء والحرارة من النار والوهجان كذلك وفى مجمع البحرين : ومنه الحديث : « يطفيء عنك وهج المعدة » اى حرّها و إتقادها .

٥ - الثجاج - ١٩٨

ثج يثجّ ثجّاً وثجوجاً - من باب ضرب ونصر - : صبّ وسال يكون متعدياً

وغير متعد .

يقال : ثج السحاب الماء : صبّه وثجّ الماء : إنصب .

الثجاج من المطر : السيّال الشديد الانصباب .

الثجّة : الروضة فيها حياض للماء جمعها ثجّات .

عين ثجوج : غزيرة الماء .

الثجيج : السيل .

فى المفردات: فى الحديث : « أفضل الحج العجّ والثجّ » أى رفع الصوت بالتلبية وإسالة دم الهدى .

وفى مجمع البحرين ومنه : « إذا أحب الله عبداً اثجّه بالبلاء ثجاً » وا كتظاء الوادى بثجيجه : اى امتلاء بسيله .

و فى النهاية: ومنه حديث ام معبد : « فحلب فيه ثجّا » أى لبناً سائلاً كثيراً .

٣٥- اللف -١٣٧٢

لفّ الشيء يلفّه لفاً - من باب مدّ - :جمعه وضمه ضد نشره .

يقال : لففت الثوب علىّ ولففت القوم : جمعتهم على إختلاف طوائفهم من عالم وجاهل وغنى وفقير وطيب وخبيث فهم لفيف .

فاللفيف : الاخلاط من الناس من قبائل شتى . . .

قال الله تعالى : « فاذا جاء وعد الاخرة جئنابكم لفيفا » الاسراء : ١٠٤)

اللف - بالكسر - : الصنف من الناس .

يقال : عنده الفاف من الناس أى أحزاب منهم من قبائل شتّى .

ويقال : فى لفّ من كنت أى فى حزب من كنت .

ويقال : كنا لفّا أى مجتمعين بموضع . طعام لفيف : أى مخلوط من جنسين

اللف من الرياض : ما كانت أشجاره كثيرة ملتفة متداخلة و جمعه ألفاف يقال : روضات ألفاف . . .

قال الله تعالى : « و جنات ألفافاً » النبأ : ١٦) أى ذوات أشجار كثيرة ملتفة متداخلة .

ألف الطائر رأسه :جعله تحت جناحيه .وألف الرجل رأسه : جعله فى جبّته .

اللفافة ـ بكسر اللام ـ. ما يلفّ على الرجل وغيرها جمعها لفائف .

يقال : همّ يذيب لفائف القلوب . وهى شحمة تلتفّ على القلوب .

التف الشىء : إجتمع و يقال : إلتف الشىء بالشىء أو حوله : إنضم إليه أو إلتوى عليه .

قال الله تعالى : « والتفت الساق بالساق » القيامة : ٢٩) أى إنضمت أحدهما إلى الاخرى ملتوية حولها .

فى النهاية اللفّ : الحزب والطائفة من الالتفاف وجمعه ألفاف .

وفى مجمع البحرين : وفى الحديث ذكر « اللفافة للمت » هى بالكسر: ما يلف به على الرجل وغيرها والجمع اللفايف .

وفى اللسان : اللفف : كثرة لحم الفخذين وهو فى النساء نعت وفى الرجال عيب و رجل ألفّ : ثقيل . و جمع لفيف : مجتمع من كل مكان . واللفوف : الجماعات ورجل الفّ : مقرون الحاجبين .

٦٦- النفخ- ١٥٤١

نفخ ينفخ نفخاً ـ من باب نصر ـ : أجرى الريح وحرّكها .

يقال : نفخ بفمه فى النار وفى الأكل والشراب .

قال الله تعالى : « آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال إنفخوا حتى إذا جعله ناراً » الكهف : ٩٦)

أى إنفخوا بالمنافيخ على النار .

المنفاخ والمنفخ : الذى ينفخ به فى النار وغيرها . نفخ الحداد فى المنفاخ حركه وأجرى الهواء مسلطا على النار وغيرها .

يقال : نفخ فى المزمار والبوق وفى الزق والصور : قال تعالى : « يوم ينفخ فى الصور » النبأ : ١٨)

ونفخ فى الشىء الاجوف أوذى التجاويف : أجرى فيه الريح بما يثيره من تحريك فيه .

ونفخ الله تعالى من الروح فى الجسد : جعل فى الجسد من الروح ووصلها به فدخلت فى شرايينه وتجاويفه حتى تعم الجسد .

و يأتى هذا فى نفخ الروح فى جسد آدم عليه السلام وجاء فى الكتاب النفخ فى مريم و يراد به اجراء النفخ فيها فكانت حياة ابنها المسيح عليه السلام منه أو إدخال الروح الخاصة بابنها فيها .

قال تعالى : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » الحجر: ٢٩)

وقال : « والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا » الانبياء : ٩١)

والنفخة للمرة قال تعالى : « فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة » الحاقة: ١٣)

فى المفردات : النفخ نفخ الريح فى الشىء . يقال : إنتفخ بطنه . و منه استعير إنتفخ النهار إذا إرتفع . ورجل منفوخ أى سمين ..

وفى النهاية : فى الحديث : « أعوذ بالله من نفخه ونفثه » نفخه: كبره لان المتكبر يتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج أن ينفخ .

وفى اللسان : النفخ : إرتفاع الضحى و إنتفخ النهار : علا قبل الانتصاف بساعة وهو مجاز .

والنفخ : الكبر والفخر يقال : رجل نفيخ أى صاحب فخر و كبر .

٣٠-السرب والسراب-٦٨٩

سرب في الارض يسرب سرباً وسروباً- من باب نصر- : مضى فيها و ذهب فهو سارب .

قال الله تعالى : « ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » الرعد : ١٠) أي بارز يراه كل أحد .

السرب : الطريق والمسلك قال تعالى : « فاتخذ سبيله في البحر سرباً » الكهف : ٦١)

طريق سرب : يتتابع فيه الناس جمعه أسراب .

السراب : مالاحقيقة له . والسراب : ما تراه نصف النهار كأنه ماء و ليس بماء . ويقال في الخادع والكاذب : هو اخدع وأكذب من السراب .

قال تعالى : « أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماء » النور : ٣٩)

وقال : « وسيرت الجبال فكانت سراباً » النبأ : ٢٠) أي فصارت بعد تسييرها لاحقيقة لها فانها تزيل عن أما كنها فكانت كالسراب يظن انها جبال وليست بجبال أو تصير قطعة قطعة .

والسراب إسم ناقة البسوس التميمية التي قتل كليب فيها فثارت الحرب بين البكريين والتغلبيين أربعين سنة لاجله فصارت مثلاً في الشوم ، فيقال : هو اشأم من سراب .

في المفردات : السرب : الذهاب في حدور والسرب : المكان المنحدر والسارب : الذاهب في سربه أيّ طريق كان .

وفي النهاية : في حديث موسى والخضر عليهما السلام : « فكان للحوت سرباً » السرب بالتحريك المسلك في خفية .

وفي اللسان : تقول : سرّب عليّ الابل أي أرسلها قطعة قطعة .

وفلان آمن فى سربه ـ بالكسر ـ السرب ههنا ما للرجل من أهل و مال ولذلك سمى قطيع البقر والظباء والقطا والنساء والطير والحمر والشاء سرباً .

وفي الحديث : « كأنهم سرب ظباء » أى قطيعة .

ومنه حديث على عليه السلام : « انى لأسرّبه عليه » أى ارسله قطعة قطعة .

الأسراب من الناس : الاقاطيع واحدها سرب .

والأسرب مخفف الباء وهو بالفارسية : سرب . والاسرب : الرصاص أعجمى وهو في الاصل سرب .

و فى القاموس وشرحه : المسرب : المذهب و كل طريقة سربة .

السارب : الذاهب على وجهه في الارض .

سرب الفحل يسرب سروبا فهوسارب اذا توجه للمرعى .

وظبية ساربة : ذاهبة في مرعاها .

٥٩- الحقب والاحقاب -٣٤٧

حقب المطر يحقب حقباً ـ مكسور العينين ـ : إحتبس .

يقال : حقب العام أى إحتبس مطره . وحقب أمر الناس : فسد و احتبس .

وحقب المعدن : لم يوجد فيه شي . وحقب البول : تعسّر .

الحقب و الحقب ـ بسكون القاف وضمها ـ : مدّة من الزمن يفهم منها الطول وجمعه أحقاب . . .

قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : « وإذقال موسى لفتيه لاأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أوأمضى حقباً » الكهف : ٦٠)

وقال تعالى : « لابثين فيها أحقاباً » النبأ : ٢٣) أى أنهم يلبثون فى جهنم أحقاباً كلما مضى حقب تبعه حقب آخر فهم فيها خالدون .

الحقاب ـ بكسر الحاء ـ والحقب بفتحتين : شيء تتخذه المرأة تعلّق به معاليق الحلى تشدّه على وسطها .

في المفردات : ـ الاحقاب ـ قيل : جمع الحقب أي الدهر قيل : والحقبة ثمانون عاما وجمعها حقب والصحيح ان الحقبة مدة من الزمان مبهمة .

وفي النهاية : في الحديث « لا رأى لحاقب ولا لحاقن » الحاقب : الذي إحتاج إلى الخلاء فلم يتبرّز فانحصر غائطه .

ومنه الحديث : « نهى عن صلاة الحاقب والحاقن » ومنه الحديث :«حقب امر الناس » أي فسدوا احتبس من قولهم : حقب المطر اى تأخر واحتبس .

حقب البعير : إذا إحتبس بوله وتعسّر . و في رواية : « الذي يحقب دينه الرجال » اراد الذي يقلّد دينه لكل أحد . أي يجعل دينه تابعاً لدين غيره بلا حجة ولا برهان ولا رويّة وهو من الارداف على الحقيبة .

وفي مجمع البحرين : الحقيبة : الرفادة التي تجعل في مؤخر القتب والجمع حقاب .

وفي اللسان : الحقب بالتحريك : الحزام الذي يلي حقو البعير . و قيل : هو حبل يشدّ به الرجل في بطن البعير مما يلي ثيله لئلا يؤذيه التصدير أو يجتذ به التقدير فيقدّمه .

٣٧ - الدهاق - ٤٩٦

دهق الكأس يدهقها دهقاً وأدهقها ـ من باب منع ـ : ملأها .

الدهق : شدة الضغط .

و كأس دهاق : ممتلئة .

قال الله تعالى : « و كأسا دهاقاً » النبأ : ٣٤)

إدهقت الحجارة : اشتد تلازبها ودخل بعضها فى بعض مع كثرة .

الدهق ـ محركة ـ خشبتان يغمز بهما ساق المجرمين يقال : عنقه فى وهق ورجله فى دهق .

فى مجمع البحرين : ومنه : « حتى وضع الدهق على ساق ابن الخضيب »

وفى الحديث تكرر ذكر « الدهقان » بكسر الدال وضمها : رئيس القرية وهو إسم أعجمى مركب من (ده) و (قان) يقال بالفارسية (كدخدا) .

وفى اللسان : الدهق بالتحريك : ضرب من العذاب و هو بالفارسية (أشكنجة) .

ودهقت الشيء : كسرته وقطعته .

٥٨ - ليت - ١٣٩٥

قد مر معنى (لات يليت ليتا) الفعلى فى سورة الحجرات : ١٤)

و أما (ليت) الحرفى فيدل على تمنى الشيء والرغبة فى الحصول عليه و كثيراً ما يكون هذا الحرف مسبوقاً بحرف (يا) للنداء فيقال : ياليتنى .

ويتعلق بالمستحيل أو المتعسر وقوعه وحصوله غالباً .

نحو : ليت الشباب يعود . ونحو تمنى المتمنى : ياليتنى كنت رئيس قوم .

ويتعلق بالممكن قليلا نحو : ليت العليل صحيح .

وقد تنزل منزلة (وجدت) وتعدى إلى مفعولين وتجرى مجرى الافعال فيقال : ليت زيداً شاخصاً أى وجدته كذلك .

و حكمها ان تنصب الاسم و ترفع الخبر مثل كان و اخواتها لانها شابهت الافعال بقوة الفاظها واتصال اكثر المضمرات بها وبمعانيها .

تقول : ليت زيداً ذاهب .

وإذا اتصلت بها ياء التكلم جيئت قبلها النون فيقال : ليتنى .

وليتى من غير نون نادر .

فى المفردات : ليت طمع وتمنّ .

وفى القاموس وشرحه : ليت حرف دال على التمنّى وهوطلب مالاطمع فيه اومافيه تعسر تقول : ليتنى فعلت كذا و كذا .



﴿النحو﴾

١ - (عم يتساءلون)

«عم» أصله: «عن ما» فادغمت النون ميماً بعد إنقلابها بها لتقارب مخرجهما، وأصالة مخرج الميم وتقدمه على مخرج النون ، و « ما » إستفهامية حذفت ألفها لشدة إتصال « ما » بحرف الجر حتى صارت كالجزء منه ، و لكثرة الاستعمال ، وللفرق بين الاستفهام والخبر وهذه الحروف التي تسقط معها هذه الالف ثمانية :

١- عن «عن» نحو : «عم» ٢- عن «من» نحو : «مم» ٣- عن الباء نحو : «بم» ٤- عن اللام نحو : « لم» ٥- عن الفاء نحو : «فيم» ٦ - عن «إلى » نحو : «إلى م» ٧ - عن « على » نحو: « على م » ٨- عن «حتى» نحو : « حتى م » و «عم» متعلق: « يتساءلون » تقدّمت لمكان الاستفهام ، والفعل : فعل مضارع للجمع المذكر الغائب من باب التفاعل .

٢ - (عن النباء العظيم)

في «عن النباء» وجهان : أحدهما ـ أن يكون بدلاً من «عم» باعادة الجار. ثانيهما ـ أن يكون متعلقاً بفعل مقدّر يدل عليه : « يتساءلون » ولا يكون بدلاً لانه لو كان بدلاً لوجب أن تكرر « عما » لان حرف الجر المتصل بحرف الاستفهام إذا اعيد اعيد مع الحرف كقولهم لك: بكم ثوبك أبعشرين أو ثلاثين . ولايجوز أن يقال: بعشرين من غير إعادة حرف الاستفهام، فدلّ عليه انه يتعلق بفعل مقدر لا بالفعل الظاهر، وحسن حذف الفعل لظهور الاخر. و «العظيم» نعت من «النباء» .

٣ - (الذى هم فيه مختلفون)

« الذى » موصولة ، و فى إعرابها وجوه : أحدها۔ الرفع على الابتداء بناء على أن الجملة صفة لـ « النبأ » ثانيها ۔ الجر على الوصف . ثالثها ۔ النصب على تقدير أعنى . و « هم » ضمير منفصل مرفوع راجع إلى المتسائلين ، مبتداء ، و « فيه » متعلق بفعل الاختلاف ، والضمير راجع إلى الموصول و هو عائد الصلة ، و « مختلفون » خبر المبتداء ، والجملة صلة الموصول ، و تمامها فى موضع جر، صفة ثانية لـ « النبأ » والجملة جواب عن الاستفهام .

٤ - (كلا سيعلمون)

« كلا» لفظ قد يراد به الزجر لمن كفر بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به النبى صلى الله عليه وآله وسلم و بيوم القيامة ، و قد يراد به التحذير له من العذاب الذى يلحقه جزاء على كفره و عناده ،.وقد يراد به الاستنكار لعقيدته الفاسدة وأقواله الواهية و عمله الكاسدة .

و « سيعلمون » السين للتسويف ، ومدخولها فعل مضارع لجمع المذكر الغائب ، و فاعله واو الجمع الراجع إلى المتسائلين على حذف المفعول به أى سيعلمون أن ما يتساءلون عنه مختلفين فيه حق و صدق ، وذلك إذا اتصل العيان بالخبر .

٥ - (ثم كلا سيعلمون)

« ثم » حرف عطف ، تعطف تاليها على سابقها .

٦ - (الم نجعل الارض مهاداً)

الهمزة للاستفهام الانكارى ، و « لم » حرف جحد ، و « نجعل » فعل مضارع للتكلم مع الغير ، مجزوم بحرف الجحد ، والفعل منفى لفظاً ، و مثبت معنى لدخول أداتى النفيين : «ألم» عليه ، و «الارض» مفعول أول، و «مهاداً» مفعول ثان.

٧ - (والجبال أوتاداً)

عطف على « الارض مهاداً » أو على « ألم نجعل . . . » على تقدير : ألم نجعل الجبال أوتاداً . و « اوتاد » جمع وتد من جمع القلة .

٨ ـ (و خلقناكم ازواجاً)

الواو للعطف ، و « خلقنا » فعل ماض للتكلم مع الغير ، عطف على معنى فعل الجعل، وضمير الخطاب « كم» للمتسائلين مفعول به لفعل الجعل، و «أزواجاً» منصوب على الحال من ضمير الخطاب أى متجانسين متشابهين مختلفين .

٩ ـ ١١ ـ (وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً)

عطف بعد عطف على معنى المتقدم ، و إعرابها ظاهر مما سبق . و «معاشاً» إسم زمان و مكان و مصدر ميمى .

١٢ ـ (و بنينا فوقكم سبعاً شداداً)

عطف على ما تقدم ، و «فوق» ظرف اضيف إلى ضمير الخطاب للمتسائلين ، مفعول فيه لفعل البناء ، و قدّم للظرفية ، و « سبعاً » مفعول به ، و « شداداً » جمع شديد صفة لـ « سبعاً » على تقدير : سبع سموات . . .

١٣ ـ (و جعلنا سراجاً وهاجاً)

عطف على «بنينا» على حذف « فوقكم » و «سراجاً» مفعول به لفعل الجعل، و « وهّاجاً » صيغة مبالغة كالضرّاب صفة لـ « سراجاً » .

١٤ ـ (و انزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً)

الواو للعطف ، و « أنزلنا » فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال عطف على المتقدم و « من » بمعنى الباء و « المعصرات » : جمع المعصرة و هى السحب التى يتحلب منها الماء ، مجرور بحرف الجر ، متعلق بفعل الانزال ، و « ماء » مفعول به ، و « ثجاجاً » للمبالغة صفة لـ « ماء » .

١٥ ـ (لنخرج به حباً و نباتاً)

اللام للتعليل ، و مدخولها فعل مضارع للتكلم مع الغير من باب الافعال،

منصوب بأن مقدرة، والفاعل هو الله تعالى، و «به» متعلق بفعل الاخراج، والضمير راجع إلى «ماء» و «حباً» مفعول به، و «نباتاً» عطف على «حباً».

١٦ - (و جنات ألفافاً)

«جنات»: جمع جنة، عطف على «حباً» و «ألفافاً»: جمع لف من جموع القلة، و قيل: جمع لا واحد له من لفظه، نعت من «جنات». و قيل: على حذف شجر أي و نخرج به شجر جنات فحذف لدلالة الكلام عليه.

١٧ - (ان يوم الفصل كان ميقاتاً)

«إن» حرف تأكيد، و «يوم الفصل» إسمها، و «كان» فعل ماض من أفعال الناقصة، و إسمه ضمير مستتر فيه راجع إلى «يوم الفصل» و «ميقاتاً» خبره، والجملة في موضع رفع، خبر لحرف التوكيد.

١٨ - (يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجاً)

في نصب «يوم» وجوه: أحدها - بدل من «يوم الفصل» ثانيها - بدل من «ميقاتاً» ثالثها - بيان من «يوم الفصل» رابعها - على تقدير: أعني. و «ينفخ» فعل مضارع مفرد للغيبة، مبني للمفعول، و «في الصور» متعلق بفعل النفخ، والفاء في «فتأتون» للتفريع، و مدخولها فعل مضارع، خطاب للمتسائلين، و «أفواجاً»: جمع فوج، حال من ضمير الجمع في «فتأتون».

١٩ - (و فتحت السماء فكانت أبواباً)

الواو تحتمل العطف والحال، و على الثاني فما بعدها في موضع نصب، حال من الضمير في «فتأتون» و «فتحت» فعل ماض، مبنيّ للمفعول، و «السماء» نابت مناب الفاعل، و «فكانت» الفاء للتفريع، والفعل من أفعال الناقصة، وإسمه ضمير مستتر راجع إلى «السماء» و «أبواباً» خبر لفعل الناقص.

٢٠ - (و سيرت الجبال فكانت سراباً)

الواو للعطف و «سيّرت» فعل ماض مبني للمفعول من باب التفعيل والباقي ظاهر.

٢١ - (ان جهنم كانت مرصاداً)

« ان » حرف تو كيد ، و « جهنم » إسمها ، و « كانت » فعل ناقص ، إسمه الضمير المستتر فيه . راجع إلى «جهنم» و «مرصاداً» خبر لفعل الناقص، والجملة خبر لحرف التأكيد . و «مرصاداً» : مفعال من أبنية المبالغة كالمفضال ، فكأنه يكثر من جهنم إنتظار الكفار .

٢٢ - (للطاغين مآباً)

فى « للطاغين » وجوه : أحدها ـ حال من « مآباً » أى مرجعاً للطاغين . ثانيها ـ صفة لـ « مرصاداً » ثالثها ـ بدل من « مرصاداً » و فى تعلق « للطاغين » وجهان : أحدهما ـ متعلق بما بعده . ثانيهما ـ متعلق بما قبله . وعلى التقديرين لابد من إضمار وهولفظة « لهم » أو لاهل الجنة . و « مآباً » إسم مكان من الاوب بمعنى الرجوع ، خبر ثان لفعل الناقص المتقدم .

٢٣ - (لابثين فيها أحقاباً)

«لابثين» : جمع لابث، إسم فاعل، منصوب على الحال من الضمير فى «للطاغين» حال مقدر أى مقدرين اللبث أو مقدراً لبثهم ، و «فيها» متعلق بـ «لابثين» والضمير راجع إلى «جهنم» و « أحقاباً » : جمع حقب ، منصوب على الظرفية ، و عامله «لابثين» وقيل: معمول لما بعده : «يذوقون» و ذكر «أحقاباً» للكثرة لا لتجديد اللبث كقولك : أقمت سنين و أعواماً . والمراد ههنا : الخلود فى جهنم .

٢٤ - (لا يذوقون فيها برداً و لا شراباً)

«لا» حرف نفى ، و « يذوقون » فعل مضارع لجمع المذكر الغائب ، منفى بحرف النفى ، و فى محل الفعل وجوه : أحدها ـ على النصب حال اخرى من الضمير فى « للطاغين » ثانيها ـ حال من الضمير فى « لابثين » أى يلبثون غير ذائقين . ثالثها ـ صفة لـ «لابثين» رابعها ـ صفة لـ « أحقاباً » ، والتقدير: أحقاباً غير مذوق فيها . و « فيها » متعلق بفعل الذوق ، والضمير راجع إلى « جهنم » وقيل:

راجع إلى « أحقاباً » و « برداً » مفعول به لفعل الذوق ، و «لاشراباً» عطف على « برداً » مع تكرار حرف النفى .

٢٥ - (الا حميماً و غساقاً)

فى الاستثناء وجهان : أحدهما ـ متصل إن جعلت البرد من البرودة ، فان الحميم يطلق على الحار والبارد . ثانيهما ـ منقطع إن جعلت البرد بمعنى النوم فلا يطلق الحميم عليه .

٢٦ - (جزاء وفاقاً)

« جزاء » منصوب على المصدر أى جوز و اجزاء بذلك أو جازيناهم جزاء أوجزاهم جزاء ، فوضع «جزاء» موضع الحال ، و « وفاقاً » مصدر ككتاب بمعنى إسم الفاعل ، صفة لـ«جزاء» أى موافقاً لما عملوا . أو بتقدير المضاف أى ذا وفاق أو ان إطلاق الوفاق على الجزاء للمبالغة كزيد عدل .

٢٧ - (انهم كانوا لا يرجون حساباً)

« انهم » حرف توكيد ، و ضمير الجمع إسمها ، راجع إلى المتسائلين ، و « كانوا » فعل ماض من أفعال الناقصة ، و « لا » حرف نفى و « يرجون » فعل مضارع ، منفى بحرف النفى ، والجملة فى موضع نصب ، خبر لفعل الناقص والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التاكيد ، و « حساباً » مفعول به .

٢٨ - (و كذبوا بآياتنا كذاباً)

الواو للعطف ، و « كذّبوا » فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب التفعيل ، و «بآياتنا» جمع آية ، اضيف إلى ضمير التكلم مع الغير ، متعلق بفعل التكذيب ، و « كذاباً » مفعول مطلق ، مصدر من مصادر باب التفعيل إذ له أربعة مصادر : أحدها ـ على وزن تفعيل كالتصريف ، جعلت التاء عوضاً عن تضعيف العين والياء بدلاً من الالف ، فغيّر أوّله كما غيّروا آخره . ثانيها ـ على وزن تفعلة كالتبصرة . ثالثها ـ على وزن فعّال ـ بكسر الفاء و تشديد العين ـ كالكذّاب . رابعها ـ على وزن

فعال ـ بفتح الفاء وتخفيف العين ـ وزيدت الالف فى «كذاباً» كما زيدت الهمزة فى أحسن إحساناً .

٢٩- (وكل شىء أحصيناه كتابا)

«كل شئ» منصوب بفعل محذوف، يدل عليه قوله تعالى : «أحصيناه» فعل ماض من باب الافعال ، و ضمير الغائب فى موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى كل شىء .

و هذا من باب الاضمار على شريطة التفسير . و فى « كتاباً » و جهان : أحدهما ـ منصوب على المصدر أى كتبناه كتاباً و يدل على المحذوف قوله: «أحصيناه» إحصاء. وقيل : ان الكتاب والاحصاء يتلاقيان فى معنى الضبط والتحصيل. وقيل: ان كتب بمعنى أحصى فيكون مصدراً على المعنى . وقيل : على تقدير: أحصيناه كاتبين . و يجوز أن يكون « كتاباً » حالاً أى مكتوباً فى اللوح أو فى صحف الاعمال ...

٣٠- (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذاباً)

الفاء تفريعية ، و مدخولها فعل أمر، خطاب للطاغين المكذبين ، والفاء فى « فلن » للجزاء و مدخولها حرف تأبيد ، و « نزيد » فعل مضارع للتكلم مع الغير و « كم» فى موضع نصب ، مفعول به ، و «إلاّ » إستثناء متصل ، و « عذاباً» مفعول به لفعل الزيادة .

٣١- (ان للمتقين مفازاً)

«إن» حرف تأكيد، و«للمتقين» متعلق بمقدر، خبر مقدم لحرف التأكيد، و«مفازاً» إسمها ، ويشترك فيه مصدرميمى وإسما زمان ومكان .

٣٢- (حدائق واعناباً)

«حدائق» جمع حديقة ، بدل من «مفازاً» بدل البعض من الكل أو بيان له،

و «أعناباً» جمع عنب ، عطف على «مفازاً» وقيل: على البدل .

٣٣- (وكواعب اترابا)

الواو للعطف ، و « كواعب» جمع كاعب من إنتهاء الجموع ، وقيل : جمع كاعبات وهي جمع كاعبة ، و هي الفتاة التي نهدثدياها و ذلك في أول شبابها ، و « أترابا » جمع ترب ـ بكسر التاء و سكون الراء ـ من جموع القلة ، صفة لـ « كواعب » .

٣٤- (وكاسا دهاقا)

عطف على «مفازاً» و « دهاقاً » صفة لـ « كأساً» و قيل : مصدر بمعنى إسم الفاعل أي ممتلئة شراباً .

٣٥- (لايسمعون فيها لغواً ولاكذابا)

«لا» حرف نفي ، و «يسمعون»فعل مضارع لجمع المذكر الغائب،والجملة في موضع نصب ، حال من «للمتقين» مقابلا بقوله تعالى ، « لايذوقون» حالاًمن «الطاغين» وتحتمل الاستئناف ، و «فيها » متعلق بفعل السمع ، و الضمير راجع إلى «حدائق » أو راجع إلى الجنة التي يدل عليها السياق ، و «لغواً» مفعول به لفعل السمع ، و «لا كذاباً» عطف على «لغواً» .

٣٦- (جزاء من ربك عطاء حساباً)

« جزاء » منصوب على المصدر للتأكيد أي يجزون جزاء أو جزاهم جزاء، و « من ربك » متعلق بفعل الجزاء المحذوف ، و « عطاء » منصوب على المصدر أي يعطون عطاء أو أعطاهم عطاء ، وقيل : بدل من «جزاء» وقيل : نصب بجزاء نصب المفعول به أي جزاهم عطاء ،و «حساباً» منصوب على المصدر أي يحاسبون حساباً يسيراً أو كافأهم كافياً على أن «حساباً» بمعنى كافياً فاقيم المصدر مقام الوصف ومن المحتمل أن يكون «عطاء» صفة لـ «جزاء» وقيل : صفة لـ «عطاء»أي عطاء محسوباً .

٣٧- (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لايملكون منه خطاباً)

فى «رب السموات» وجوه: أحدها ـ الجر على البدل من «ربك» ثانيها ـ الرفع على تقدير مبتداء محذوف على تقدير: هو رب السموات. ثالثها ـ الرفع على الابتداء و «الرحمن» خبره. رابعها ـ النصب على تقدير أعنى. و «ما» فى «ما» موصولة، و «بينهما» متعلق بمحذوف، صلة للموصول، عطف على «السموات والارض» وضمير التثنية راجع إلى «السموات والارض» وفى «الرحمن» وجوه: أحدها ـ الجر على الوصف لقوله تعالى: «رب السموات» ثانيها ـ الرفع على كونه مبتداء و «لايملكون» خبره. ثالثها ـ خبر لمحذوف أى هو الرحمن.

و «لا» حرف نفى، و «يملكون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب، وواو الجمع النائب مناب ضمير الجمع راجع إلى المجموعين ليوم الفصل من المتقين والطاغين، و يحتمل أن يكون راجعاً إلى الطاغين فقط، و «منه» متعلق بفعل الملك، والضمير راجع إلى «رب» أو «الرحمن» و «خطاباً» مفعول به.

٣٨- (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صواباً)

فى «يوم» وجوه: أحدها ـ انه ظرف لقوله تعالى: «لايملكون» أى يوم لايملكون منه خطاباً يوم يقوم الروح. ثانيها ـ ظرف لـ «خطاباً» ثالثها ـ ظرف لـ «يقوم» رابعها ـ ظرف لقوله تعالى: «لايتكلمون».

و «يقوم» فعل مضارع، و «الروح» فاعله و «الملائكة» عطف على «الروح» و «صفاً» مصدر اريد به إسم الفاعل، حال من «الروح والملائكة» أى حال كونهم صافين أو مصطفين. و يحتمل أن يكون «صفاً» مصدراً لمحذوف أى يقومون صفوفاً، والمصدر ينبىء عن الواحد والجمع كالعدل والصوم. ويقال ليوم العيد: يوم الصف.

و فى «لايتكلمون» وجوه: أحدها ـ فى موضع رفع على البدل من

« لا يملكون » فالفاعل هم الطاغون والمتقون الذين تقدم ذكرهم . ثانيها - فى موضع نصب على الحال من «الروح والملائكة» ثالثها - فى موضع رفع على النعت من « الروح والملائكة » رابعها - فى موضع نصب على الحال من « للطاغين » و « للمتقين » و « الروح والملائكة » .

و «من» موصولة و «أذن» فعل ماض و « له » متعلق بـ«أذن» و «الرحمن» فاعل الفعل ، والجملة صلة الموصول ، و فى موضع « من » وجهان : أحدهما - الرفع على البدل من الضمير فى « يتكلمون » فاريد به بيان من له أن يتكلم منهم يوم الفصل باذن الله جل وعلا . ثانيهما - النصب على الاصل فى الاستثناء ، فاستثناه ممن يتكلم فيه . والواو فى « وقال » للعطف و «قال» عطف على «أذن» ولكن فاعله الضمير المستتر الراجع إلى « من » ، و « صواباً » مقولاً للقول .

٣٩ - (ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآباً)

«ذلك» مبتداء ، و « اليوم » خبره ، و « الحق » صفة لـ« اليوم » والفاء فى « فمن » للتفريع ، و «من» شرطية ، و « شاء » فعل ماض للشرط ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « من » و قيل : راجع إلى «الله» و « اتخذ » فعل ماض من باب الافتعال من الأخذ إلا انه ادغم بعد تليين الهمزة و إبدال التاء ثم لما كثر إستعماله على لفظ الافتعال توهموا بأن التاء أصلية، فقالوا: أصله من تخذ والفعل جواب الشرط ، و « إلى ربه » متعلق بفعل الاتخاذ ، و « مآباً » مفعول به .

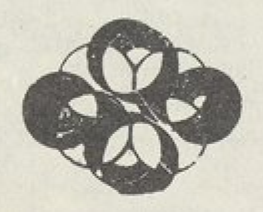
٤٠ - (انا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدمت يداه و يقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً)

« انا » حرف تأكيد مع إسمها ، و « أنذرنا » فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال ، و « كم » فى موضع نصب ، مفعول أول ، و «عذاباً» مفعول ثان و « قريباً » نعت من « عذاباً » والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد . و فى « يوم » وجوه : أحدها - بدل من سابقه على تقدير عذاب يوم . ثانيها -

صفة لـ « قريباً » ثالثها - ظرف لـ « عذاباً » لانه بمعنى التعذيب . وقيل : ظرف لـ « عذاباً » بصفته .

و «ينظر» فعل مضارع ، و « المرء » فاعله ، و فى «ما» وجهان: أحدهما - إستفهامية منصوبة بـ « قدمت » ثانيهما - موصولة ، منصوبة بـ « ينظر » فيلزم إضماران : حذف العائد من قدمته ، و حذف الجار لأن الاصل أن يقال : ينظر إليه . و « قدّمت » فعل ماض للمفرد المؤنث من باب التفعيل ، و « يداه » فاعل الفعل، وأصلها: يدان تثنية «يد» فلما اضيفت إلى ضمير «المرء» حذفت نون الرفع.

« و يقول » الواو للعطف ، و « يقول » عطف على «ينظر» و «الكافر» فاعل الفعل ، و « يا » حرف تنبيه ، و « ليت » حرف تمنّ ، و نون التكلم فى موضع نصب، إسمها ، و « كنت» فعل ماض للتكلم وحده من أفعال الناقصة ، و « تراباً » خبره ، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التمنّى .



﴿البيان﴾

١- (عمّ يتساءلون)

حذفت الالف إما للفرق بين « ما » الاستفهامية ، وغيرها ، ولتمييز الخبر عن الاستفهام ، و إما لقصد الخفة لكثرة إستعمالها ، والابهام في معناها ايذان بفخامة شأن المسئول عنه و هوله ، و خروجه عن حدود الاجناس المعهودة أي عن أيّ شيء عظيم الشأن وفي الاستفهام تنديد بالمتسائلين ، وتنبيه إلى أن تسائلهم ليس تعلماً وتفقّهاً ، وانما كان تعنتاً واستنكاراً ، وفي التساؤل والاخبار عنه بصورة الاستفهام إشعار بهوانه و حقارته لظهور الجواب عنه ظهوراً ما كان ينبغي معه أن يتساءل عنه .

فكأنه قيل : عن أيّ شيء يتساءل هؤلاء المشركون ومن إليهم في طوال الاعصار ؟ أهناك معضلة آبية الحل ؟ أومشكلة مستعصية عليهم حتى يكون منهم هذا التساؤل الملحاح الذي يصبحون فيه ويمسون ؟

وإن كان الكلام مبنياً على السئوال والجواب ، فالسائل والمجيب واحد ، وهوالله جل وعلا ، والفائدة في هذا الاسلوب أن يكون إلى التفهيم أقرب ، ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما وقع فيه هذا التساؤل ، وبيان أن مطلب ما وضع للسئوال عن حقائق الاشياء المجهولة ، والشيء العظيم الذي تعجز العقول عن إدراكه أو يدعى فيه العجز يكون مجهولاً ، فوقع بين المسئول بما هو ، و بين الشيء العظيم مشابهة من هذا الوجه ، والمتشابهة أحد أسباب المجاز .

وقوله تعالى : « يتساء لون » وفي ايثار المضارع دون الماضي ، و حذف المفعول ، وعدم ذكر مرجع ضمير الفاعل سابقاً ، وجمع الفعل دلالة على إستمرار التساؤل في مدى الاعصار . . . وإن كان مشركو مكة يتساءلون النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن البعث وغيره ويتساءل بعضهم بعضاً فيما بينهم و يخوضون فيه إنكاراً و إستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته و مسماه ، بل عن وقوعه الذى هو حال من أحواله ، ووصف من أوصافه . . . فان « ما » وإن وضعت لطلب حقائق الاشياء و مسميات أسمائها . . . كقولك : « ما الروح » ؟ و « ما العقل » ؟ و « ما الملك » ؟ لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول : « ما زيد » ؟ فيقال : « عالم » أو « طبيب » .

ولا ينافي ذلك سؤال المشركين رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين عن البعث واصول العقائد إستهزاء أيضاً ، ولا ينافي أن يكون الضمير راجع إلى مشركي مكة ، وإن لم يسبق ذكرهم للاستغناء عنه بحضورهم حساً مع ما في ترك الفاعل تحقير وإهانة عليهم ، وإشعار بأن ذكرهم مما يصان عنه ساحة الذكر الحكيم .

٢- (عن النباء العظيم)

بيان لشأن المسئول عنه إثر تفخيمه بابهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه ، وتنزيلهم منزلة المستفهمين إذفي ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب تنبيه على أنه لانقطاع قرينه، وإنعدام نظيره خارج من دائرة علوم الخلق خليق بأن يعتنى بمعرفته ويسئل عنه ، فكأنه قيل : عن أي شيء يتساءلون هل اخبركم به ؟ ثم قيل بطريق الجواب : « عن النباء العظيم » على منهاج قوله جل وعلا : « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » غافر : ١٦)

و « عن » متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه أن يقدر بعدها مسارعة إلى البيان ، ومراعاة لترتيب السئوال . و « النباء العظيم » هو الامر ذو الشأن الذى تغطّى أخباره كل خبر، فتتجه إليه الانظار ، وتشغل به الخواطر ، و

فى توصيف النبإ بالعظيم، تعظيم وتفخيم لأمره.

ولايخفى على القارى الخبير المتأمل مابين النبأ والخبرمن الفرق،وذلك ان النبأ لا يكون إلا للاخبار بما لا يعلمه المخبر، وأما الخبر فيجوز أن يكون المخبر بما يعلمه وبما لايعلمه، و لذلك يقال: تخبرنى عن نفسى، و لا يقال: تنبئنى عن نفسى، و كذلك تقول: تخبرنى عما عندى، و لا تقول: تنبئنى عما عندى.

قال الله تعالى: «فسيأتيهم أنباء ماكانوا به يستهزؤن» الشعراء: ٦)

و إنما استهزؤا به لانهم لم يعلموا حقيقة وبال استهزاءهم، و لو علموها لتوقوها.

وقال: «ذلك من أنباء القرى نقصه عليك» هود: ١٠٠)

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عالماً بشيء منها ظاهراً.

مع أن فى النبأ معنى عظيم الشأن، و لذلك اخذ منه صفة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ولهذايقال: سيكون لفلان نباء ولايقال: خبر بهذا المعنى.

وان الانباء عن الشيء أيضاً قد يكون بغير حمل النباء عنه، تقول: هذا الامر ينبىء بكذا ولاتقول: يخبر بكذا لان الاخبارلايكون إلاّ بحمل الخبر.

٣- (الذى هم فيه مختلفون)

وصف للنباء، وفى وصفه بذلك بعد توصيفه بالعظيم تأكيد لخطره، إثر تأكيد، وإشعار بمدار التساؤل عنه، وقدّم «فيه» على متعلقه، إهتماماً به، و رعاية للفواصل... و فى ايثار الصلة جملة إسمية دلالة على الثبات أى انهم راسخون فى الاختلاف فى المتساءل عنه، فانهم يقولون: «إن هى إلاّ حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين» الانعام: ٢٩) وهم كانوا يستحيلون وقوع البعث.

ومنهم من كانوا شاكين كقوله تعالى حكاية عنهم: «ما ندرى ما الساعة إن نظن إلاّ ظناً وما نحن بمستيقنين» الجاثية: ٣٢)

٤- (كلا سيعلمون)

ردع وتهديد وتوكيد قوى بأن المتسائلين لا بد من أن يروا ما كانوا ينكرون به حقيقة ويعلموا صحته ، ورد على هذا التساؤل بأنه أمر لا يدعو إلى تساؤل من عاقل ، ولا يثير خلافاً بين عقلاء إذ كان أظهر من أن يسئل عنه ، أوضح من أن يختلف فيه ، وانهم إذا جهلوه لجهلهم أو تجاهلوه بعنادهم - فانه سيأتى اليوم الذى يعلمونه فيه يقيناً ويرونه عياناً ، و وعيد وتخويف لأى طائفة من طوائف الشاكين والمستحيلين على طريق الاستئناف ، وفيه تعليل للردع أيضاً

والسين للتقريب والتأكيد ، و مفعول العلم محذوف أى سيعلمون ما يلاقونه لا محالة مما ينكرونه من فنون الدواهى والعقوبات . . . والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه فى معرض التساؤل والاختلاف ، فالمعنى : ليرتدعوا عماهم عليه ، فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال إذا حل بهم ما كانوا ينكرونه من العذاب والنكال كقوله تعالى : « و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » الشعراء : ٢٢٧)

٥- (ثم كلا سيعلمون)

وعيد إثر وعيد ، وتكرير للردع وتأكيد للوعيد السابقين ، و مبالغة فى التأكيد والتشديد ، اذفى تكرير الزجر مع الوعيد ايماء إلى غاية التهديد وتأكيد له ، وتقرير لتلك الحقيقة السافرة التى تقوم بين يديها ومن خلفها الادلة القاطعة والبراهين الناطقة الساطعة . وجيىء فيه بـ « ثم » للايذان بأن الوعيد الثانى أبلغ وأشد من الاول ، وان الاول لاينقضى بسرعة ، بل يدوم إلى مدة طويلة من الزمن.

وان لحن التهديد هو القرينة على أن المتسائلين هم المشركون والمكذبون بالبعث والجزاء دون المؤمنين ودون المشركين والمؤمنين جميعاً على ما توهم بعض

٦- (الم نجعل الارض مهاداً)

مستأنف بياني سيق لبيان دلائل قدرة الله جل وعلا على البعث و براهين الحكمة في الحساب والجزاء سيق لتحقيق النباء المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيقته إثر ما نبّه عليها بما ذكر من الردع والوعيد، على طريق الاستفهام التقريري، والاشارة إلى آثار رحمة الله تعالى التي يغفل عنها أكثر الناس، مع أنها بين أعينهم في كل حين، تدليلاً على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء بمشاهد كون الله جل و علا وعظمته و نواميسه، فهو وحده هو الذي جعل الارض ممهدة صالحة للسير والاستقرار، والتمكن والتقلب، وحثهم على أن يقفوا بين يدي هذه المعارض من قدرة الله تعالى، وأن يقرؤا في صحفها ما يحدثهم عن جلاله و عظمته، عن علمه وحكمته، وعن تدبيره وقدرته . . .

من التصريف في عالم الانسان حياة وموتاً وبعثاً، وقد كان من شأنهم ـ لو كان لهم عقول ـ أن يقفوا بين يدي هذه الادلة والبراهين التي تقوم شاهدة على القدرة المطلقة الالهية.

و في الاية إستعارة، والمراد بها تشبيه الارض بالمهاد المفترش ليمكّن الاستقرار عليها والتقلب والتمكن فيها.

٧ـ (والجبال أوتاداً)

ههنا إستعارة إن شبهت الجبال الراسيات بالاوتاد التي تحفظ الارض أن تميد بما عليها فأقامها الله تعالى فوقها كالاوتاد تمسك بها الارض حتى لا تميد و تضطرب، فانها أشبه بالاوتاد التي يشدبها أطناب الخيمة و تمسك بها، فكون الجبال أوتاداً، فلان بها إمساك الارض وقوامها و إعتدالها وثباتها كما ثبت البيت بأوتاده ويقوم الخبأ على عماده.

٨ـ (وخلقناكم أزواجاً)

عطف على المضارع المنفي بحرف الجحد، داخل في حكمه، فانه في قوة « أما جعلناه » أو على ما يقتضيه الانكار التقريري، فانه في قوة أن يقال: « قد

جعلنا » وفي إيثار الافعال بصيغة التكلم مع الغير تعظيم للمتكلم و تفخيم لأمره ، وايماء إلى هيبته و عظمته وقدرته . . . وفي الالتفات من الغيبة إلى الخطاب مبالغة في الالزام والتبكيت .

٩- (وجعلنا نومكم سباتاً)

ومن مشاهد القدرة المطلقة ، وآثار الرحمة الالهية انه جعل النوم المحتاج إليه الانسان إنقطاعاً عن الحركة ، وراحة لارواحكم ، ودعة لأبدانكم ، ولا حياة بلا نوم ، ومنه يوم السبت أي يوم الراحة : وفيه إمتنان علينا لما فيه من المنفعة والراحة للقوى من تعبها النهارى ، ومن النشاط لها من كسلها و إعادة لما فقد منها .

وانه تعالى جعل النوم موتاً ونحن أحياء ، فألبسنا الحياة والموت معاً ... نحيي ونموت ، ونموت ونحيي ، وذلك في كل يوم من أيام حياتنا .

١٠- (وجعلنا الليل لباساً)

بيان لمشهد آخر من مشاهد القدرة والرحمة والتدبير ، و هو الليل الذى هو السبب الالهى يدعو إلى ترك التقلب والحركة والميل إلى السكن والدعة و الرجوع إلى الاهل والمنزل ، وهو الذى يرخى على الاحياء ستراً يمسك حواسها المنطلقة أثناء النهار ليعطيها فرصتها من الراحة والسكون ، وليتيح للقوى المندسة في كيان الانسان من مدركات و عواطف و مشاعر . . . أن تنطلق لتجد وجودها كاملاً ، وبهذا يحدث التوازن بين القوى المتزاوجة كلها في الانسان بين جسده و روحه ، بين مادياته و معنوياته ، بين حركته و سكونه ، و بين يقظته ونومه . . .

١١- (وجعلنا النهار معاشاً)

مشهد سادس من مشاهد القدرة المطلقة والعظمة الالهية والرحمة الربانية لهذا الانسان ، وهو جعل النهار سبباً لتقلب الناس فيه لوجوه تعيشهم و حياتهم

وسميت الحياة معاشاً باسم سببها ، وهو العيش الذى لاحياة لحى إلاّ بما يتبلغ به من طعام وماء وسكن . . . فمن قدرة الله جل وعلا وعظمته و تدبيره ، و من فيض فضله ورحمته أن جعل النهار مبصراً ليرى الاحياء فيه مواقع معاشهم و وسائل كسبهم وسعيهم وحركتهم وارتزاقهم وحوائجهم . . .

١٢- (وبنينا فوقكم سبعاً شداداً)

مشهد آخر من مشاهد نواميس الكون، وتدبير الصانع وعظمة الخالق وقدرته، وفى وصف السموات بانها شداد إشارة إلى ما يبدو لنا من قيامها سقفاً مرفوعاً فوقنا دون أن تسقط علينا ، انها سبع شداد : محكمة الخلق ، وثيقة البنيان ، متينة التكوين ، وخارقة البناء بقوة تمنعها من التفكيك والانثناء لا يؤثر فيها مرور الزمان .

١٣- (وجعلنا سراجاً وهاجاً)

تنبيه على مشهد آخر من عظمة الكون وقدرة الخالق ، وفى وصف السراج بانه وهاج إشارة إلى توهّج الشمس وتوقدها ، فهى كرة نورية بالغة فى الضوء ، كرة نارية متّقدة ، و كرة باعثة للحرارة الشديدة التى تعيش بها الارض و ما عليها وما فيها . . . فهى جامعة للنور والحرارة .

١٤- (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً)

مشهد تاسع من مشاهد نواميس العالم ، و فيه إستعارة إذ شبهت السحاب بالثوب المبلول الذى يعتصر ، فيتساقط منه الماء ،فكأن السحب التى يتحلب منها الماء ، وفى وصف السحب بانها معصرات إشارة إلى أن الماء الذى تحمله متلبس بها مندسٌ فى كيانها ، بل هى فى حقيقتها ماء ووعاء . . معاً .

١٥- (لنخرج به حباً ونباتاً)

تقرير لغاية إنزال الماء ، و ما يتولد من هذا الماء المتدفق من السحب ، من منافع كثيرة وفوائد جليلة ، فبهذا الماء يخرج الله جل و علا الحب الذى

يقتات منه الناس كالبر والشعير والذرة والأرز وما إليها . . . والنبات الذى يأكل منه الانسان والانعام من الخضراوات والكلأ وما إليها . . .

١٦- (وجنات ألفافاً)

ان الله تعالى جمع فى هذه الاية و ما قبلها جميع أنواع ما تنبته الارض ، فان ما يخرج منها إما أن يكون ذاساق أولا ، وعلى الاول فاذا اجتمع بعضه إلى بعض ، وكثر حتى إلتف فهو حديقة وبستان ، وعلى الثانى فاما أن يكون له أكمام فيها حب ، وإما أن يكون بغير ذلك وهو النبات ، وقدّم الحب لانه غذاء أشرف أنواع الحيوان وهو الانسان ، ثم ذكر النبات لانه غذاء بقية أنواع الحيوان ، وأخّر الحدائق لان الفاكهة مما يستغنى عنها الكثير من الناس .

ولايخفى على القارى الخبير ان اسلوب الآيات الحادية عشر ومضامينها- فى تسع مشاهد من مشاهد قدرة الله المطلقة ، وعظمته التامة ، وتدبيره الكامل ، وعلمه الشامل ، وحكمته البالغة ، ورحمته الواسعة ، وفيضه الجارى - ممايلهمنا ان السامعين ، ومنهم الكفار كانوا يعترفون بأن ما يرونه من مشاهد الكون و نواميسه ، وما يتمتعون به من أسباب الحياة هو من آثار قدرة الله جل وعلا وصنعه ورحمته وعظمته وتدبيره ، ومن هنا يكون التدليل على قدرة الله تعالى على تحقيق النباء العظيم الذى يتساءلون عنه الكفار قوياً ملزماً .

أفلا يرى المشركون المكذبون بالبعث المختلفون فيما يحدثهم به النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عنه؟ أفلا يرون أن بعثهم لايعجز هذه القدرة القادرة التى أبدعت هذه الايات ، وأحكمت صنعها ؟ و ألا يحدث ذلك لهم علماً يرفع هذا الخلاف الذى هم فيه ؟

فالعالم المشهود بأرضه وسمائه وليله ونهاره ، والبشر المتناسلين والنظام الجارى فيها والتدبير المتقن الدقيق لا مورها من المحال أن يكون لعباً باطلاً لاغاية لها ثابتة باقية ، فمن الضرورى أن يستعقب هذا النظام المتحوّل المتغيّر

الدائر إلى عالم ذى نظام ثابت باق ، و أن يظهر فيه أثر الصلاح الذى تدعو إليه الفطرة الانسانية ، والفساد الذى تردع عنه ، و لم يظهر فى هذا العالم المشهود أعنى سعادة المتقين وشقاء المفسدين ، و من المحال أن يودع الله الفطرة دعوة غريزية أو ردعاً غريزياً بالنسبة إلى مالاأثر له فى الخارج ، ولاحظّ له من الوقوع، فهناك يوم يلقاه الانسان ويجزى فيه على عمله إن خيراً فخيراً ، وإن شراًفشراً.

فالايات الكريمة فى معنى قوله جل وعلا : « وماخلقنا السماء والارض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار» ص :٢٨)

وبهذا البيان يثبت ان هناك يوماً يلقاه الانسان ، ويجزى فيه بما عمل إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً، فليس للمشركين أن يختلفوا فيه ، فيشك فيه بعضهم ويستبعده طائفة ويحيله قوم ، ولايؤمن به مع العلم به عناداً آخرون ، فاليوم ضرورى الوقوع والجزاء لاريب فيه .

ويظهر من بعض المفسرين ان الآيات الكريمة سيقت لاثبات القدرة، وأن العود يماثل البدء ، والقادر على الابداء قادر على الاعادة ، و هذه الحجة و إن كانت تامة ، وقد وقعت فى كلامه جل وعلا لكنها حجة على الامكان دون الوقوع والسياق فيما نحن فيه سياق الوقوع دون الامكان ، فالانسب فى تقريرها ما ما تقدّم .

١٧- (ان يوم الفصل كان ميقاتاً)

شروع فى بيان سرّ تأخيرما يتساءلون عنه ، ويستعجلون به قائلين : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ، ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه عندذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد إجمالاً . والمعنى : ان يوماً يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق كان فى علمه وتقديره ميقاتاً وميعاداً لبعث الاولين والآخرين ، وما يترتب عليه من الجزاء ثواباً وعقاباًلايكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر.

و فى التعبير بلفظ «كان» دلالة على ثبوت يوم الفصل و تعيّن يوم القضاء فى العلم الالهى على ما ينطق به الحجة التى سبق ذكرها ، و لذا أكّد الجملة بـ« ان » .

و فى الاية الكريمة تهديد للمشركين بهذا اليوم الذى يكذبون به و يختلفون فيه . . انه آت لا ريب فيه ، و هو يوم الفصل فيماهم فيه يختلفون ، و فيما يقضى به الله جل و علا فيهم من عذاب .

١٨ - (يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجاً)

بدل من « يوم الفصل » أو عطف بيان له ، مفيد لزيادة تفخيمه و تهويله ، وتقرير لوصف بعض مشاهد قيام القيامة وصفاً متضمناً قصد تصوير هول ذلك اليوم، إذ فى ذلك اليوم ينفخ فى الصور ، فيأتى الناس أفواجاً من كل صوب، وفى الالتفات قضاء لحق الوعيد الذى يتضمنه قوله : « كلا سيعلمون» تذكير لهم ببعض مايكون فيه تخويفاً لهم من الاستمرار على التكذيب بعد ما وضحت الادلة واستبان الحق.

والفاء فى«فتأتون» للفصاحة ، تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها، و ايذاناً بغاية سرعة الاتيان ، كقوله تعالى: « فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك الحجر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم » الشعراء : ٦٣) فالمعنى : فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى الموقف عقيب ذلك من غير لبث أصلاً .

١٩ - (و فتحت السماء فكانت أبواباً)

إشارة إلى تبدل نظام الكون ، و وصف لهول يوم القيامة ، وفى الاية الكريمة وماقبلها و تاليها إنذار للمشركين، و إثارة الخوف فيهم وحملهم على الارعواء ، و فى ايثار الماضى - فتحت - فكانت - دلالة على تحقق الوقوع لا محالة .

٢٠ - (و سيرت الجبال فكانت سراباً)

مشهد آخر من مشاهد تبدل الكون يوم الفصل ، و ان السراب ما يلمع فى المفاوز يتوهم الرائى انه ماء و لا ماء و يستعار لكل ما يتوهم انه ذو حقيقة

و لا حقيقة له .

٢١ - (ان جهنم كانت مرصاداً)

شروع فى تفصيل أحكام الفصل الذى اضيف إليه اليوم إثر بيان هوله ، و تهديد شديد للمكذبين بيوم الفصل ، و ما فيه من حساب و جزاء ، فهـذه جهنم على موعد معهم ، قد اعدت لهم و رصدت للقائهم . و فى ايثار الماضي : «كانت» دلالة على وجود جهنم قبل القيامة .

٢٢ - (للطاغين مآباً)

وصف لمصير الكفار فى يوم الفصل، و وصفوا بالطغيان للتدليل على كفرهم و بغيهم ، وفيه تعليق الحكم على الوصف ، فتكون جهنم اعدت مأوى لكل من تلبس بالكفر والعصيان، ومرصدهم، و وجه تقديم بيان حال الطغاة غنى عن البيان.

٢٣ - (لابثين فيها أحقاباً)

بيان لكيفية إستقرار الطغاة و مدته فى جهنم ، و هى دهور لا نهاية و لا إنقطاع لها ، فكلما مضى حقب جاء بعده حقب إلى ما لا نهاية ، والاحقاب كناية عن التأبيد ، والمعنى : ان الطغاة يمكثون فى جهنم أحقاب الاخرة لانهاية لها . و فيه إثارة الرعب والرهبة فى قلوب الكفار وحملهم على الارعواء . وقيل: ذكر الاحقاب دون الايام لان الاحقاب أهول فى القلوب و أدلّ على الخلود .

٢٤ - (لا يذوقون فيها برداً و لا شراباً)

تقرير لاحوال الطغاة فى جهنم ، و ما يذوقون فيها إثر بيان مسكنتهم و إستقرارهم فيها .

٢٥ - (الا حميماً و غساقاً)

إستثناء منقطع فى قول من جعل البرد النوم ، و من جعله من البرودة كان بدلاً منه، فهؤلاء الطغاة لابد أن يذوقوا فى جهنم ماءاً حاراً غاية الحرارة ، وبالغة فى السخونة ، التى لا تزيد فيهم إلا عطشاً و حرقة فى بواطنهم و ما يسيل من

أجسادهم من صديد أهل النار المستقذر المنتن ، فانهم يذوقونهما جوزوا بذلك .

٢٦ - (جزاء وفاقاً)

كل ذلك جزاء عادل متناسب مع أعمالهم و مواقفهم ، فقد طغوا بالكفر والعصيان من غير تفكر فى العواقب والتبعات . . . والتقدير : جازيناهم جزاء وافق أعمالهم و فيه دلالة على المطابقة التامة بين الجزاء والعمل ، فالانسان لا يريد بعمله إلاّ الجزاء الذى بازائه . و فى حذف الفعل و مفعوله ما لايخفى على القارىء الخبير المتدبر .

٢٧ - (انهم كانوا لا يرجون حساباً)

شروع بذكر جرائمهم ، فاشير إلى نوعين منها أحدهما - عدم إعتقادهم بيوم الحساب والجزاء . تعليلاً لاستحقاقهم الجزاء على وفق أعمالهم الفاسدة و عقائدهم الباطلة ، و تقريراً لعلة خلودهم فى جهنم و ذوق عذابها ، وبياناً للسبب الذى من أجله صاروا إلى هذا المصير الكئيب المشوم انهم كانوا لا يتوقعون حساباً ولايؤمنون به . و فيه إشارة إلى نقصانهم بحسب القوة العلمية ، فان الذى إعتقد انه لا حشر ولاحساب لا يبالى بأىّ شىء فعل من القبائح والمظالم أو أىّ شىء ترك من ترك الخيرات والفضائل و صالح الاعمال . . .

و فى التعبير عن تكذيبهم بالحساب بقوله جل وعلا : «لايرجون» مع أن الرجاء عادة إنما يكون لتوقع الخير إشارة إلى أن من شأن يوم القيامة أن يكون أملاً مرجواً عند الناس ، فانها دار الحيوان والخلود الدائم والنعيم الكامل ، و دار طمأنينة و سكن و راحة ليس و رائها أمل ، إذ فيها غاية أمل يمكن أن يكون فى نفس الانسان ، و ان مقام الانسان فى الحياة الدنيا هو مقام قلق وإزعاج لاينبغى لعاقل فضلاً عن فاضل أن يقيم وجوده عليه ، بل ينبغى أن يسعى إلى التحول عنه ، والنظر إلى ماورائه والرجاء فى حياة طيبة أكرم وحياة دائمة أفضل وأبقى.

فهم لم يرجوا الحساب يوم الفصل ، فأيسوا من الحياة الاخرة ، و كذّبوا

بآيات الله تعالى الدالة عليها ، فأنكروا التوحيد والنبوة وتعدّوا في أعمالهم طور العبودية ، فنسوا الله جل وعلا فنسيهم وحرّم عليهم سعادة الدار الاخرة . فلم يبق لهم إلاّ الشقاء ولايجدون فيها إلاّ ما يكرهون ولايواجهون إلاّ ما يتعذّبون به .

٢٨- (وكذبوا بآياتنا كذاباً)

تقرير لنوع آخر من جرائمهم ، وتعليل ثان لاستحقاقهم الجزاء على وفق فساد أعمالهم وبطلان عقائدهم حتى جحدوا الحق وكذّبوا الرسل والايات التكوينية والتدوينية ، والآفاقية والانفسية الدالة على التوحيد والنبوة والمعاد .

و« كذاباً » وصف للكذب ، ومبالغة في صفته كما أن كذاب - بالفتح- مبالغة لمن اتصف به أي انهم كذبوا بآيات الله تكذيباً منكراً شنيعاً لما صحب تكذيبهم من سفاهة وتطاول على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٢٩- (وكل شيء أحصيناه كتاباً)

إشارة إلى إحاطة علم الله جل وعلا بكل شيء ، ومنه أحوال الطاغين الاعتقادية والعملية ، فلا يغيب عنه شيء منها ، وإنما قيل: « كتاباً » دون أن يقال :« إحصاء » لان الكتابة هي النهاية في قوة العلم بالشيء ، فان من يريد أن يحصى كلام متكلم حتى لايغيب منه شيء عمد إلى كتابته ، فكأنه تعالى يقول : وكل شيء أحصيناه إحصاء يساوي في ثباته وضبطه مايكتب .

وان الاية الكريمة من تمام التعليل المتقدم أي فعلوا كذا وكذا ، ونحن عالمون بجميع عقائدهم وأعمالهم كليها وجزئيها ، ولذلك كتبنا جزاء الطاغين على وفق عقائدهم وأعمالهم . . .

٣٠- (فذوقوا فلن نزيدكم الاعذاباً)

الفاء سببية بان العذاب مسبب عن كفرهم بالحساب ، وتكذيبهم بالايات ، وتفريع لما سبق من تفصيل عذابهم ، وبيان لغاية السخط الالهي بالطاغين على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب . والتعقيب بفاء الجزاء الدال على أن المذكور

سبب عن كفرهم بالحسنات وتكذيبهم بالايات . . .

وهذا من سياط البلاء والنكال التى تنهال على أصحاب النار وهم على هذا المورد الوبيل أن يشربوا من هذاالعذاب ، وأن يتجرعوا كؤسه الملأى بالحميم والغساق ، وأن ماهم فيه من لحظتهم تلك أهون مما يذوقونه فى كل لحظة آتية انهم ينتقلون من عذاب إلى ماهوأشد منه حالاً بعد حال ولحظة بعدلحظة ،فليبا دروا بشرب ما بأيديهم قبل أن يشتد لهيباً ويزدادغلياناً وتيئيساً لهم من الغفران.

وايراد « لن » لافادة ان الزيادة فى العذاب لشدة الغضب ، ومسوقلاياسهم من أن يرجوا نجاة من الشقوة وراحة ينالونها ، وفى الالتفات إلى خطابهم بقوله تعالى : « فذوقوا » تقدير لحضورهم ليخاطبوا بالتوبيخ والتقريع بلاواسطة فى يوم الفصل ، وان هذه الاية الكريمة أشد مافى القرآن الكريم على الطغاة والمكذبين من الوعيد والتوبيخ والتقريع .

٣١- (ان للمتقين مفازاً)

شروع بشرح أحوال السعداء و بيان محاسن أحوال المـؤمنين ، و وصف لمصير المتقين فى يوم الفصل إثر بيان سوء أحوال الطغاة والكافرين للمقابلة مع وصف مصير الكفار ، وفى الجملة من تعليق الحكم على الوصف مالا يخفى ، بان للمتقين بسبب تلبسهم بالتقوى يوم الفصل نجاة وفوزاً . . . و فى الوصف المبهج الترغيب والتبشير وبعث الاغتباط والطمأنينة فى قلوب المؤمنين .

٣٢- (حدائق وأعناباً)

تقرير لما فى الجنة للمتقين ، وفى جمع «حدائق » بصيغة الجموع وتنكيرها مالا يخفى ، و فى تخصيص « أعناباً » بالذكر دون سواها من أشجار الجنة لشأن مزيته على سائر الفواكه كما يبدو - فى الحياة الدنيا - انه طيب الثمر دانى ممتد الظل . . . وإن كان المتقون يتمتعون فى الجنة بغير الاعناب أيضاً .

٣٣- (وكواعب اترابا)

وصف لفتيات الجنة اللائى نهدثديهن ، وهن في أول شبابهن ، وعلى صورة من الكمال ليس بعدها غاية ، إثر بيان ما للمتقين من البساتين و فواكهها ، و إلتذاذهم بهن وتمتعهم بها . و فى ترتيب ذكر المساكن والمطاعم والازواج مالا يخفى من النكات . . . فياتى دور الجنس بعد مهمة المسكن والغذاء و إن كان قبلهما فى الاندفاع إلاّ انه ناقص مالم تتم معداته . . . وقد يجرف بالانسان إلى شفا جرف الهلكات النفسية والاقتصادية إذا لم تكمل الظروف . . .

٣٤- (وكأساً دهاقاً)

وصف لمشارب الجنة و كؤوسها الممتلئة شراباً ، والملتذة لشاربيها .

٣٥- (لايسمعون فيها لغواً ولاكذاباً)

تنزيه لمجلس المتقين ولقاء بعضهم بعضاً فى الجنة وحفظ أسماعهم من أن يطوف بها شيء ممالافائدة له ، ولا ينسب أحدهم صاحبه إلى لغو ولا كذب ، ولا يؤذى آذانهم لغوولا كذب ، فمجلسهم خالص من بغيضة ومؤلمة جسميةوروحية، فمن نعيم الجنة ألاّ يدخل على نفوسهم شيء مما يكدرصفاءها من لغو القول ، و هجره وفحشه .

٣٦- (جزاء من ربك عطاء حساباً)

فى تعرّض عنوان الربوبية إنباء عن التبليغ إلى الكمال شيئاً فشيئاً و ان الجزاء أيضاً من شؤن الربوبية ، وفى العدول عن خطاب المتقين إلى خطاب النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله جل وعلا : « من ربك» بدلاً من « ربهم » مزيدتشريف وزيادة تكريم له صلى الله عليه وآله وسلم وانه فضل ربه عليه كان هذا العطاء الذى وسع المتقين جميعاً حسب درجاتهم . . .

و قيل : ان إضافة الجزاء إلى الرب جل وعلا مضافاً إلى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم تشريف له صلى الله عليه وآله وسلم ولم يضف جزاء الطاغين إليه سبحانه تنزيهاً منه تعالى إذليس مايغشاهم من شر وعذاب ، ومن نكال ووبال إلاّ من عند أنفسهم ، قال الله تعالى:

« وذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد » الانفال : ٥١)

وقوله تعالى : « عطاء حساباً » فيه إشارة إلى أن هذا الجزاء الذي يجزيهم به ربهم ليس على قدر أعمالهم ، فان أعمالهم - مهما عظمت - لا تزن مثقال ذرة من هذا النعيم وانما ذلك عطاء من ربهم ، وفضل من كرمه ، وإحسان من فضله ، وأما أعمالهم الصالحة فليست إلا وسيلة يتوسلون بها إلى مرضاة الله جل وعلا ، فاذا رضى الله تعالى عنهم أرضاهم وأجزل لهم العطاء .

وقوله تعالى : « حساباً » فيه إشارة اخرى إلى أن هذا العطاء ذو صفتين : أحدهما - انه عطاء بحساب ، حسب منازل المتقين عند الله جل و علا ، و حسب درجاتهم من الايمان والتقوى وصالح الاعمال . . . ثانيهما - انه عطاء يكفى كل من نال منه ، فلا تبقى له حاجة يشتهيها بعد هذا العطاء .

ولا يخفى ان نعيم الجنة وإن استجاب لكل ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ، فانه يختلف بحسب مقام المتنعمين به حيث تقبلهم لهذا النعيم وإتساع قواهم له... وهذا التقبل ، وهذا الاتساع يتبع مقام المتنعم ومنزلته ودرجته عند الله جل وعلا .

كما ان المائدة الممدودة عليها كل ماتشتهى الانفس من طيبات ، وحولها أعداد من المدعوين إليها ، فكل ينال منها قدر طاقته وشهوته و إشتهائه ، و إن كانوا جميعاً قد نالوا ما يشتهون منها ، ولكن شتان بين من أخذ لقيمات وبين من قطف من كل عليها من ثمار . . . ووقوع لفظ الحساب فى ذيل جزاء الطاغين والمتقين معاً لتثبيت ما يلوّح إليه يوم الفصل الواقع فى أول الكلام .

٣٧- (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لايملكون منه خطاباً)

بيان لقوله تعالى : « ربك » ومدح لذاته جل وعلا ووصف للمنعم بهذه النعم الجليلة . . . انها من رب العالمين : رب السموات والارض وما بينهما من رب رحمن فى الحياة الدنيا برحمة عامة شاملة لكائنات العالم ، وهو رحيم فى الاخرة برحمة خاصة بمن آمن واتقى ، وتقرير بأن ربوبيته تعالى عامة لكل شيء ، وفى

توصيف الرب بالرحمن ـ صيغة مبالغة من الرحمة ـ إشارة إلى سعة رحمته، و انها سمة ربوبيته لا يحرم منها بشيء إلا أن يمتنع منها شيء بنفسه لقصوره، وسوء إختياره فمن شقوة هؤلاء الطاغين انهم حرّموها على أنفسهم بالخروج عن طور العبودية.

وفي ذكر عنوان الربوبية إشعار بمدار الجزاء المذكور، وفي عنوان الرحمة بعد التربية لاقتضائها الجزاء لمن آمن وعمل صالحاً.

وقوله تعالى: «لايملكون منه خطاباً» فيه إشارة إلى أن هذا النعيم الذي ينعم به المتقون إنما هو من رحمة الرحمن الذي أنزلهم منها هذا المنزل، و فيه تهديد وتحذير للطاغين. والجملة مستأنفة بيانية سيقت لتقرير ما أفاده الربوبية والرحمة بان الجزاء لايكون إلا لمن يستحقه، فليس لاحد أن يقدر على إعطائه لغيره لان مدار الجزاء والعطاء على الاستحقاق، و هذا لا يكون إلا بالعمل مع الايمان، ومن غير بعيد أن يكون نفي ملكية الخطاب من الطاغين.

وقيل: وقوع قوله تعالى: «لايملكون منه خطاباً» في سياق قوله تعالى: «رب السموات والارض وما بينهما الرحمن» ـ وشأن الربوبية هو التدبير وشأن الرحمانية بسط الرحمة ـ دليل على أن المراد بخطابه تعالى تكليمه في بعض ما فعل من الفعل بنحو السؤال عن السبب الداعي إلى الفعل كأن يقال: لم فعلت هذا؟ و لم لم تفعل كذا؟ كما يسئل الفاعل منّا عن فعله، فتكون الجملة: «لا يملكون منه خطاباً» في معنى قوله تعالى: «لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون» الانبياء: ٢٣).

لكن وقوع قوله: «يوم يقوم الروح والملائكة صفاً» بعد قوله: «لايملكون منه خطاباً» الظاهر في إختصاص عدم الملك بيوم الفصل مضافاً إلى وقوعه في سياق تفصيل جزاء الطاغين والمتقين منه تعالى يوم الفصل، يعطي ان يكون المراد به أنهم لايملكون أن يخاطبوه فيما يقضي، ويفعل بهم باعتراض عليه أو شفاعة فيهم

لكنّ الملائكة- وهم ممن لا يملكون منه خطاباً- منزّهون عن وصمة الاعتراض عليه جل و علا ، و قد قال فيهم : « عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » الانبياء : ٢٧) .

و من هنا يظهر أن المراد بالخطاب الذى لا يملكونه هو الشفاعة ، و ما يجرى مجراها من وسائل التخلّص من الشر كالعدل والبيع والخلة والدعاء والسؤال قال تعالى : « من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه و لا خلة و لا شفاعة » البقرة : ٢٥٤) .

و قال : « و لا يقبل منها عدل و لا تنفعها شفاعة » البقرة : ١٢٣) .

و قال : « يوم يأت لا تكلم نفس إلاّ باذنه » هود : ١٠٥) .

و بالجملة قوله : « لايملكون منه خطاباً » ضمير الفاعل فى «لايملكون» لجميع المجموعين ليوم الفصل من الملائكة والروح والانس والجن كما هو المناسب للسياق الحاكى عن ظهور العظمة والكبرياء دون خصوص الملائكة والروح لعدم سبق الذكر و دون خصوص الطاغين كما قيل لكثرة الفصل، والمراد بالخطاب الشفاعة ، و ما يجرى مجراها كما تقدّم .

٣٨ - (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون الا من أذن له الرحمن و قال صواباً)

بدل من يوم الفصل أو بيان له ، و تقرير لما سبق ، و وصف ليوم القيامة و هو لها والانذار بها ، مفيد لزيادة تفخيمها و تهويلها ، و فى إظهار الرحمن موضع الاضمار ايذان بأن مناط الاذن هو الرحمة الالهية فى ذلك اليوم الذى هو يوم جزاء لا تجزى نفس إلاّ ما كسبت .

قيل: ان المراد بالروح هو جبرئيل والملائكة معه ، وإنما أفرده بالذكر لعلو رتبته عند الله جل و علا كما فى قوله تعالى : « تنزل الملائكة والروح » القدر : ٤) .

و قوله تعالى : « إلا من أذن له الرحمن » بيان بأن الملائكة مع جلالة قدرهم لا يتكلمون إلاّ بشرطين : أحدهما ـ الاذن من الله جل و علا . ثانيهما ـ أن يقول صواباً .

وفي الاية الكريمة دلالة على أنهم مع قربهم من ربهم لايستطيع أحد منهم أن يشفع لأحد أو يطلب منحة إلاّ بعد أن يأذن له ربه ، و لا يأذن إلاّ لمن علم انه سيجاب لانه يقول الصواب ، وإنما يكون الكلام ضرباً من التكريم لمن يأذن له ، و يختصّ به ، و لا أثر له فيما أراده ألبتة ، فقوله جل و علا : « وقال صواباً » قيد للاذن كأنه قيل : إلاّ من أذن له الرحمن ، و لا يأذن إلاّ لمن قال صواباً . و ان صواب القول سبب للاذن و هذا ليس إلاّ لمن قال في الحياة الدنيا صواباً .

ولايخفى على القارىء المتأمل الخبير ما بين المستقيم والصحيح والصواب من الفرق : و ذلك ان كل مستقيم صحيح و صواب ، وليس كل صواب وصحيح مستقيماً ، والمستقيم من الصواب والصحيح ما كان مؤلفاً و منظوماً على سنن لا يحتاج معه إلى غيره ، و أما الصحيح والصواب فيجوز أن يكونا مؤلفين و غير مؤلفين ، و لهذا قال المتكلمون : هذا جواب مستقيم إذا كان مؤلفاً على سنن يغنى عن غيره ، و كان مقتضياً لسؤال السائل ، ولايقولون للجواب إذاكان كلمة نحو لا و نعم مستقيم و تقول العرب : هذه كلمة صحيحة و صواب ، ولايقولون: كلمة مستقيمة و لكن كلام مستقيم لان الكلمة لاتكون مؤلفة والكلام مؤلف.

و أما الفرق بين المستقيم والصواب : فأن الصواب إطلاق الاستقامة على الحسن والصدق والمستقيم هو الجارى على سنن ، فتقول للكلام إذا كان جارياً على سنن لا تفاوت فيه انه مستقيم و إن كان قبيحاً ، و لا يقال له : صواب إلاّ إذا كان حسناً . و قال سيبويه : يقال : مستقيم حسن و مستقيم قبيح ، و مستقيم صدق و مستقيم كذب ، و لا يقال : صواب قبيح .

٣٩ - (ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآباً)

تقرير بان يوم الفصل الذى وعد به الطاغون حق لا ريب فيه ، وهوواقع حتماً مقضياً لايتخلف عن الوقوع. ومعنى البعد فى الاشارة مع قرب العهد بالمشار إليه ايذان بعلو درجته و بعد منزلته فى الهول و فخامة أمره .

و قوله تعالى: « فمن شاء » تفريع على البيان السابق من الاخبار بثبوت يوم الفصل لامحالة، و الاحتجاج عليه و وصفه ، فالفاء للفصاحة ، تفصح عن شرط محذوف أى إذا كان الامر كما ذكر، فمن شاء نجاة نفسه من أهوال ذلك اليوم و فزعه و عذابه ، إتخذ إلى ربه سبيلاً للنجاة بالايمان والطاعة وصالح الاعمال...

وفى إيثار كلمة الرب « ربه » إنباء بان هداية المهتدى من شئون الربوبية ، و إضافتها إلى ضمير المتخذ تكريم و تشريف له بعد اتخاذه .

وقال بعضهم : إن تسئل : ان قوله تعالى : « فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا » هو جزاء الشرط ، فأين الشرط ، و « شاء » وحده لا يصلح أن يكون شرطاً، لانه لا يفيد بدون ذكر مفعوله ، و إن كان المذكور هو الشرط فأين الجزاء؟

تجيب عنه بجوابين : أحدهما ـ ان المعنى: فمن شاء نجاة نفسه من أهوال يوم الفصل و ناره و عذابه اتخذ إلى ربه مرجعاً بطاعته . ثانيهما ـ ان المعنى : فمن شاء أن يتخذ إلى ربه مآباً كقوله تعالى: « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» أى فمن شاء الايمان فليؤمن و من شاء الكفر فليكفر

٤٠ ـ (انا انذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدمت يداه و يقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً)

زيادة تخويف للطاغين، و إنذار للكافرين بعذاب شديد، وفى حرف التأكيد، و فى ضميرى التكلم مع الغير ، وفى الالتفات من العظمة والرهبة ، ومن الانباء عن التشديد فى التهديد ما لا يخفى على القارىء الخبير .

و قوله تعالى: «عذاباً قريباً» فى توصيف العذاب بالقريب تنبيه على وقوع العذاب لا محالة ، فقر به باعتبار تحققه ، و انه قريب بالنسبة إلى الله جل وعلا ،

و إن رآه الانسان بعيداً .

و قوله تعالى : « يوم ينظر المرء » ان الظرف إما بدل من « عذاباً » وإما ظرف لمضمر هو صفة له أي عذاباً كائناً يوم يشاهد المرء ما قدّمه من خير أو شر ، من ايمان أو كفر ، من طاعة أو معصية ، و من حسنة أو سيئة . . . بناء على كون « ما » موصولة منصوبة بـ « ينظر » على حذف العائد . و بمعنى ينظر أيّ شيء قدمت يداه على كون « ما » إستفهامية منصوبة بـ « قدمت » .

و قوله تعالى : « ويقول الكافر » في وضع الظاهر : « الكافر » موضع الضمير زيادة الذم والحسرة والندامة والفزع من المصير الرهيب الذي سوف يصير إليه ، و لبيان المقتضي للعذاب ، و هو الكفر . و هذا بناء على كون المراد بالمرء هو الكافر ، و إلاّ فذكر « الكافر » تعليل لما يأتي من التمني وفي الايات الكريمة ايماء إلى ما يكون عليه المؤمنون من الاستبشار والسرور بما رأوه . وفي الايات الاربع الأخيرة : « ٣٧ ـ ٤٠ » قوية نافذة تتضمن وصف عظمة الله جل و علا و هيبته ، و تضع الناس أمام مصير واضح لا ينجو من هوله إلاّ من آمن بالله تعالى و سار في سبيله .

﴿الاعجاز﴾

ومن غير مراء ان التحقيق والبحث حول إعجاز كل مقطع من مقاطع هذه السورة وآيها وحدها يحتاج إلى كتابة كتاب فرادى ، ولست الآن بصدده، فنكتفي بذكر بعض وجوه من إعجازها :

منها : ان الله جل وعلا يذكر في كثير من الايات القرآنية: ان الجبال أوتاد لهذه الارض عن الميدان والميلان ، منها في السورة التي نحن فيها ، إذ يقول تعالى : « ألم نجعل الارض مهاداً والجبال أوتاداً » : ٦ و٧) . و معلوم ان الارض كالمهاد أو الفراش لهذا الانسان فهي موطن البشر ، ومأواهم في هذه الحياة الدنيا.

وأما تشبيه الجبال بالاوتاد التي تحفظ توازن الخيمة عند ماتشد إليها فهو تشبيه علمي معجز لا يصل إلى كنهه وسرّه إلاّ الراسخون في علم طبقات الارض ، وقد علم أخيراً بعد تقدم (الجيو لو جيا) أي علم طبقات الارض انه لولا الجبال لكانت قشرة الارض الصلبة في جملتها دائبة الاضطراب بسبب دوام إختلال التوازن القائم بين جوف الارض المنصهر ، وما يعاني من ضغوط عالية وقشرتها الصلبة، وما تتعرض له من عوامل التعرية . . . وأهم عوامل التعرية هي الامطار والسيول والانهار والرياح و إختلافات الحرارة مابين الليل والنهار والشتاء والصيف و كلها تفتت القشرة الصلبة .

ان قشرة الارض الصلبة هي ميزان دقيق حساس إلاّ انه ميزان من النوع المركب ، فكل مكان من القشرة هو بمثابة كفة متوازنة تماماً مع أيّ مكان

مجاور، والميزان الدقيق تكون كلتا كفتيه متوازيتين تماماً، وهمايظلان كذلك مادامت الاثقال التى توضع على احداهما مساوية للتى توضع على الاخرى

فاذا ماتغيّر الثقل على إحدى الكفتين لسبب من الاسباب اضطربت هذه الكفة وتأثرت الكفة المقابلة لهاحتماً،ويظلّ هذا الاضطراب قائماً حتى تتساوى الاثقال مرة اخرى، ويعود التوازن إلى حالته الاولى، و جميع أجزاء القشرة الارضية متزنة تماماً مع ما يجاورها من أجزاء لحفظ هذا التوازن تحمل أجزاء منها أعلى الجبال بينما تكون اجزاء المتجاورة قيعاناً.

فالجبال رسبت مجرد حفظ هذاالتوازن كمايشير إلىذلك قوله جل وعلا: «والجبال أرساها» النازعات: ٣٦) و قوله تعالى: «و جعلنا فى الارض رواسى أن تميدبهم» الانبياء: ٣١)

إلاّ انالمشاهد انه: لاالحالة الداخلية لباطن الارض،ولاالظروف الخارجية التى تتعرض لها الجبال و الهضاب تترك هذا الميزان فى حالة هدوء و إستقرار، فباطن الارض المنصهر تجتاحه تيارات تؤدّى إلى إلتواء القشرة الصلبة مهماكانت هذه التيارات بطيئة، وتجرى المياه إلى المنخفضاتالتى تتكون بالتواء القشرة، وهى التى نسميها البحار.

و ان الجبال من الوجهة العلمية بمثابة الاثقال التى تحفظ توازن القشرة الارضية، وتبقى على ثبوتها، و عدم انهيارها خلال أحقاب طويلة يظلّ خلالها التوازن قائماً رغمما يعانيه باطن الارض من ضغوط عالية،وما يجتاحه من تيارات حمل بطيئة، وهذا المعنى الرائع ماأشارت إليه الايات الكريمة منها ما تقدم، ومنها:

قوله تعالى: «وجعلنا فيها رواسى شامخات و أسقينا كم ماء فراتاً» المرسلات: ٢٧)

وقوله: «والارض مدد ناها وألقينا فيها رواسى» ق: ٧)

وقوله : « وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها» فصلت : ١٠)

و قوله : « وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة »

لقمان : ١٠)

وقوله : « أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لهارواسى »

النمل : ٦١)

وغيرها من الايات القرآنية التى تدعو الانسان إلى عظمة الخالق،وجليل قدرته كى يعتبر الانسان ، و يعلم ان الابداع لايأتى جزافاً ، و لايتكوّن بصدفة فى مراحل لاتعد ولاتحصى ولايترك سدى ، وتدعو العالم إلى أن الدين الصحيح الذى لاشائبة فيه الدين الذى لم تمسّه يدالبشر المحرّفة،وهوهذا الدين الذى جاء به محمد رسول الله الخاتم ﷺ وهو الاسلام الذى يقوم على أساس تعاون وثيق وإنسجام كامل بين النظرة العلمية أوالفكرية التى يستعان بها فى كشف حقائق الكون بالحسّ والتجربة ، والاستقراء والاستنتاج و النظرية الدينية التى تربط الكون والانسان بالاله الخالق المبدع،وتربط الكون والانسان بالمبدإ والمنتهى .

فتتولد من جهة علوم وضعية نظرية وعملية وتجريبية ، و تتطور وتتقدم و تتأخر فى الوقت نفسه مع الروح الدينية الصافية التى تستشعر وجود الخالق و عظمته وتستشعر بالمنتهى والجزاء ، وتحاول الرقى الخلقى والروحى منسجمة و متآلفة مع الروح العلمية والتقدم الفكرى .

هذه معجزة خالدة إسلامية دعا إليها القرآن الكريم من غير تناف بين العلم الطبيعى و التوجه نحو الخالق المتعال ، وقد قال مولى الموحدين الامام أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام : « بالعلم يعرف الله ويوحد » بخلاف ماكان فى القرون الوسطى باوروبا من إضطهاد إعدام العلماء الكونيين .

هذه معجزة خالدة بسير إرتقاء العلوم الطبيعة الكونية وإرتقاء العلوم المعنوية، الآفاقية والانفسية فى اتجاه واحد من غيره أن يكون بينهما هوة فاصلة أوتخالف

خلافاً للحضارات السابقة واللاحقة . . . أفلا يجدر بالعالم أجمع أن يتخذ الدين الاسلامي ديناً عالمياً ، دين عزة و كمال ، دين شرف و حرية ، دين إرتقاء و عال ، و ديناً لينعم به الانسان والمجتمع البشرى فى دنياه ، و يسعد فى آخرته ... و يترك ما أملته اليد البشرية الطاغية من خرافات و أوهام و أباطيل لا يسندها العقل والعلم .

ومنها : قوله جل وعلا : « وخلقناكم أزواجاً » النباء : ٨) و ذلك ان تقرير زوجية الانسان خاصة و زوجية الكون أجمع من معجزات القرآن العلمية ، فها أنتم أيها الناس ، و قد خلقكم الله جل وعلا أزواجاً ذكراً و انثى حتى تتوالدوا فى هذه الارض ، وتتكاثروا ويتصل نسلكم فيها وتعمروها بأجيالكم المتعاقبة عليها ، و ليست هذه المزاوجة لكم فى أجناسكم وحدها أيها الناس من ذكر و انثى بل هى فى جميع أعضائكم وجوارحكم . . . بين أعينكم وآذنكم وانوفكم و أيديكم و أرجلكم . . . لماذا تكون اليمنى منها أقوى من يسراها ؟ أتفكرتم و تدبرتم فيها بعد ؟ و انما هذه المزاوجة أمر عام ينتظم عوالم الاحياء و غيرها حتى الجماد كلها . . . من نبات و حيوان و جبال . . . و هذا الحكم ليمتد ، فيشمل لكل ما خلق الله جل وعلا . . . فكل مخلوق من عالم النبات أو الحيوان أو الجماد لايقوم له وجود إلا إذا كان له ما يقابله من جنسه ، مقابلة عنادية من شأنها أن تستثير قواه وتبعث كوامنه ، وهو بالتالى يستثير المقابل له ، ويستخرج كوامنه ، وبهذا يلتقيان ويتزاوجان ، و تتكون من تزاوجهما طاقة يتولد عنها مخلوق جديد ، و انظر فى تركيب الماء بمادتى الاوكسيجين والايدروجين . . . و هكذا الشأن فى عالم المعانى أيضاً .

و قد ثبت ان الزوج هو المماثل الملائم ، فكما ان الله جل و علا خلق الارض والسموات والجبال والشمس والقمر والكواكب والنجوم والبحار . . . متلائمين مع بعض ، كذلك الانسان خلقه الله تعالى أزواجاً فى نوعه ، أزواجاً

فى أعضاءه، أزواجاً فى جنسه، أزواجاً فى أجناسه، و أزواجاً مع الارض التى يعيشون على وجهها و يتقلبون فى ظهرها، و أزواجاً مع السموات و ما فيها، و أزواجاً بعضهم مع بعض فى كافة النواحى الجسدانية والحيوية من غير تنافر ذاتى هنا و هناك... « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » الملك: ٣).

إلا أن يتنافروا بينهم بسوء إختيارهم، ثم أزواجاً مع نبات الارض وحيوانها، إذ يعيش معها مفيداً لها، مستفيداً منها، فالكون كله أزواج رغم إختلاف الاشكال والطباع، إختلاف الالوان والالسن، و إختلاف الآثار والفوائد...

قال الله تعالى: « سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض و من أنفسهم و مما لا يعلمون » يس: ٣٦).

و قال: « والذى خلق الازواج كلها و جعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون » الزخرف: ١٢).

وقال: « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » الذاريات: ٤٩).

فهنا تزويج بين الانسان و نفسه و جنسه و نوعه والفلك والانعام، وهناك بين الكون كله، وإن كان الانسان هو من أهم الازواج، وله خلقت سائر الازواج... وهذه الملائمة الذاتية بين أجزاء كل شيء وبين أجزاء الكون كله، والازدواجية الخلقية بينها، انها برهان آخر على نباء التوحيد، توحى لنا وحدانية الخالق المدبر، لا سيما زوجية الذكورة والانوثة الكافلة لرغد العيش و لبقاء النسل و كثرته...

فقد خلق الله تعالى الانسان ذكراً و انثى و قال: « و انه خلق الزوجين الذكر والانثى » النجم: ٤٥).

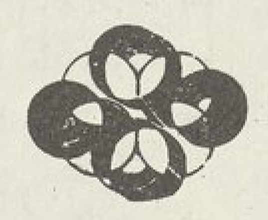
و قال: « و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها » الروم: ٢١).

وهو الذى جعل حياة هذا الجنس و إمتداده قائمة على إختلاف الزوجين

و إلتقائهما ، و كل إنسان يدرك ما وراءها من لذة و راحة و متعة و تجدد ، و لأهمية إزدواجية الحياة نرى الايات الكريمة تترى فى المن والتذكير بها .

فهل يا ترى انها الفوضى : أن تصبح النطفة ذكراً و اخرى مثلها انثى ـ على وحدتهما فى الصورة والمنشأ ؟ سبحان الخلاق العظيم .

فالذكر تقابله الانثى، والانثى يقابلها الذكر، والنور يقابله الظلام، والنهار يقابله الليل، واليقظة يقابلها النوم، والحياة يقابلها الموت، والحق يقابله الباطل، والجميل يقابله القبيح ، والصلاح يقابله الفساد ، والعزة تقابلها الذلة ، والرقى يقابلها الانحطاط ، والحسنة تقابلها السيئة و هكذا . . . فليس شيء فى الوجود قائماً بذاته ، متفرداً بوجوده ، و ذلك لتكون الوحدانية خالصة لله الواحدالقهار «قل هوالله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد» التوحيد : ١ـ٤).



﴿التكرار﴾

وفي المقام أمور ثلاثة :

أحدها ـ سورتان يشتمل كل واحد منهما على أربعين آية : أحدهما ـ سورة القيامة .

ثانيهما ـ سورة النباء .

ثانيها ـ ان الكترار في قوله تعالى: « كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون» النباء: ٤-٥) ففيه أقوال : ١ـ قيل : ان التكرار للتأكيد .

٢ـ قيل : ان الاول للكفار ، والثاني للمؤمنين. ٣ـ قيل : الاول عند النزع والثاني في يوم الفصل والحساب . ٤ـ قيل: ان الاول ردع عن الاختلاف، والثاني ردع عن الكفر .

٥ـ قيل : ان الاول لما ينالهم من هزيمة على أيدى المؤمنين ، و الثاني لما ينالهم من عذاب الاخرة . وقيل : يؤيد ذلك : ان السورة مكية وقرب ماينا لونه من هزيمة ملحوظ ، و كذلك إستعمال « ثم » الدالة على التراخي و توالي الهزائم . ولم تستعمل سوف للدلالة على أنه قريب بالنسبة إلى الله تعالى .

وقوله تعالى : «جزاء وفاقاً» النباء : ٢٦) و بعده : « جزاء من ربك عطاء حساباً» : ٣٦) لان الاول للكفار وقد قال الله تعالى : «و جزاء سيئة سيئة مثلها » فيكون جزاؤهم على وفق أعمالهم، والثاني للمؤمنين وجزاءهم جزاء وافياً كافياً، فلذلك قال : «حساباً» أى كافياً من قولك : حسبي: كافي .

ثالثها - اننا نشير في المقام إلى صيغ أربع عشرة لغة- أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - جائت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية :

١- جاءت كلمة (الارض) على صيغها في القرآن الكريم نحو:٤٦١مرة:

٢- « « (المهد) « « « :١٦ « :

٣- « « (الجبل) « « « :٤١ « :

٤- « « (الوتد) « « « : ثلاث مرات :

١- سورة النباء : ٧) ٢- سورة الفجر: ١٠) ٣- سورة ص : ١٢)

٥- « « (النوم) « « « : تسع مرات :

١- سورة النباء : ٩) ٢- سورة الفرقان : ٤٧) ٣- سورة الروم : ٢٣) ٤- سورة الانفال : ٤٣) ٥- سورة الزمر : ٤٢) ٦- سورة الصافات : ١٠٢) ٧- سورة الاعراف: ٩٧) ٨- سورة القلم : ١٩) ٩- سورة البقرة : ٢٥٥)

٦- « « (السبت) « « « : تسع مرات :

١- سورة النباء : ٩) ٢- الفرقان : ٤٧) ٣- البقرة : ٦٥) ٤و٥ - النساء : ٤٧ و ١٥٤) ٦-٨- الاعراف : ١٦٣) ٩- النحل : ١٢٤) .

٧- « « (الوهج) « « « : مرة واحدة:

وهي في سورة النبا : ١٣) .

٨- « « (الثجاج) « « « : مرة واحدة:

وهي في سورة النباء: ١٤) .

٩- « « (اللف) « « : ثلاث مرات :

١- سورة النباء : ١٦) ٢ - سورة القيامة : ٢٩) ٣- سورة الاسراء : ١٠٤)

١٠- « « (النفخ) « « « : ١٠ مرة:

١١- « « (السرب) « « « : أربع مرات :

١- سورة النباء : ٢٠) ٢- سورة النور: ٣٩) ٣- سورة الكهف : ٦١) ٤- سورة الرعد : ١٠)

١٢- « « (الحقب) « « « : مرتين :

أحدهما - في سورة النباء :٢٣) ثانيهما - في سورة الكهف : ٦٠)

١٣- « « (الدهاق) « « « : مرة واحدة

وهي في سورة النباء : ٣٤)

١٤- « « (ليت) إسماً وفعلاً وحرفاً نحو: ١٥مرة



﴿التناسب﴾

ان البحث فى المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بينها وما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى: فانها نزلت بعد سورة المعارج، فلما جاء فيها التوكيد بوقوع عذاب الله الموعود ، والتذكير بعظمة المشاهد السماوية ، والوصف لاهوال يوم الفصل ، و ماتكون عليه من أحوال الكفار فيه ، والتقرير لبعض طبائع الانسان السيئة وإستثناء المؤمنين المصلين الذين يخافون الله جل وعلا ، ويصدّقون بيوم الدين ويخافون من عذاب يومئذ ، وان ذلك يحسّن تلك الطبائع ، ويحفز على الخير والبر، على الايمان وصالح الاعمال ، على الحق والعدل ، وعلى الطاعة و العفاف . . . وجاء فى سورة المعارج أيضاً صورة من صور الهزء التى كانت تبدو من الكفار نحو النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و تسلية رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم و تنديد بالكفار بسببها .

جاء فى سورة النباء الاخبار بمجيئى يوم الفصل وتحققه لامحالة مع الوصف ببعض أعلامه على سبيل الاستنكار لما يبدو من الطاغين من الاستهزاء والاستعظام من خبر البعث والحساب والجزاء الاخروية ، فالتناسب بين غرض السورتين وما بينهما مما لايخفى على القارىء المتدبر الخبير فتأمل جيداً .

وأما الثانية: فلما اشير في سورة « المرسلات » إلى بعض أعلام البعث من إنطماس النجوم و إنفراج السماء ، و إنتساف الجبال ، و توقيت الرسل لا دعواء المكذبين وإرتداعهم وردهم عما كانوا يظنون من إستحالة وقوع البعث والجزاء ببرهنة من إهلاك السابقين، ومن أنفسهم ومن الشواهد الكونية ونواميس الوجود من خلق الانسان و كفات الارض ... وأسباب الحياة له على وجه الارض... وإلى مصائر المكذبين حسب سلوكهم وتنويه مصير المتقين .

اشير في سورة « النباء » إلى بعض الاعلام الاخرى ، و إلى بعض البرهنة التي تشهد على أنه جل وعلا قادر على البعث للحساب و الجزاء ، فهم سيرون ما كانوا يوعدون به لامحالة .

ففي السابقة : «ألم نخلقكم من ماء مهين» المرسلات: ٢٠) وفي هذه السورة: « وخلقناكم أزواجاً» : ٨) وفي : «ألم نجعل الارض كفاتاً ...» وفي هذه السورة: «ألم نجعل الارض مهاداً» : ٦) تأنيباً وتقريعاً للمكذبين الطاغين ، و في كل من السورتين وصف للجنة ترغيباً ، وللنار ترهيباً : « ويل يؤمئذ للمكذبين ـ ويل يومئذ للمكذبين ... » المرسلات: ٢٨ـ٤٠) و«ان يوم الفصل كان ميقاتاً ـ فذوقوا فلن نزيدكم إلاعذاباً » النباء : ١٧ـ٣٠)

و «ان المتقين في ظلال وعيون ـ انا كذلك نجزي المحسنين» المرسلات: ٤١ ـ ٤٤)

و « ان للمتقين مفازاً ـ جزاء من ربك عطاء حساباً» النباء : ٢١ـ٣٦)

وفي أحدهما تفصيل لما اجمل في الاخر فتأمل واغتنم جداً .

وأما الثالثة: فلما بدئت هذه السورة على سبيل الاخبار بما يتساءل عنه منكرو البعث والسخرية والاستهزاء ، أجاب عن هذا التساؤل وما كانوا عليه من الاختلاف بقوله: «عم يتساءلون ـ مختلفون» النباء : ١ـ٣) ثم أخذ بالرد عليهم على هذا التساؤل المتجوف المتعنت ، متوعداً لهم في قوله : « كلا سيعلمون ثم

كلاسيعلمون» : ٤-٥)

ثم أخذ بتقرير الحجة البالغة ، و بيان القدرة المطلقة العظيمة ، و آثار الرحمة الالهية التى غفل عنها هؤلاء الطغاة المكذبون بالبعث والحساب والجزاء مع أنها بين أعينهم فى كل حين ، وما يشاهد من أنفسهم من امور تسعة مع بيان منافع كثيرة وفوائد جليلة للماء بقوله تعالى : «ألم نجعل الارض مهاداً ـ وجنات ألفافاً» : ٦-١٦) .

و كل ذلك دليل قاطع و برهان ساطع على أن العالم المشهود بأرضه و سمائه ، وليله ونهاره والبشر المتناسلين ،والنظام الجارى فيها ، والتدبير المتقن الدقيق لامورها من المحال أن يكون لعباً باطلاً لاغاية لها أو يترك هاسدى، بل ومن الضرورى أن يستعقب هذا النظام المتحول المتغير الدائر إلى عالم ذى نظام ثابت باق .

وأن يظهر فيه أثر الصلاح الذى تدعو إليه الفطرة البشرية والفساد الذى تردع عنه، ولم يظهر فى هذا العالم المشهود أعنى سعادة المتقين وشقاء المفسدين ومن المحال أن يودع الله جل وعلا الفطرة دعوة عزيزية أوردعاً عزيزياً بالنسبة إلى مالا أثر له فى الخارج ، ولاحظ له من الوقوع ، فهناك يوم يلقاه الانسان و يجزى فيه على عمله : إن خيراً فخير، وإن شراً فشر .

فان تسئل : كيف اتصل و ارتبط قوله جل وعلا : « ألم نجعل الارض مهاداً ...» الايات بما قبلها ؟

تجيب : لما كان النباء العظيم الذى يتساءلون عنه هو البعث و النشور و كانوا ينكرونه، قيل لهم : ألم يخلق من وعد بالبعث والنشور للحساب والجزاء هذه المخلوقات المشهودة العظيمة العجيبة الدالة على كمال قدرته تعالى على البعث .

ان الله تعالى لما نبّه عباده إلى نواميس الكون ومشاهد الوجود ،

ولفت أنظارهم إلى الايات الآفاقية و الانفسية الدالة على كمال قدرته جل وعلا وتدبيره وعلمه و حكمته أشار إلى ما كانواهم فيه يختلفون وهو يوم الفصل مع بيان بعض أعلام البعث و كيفية الحشر وأهوال القيامة ، وأحوال الطاغين فيهاو مصائرهم إلى النار وإستقرارهم فيها حسب سلوكهم فى الحياة الدنيا إلى الكفر والطغيان، تذكيراً لهم ببعض مايكون فيه تخويفاً لهم من الاستمرار على التكذيب بعدما وضحت الادلة وتمت عليهم الحجة، واستبان الحق مع بيان أنواع جرائمهم التى استحقوا بها إلى النار وعذابها فى قوله تعالى : «إن يوم الفصل كان ميقاتاً_ إلى _ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً» : ١٧_٣٠) .

ان الله تعالى لمّا بيّن أحوال المكذبين و مآل أمرهم يوم القيامة ، أخذ بذكر مصير أهل التقوى واليقين إلى الجنة والتنعم بنعيمها حسب سلوكهم فى الدنيا إلى الايمان والتقوى ، إستنهاضاً لعوالى الهمم بدعوتهم إلى المثابرة على العقائد الحقة والاعمال الصالحة وازديادهم من القربات والطاعات ، كما أن فيها دعوة المكذبين إلى الايمان والتقوى وإرعواء عن تكذيبهم وطغيانهم ايلاماً لانفسهم بقوله جل وعلا : «ان للمتقين مفازاً _ جزاء من ربك عطاء حساباً» : ٣١_٣٦).

ثم أشار إلى القدرة الالهية على البعث وانه حق واقع لامحالة ، وإلى مايقع يوم الفصل وإلى قصر الملك يومئذ لله جل وعلا وحده ، من غير أن يقدر أحد أن يتكلم بدون اذن من الله تعالى فضلاً عن غيره ، مختتماً بأن الادلة القاطعة قد قامت ، وان الحجة البالغة قدتمت، فمن شاء النجاة فليتخذ إلى ربه سبيلاً بالايمان والتقوى ، ومن لم يفعل ذلك فهو فى النار و عذابها وفى الندامة و ألمها بقوله تعالى : «رب السموات و الارض _ الى _ و يقول الكافر ياليتنى كنت تراباً» : ٣٧_٤٠) .

«الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه»

عن إبن زيد ومقاتل : ان قوله تعالى : «لابثين فيها أحقاباً» النباء:٢٣) على أن الاحقاب جمع الحقب بمعنى بضع وثمانين سنة أو ثلاثة وأربعين حقباً، وكل حقب سبعون خريفاً، وكل خريف سبعمأة سنة ، وكل سنة ثلاثمأة وستون يوماً، وكل يوم ألف سنة ، وغيرها من السنين المعدودة، منسوخ بقوله تعالى: «فذوقوا فلن نزيدكم إلاّ عذاباً» النباء : ٣٠) بان العدد قدانقطع والخلود قدحصل .

أقول : ان الاية الكريمة الاولى بصدد الاخبار ، والخبر لاينسخ، وماورد دليل قاطع على معانى الاحقاب المتقدمة فى التحديد للخلود يحتاج توقيف يقطع العذر، وليس ذلك بثابت عن طريق الوحى ولاعن مهبطه ﷺ وماسيأتى لايوجب النسخ فتأمل وانتظر .

وقيل : ان قوله تعالى: «فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً» النباء : ٣٩)منسوخ بقوله سبحانه : «إلاّ أن يشاء الله » الانسان : ٣٠)

أقول : ان معنى الاية الاولى هو: نفى الاكراه فى الدين عقيدة و عملاً بعد وضوح الحق ، و هذا أمر ثابت لايقبل نسخاً ولاتخصيصاً ، وذلك ان دين الله تعالى دين فطرة وعقيدة : « فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » الروم : ٣٠) دين منبعث من أعماق الوجود الانسانى بما هو إنسان ، ودين ثابت على الاستقامة فى مجالى العقيدة و السلوك : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » فصلت : ٣٠) قولاً منبعثاً من

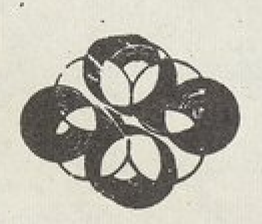
أعماق فطرتهم وإستقامة فى جميع إتجاهاتهم ... وهذا لابد أن يسبقه يقين صادق وايمان جازم راسخ .

الامر الذى تعجز القوة القاهرة عن تكوينه إلا ببرهان رشيد وبيان رصين، و غاية المطلوب ، و أقصى الغرض هو الايمان الصادق ، و هو أمر قلبى ، ولا سلطة لسوى البرهان على القلوب ، ومن ثم فان من طبيعة الدين الذاتية هو الاختيار، لا جبر ولا إكراه، فلم يجر الله جل وعلا أمر الدين على الاجبار، بل على الاختيار «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» الكهف : ٢٩)

فليست المشيئة فى الاختيار ترخيصاً شرعياً ، بل تنويهاً بشأن هذا الدين الحق الذى لايعالجه سوى واضح البرهان وقدرة البيان .

وأما الآية الثانية فبصدد الاخبار عن عدم ايمانهم ، وهذا لايصلح أن يكون ناسخاً . والمعنى : انكم باختياركم لا تؤمنون . لا إذا أكرهناكم على الايمان جبراً ، الامر الذى يتنافى الاختيار فى الايمان .

و أما التشابه فلم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن فى هذه السورة آية متشابهة ، والله تعالى هو أعلم .



﴿تحقيق فى الاقوال﴾

١- (عم يتساءلون)

فى المتسائلين أقوال : ١- عن إبن عباس : انهم أهل مكة من مشركى قريش . ٢- قيل : هم المؤمنون الذين يتساءل بعضهم بعضاً تحقيقاً لما أخبرهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم . ٣- قيل : هم المؤمنون والكفار من أهل مكة وغيرهم . ٤- قيل : هم الكفار والمنحرفون فى طوال الاعصار . . .

أقول : والاول هو المؤيد بالسياق والنزول وعليه أكثر المفسرين، ولكن الاخير غير بعيد عن اطلاق السياق من غير تناف بينه وبين الاول .

وفى التساؤل أقوال : ١- قيل : إن مشركى مكة كانوا يسئل بعضهم بعضاً ، وذلك لما بعث النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأخبرهم بتوحيد الله جل وعلا ، وبالبعث بعد بعد الموت للحساب والجزاء وتلا عليهم آيات الله تعالى جعلوا كلما اجتمعوا فى ناد من أنديتهم يسئل بعضهم بعضاً على طريق التعجب والسخرية والانكار ، ويقولون: ماذا جاء به محمد ؟ وما الذى أتى به ؟ وما أخبركم من البعث والحساب ؟ ؟ ؟. والمعنى : عن أى شىء يسئل بعضهم بعضاً .

٢- عن الحسن : كان المشركون يسئلون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين عن ذلك، وكانوا يجادلون فيه ويختصمون ، لتشديد الانكار المنكرين منهم ، و لتسجيل الانكار على الشاكين منهم، وللتشكيك والانكار على المعاندين الذين كانوا يعتقدون بالبعث، ولكنهم ينكرونه عناداً وعلى المستضعفين من المسلمين . وقيل: «عم» بمعنى

« فيم » أي فيم يتشدد المشركون ويختصمون فيه.

٣ـ قيل : كان بعض المشركين بعد بعض يسئل النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن الساعة لعدم الجواب بالخفاء أمرها . فكان السائلون متعددين ، و قد يكون المسئول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد يكون غيره من المؤمنين .

٤ـ قيل : ان الكفار والمعاندين في طوال الاعصار يتساءلون عن البعث ، فمن الكفار والمشركين الموجودين في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتساءلونه ، واللاحقون منهم يتساءلون أهل بيت الوحي عليهم السلام واحداً بعد واحد في أزمنتهم ، ثم اللاحقون في طوال الاعصار يتساءلون العلماء المحققين . . .

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين على أن السياق سياق جواب يغلب فيه الانذار والوعيد ، و هذا يؤيد بأن المتسائلين هم كفار مكة من المشركين النافين للنبوة والمعاددون المؤمنين و دون الكفار والمؤمنين جميعاً ، و لكن التعميم غير بعيد من ظاهر الاطلاق و خاصة ايثار الفعل بصيغة المضارع وحذف المفعول . فتأمل جيداً .

٢ـ (عن النباء العظيم)

في « النبأ » أقوال : ١ـ عن إبن عباس ومجاهد : النبأ هو القرآن الكريم لانه ينبيء عن التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعن البعث والحساب و الجزاء من الجنة ونعيمها والنار وعذابها ، وما فيه من الأنباء والاخبار والقصص فهو نباء عظيم الشأن لانه المعجزة الخالدة لهذه الرسالة السامية ، و انه يحمل كافة أنباء الغيب : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك » هود : ٤٩)

قيل : وهذا مردود لان السياق بحسب مصبّه أجنبيّ عنه ، وإن كان الكلام لا يخلو من الاشارة إليه على طريق الاستلزام .

٢ـ عن إبن زيد وقتادة والضحاك : النباء هو نبأ البعث والحساب والجزاء بعد الموت ، والبعث هو الذي يهتمّ به القرآن الكريم ، وخاصة في السور المكية،

ولاسيما في العتائق النازلة من أوائل البعثة كل الاهتمام ، فنبأه عظيم بعد التوحيد، وهما الهامتان فى نبأى البعثة والقرآن قال الله تعالى حكاية عن المنكرين: « هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزّق انكم لفى خلق جديد » سبأ : ٧)

فان قلت : لو كان النبأ العظيم الذى كانوا يتساءلون عنه هو البعث لما قال الله تعالى : الذى هم فيه مختلفون ، لان مشركى مكة لم يختلفوا فى أمر البعث ، بل اتفقوا على إنكاره .

قلت : كان فيهم من يقطع القول بانكاره ، ومنهم من يشك فيه ويتردد،فثبت الاختلاف لان جهة الاختلاف لاتنحصر فى الجزم باثباته ، والجزم بنفيه مع أن بعضهم قد صدّق به فآمن، وبعضهم كذب به فبقى على كفره، فثبت الاختلاف بالنفى والاثبات ، ومن المحتمل أن يكون الضمير فى « يتساءلون » عائداً إلى الفريقين من المسلمين والمشركين ، فكلهم كانوا يتساءلون عنه لعظم شأنه عندهم،فصدق به المسلمون فأثبتوه ، وكذب به المشركون فنفوه .

٣- قيل : النبأ العظيم هو الذى كانوا يختلفون فيه من إثبات الصانع وصفاته والملائكة والرسل والبعث والجنة والنار ، و من الرسالة المحمدية والخلافة الحقة لوصيه الامام على عليه‌السلام فان النباء يعم ذلك كله ، فكأن القائل به اعتبر فيه مافى السورة من الاشارة إلى حقية جميع ذلك مما تتضمنه الدعوة الحقة الاسلامية ، فهذه هى الدعائم الاربع من الانباء العظيمة التى تشملها «النباء العظيم» جنس النباء العظيم لمكان اللام لاشخصه حتى يفسر بواحد منها دون ماسواه من الدعائم . . . قيل : وهذا مردود لان الاشارة إلى ذلك كله من لوازم صفة البعث المتضمنة لجزاء الاعتقاد الحق والعمل الصالح والكفر والاجرام ، و قد دخل فيما فى السورة من صفة يوم الفصل تبعاً وبالقصد الثانى على أن المراد بالمتسائلين : همْ المشركون الذين هم يثبتون الصانع والملائكة وينفون ماوراء ذلك .

٤- عن إبن عباس : النباء العظيم هو الخبر الكبير الذى يعتنى به ويهتم بشأنه

وذلك ان اليهود سئلوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن أشياء كثيرة مهامة ، فأخبره الله تعالى باختلافهم فيها .

فالنباء العظيم هو الذى اختلفت فيه آراء اليهود ، وتشعبت به فى طرق الضلال عقولهم من غيرأن يتعرف أحد منهم الطريق إلى الهدى والصواب، وإلى الخروج من دوامة هذا الاختلاف ، وانهم لا يختلفون فى سبيل البحث عن الحقيقة والتعرف عليها ، و انما خلافهم فى أن يجدوا طريقاً واحداً من طرق الضلال والبهتان ، تجتمع عليه كلمتهم ويلتقى عنده رأيهم .

٥- قيل : النباء العظيم هو النبوة ، وكان المشركون يختلفون فى اصولها و فى كيانها ، رغم اتفاقهم على عدم تصديقها كما يجب ، فمنهم من يقال : انه ساحر، ومنهم من يقال : انه مجنون ، ومنهم من يقول : انه كاهن ، ومنهم من يقول :انه كاهن ، ومنهم من يقول : انه شاعر . . . وغيرها من تقولاتهم فى النبوة و صاحبها لما ورد : لما بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم جعلوا يتساءلون بينهم فنزلت : « عم يتساءلون عن النباء العظيم» وقال الله تعالى : « بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب » ق : ٢)

فيكون هذا جواباً عن السؤال الوارد فيما قبله . و قيل : هذا سؤال آخر بعد سؤال الاول على تقدير : عن أيّ شيء يتساءلون ، أيتساءلون عن هذا النبأ العظيم الذى هم يختلفون فى مذاهب القول فيه ، وفى أن ما يحدثهم به النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن البعث والحساب والجزاء شيء لا يصدق ، و ان ذلك انما هو من خداع محمد عليه السلام و إستهوائهم لاتباع دعوته لحاجة فى نفسه ؟ أذلك هو النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون .

أقول : والثانى هو المؤيد بظاهر السياق ، وبالسورتين النازلتين قبلها و بعدها أعنى سورتى المعارج والنازعات .

٣- (الذى هم فيه مختلفون)

فى الاية قولان : أحدهما - أى يخالف فيه بعضهم بعضاً ، فمنهم مصدّق و منهم مكذّب . ثانيهما - ان ضمير الجمع راجع إلى الناس كلهم ، فمنهم المؤمنون به فيثبوته ، ومنهم الكافرون وينفونه .

اقول : وعلى الاول جمهور المفسرين وتؤيده الايات الكريمة . . .

٥٩٢- (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون)

فيهما أقوال : ١- قيل : أى سيعلم هؤلاء الكفار عاقبة تكذيبهم بالقرآن ، بناء على أن النباء هو القرآن الكريم . ٢- قيل : أى سيعلمون أن البعث حق هو أم باطل و يلاقون عاقبة التكذيب . و قيل : « حقاً سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم فى الاخرة » على ان « كلا» بمعنى « حقاً » .

٣ - عن الضحاك ؛ أى كلا سيعلم الكافرون عاقبة تكذيبهم ثم كلا سيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم فى الاخرة . ٤- قيل : عكس ذلك . فعلى الاخيرين لا تكرار فى المقام .

٥- عن الحسن : هذا وعيد بعد وعيد ، و تهديد بعد تهديد . ٦- قيل : ان الاول فى الحياة الدنيا والثانى فى الاخرة . ٧- قيل : ان الاول ردع عن الاختلاف فى النفى أى سير تدعوا عن التساؤل لانه سينكشف لهم الامر بوقوع هذا النباء فيعلمونه . ٨- قيل : ان الثانى تأكيد للردع والتهديد السابقين .

٩- قيل : أى سيعلمون ما ينالهم يوم القيامة من الهول والفزع حين البعث ثم كلا سيعلمون ما ينالهم من العذاب عند دخول النار . ١٠ - قيل : أى كلا سيعلمون ما ينالهم فى الحياة الدنيا من الخزى والنكال والذلة والهوان بالسيف والهلاكة ثم كلا سيعلمون ما ينالهم فى الاخرة من العذاب والنار . ١١- قيل: أى كلا سيعلمون ما ينالهم عند الموت وليلة القبر ، ثم كلا سيعلمون ما ينالهم حين البعث والحساب من الفزع والعذاب .

اقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين . ولكن التعميم غير بعيد من ظاهر الاطلاق .

٦- (ألم نجعل الارض مهاداً)

في «مهاداً» قولان : أحدهما - عن قتادة : أى بساطاً . على أن المهاد يطلق على البساط الذى يجلس عليه. ثانيهما - قيل : أى وطاءً قراراً مهيئاً للتصرف فيه من غير أذية .

اقول :ولكل وجه من غير تناف بينهما .

٧- (والجبال أوتاداً)

في الاية الكريمة أقوال : ١ - قيل : أى وقد جعلنا الجبال للارض أوتاداً لئلا تميد بأهلها . و ذلك لأن الاوتاد ما يشد بها أطناب الخيمة ، فشبهت الجبال الراسيات بها لانها تحفظ الارض أن تميد بما عليها . ٢ - قيل : أى وجعلنا الجبال أوتاداً للارض لتسكن عن الاضطراب على حركتها ، ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها ، فان بها مساك الارض وقوامها وإعتدالها وثباتها ، كما يثبت البيت بأوتاده و الخبأ على أوتاده .

٣ - قيل : لعل عد الجبال أوتاداً مبنى على أن عمدة جبال الارض في عمل البركانات بشق الارض، فتخرج منه مواد أرضية مذابة، تنتصب على فم الشقة متراكمة كهيئة الوتد المنصوب على الارض ، تسكن فيه فورة البركان الذى تحته ، فيرتفع به ما في الارض من الاضطراب والميدان. ٤ - قيل : ان المراد بجعل الجبال أوتاداً إنتظام معاش أهل الارض بما أودع فيها من المنافع، ولولاها لمادت الارض بهم أى لما تهيأت لانتفاعهم .

اقول : والاول هو المؤيد بالايات القرآنية ، وقريب منه الثانى ، و الباقى من قبيل إرادة اللازم من الملزوم فتدبر واغتنم .

٨- (وخلقناكم أزواجاً)

في «أزواجاً» أقوال : ١ - قيل : أى أصنافاً من ذكر وانثى . والمعنى : و خلقناكم زوجاً زوجاً من ذكر و انثى ليجرى بينكم سنة التناسل ، فيدوم بقاء

النوع إلى أجل مسمى عندالله جل وعلا . ٢ ـ قيل : أى ألواناً من أبيض و أسود، ومن أحمر وأصفر ... ٣ ـ قيل : يدخل في الازواج كل زوج من قبيح وحسن و وطويل وقصير ، من غني وفقير وعالم وجاهل ، ومن نور وظلمة ، وليل ونهار ... لتختلف الاحوال ،فيقع الاعتبار فيشكر الفاضل ويصبر المفضول . ٤ ـ قيل : أى أشكالاً . فكل واحد من الانسان غير شكل للاخر . ٥ ـ قيل : أى خلق الله تعالى كلا منهم من منيّين : منيّ الرجل ومنيّ المرأة .

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين وهو المؤيد بظاهر السياق .

٩- (وجعلنا نومكم سباتاً)

في الاية الكريمة أقوال: ١ ـ عن المبرد وإبن الاعرابى : أى وجعلنا نومكم راحة لابدانكم ودعة لاجسادكم. يقال : سير سبت:سهل لين . وذلك ان في النوم سكوناً وراحة للقوى الحيوانية البدنية مما اعتراها من التعب والكلال في اليقظة بواسطة تصرفات النفس فيها . على أن السبات : الراحة والدعة ومنه يوم السبت أى يوم الراحة أى قيل لبنى اسرائيل : استريحوا في هذا اليوم فلاتعملوا فيه شيئاً .

٢ ـ قال إبن الانبارى : أى جعلنا نومكم سبباً لانقطاعكم من أعمالكم ، و عن الناس يوماً . وان السبات بمعنى القطع ، ومنه : سبت الرجل رأسه : إذا حلقه . ففي النوم قطع التصرفات النفسانية في البدن ، وهو من قبيل ذكر اللازم للمعنى السابق إذ من لوازم النوم قطع التصرفات النفسانية في البدن .

٣ ـ عن الزجاج : أى جعلنا نومكم موتاً ظاهراً ، وليس بموت حقيقة ، ولا بمخرج لنا عن الحياة والادراك، فجعل التأكيد بذكر المصدر قائماً مقام نفي الموت وساداً مسدّ قوله: «وجعلنا نومكم ليس بموت» وذلك ان النائم لايخرج من الحيات تماماً ، وإن يشبه بالميت بل الشعاع باق في بدنه ، وهو من ذكر وصف النائم. قيل : ان المراد بالسبات : الموت .

٤ ـ قيل: السبت : التمدد، يقال : سبتت المرأة شعرها إذا حلته وأرسلته،

فالسبات كالممدود ، ورجل مسبوت الخلق اى ممدود ، وإذا أراد الرجل ان يستريح تمدّد فسميت الراحة سبتاً . ٥ ـ قيل : السبات : السكون والهمود ، والمسبوت الميت يقال : ضربه فأسبته : أخمد أنفاسه وأبطل حركته .

أقول : والاول هو الانسب بالمعنى اللغوى .

١٠ـ (وجعلنا الليل لباساً)

فيها اقوال : ١ ـ عن السدى وسعيد بن جبير وقتادة: أى وجعلنا الليل سكناً لكم . ٢ ـ قيل : أى ستراً يستركم عن العيون كما أن اللباس يستر بشرتكم ، و ان اللباس مايتغطى به ، والليل أخفى للويل . وقيل : أى ساتراً يستر الاشياء بما فيه من الظلمة الساترة للمبصرات كما يستر اللباس البدن ، وهذا سبب إلهى يدعو إلى ترك التقلب والحركة والميل إلى السكن والدعة والرجوع إلى الاهل والمنزل. وقيل : تلبسكم ظلمته وتغشاكم وسواده . ٣ ـ قيل : ان المراد بكون الليل لباساً كونه لباساً كاللباس للنهار يسهل إخراجه منه .

أقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

١١ـ (وجعلنا النهار معاشاً)

فيها أقوال : ١ ـ قيل : أى جعلنا النهار لكم ضياء لتنتشروا فيه لمعاشكم و تتصرفوا فيه لمصالح دنياكم وإبتغاء فضل الله فيه . ٢ ـ قيل : أى وجعلنا النهار سبباً لتصرف عباده لطلب المعاش فيه . وان المعاش مصدر أو اسم زمان أومكان لان الناس يتقبلون فيه لوجوه تعيشهم . ٣ ـ قيل : أى وجعلنا النهار حياة لكم. على أن العيش هو الحياة ، غير أن العيش يختصّ بحياة الحيوان ، فلا يقال: عيشه تعالى ، وعيش الملائكة ويقال : حياته تعالى وحياة الملائكة .

٤ ـ قيل : أى و جعلنا النهار زماناً لحياتكم .أى متصرفاً لطلب المعاش ، وهو كل مايعاش به من المطعم والمشرب وغيرهما. ٥ ـ قيل : أى وجعلناموضعاً لحياتكم تبتغون فيه من فضل ربكم . ٦ ـ قيل : أى وجعلنا النهار طلب معاش أى

أى مبتغى معاش على حذف المضاف أو معاشاً بمعنى العيش .

اقول: ولكل وجه والاوجه هو الثانى .

١٢- (وبنينا فوقكم سبعاً شداداً)

فى «سبعاً شداداً» أقوال : ١ ـ قيل : أن سبع سموات محكمات : محكمة الخلق وثيقة البيان . ٢ ـ قيل : اريد بالسبع الشداد الكواكب السبعة المعروفة عندالناس . قيل : اريد بالسبع الشداد الاجواء السبعة المحيطة بكرة الارض إلى كرة القمر .

اقول: وعلى الاول جمهور المفسرين .

١٣- (وجعلنا سراجاً وهاجاً)

فى « سراجاً وهاجاً » أقوال :١ ـ عن إبن عباس : أى شمساً مضيئة شديدة الانارة ، بالغة الحرارة . ٦ ـ عن مجاهد : أى شمساً متلألأة متقدة. ٣ ـ عن قتادة: أى شمساً منيرة .

اقول : وعلى الاول جمهور المفسرين .

١٤- (وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً)

فى « المعصرات» أقوال : ١ ـ عن إبن عباس ومجاهد وقتادة و إبن زيد و عكرمة والكلبى : المعصرات : الرياح ذوات الأعاصير لان الريح تستدر المطر من السحاب فكأنها تعصر السحاب و تنشئها . يقال : أعصرت الريح تعصر إعصاراً إذا أثارت العجاج ، و هى الاعصار . و يقال للرياح التى تأتى بالمطر : المعصرات، والرياح تلقح السحاب فيكون المطر ، والمطر ينزل من الريح من هذا .

٢ ـ عن إبن عباس أيضاً و سفيان والربيع : المعصرات : السحاب، وسميت بها لانها تتحلب بالمطر وتمطر. وعن أبى العالية والضحاك: المعصرات هى السحائب التى تتعصر بالماء ، و لما تمطر بعد كالمرأة المعصر التى قددنا حيضها ولم تحض.

٣ ـ عن قتادة و ابى إبن كعب والحسن و إبن جبير و زيدبن أسلم ومقاتل

بن حيان : المعصرات : السماء .

اقول : والثانى هو المستفاد من الرواية الآتية فانتظر .

و في قوله تعالى : « ثجاجاً » أقوال : ١ - عن إبن عباس ومجاهد وقتادة والربيع و سفيان : أى ماء منصباً متتابعاً . و ان الرياح مبادىء الانزال الثجاج المنصب بكثرة . ٢ - عن إبن زيد و إبن وهب : أى كثيراً . ٣ - عن الزجاج : أى صباباً دفاعاً فى انصبابه . ٤ - عن مجاهد أيضاً : أى مدراراً . و عن سفيان و قتادة أيضاً : اى متتابعاً يتلو بعضه بعضاً .

اقول : و على الاول أكثر المفسرين و قريب منه الرابع من غير تناف بين الاقوال فتدبر جيداً .

١٧ - (ان يوم الفصل كان ميقاتاً)

فى «ميقاتاً» أقوال : ١ - قيل : أى حداً توقت به الدنيا ، فالميقات نهاية الزمن المفروض للعمل بانقطاع دار التكليف و زمن التكليف . ٢ - قيل : أى وقت وقوع النباء و ظهوره و صدقه ، فالوقت هو الحد لفصل الحكومات تنتهى إليه الخلائق والميقات هو عرصات المحشر و زمن البعث . ٣ - قيل : أى وقت اجتماع الخلائق و فصل القضاء بينهم . و هو الموعد الذى عينه الله تعالى للقضاء بين الناس وهو يوم الفصل .

٤ - قيل : أى وقتاً ومجمعاً وميعاداً للاولين والاخرين للحساب . ٥ - قيل: أى وقت وقوع ما وعده الله تعالى من الثواب والعقاب . وان الميقات هو منتهى المقدار المضروب لحدوث أمر من الامور ، وهو من الوقت كما أن الميعاد من الوعد والمقدار من القدر .

اقول : والثانى هو الانسب بظاهر السياق .

١٨ - (يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجاً)

فى قوله تعالى : «الصور» أقوال : ١ - عن عبدالله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم

قال : الصور : قرن . ٢ ـ عن قتادة : الصور : الخلق .

٣ ـ قيل : الصور فى الاصل : البوق الذى ينفخ فيه ، فيحدث صوتاً ، وقد جرت عادة الناس إذا سمعوه أن يهرعوا إليه ، ويجتمعوا عند النافخ ، ولكن ليس هذا البوق كالابواق التى نعرفها كما ان النفخة فيه لا تشبه نفخاتنا ، و نحن لا نتصور هنا أو نفهم من نفخ الصور شيئاً إلا أنها النفخة الميتة ، النفخة الباعثة المجمعة التى يأتى بها الناس أفواجاً التى تبعثر القبور ، وما فى القبور فيأتون من كل فج إلى حيث يحشرون .

أقول : و على الثالث جمهور المحققين ، و ان النفخ فى الصور كناية عن البعث والاحضار لفصل القضاء .

و فى قوله تعالى : «أفواجاً» أقوال : ١ـ عن مجاهد و عطاء : أى زمراً زمراً ، و انما قيل : فتأتون أفواجاً لان كل امة أرسل الله تعالى إليها رسولاً تأتى مع الذى أرسل إليها كما قال تعالى : «يوم ندعو كل اناس بامامهم» الاسراء : ٧١) .

وقيل: ان كل امة تأتى مع نبيها، فلذلك جاؤا أفواجاً أفواجاً . ٢ـ قيل : أى جماعة جماعة إلى أن تتكاموا فى يوم القيامة . و قيل : زمراً إثر زمر .

٣ ـ قيل : أى زمراً زمراً من كل مكان من المؤمن والكافر والمطيع والمعاصى ، والمحق والمبطل للحساب والجزاء . ٤ ـ قيل : الافواج : الاحزاب الباطلة فى طوال الاعصار على ألفاظ بارقة ، فيأتون على صور مختلفة حسب الاعمال الفاسدة والعقائد الباطلة ، فمنهم على صورة الكلب ، و منهم على صورة القردة ، و منهم على صورة الخنزير ، و منهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها ، و منهم عمياء ، و منهم صماء و بكماء كل على حسب النيات والعقائد والاعمال والحالات السيئة . . .

١٩ - (و فتحت السماء فكانت أبواباً)

فى الاية الكريمة أقوال : ١ - قيل : أى و شققت السماء فصدعت فكانت طرقاً ، و قد كانت من قبل شداداً لا فطور فيها و لا صدوع ، فأبوابها طرقها و لم تكن كذلك من قبل . ٢- قيل : أى تنحل السماء وتتناثر حتى تصير فيها أبواباً. ففتح السماء شقها و انفطارها . و قيل: أى ذات أبواب لانها تصير كلها باباً، وذلك انها تنحل و تتناثر حتى تصير فيها أبواباً .

٣- قيل : فتح السماء أبواباً مغاير لشقها وإنفطارها . ٤ - قيل : ان للسماء باباً مغلقاً قبل القيامة ، فتفتح عندها . ٥ - قيل: أى وفتحت السماء فكانت كقطع الخشب المشققة لأبواب الدور والمساكن . فالمعنى : وفتحت السماء فكانت قطعاً كالابواب على تقدير الكاف . و قيل : أى تقطعت فكانت قطعاً كالابواب . . .

٦ - قيل: ان لكل عبد بابين فى السماء لعمله ، و باباً لرزقه ، فاذا قامت القيامة ، انفتحت الابواب ، فصارت ذات أبواب كثيرة : كثير أبوابها المفتوحة لنزول الملائكة صارت بكليتها أبواباً، فالمواضع المفتوحة هى الابواب للسماء .

اقول : والاول هو المؤيد بالايات الكريمة و فى معناه القول الثانى .

٢٠ - (و سيرت الجبال فكانت سراباً)

فى الاية الكريمة أقوال : ١ - قيل : أى نسفت الجبال من اصولها فكانت هباء أى مثله فى خفة سيرها . ٢- قيل: أى ازيلت عن مواضعها و ذهب بها فصارت كالسراب أثراً بعد عين . ٣ - قيل : ذكر حال الجبال بعبارات مختلفة ، والجمع بينها: أن يقع بين الارض والجبال تصادم و إندكاك ، فتصير الجبال كالعهن ثم تصير كالهباء ، وهى فى تلك الاحوال باقية فى مواضعها ، ثم تنسف بارسال الرياح عليها فحينئذ تطير ، كالهباء و تبرز تحتها ، فاذا من نظر إليها زعمها لتكاثفها أجساماً جامدة ، و هى بالحقيقة مارة بتحريك الهواء .

اقول : والثالث هو المستفاد من الايات القرآنية بان الجبال عند نفخ

الصور تسير عن قواعدها بسرعة لامعة محيرة بالرجفة المدمرة الارضية ، فتصبح كأتلال الحصى من شدة سيرها و وقعها: « يوم ترجف الارض والجبال و كانت الجبال كثيباً مهيلاً» المزمل: ١٤» ثم للاصطدامات المتواصلة في مسيرها تتبدل كالخمير، ثم كالغبار المنبث : «و بست الجبال بساً فكانت هباء منبثاً» الواقعة: ٥-٦ (و كالعهن المنفوش : «و تكون الجبال كالعهن المنفوش » القارعة : ٥) ثم تنسف فلايبقى الا سراب وقاع صفصف : « و يسئلونك عن الجبال قل ينسفها ربى نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً و لا أمتاً » طه : ١٠٥ - ١٠٧) .

٢١ - (ان جهنم كانت مرصاداً)

فى « مرصاداً » أقوال : ١ - عن الحسن : ان على النار رصداً لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه ، فمن جاز بجواز جاز ، و من لم يجيء بجواز حبس فدخل النار . ٢ - قيل : المرصاد مفعال من الرصد ، والرصد كل شيء كان أمامك ، و هو المكان الذى ينتظر فيه . وعن المبرد والقشيرى : المرصاد الذى يرصده فيه الواحد العدو نحو المضمار الذى تضمر فيه الخيل . فالمرصاد إسم مكان ، والمرصاد بمعنى المحل ، فجهنم معدة للكفار والطغاة ، و ان الملائكة يرصدونهم حتى ينزلوا بجهنم .

٣ - قيل: ان خزنة جهنم يرصدون الكفار هناك . ٤ - قيل : أى ان خزنة جهنم يستقبلون المؤمنين عندها لان جوازهم عليها بدليل قوله : « و ان منكم إلا واردها » ٥ - قيل : أى ان جهنم ترصد أعداء الله تعالى ، فقد أعدت جهنم لتكون مأوى لهم و مرصدهم المنتظر . ٦ - عن سفيان : أى على النار ثلاث قناطر . . . ٧- قيل : ان المرصاد : ذات إرصاد على النسب أى ترصد من يمر بها.

٨ - قيل : الرصد هو الاستعداد للترقب ، فالمرصاد آلة و وسيلة مستعدة ترقب أهلها الذين يتهيئون لها بما قدمت أنفسهم ، و هم وقود لها تتقد بهم ، الكافرين وأذنابهم، فجهنم مرصاد لهم تنتظرهم وترقبهم، وينتهون إليها فتستقبلهم.

٩ ـ عن مقاتل : أى محبساً يحبس فيه الطاغون والعصاة . ١٠ـ عن قتادة : مرصاداً : طريقاً و ممراً منصوباً على العاصين فهو موردهم و منهلهم ، فلا سبيل لهم إلى الجنة حتى يقطعوا جهنم، فالعصاة لايفوتونها. ١١ـ قيل : مرصاداً بمعنى راصدة تجازيهم بأعمالهم .

أقول : و على الثانى أكثر المفسرين .

٢٣ - (لابثين فيها أحقاباً)

فى «أحقاباً» أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و سعيد بن جبير و قتادة والربيع بن أنس : الحقب ثمانون سنة من سنى الاخرة . والمعنى : أحقاباً لا انقطاع لها، كلما مضى حقب جاء بعده حقب آخر . و قيل : الحقب : ثمانون سنة ، كل سنة إثناعشر شهراً ، كل شهر ثلاثون يوماً ، كل يوم ألف سنة .

٢ ـ عن إبن عباس أيضاً : الاحقاب هى ثلاثمأة يوم و ستون يوماً ، واليوم ألف سنة من أيام الدنيا . ٣ ـ عن مجاهد والقرظى : الاحقاب : ثلاثة و أربعون حقباً ، كل حقب سبعون خريفاً ، كل خريف سبعمأة سنة ، كل سنة ثلاثمأة و ستون يوماً ، كل يوم ألف سنة .

٤ ـ عن قطرب : الحقب هو الدهر الطويل غير المحدود . والحقب ـ بضمتين ـ : الدهر، والاحقاب : الدهور . والمعنى: ماكثين فى نارجهنم ما دامت الاحقاب ، و هى لاتنقطع ، فكلما مضى حقب جاء حقب . وقال الفراء : الحقب : الترادف والتتابع أى دهوراً مترادفة لاتكاد تتناهى ، كلما مضى حقب تبعه آخر .

٥ ـ عن إبن كيسان : أحقاب الاخرة لانهاية لها ، و هى أيام بعد أيام من غير انتهاء و لا غاية لها . و قيل : ذكر الاحقاب دون الايام لان الاحقاب أهول فى القلوب و أدل على الخلود .

٦ ـ قيل : أى لابثين فى الارض مدة ثم يهلكون . وقيل : أى ماكثين فى الدنيا أزماناً كثيرة . ٧ ـ عن إبن عمر: الحقب : أربعون سنة . ٨ ـ عن السدى:

الحقب : سبعون سنة ٩ ـ قيل : الحقب : ألف شهر . ١٠ ـ عن بشير بن كعب : الحقب ثلاثمأة سنة ، كل سنة ثلاثمأة و ستون يوماً ، كل يوم ألف سنة . ١١ ـ قيل : الاحقاب كناية عن التأبيد أى هم يمكثون فى جهنم أبداً . ١٢ ـ قيل : الاحقاب وقت لشربهم الحميم والغساق ، فاذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العقاب . ١٣ ـ قيل : هذا توقيت لأنواع العذاب لا لمكثهم فى النار . والحقب: مدة من الزمان مبهمة .

١٤ـ عن الحسن : ان الله تعالى لم يذكر شيئاً إلاّ وقد جعل له مدة ينقطع إليها ، ولم يجعل لأهل النار مدة بل قال : لابثين فيها أحقاباً ، فوالله ماهو إلاّ انه إذا مضى حقب دخل آخر كذلك إلى أبد الآبدين ، فليس للأحقاب إلاّ الخلود فى النار .

فلايدرى أحد كم الاحقاب هى ، ولكن ذكروا انها مأة حقب ، و الحقب الواحد منها سبعون ألف سنة ، كل سنة من تلك السنين ألف سنة مما نعدّه .

١٥ـ قيل : ان المراد باللابثين هم العصاة من أهل التوحيد ، فهم يدخلون فى جهنم ويمكثون فيها مدة كثيرة ثم يخرجون منها ، ويدخلون الجنة .

١٦ ـ قيل : ان معنى الآية الكريمة : لابثين فيها أحقاباً لايذوقون فى تلك الاحقاب برداً ولا شراباً إلاّ حميماً وغساقاً ، ثم يلبثون فيها لايذوقون غير الحميم و الغساق من أنواع العذاب ، فهذا توقيت لا نواع العذاب لا لمكثهم فى النار . و هذا ما اختاره الطبرسى رضوان الله تعالى عليه إذ قال : و هذا أحسن الاقوال .

اقول : والحادى عشر هو المستفاد من الروايات الاتية من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر فتأمل جيداً .

٢٤ـ (لايذوقون فيها برداً ولاشرابا)

فى « برداً ولاشراباً » أقوال : ١ـ عن إبن عباس و مجاهد و السدى و أبى

عبيدة : البرد : النوم ، والشراب : الماء . والمعنى : إن هؤلاء الطغاة لا يذوقون في جهنم نوماً ولا شراباً يشربون تلذذاً .

٢- عن إبن عباس أيضاً : البرد : برد الشراب . ٣- عن الحسن وعطاء وإبن زيد : أي روحاً وراحة . ٤- عن الزجاج : أي لايذوقون في النار برد ريح ولاظل ولانوم . فجعل البرد برد كل شيء له راحة ، وهذا برد ينفعهم وأما الزمهرير فهو برد يتأذون به فلاينفعهم فلهم منه من العذاب .

٥- قيل : اريد بالبرد على مايظهر من المقابلة بين البرد والشراب هو مطلق ما يتبرد به الذي ينتفع به المتبرد غير الشراب كالظل الذي يستراح إليه بالاستظلال والمراد بالذوق مطلق النيل ، والمراد بالشراب هو الشراب النافع ، وإلاّ فلهم ظل من يحموم وشراب من حميم . ٦- عن مقاتل : أي لايذوقون في جهنم برداً ينفعهم من حرّها ولاشراباً ينفعهم من عطشها .

اقول : والخامس هو الانسب بظاهر السياق .

٢٥- (الاحميماً وغساقاً)

في « حميما وغساقاً » أقوال : ١- عن أبي عبيدة والنحاس وعطية بن سعد وابراهيم : الحميم : الماء الحار ، ومنه اشتق الحمام ومنه الحمى ، ومنه : « وظل من يحموم » انما يراد به النهاية في الحر ، فالحميم هو الماء الحار الشديد الحر البالغ في الحرارة والغسّاق هو الذي يسيل من جلود الطغاة والكافرين وما يسيل من نتنهم .

٢- عن إبن زيد وإبن عباس والربيع وأبي العالية : الحميم : هو دموع أعين الكفار تجمع في حياض ثم يسقونه ، والغساق : الصديد الذي يخرج من جلودهم مما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه . وقيل : الغساق الزمهرير في جهنم الجامع مع شدة برده النتن . وعن مجاهد : الغساق هو الذي لايستطيعون أن يذوقوه من برده .

٣- عن عكرمة وسفيان : الحميم هو الماء الذى أغلى حتى انتهى حرّه فهو كالمهل يشوى الوجوه ، والغساق : ما يخرج من أبصارهم من القيح والدم .

وقيل : الغساق : صديد أهل النار وقيحهم . و عن أبى رزين . غسالة أهل النار . وعنه أيضاً : الغساق : صديد أهل النار وقيحهم . ٤- عن قتادة : الغساق : ما يسيل مابين جلده ولحمه . وقيل : هو الصديد كالغسلين . ٥- قيل : الغساق : ما يسيل من جلودهم من الصديد والقيح والعرق وسائر الرطوبات المستقذرة .

أقول : و ظاهر المقابلة بين الحميم والغساق يدل على أن أحدهما غير الاخر ، وما ورد فيه ان الغساق نتن يسيل من صديد أهل النار .

٢٦- (جزاء وفاقاً)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد والربيع : أى موافقاً لاعمالهم . على أن الوفاق بمعنى الموافقة كالقتال بمعنى المقاتلة . فالجزاء موافق لعملهم فى القبح والفظاعة والدوام . ٢- عن الفراء والاخفش : ان التقدير: جازيناهم جزاء وافق أعمالهم. و قيل : جزاهم جزاء ذا وفاق . ٣ - عن مقاتل : أى وافق العذاب الذنب ، فلا ذنب أعظم من الشرك ، ولا أعظم العذاب من النار فكلاهما عظيمان .

٤- عن الحسن وعكرمة : أى كانت أعمالهم سيئة ، فأتاهم الله بما يسوؤهم .

٥- عن إبن عباس ومجاهد أيضاً وقتادة والزجاج : أى جوزوا جزاء وفق أعمالهم. والوفاق الجارى على المقدار ، فالجزاء وفاق لانه جار على مقدار الاعمال فى الاستحقاق .

أقول : والمعانى متقارب والمآل واحد .

٢٧- (انهم كانوا لايرجون حساباً)

فى قوله تعالى : « لايرجون حساباً » أقوال : ١- عن مجاهد وقتادة والحسن وإبن زيد : أى كانوا لايخافون محاسبة على أعمالهم ، ولذلك لايبالون فلايصدّقون بالغيب ولايؤمنون بالبعث والحساب والجزاء .

٢- عن الزجاج : أى انهم كانوا لايؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم .٣- عن أبى مسلم : أى لايرجون المجازاة على الاعمال ، ولا يظنون ان لهم حساباً . ٤- قيل : أى لايرجون ثواب حساب . على حذف المضاف .

٥- قيل : أى لا يتوقعون حساباً . و هذه إشارة الى نقصانهم بحسب القوة العلمية فان الذى اعتقدانه لاحشر ولاحساب ولاجزاء فلايبالى بأى شىء فعل من القبائح والمظالم أوأى شىء ترك من الخيرات وصالح الاعمال وفضائل الاخلاق.. ٦- قيل : أى ان هؤلاء الطغاة كانوا فى الدنيا لايخافون محاسبة الله تعالى اياهم فى الاخرة على نعمه عليهم وإحسانه إليهم وسوء شكرهم له على ذلك .

اقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

٢٩- (وكل شىء احصيناه كتاباً)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- قيل : أى كل شىء من أعمال العباد وعقائدهم وما فى صدورهم بيّنّاه فى اللوح المحفوظ لتعرفها الملائكة كقوله تعالى : « وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين » . ٢- قيل : أى و كل شىء من أعمالهم حفظناه لنجازيهم به . وقيل : أى حفظنا كل شىء حالكونه مكتوباً فى اللوح المحفوظ .

٣- قيل : أى كتبنا كل شىء من أعمال العباد : عددها و مبلغها و قدرها كتاباً لايعزب عنّا علم شىء منها ، وقد صدرت هذه الكتابة عن الملائكة المو- كلين بالعباد بأمر الله تعالى إياهم بالكتابة فى صحائف أعمالهم ليجازيهم بها و منها تكذيبهم بآيات الله تعالى لقوله تعالى : « وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين » ٤- قيل : أى كتبنا جزاء العاصين على وفق أعمالهم .

٥- قيل : أى ضبطنا كل شىء وبيناه فى كتاب جليل القدر . ٦- قيل : أى و كل شىء كان ومايكون فى هذا الوجود محصى فى كتاب مبين ، و كذلك أعمال هؤلاء الطاغين المكذبين محصاة عليهم مسجلة فى كتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها . ٧- قيل : أى علمنا جميع ما عملوا علماً ثابتاً لا يعتريه تغيير ولا

تحريف ، فلا يمكنهم أن يجحدوا شيئاً فى الاخرة مما كانوا يفعلون فى الحياة الدنيا ، فكل شيء أحصيناه إحصاء يساوى فى ثباته وضبطه ما يكتب .

أقول : والسادس هو الانسب بظاهر التعميم .

٣٠- (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذاباً)

فى قوله تعالى : « فلن نزيدكم إلاّ عذاباً » أقوال : ١- قيل : ان زيادة العذاب عبارة عن نفس إستمراره لانه يتزايد بمرور الزمان ، والمراد انا لن نخلصكم من العذاب إلى خلافه . ٢- عن إبن عمر : أى هم فى مزيد من العذاب دائماً ، فهم يذوقون عذاباً بعد عذاب ، فلايزالون يضاف عذاب جديد إلى عذابكم القديم ، فكل عذاب يأتى بعد عذاب . فالعذاب الجديد زائد العذاب السابق .

٣- قيل : زيادة العذاب أن تكون لاجل ان المؤثر إذا استمرّ ودام إزداد الاحساس بأثره . ٤ - قيل : أى عذاباً فوق عذاب . ٥ - قيل : زيادة العذاب بأن يكون لازدياد كفرهم وعتوّهم حيناً بعد حين كقوله تعالى : « فزادتهم رجساً إلى رجسهم »

أقول : والثانى هو المستفاد من الرواية الآتية .

٣٣- (وكواعب أتراباً)

فى « كواعب » أقوال : ١- عن الضحاك : الكواعب العذارى اللاتى تكعب ثديهن فتستدير مع إرتفاع يسير ، وتلتحم أفخاذهن وصدورهن ووجوههن ،فلهن الكعاب المطلوب فى النساء فى مختلف المواضع من أبدانهن . . .

٢- قيل : أى حوراً كواعب لم تتدلّ ثديهن ، وهن أبكار عرب ، والتمتع بالنساء على هذه الشاكلة مما يتمثله المرء فى الحياة الدنيا على نحو من اللذة ، وإن كنا لانعلم كنهه فى الاخرة ، وعلينا أن نؤمن به ، وانه تمتع يفوق ما هو مثله من لذات هذه الحياة ، وانه يشاكل أحوال العالم الاخروى .

٣- قيل : كواعب جمع كاعب وهى الفتاة التى نهدثدياها ، و ذلك فى أول

شبابها وهن آنسات فى سن واحدة .

اقول : والمعانى متقارب والمآل شيء واحد والمحسنات مقدمات له .

وفى قوله تعالى : « أترابا » أقوال : ١- عن إبن عباس وقتادة : الاتراب : الاقران فى السن ، مستويات الخلقة والقامة والصورة حتى يكن متشاكلات . . . ولذلك يتنفس فيهن كلهن أزواجهن من غير فرق بينهن فى التنافس .

٢- عن أبى على الجبائى : أى أترابا على مقدار أزواجهن فى الحسن والصورة والسن والقامة . . . ٣ - عن إبن زيد و مجاهد : الاتراب : اللدات وهى المماثلة لغيرها من اللدات . ٤ - قيل : أى خلاناً ورفاقاً . ٥ - قيل : أى مهذبات غير مائعات ومصونات غير متبرجات . . .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

٣٤- (وكاسا دهاقا)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس وإبن زيد وقتادة والحسن: أى مترعة مملوؤة . يقال : أدهقت الكأس أى ملأتها و كأس دهاق أى ممتلئة شراباً . ٢- عن مقاتل : أى على قدر ريهم ٣- عن عكرمة و زيد بن أسلم والقشيرى : أى خمراً صافية . فالمراد بالكأس الخمر والمعنى : وخمراً ذات دهاق أى عصرت وصفيت .

٤- عن إبن عباس و عكرمة أيضاً وسعيد بن جبير و مجاهد : أى متتابعة يتبع بعضها بعضاً ومنه ادهقت الحجارة إدهاقاً وهو شدة تلازبها ودخول بعضها فى بعض ؛ فالمتتابع كالمتداخل . متتابعة على شاربيها بكثرة وإمتلاء أخذ من متابعة الشد فى الدهق . وقيل : دمادم .

اقول : والاول هو الانسب بمعناه اللغوى .

٣٥- (لايسمعون فيها لغواً ولاكذاباً)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن قتادة : أى لايسمعون فى الجنة باطلاً ولا

إثماً . على أن اللغو هو الباطل وهو ما يلغى من الكلام ويطرح ، والكذاب هو الاثم.

٢- قيل: أى ليس فى خمر الجنة لغواً ولا كذاباً بخلاف خمر الدنيا تخمر العقل و تستره عن إنارته ، فيتكلم شارب خمر الدنيا لغواً و كذاباً . واللغو كل كلام لاطائل فيه ، والكذاب هو كل كلام فيه رذيلة ومهانة .

٣- قيل : أى لايسمعون فى الجنة لغواً وهو ما يتكلم به المرء و لا يترتب عليه أثر مطلوب ، ولا كذاباً أى لايكذّب فيها بعضهم بعضاً ، فليس فى الجنة ما يتألم به أنفس المتقين الصادقين المخلصين . ٤- عن أبى عبيدة : أى ليس فى الجنة مكاذبة فلا يتكاذبون فيها، فان الجو فيها جو صدق وجد . ٥- عن أبى على الفارسى: ليس فى الجنة كذباً ولا كاذباً .

اقول : والاول هو المؤيد بالايات القرآنية . . .

٣٦- (جزاء من ربك عطاء حساباً)

فى الاية الكريمة أقوال . ١- عن قتادة وأبى عبيدة والجبائى والـزجاج : أى جازاهم ربك بما تقدم جزاء وأعطاهم اعطاء كافياً من غير النظر إلى قدر العمل بعد تحقق الايمان وصالح العمل والتقوى ، فان الله تعالى يجزى بالعمل اليسير الخير الكثير لا انقطاع له . و عن الاخفش والزجاج : « حسابا » أى ما يكفيهم أى ان فيه ما يشتهون . ٢- قيل : أى حساباً على قدر الاستحقاق وبحسب العمل.

٣- عن الكلبى : أى حاسبهم حساباً فأعطاهم بالحسنة عشر أمثالها .

٤- عن مجاهد : أى عطاء منه تعالى حساباً لما عملوا ، فالجزاء بحسب العمل والاستحقاق . فالحساب بمعنى العد أى بقدر ما وجب له فى وعد الرب فانه وعد للحسنة عشراً ووعد لقوم بسبعمأة ضعف ، وقد وعد لقوم جزاء لانهاية له ولا مقدار . ٥- عن قتادة أيضاً : حساباً أى كثيراً يقال : أحسبت فلاناً أى كثّرت له العطاء حتى قال : حسبى .

٦- عن إبن زيد : حساباً أى بقدر ما وعده الله تعالى حسب درجاتهم فى الايمان

والتقوى ، فلحسنة طائفة عشر أمثالها ،و لحسنة طائفة سبعماءة ضعف ، و لحسنة المقربين مالانهاية ولامقدار له .

أقول : والرابع هو المروى وفى معناه السادس .

٣٧- (رب السموات و الارض ومابينهما الرحمن لايملكون منه خطاباً)

فى قوله تعالى :«لايملكون منه خطاباً» أقوال: ١ ـ عن مجاهد وإبن زيد: أى لايملكون من الله تعالى أن يخاطبوه على سبيل خطاب التخاصم الذى يخاصم صاحبه : لما ذا فعل أو ترك ؟ أو على طريق السؤال ؟؟ والمراد بهم الناس كلهم و المراد بخطابه جل وعلا تكليمه فى بعض مافعل من الفعل بنحو السؤال عن السبب الداعى إلى الفعل كأن يقال : لم فعلت هذا ؟ ولم لم تفعل كذا ؟ كما يسئل الفاعل منا عن فعله فتكون الجملة «لايملكون منه خطاباً» فى معنى قوله تعالى : «لايسئل عما يفعل وهم يسئلون» الانبياء : ٢٣) :

٢ـ قيل : أى لايملك الكفار و الطاغون من الله تعالى أن يسئلوا إلاّ فيما أذن لهم فيه . وأما المؤمنون فيشفعون . ٣ ـ عن مجاهد أيضاً وقتادة ومقاتل : أى لايقدر الخلق كلهم على أن يتكلموا الرب جل وعلا بكلام إلاّ باذنه . ٤ ـ قيل : أى لايملك هؤلاء الطاغون من الله تعالى أن ينطقوا ويعتذروا عما فعلوا فى الحياة الدنيا . ٥ـ عن إبن عباس: أى لايخاطب المشركون الله سبحانه فيشفعون ويقبل الله منهم ذلك .

٦ ـ قيل : أى لايملك أحد من الله تعالى خطاباً بالشفاعة إلاّ باذنه جل وعلا، إذ كل من هو سواه فهو مملوكه ، و المملوك لايملك من جهة مالكه شيئاً، وإلاّ لم يكن للمالك كمال الملك وقد قال تعالى: «يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار» غافر: ١٦) فالضمير فى «لايملكون» راجع إلى الجن والانس والروح والملائكة .

٧ ـ قيل : أى انهم لايملكون من جهة الله تعالى أن يخاطبوا له سبحانه فيما

يقضي و يفعل بهم باعتراض عليه جل وعلا أو شفاعة فيهم ، أما الملائكة فهم منزّ هون عن وصمة الاعتراض عليه جل وعلا إذقال فيهم : «عباد مكرمون لا يسقبونه بالقول وهم بأمره يعملون» الانبياء: ٢٧) وان المراد بالخطاب الذى لا يملكونه هو الشفاعة وما يجري مجراها من وسائل التخلص من الشر كالعدل والبيع والخلة والدعاء و السؤال ... قال الله تعالى : ««واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ولاهم ينصرون - ياأيها الذين آمنوا أنفقوا ممارزقنا كم من قبل أن ياتى يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة» البقرة : ١٢٣ - ٢٥٤) .

فضمير الجمع فى« لايملكون » راجع إلى جميع المجموعين ليوم الفصل من الملائكة والروح والانس والجن كما هو المناسب للسياق الحاكى عن ظهور العظمة والكبرياء دون خصوص الملائكة والروح لعدم سبق الذكر، ودون خصوص الطاغين لكثرة الفصل .

أقول : وعلى الاخير جمهور المحققين .

٣٨- (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون الا من أذن له الرحمن و قال صواباً) .

فى «الروح» أقوال : ١ - قيل : الروح ملك من الملائكة ، وعن إبن عباس انه قال : ماخلق الله تعالى مخلوقاً بعد العرش أعظم منه ، فاذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفاً ، وقامت الملائكة كلهم صفاً ، فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم .ونحو منه عن إبن مسعود وعطاء : الروح ملك أعظم من السموات السبع ؛ ومن الارضين السبع، ومن الجبال، وهو حيال السماء الرابعة، يسبح لله جل وعلا كل يوم اثنى عشرة ألف تسبيحة ، يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكاً فيجيىء يوم القيامة وحده صفاً، وسائر الملائكة صفاً وقيل : هو أعظم المخلوقات قدراً . وقيل : خلقاً .

٢ - عن الضحاك وسعيد بن جبير والشعبى: الروح هو جبرئيل، فيقف جبرئيل والملائكة يوم القيامة صفاً واحداً ، فيملؤن النفوس والاجواء هيبة ورهبة ، وهم

على قربهم من الله جل وعلا وطاعتهم له لايتحر كون ولاينطقون إلاّ باذنه . ٣- عن إبن عباس أيضاً وأبى صالح ومجاهد وقتادة: الروح جند من جنود الله تعالى ليسواهم ملائكة ، ولهم رؤس وأيد وأرجل ، يأكلون الطعام ، فهؤلاء جند وهؤلاء جند ، فانهم خلق على صورة بنى آدم كالناس وليسوا بناس . وعن إبن عباس انه قال : الروح خلق من خلق الله على صور بنى آدم، وما نزل ملك من السماء الاّ ومعه واحد من الروح . وعن الاعمش: الروح خلق من خلق الله يضعفون على الملائكة أضعافاً لهم أيد وأرجل ...

٤ ـ عن مقاتل بن حيان : الروح : أشراف الملائكة . ٥ ـ قيل : الروح ملكٌ مو كل على الارواح. وعن إبن أبى نجيح : الروح حفظة على الملائكة ٦ ـ عن قتادة أيضاً و الحسن : الروح هم بنو آدم على تقدير : ذوالروح ٧ ـ عن عطية و إبن عباس أيضاً : الروح ههنا : أرواح بنى آدم تقوم فى موقف الحساب صفاً، وتقوم الملائكة صفاً ، وذلك بين النفختين قبل أن تردّ إلى الاجساد ... ٨ ـ عن زيد بن أسلم : الروح : القرآن و قرأ «و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» و المراد من قيامه ظهور آثاره يومئذ من سعادة المؤمنين به وشقاوة الكافرين . ٩ـ قيل : الروح : المخلوق الامرى الذى يشير إليه قوله تعالى : «قل الروح من أمر ربى» الاسراء : ٨٥) .

أقول : ومايظهر من المقابلة بين الروح و الملائكة : ان المراد بالروح غير الملائكة ، ومايستفاد من ترتيب نزول هذه السورة بعد سورة المعارج : ان الروح هى التى كانت تنزل على رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فتأمل جيداً .

وفى قوله تعالى : «لايتكلمون إلاّ من أذن له الرحمن وقال صواباً» أقوال: ١ ـ عن مجاهد والضحاك والحسن والكلبى : أى لايشفعون إلاّ من أذن له الرحمن فى الشفاعة وقال قولاً حقاً لايداخله باطل ، وصواباً لايشوبه خطأ فى الحياة الدنيا وعمل به . على أن ضمير الجمع فى «يتكلمون» راجع إلى «الروح والملائكة».

٢ - عن أبي صالح وعكرمة وابن عباس: أي لا يتكلمون في الشفاعة عند الله تعالى إلاّ من أذن له الرحمن وقال: لا إله إلاّ الله فهم يشفعون لمن قال: لا إله إلاّ الله إذ فيه منتهى الصواب. وأصل الصواب السداد من القول والفعل، وهو من أصاب يصيب إصابة، فالاستثناء ممن يتكلم فيه. والمعنى لا يتكلمون في حق أحد إلاّ في حق شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص في الدنيا: لا إله إلاّ الله. فالآية في معنى قوله تعالى: «ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى» الانبياء: ٢٨) وقيل: هذا مردود بأن العناية الكلامية في المقام متعلقة بنفي أصل الخطاب، والتكلم يومئذ من كل متكلم لا بنفي التكلم في كل أحد مع تسليم جواز أصل التكلم، فالمستثنون هم المتكلمون المأذون لهم في أصل التكلم من غير تعرّض لمن يتكلم فيه. ٣ - قيل: انهم يؤذن لهم في الكلام حين يؤمر باهل النار في النار، وبأهل الجنة إلى الجنة. وقال: عكرمة بعد أن قرأ هذه الاية: يمرّ باناس من أهل النار على الملائكة فيقولون: أين تذهبون بهؤلاء؟ فيقال: إلى النار، فيقولون: بما كسبت أيديهم وما ظلمهم الله تعالى، ويمرّ باناس من أهل الجنة على ملائكة: فيقال: أين تذهبون بهؤلاء؟ فيقولون: برحمة الله تعالى دخلتم الجنة.

٤ - قيل: أي لا يتكلم الملائكة والروح الذين قاموا صفاً لا يتكلمون هيبة وإجلالاً إلاّ من أذن له الرحمن في الشفاعة، وهم قد قالوا صواباً، وكانوا يوحدون الله تعالى ويسبحونه. ٥ - عن الحسن: ان الروح تقوم يوم القيامة لا يدخل أحد الجنة إلاّ بالرحمة ولا النار إلاّ بالعمل، وهو معنى قوله: «قال صواباً». ٦ - قيل: أي لا يتكلم المؤمنون ولا الروح ولا الملائكة ولا الجن يوم القيامة إلاّ من أذن له الرحمن منهم وقال صواباً بأن يشفع في حق من يستحق الشفاعة. وقيل: ضمير الجمع في «لا يتكلمون» راجع إلى الجن والانس والروح والملائكة جميعاً.

٧ - قيل: يؤذن للناس في الكلام حين يؤمر بأهل النار إلى النار، وبأهل الجنة إلى الجنة. ٨ - قيل: أي لا يتكلم أحد من الناس يوم القيامة إلاّ من أذن له الرحمن وقال في الحياة الدنيا قولاً صواباً وحقاً، وكانت حياته فيها صدقاً وعدلاً.

اقول : والسادس هو المستفاد من الروايات الآتية فانتظر .

٣٩ ـ (ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآباً)

في « إلى ربه مآباً » أقوال : ١ ـ عن قتادة : أي سبيلاً . ٢ ـ قيل : أي مرجعاً للطاعة . ٣ ـ قيل : أي منزلاً و مأوى بالايمان والطاعة والتقوى فينتهي و يؤوب بها إلى الله سبحانه و مرضاته و ينال بفضله و جناته و يسلم من عذابه

اقول : والاخير هو الانسب بظاهر السياق .

٤٠ ـ (انا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدمت يداه و يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً)

في « عذاباً قريباً » أقوال : ١ ـ عن قتادة والكلبي : اريد بالعذاب ههنا عقوبة الدنيا لانها أقرب العذابين . ٢ ـ عن مقاتل : هو قتل قريش ببدر . ٣ ـ قيل : هو عذاب عند الموت والبرزخ لان من مات فقد قامت قيامته ، فان كان من أهل الجنة رآى مقعده من الجنة ، وإن كان من أهل النار رآى الخزي والهوان.

٤ ـ قيل : اريد بالعذاب القريب عذاب الآخرة ، و كونه قريباً لكونه حقاً لاريب في اتيانه ، وكل ما هو آت فهو قريب على أن الاعمال التي سيجزى بها الانسان هي معه أقرب مايكون منه . والمعنى: انا نحذركم عذاب يوم القيامة و هو قريب . فالخطاب لكفار قريش و مشركي العرب لانهم قالوا : لانبعث .

اقول : و على الاخير جمهور المفسرين ، و هو الظاهر من السياق .

و قوله تعالى : « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه » في « المرء » أقوال :

١ ـ عن الحسن و قتادة : المرء ههنا المؤمن ، لمجيىء ذكر الكافر بعده ، ولان المؤمن لما قدّم الخير والشر فهو منتظر لامر الله تعالى كيف يحدث، وأما الكافر فانه قاطع بالعذاب و مع القطع لايحصل الانتظار ، و ان المؤمن يحذر الصغيرة و يخاف الكبيرة ، فالمؤمن يجد لنفسه عملاً فيرجو النجاة و أما الكافر فلايجد لنفسه عملاً فيتمنى أن يكون تراباً .

٢ ـ قيل : اريد بالمرء ههنا كل إنسان مكلف ، و انه يرى غداً جزاء ما كسب في الحياة الدنيا ، فكل مكلف ينتظـر جزاء أعمالـه التي قدمتها يـداه بالاكتساب، والمعنى: ينظر المرء إلى ما قدمت يداه من الاعمال لحضورها عنده لقوله تعالى: « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء » آل عمران : ٣٠) .

٣ ـ عن مقاتل: المرء هو أبوسلمة بن عبدالأسد المخزومي لان الاية نزلت فيه . ٤ ـ قيل : المرء ههنا أبي ابن خلف و عقبة بن أبي معيط كما ان المراد بالكافر الآتي هو أبوجهل . ٥ ـ عن عطاء : اريد بالمرء الكافر لتقدم ذكر الانذار.

أقول : و على الثاني أكثر المفسرين ، ولكن الاخير غير بعيد .

و قوله تعالى : « و يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً » في الكافر والتراب أقوال : ١ ـ قيل : الكافر هوالاسود بن عبد الاسود ، فهو يقول من شدة ما يلقى و من هول ما يرى : يا ليتني كنت تراباً كما كنت قبل أن اخلق . ٢ ـ قيل: الكافر ههنا أبوجهل فيتمنى من شدة اليوم والعذاب : لوكان تراباً فاقداً للشعور والارادة كالحيوان ، فلم يعمل ولم يجز . فالمعنى : يا ليتني كنت تراباً كالبهائم التي جعلت تراباً .

٣ ـ عن مقاتل : الكافر هو أبوسلمة بن عبد الاسد المخزومي لان الاية نزلت فيه والمعنى : و يقول الكافر ـ أبوسلمة ـ : يا ليتني كنت تراباً في أخي الاسود بن عبد الأسد .

٤ ـ قيل : الكافر ههنا إبليس ، و ذلك انه عاب آدم بانه خلق من تراب ، و افتخر بانه خلق من نار ، فاذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم عليه‌السلام و بنوه من الثواب والرحمة والراحة، و رآى ما فيه هو وأتباعه من الشدة والعذاب، فيتمنى انه كان بمكان آدم . و قيل : انه يقول : يا ليتني خلقت من التراب كآدم، ولم أقل أنا خير منه .

٥ ـ قيل : الكافر : من لم يؤمن بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و باليوم الاخر، فيقول يومئذ تمنياً لما يلقى من عذاب الله تعالى الذى أعدّه لاصحابه الكافرين : يا ليتني كنت تراباً و لم أكن من المكلفين حتى لم اعاقب هذا العقاب .

٦ ـ عن إبن عمر و سفيان : إذا كان يوم القيامة مدّت الارض مدّ الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يوضع القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجمّاء من الشاة القرناء بنطحتها ، فاذا فرغ من القصاص بينها قيل لها : كوني تراباً ، فعند ذلك يقول الكافر : « يا ليتني كنت تراباً » .

٧ ـ عن الزجاج : ان المراد بقوله تعالى حكاية عنهم : «ياليتني كنت تراباً» أى كنت تراباً كما صرت تراباً بعد الموت و لم ابعث بعده . فالمعنى: ليتني لم احشر و بقيت غير محشور كقوله تعالى حكاية عن الكافرين : « يا ليتني لم اوت كتابيه » .

٨ ـ عن أبى الزناد : إذا قضى بين الناس ، و أمر بأهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، قيل : لسائر الامم و لمؤمني الجن عودوا تراباً، فيعودون تراباً فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم : « يا ليتني كنت تراباً » . ٩ـ قيل : ان الكافر إذا رآى عمله يوم الفصل ، وعلم جزاءه بالنار والعذاب ، فتمنى الموت يومئذ و لم يكن فى الدنيا شيء عنده اكره من الموت .

١٠ ـ قيل : أى كنت تراباً بعد حساب قصير يسير . ١١ ـ قيل: أى كنت تراباً لرب الارباب ، خاضعاً غير متخلف عن أوامره و أعصه ، و كنت متواضعاً فى طاعة الله كالتراب لا مرتفعاً كالنار ، فكنت هذا اليوم من زمرة المتقين

اقول : و على السابع أكثر المفسرين ، و لكن الاخير هو المستفاد من الروايات الآتية فانتظر .

﴿التفسير والتأويل﴾

١ - (عم يتساءلون)

عن أي شيء يتساءل الكفار الجهلة ، والفجار السفلة ، والطغاة من أتباع الهوى والشهوة في طوال الاعصار . . . ؟ أهناك معضلة غير منحلة، ومشكلة مستعصية عليهم حتى يكون منهم هذا التساؤل الملحاح الذي يصبحون فيه ؟ وهذا التساؤل المتعنت الذي يمسون به ؟

و من دأب الكفار في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يسئل بعضهم بعضاً تارة ، والنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم تارة اخرى، والمؤمنين ثالثة لتشديد الانكار على المنكرين منهم، وتسجيله على الشاكين ، والتشكيك في الاخرين منهم، ولردّة المستضعفين من المسلمين عما كانوا يعتقدون به على طريق التعجب والانكار ، والسخرية والاستهزاء . . . و هذا الدأب المشوم مستمري المدى من الكفار والطاغين . . .

قال الله تعالى: « فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ءانك لمن المصدّقين ءإذا متنا و كنا تراباً وعظاماً ءانا لمدينون » الصافات : ٥٠ ـ ٥٣) .

وقال : « ولئن أطعتم بشراً مثلكم انكم إذاً لخاسرون أيعدكم انكم إذا متم و كنتم تراباً و عظاماً انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت و نحيى و ما نحن بمبعوثين » المؤمنون : ٣٤ ـ ٣٧) .

وقال : « يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عندالله » الاحزاب : ٦٣) .

و قال : « و إذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاءالله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين » يس : ٤٧ ـ ٤٨) .

٢ ـ (عن النباء العظيم)

النباء العظيم هو الامر ذوالشأن الذى تغطى أخباره كل خبر ، فتتجه إليه الانظار ، و تشغل به الخواطر ، والمراد به ههنا النباء بيوم الفصل و أهواله . . . يوم لاتحتمل عقولهم تصور إمكانه . ومن دأب الكفار و أذنابهم في طوال الاعصار أن يتساءلوا عن البعث والحساب ، و ما يوعدون من نار و عذاب .

قال الله تعالى : « و ان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم و غساق ـ قل هو نبؤا عظيم أنتم عنه معرضون ـ ولتعلمن نبأه بعد حين » ص : ٥٥ ـ ٨٨) .

وقال: « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج ـ انهم يرونه بعيداً و نراه قريباً يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ـ ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون » المعارج : ١ ـ ٤٤) .

و قال : « يسئلونك عن الساعة أيان مرسيها » النازعات : ٤٢) .

و ما ورد في المقام من الروايات الكثيرة عن الطريقين : ان النباء العظيم هو مولى الموحدين ، إمام المتقين ، أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فهو اللب إذ في الولاية العلوية كمال الدين الاسلامى ، و بها تمام النعمة الالهية على الامة المسلمة ، و عليها إستمرار الحكم المحمدى صلى الله عليه وآله وسلم . و بحق أقول : من لا ولاية له فلا لب له في الدين الاسلامى ، و إن شهد الشهادتين ، و اعترف بيوم الفصل وصلى بين الركن والمقام، و أنفق خزائن الارض في سبيل الله سبحانه ، فان الجسد بلا لب و لا روح لا شأن له ، و لعمرى انما الولاية هى روح الدين . والنبأ العظيم الذى تغطى أخباره كل الخبر فتأمل واغتنم جداً .

٣ - (الذى هم فيه مختلفون)

النبأ العظيم هو الذى كان الكفار و أذنابهم يختلفون فى نحو إنكاره ، و إن كانوا متفقين فى نفيه ، فمنهم من كان يستحيل البعث ، فينكره كما هو ظاهر قولهم على ما حكاه الله جل وعلا : « و قالوا ءإذا كنا عظاماً و رفاتاً ءإنا لمبعوثون خلقاً جديداً » الاسراء : ٩٨) .

وقال حكاية عنهم : « هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزّقتم كل ممزّق انكم لفى خلق جديد » سبأ : ٧) .

وقال: « و أقسموا بالله جهد أيمانكم لايبعث الله من يموت » النحل: ٣٨) .

و منهم من كان يستبعد البعث بعد الموت ، فينكره كقوله تعالى حكاية عنهم : « هيهات هيهات لما توعدون إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيى و ما نحن بمبعوثين » المؤمنون : ٣٦ ـ ٣٧) .

وقوله تعالى حكاية عنهم: « ءإذا متنا و كنا تراباً ذلك رجع بعيد » ق: ٣).

و منهم من كان يشك فى البعث ، فينكره كقوله جل و علا حكاية عنهم : « ما ندرى ما الساعة إن نظن إلا ظناً و ما نحن بمستيقنين » الجاثية : ٣٢) .

وقال: « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى و ربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم و ذلك على الله يسير » التغابن : ٧) .

ومنهم من كان لايؤمن بالاخرة عناداً و استكباراً، فينكره كما كان لايؤمن بالله تعالى و برسوله صلى الله عليه و آله و سلم بعد تمام الحجة عليه عناداً و استكباراً .

قال الله تعالى : « و سيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها و قال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم و ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى- قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين » الزمر : ٧١ ـ ٧٢) .

وقال: « انما توعدون لصادق ـ انكم لفى قول مختلف » الذاريات: ٥ـ٨) .

٥٩٤- (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون)

ليس الامر كما يتوهم المنكرون بالبعث ، هم سيعلمون ما يحلّ بهم على إنكارهم له ، سيعلمون ان ما يتساءلون عنه مختلفين فيه حق وصدق ،وسيعلمون عاقبة تكذيبهم حين تنكشف لهم الامور ، فلهم أن يرتدعوا عن التساؤل والانكار واللجاج والعناد لانه سينكشف لهم الامر غداً بوقوع هذا النباء العظيم ، فيعلمون ما كانوا به يكذبون والآيتان فى معنى قوله تعالى : « ذرهم يأكلوا و يتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » الحجر : ٣)

وقوله : « حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً » مريم : ٧٥)

وقوله : « لكل نباء مستقر وسوف تعلمون » الانعام : ٦٧)

وقوله : « ولتعلمن نبأه بعد حين » ص : ٨٨)

وقوله : « إنما توعدون لصادق وان الدين لواقع » الذاريات : ٥ ـ ٦)

وقوله : « سيعلمون غداً من الكذّاب الأشر » القمر : ٢٦)

٦- (ألم نجعل الارض مهاداً)

المهاد : الفراش للوطأ المعدّ لراحة الانسان ، وان الارض للانسان كالمهد للصبى ، وهوما يمهد له فينوّم عليه. ان الله تعالى قد جعل الارض بقدرته القادرة وحكمته البالغة وعلمه الشامل ، وتدبيره التام فراشاً ممهداً ، و بساطاً ممدوداً صالحاً للسير والاستقرار وموطأً للناس والدواب ، فيتحرك فيها وحولها الانسان، ويسلك مسالكها ، ويستقر ويقيم عليها ويفترشها ، ويتصرف فيها ، و يجد وسائل العيش والحياة فيها ، وينتفع بخيراتها الظاهرة والباطنة . . .

و معنى الاية الكريمة : قد جعلنا هذه الارض التى تعيشون عليها ممهدة صالحة للسير والاستقرار ، ملائمة لحياة الانسان فى جميع تصرفاته ، وجعلناها فى سهولة العيش عليها و يسر التقلب فيها كمهد الصبى . ولو كانت الارض على غير ما

هى عليه الآن لتعذرعليه العيش والحياة فيها .

قال الله تعالى : « الذى جعل لكم الارض فراشاً » البقرة : ٢٢)

وقال : « والارض فرشناها فنعم الماهدون » الذاريات : ٤٨)

وقال : « والله جعل لكم الارض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً » نوح : ١٩ - ٢٠)

وقال : « الذى جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً و أنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لاولى النهى » طه : ٥٣ - ٥٤)

وقال : « أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً » النمل : ٦١)

وقال : « هوالذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه وإليه النشور » الملك : ١٥)

٧- (والجبال أوتاداً)

وقد جعلنا الجبال للارض أوتاداً لكيلاتميد بأهلها ، وتضطرب بسكّانها ، ولا تتكفاء وبها يحفظ توازنها فى حراكها ، وتسكن بها الارض، وتثبت كماتثبت الخيام بالاوتاد ، وتمسك بها ، فالجبال أشبه بالاوتاد التى تشدّ الخيمة وتمسك بها، فلولاها لكانت الارض دائمة الاضطراب فى جوفها من المواد الدائمة الجيشان ، فلا تتمّ الحكمة فى كونها مهاداً لهم .

قال الله تعالى : « وألقى فى الارض رواسى أن تميدبكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون » النحل . ١٥)

وقال : « وهوالذى مدّ الارض وجعل فيهارواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » الرعد : ٣)

وقال : « وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها و قدّرفيها أقواتها فى

أربعة أيام سواء للسائلين » فصلت : ١٠)

٨- (وخلقناكم أزواجاً)

٠ و خلقناكم أيها الناس ذكوراً واناثاً ليتم التزاوج ، و يجرى بينكم سنة التناسل والتوالد ، فيدوم بقاء النوع إلى أجل مسمى عندالله جل وعلا .

قال الله تعالى : « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة » النحل : ٧٢)

وقال : « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » الروم : ٢١)

وقال : « فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً - لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثاً و يهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً انه عليم قدير » الشورى : ١١ - ٥٠)

٩- (وجعلنا نومكم سباتاً)

وجعلنا نومكم أيها الناس سبباً لانقطاعكم عن الحركة للراحة والسكون، فيزيل عنكم التعب والكلال اللذين يعتريانكم فى اليقظة بواسطة تصرفات النفس فيها ، ففى النوم راحة للارواح والاجساد معاً ، ولاحياة ولاحركة بدون نوم ، و ان فى النوم ليلاً قطعاً للمتاعب التى تكابدونها فى النهار سعياً فى تحصيل امور المعاش ، ومن المشاهد ان فى نوم بضع ساعات فى الليل راحة للقوى من تعبها ، ونشاطاً لها من كسلها وإعادة لمافقدمنها ، ولولاذلك لفقدت القوى ، وانقطع المرء عن العمل فى شئون الحياة .

قال الله تعالى : « و هو الذى جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً و جعل النهار نشوراً » الفرقان : ٤٧)

وقال : « ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » الروم : ٢٣)

١٠- (وجعلنا الليل لباساً)

ومن فيض قدرتنا ، وتدبير حكمتنا ، وآثار رحمتنا العامة ، انا جعلنا الليل ظرفاً للراحة والسكون ، وغشاءاً يتغشاكم سواده وتغطيكم ظلمته كما يغطي الثوب لابسه لتسكنوا فيه عن التصرف لما كنتم تتصرفون له نهاراً ، ساتراً يستر الآفاق كما يستر الثوب الجسد ، ويرخي على الاحياء ستراً يمسك حواسها المنطلقة أثناء النهار ليعطيها فرصتها من الراحة و السكون ، وليتيح للقوى المندسة في كيان الانسان : مدركات وعواطف ومشاعر أن تنطلق لتجد وجودها كاملاً ، وبهذا يحدث التوازن بين كل القوى المتزاوجة في الانسان ... بين جسده وروحه ، بين مادياته ومعنوياته ، بين حركته و سكونه و بين يقظته و نومه .

فالليل سبب آخر إلهي للراحة و السكون يدعوكم إلى ترك تقلبكم و حركتكم ، و ميلكم إلى سكناكم ودعتكم ورجوعكم إلى أهليكم ومنازلكم... ولكن أكثركم لاتشكرون .

قال الله تعالى : « هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان في ذلك لايات لقوم يسمعون » يونس : ٦٧) .

وقال : » ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه و النهار مبصراً ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون » النمل ٨٦) وقال : « والليل إذا يغشى » الليل : ١) .

وقال : « من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل و النهار لتسكنوا فيه و لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » القصص : ٧٢ ـ ٧٣) .

وقال : « الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون » غافر : ٦١) .

١١- (وجعلنا النهار معاشاً)

وجعلنا لكم النهار زمناً لسعيكم وحركتكم وحياتكم ، وظرفاً للارتزاق

والاكتساب وضياء لتنتشروا فيه لحوائجكم، وسبباً لتتصرفوا فيه لمصالح دنياكم وآخرتكم، وتبتغوا فيه من فضل ربكم وان النهار نفسه فضل من فضل الله جل وعلا كما ان الليل نفسه كذلك .

قال الله تعالى : «وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب» الاسراء : ١٢)

وقال : « وجعل النهار نشوراً» الفرقان : ٤٧)

وقال : « قل أرايتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرايتهم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون و من رحمته لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» القصص : ٧١ ـ ٧٣) و قال : « ان لك فى النهار سبحاً طويلا » المزمل : ٧)

١٢- (وبنينا فوقكم سبعاً شداداً)

و بنينا فوقكم أيها الناس سبع سموات محكمات : شديد البناء ، محكمة الخلق ، وثيقة البنيان ، فلاصدوع فيهن ولافطور ولافروج ، ولايبليهن مر الليالى والايام ، ولاتقبل الشق والخرق إلى أجل مسمى عندالله عزوجل .

قال الله تعالى : « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون» الذاريات : ٤٧)

وقال : «الذى خلق سبع سموات طباقاًماترى فى خلق الرحمن من تفاوت» الملك : ٣) .

وقال: « ءأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها» النازعات:٢٧ـ٢٨)

وقال:«أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج» ق : ٦)

وقال : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها» الرعد: ٢) .

وقال : « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً» نوح : ١٥) ان السماء بناء للارض أى سقف محفوظ لها ، ويقال لسقف البيت : بناء

قال الله تعالى : «وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون » الانبياء : ٣٢) .

١٣ - (و جعلنا سراجاً وهاجاً)

و جعلنا لكم الشمس فى السماء سراجاً بالغة فى الضوء والنور والتلألأ ، متقدة شديدة الحرارة ، يستضيىء بنورها ، ويحمى بحرارها من فى الارض، وهى تجرى لمستقر لها إلى أجل مسمى عند الله جل و علا . و ان الشمس نعمة إلهية شاملة لجميع الخلق .

قال الله تعالى : « تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً و جعل فيها سراجاً و قمراً منيراً » الفرقان : ٦١) .

و قال : « وجعل القمر فيهن نوراً و جعل الشمس سراجاً » نوح : ١٦) .

و قال : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً » يونس : ٥) .

وقال: « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » يس: ٣٨).

وقال : « وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبّر الامر يفصّل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » الرعد : ٢) .

١٤ - (و أنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً)

و أنزلنا من السحاب ـ المبسوطة المثارة بالرياح فى جوّ السماء ـ التى تتحلب بالمطر ماء كثير السيلان ، عظيم الانصباب المتتابع . . .

قال الله تعالى : « ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله » النور : ٤٣) .

و قال : « و من آياته أن يرسل الرياح مبشرات و ليذيقكم من رحمته و لتجرى الفلك بأمره و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون ـ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء و يجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله » الروم : ٤٦ ـ ٤٨) .

وقال: « ان فی خلق السموات والارض ـ وتصریف الریاح والسحاب المسخر بین السماء والارض لآیات لقوم یعقلون » البقرة : ١٦٤) .

١٥ - (لنخرج به حباً و نباتاً)

لنخرج بذلك الماء المدرار ، شدید الانصباب الذی أنزلناه من سحب السماء إلی الارض حباً كالحنطة والشعیر والذرة والارز والتمر وغیرها من الحبوبات... و نباتاً من الكلأ و نحوه . . . یقتات بها الانسان والحیوان .

قال الله تعالی: « و هو الذی أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شیء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً و من النخل من طلعها قنوان دانیة وجنات من أعناب والزیتون والرمان مشتبهاً وغیر متشابه انظروا إلی ثمره إذا أثمر وینعه ان فی ذلكم لایات لقوم یؤمنون » الانعام : ٩٩) .

و قوله تعالی : « فلینظر الانسان إلی طعامه انا صببنا الماء صباً ثم شققنا الارض شقاً فانبتنا فیها حباً و عنباً و قضباً و زیتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة و أباً متاعاً لكم و لانعامكم » عبس : ٢٤ ـ ٣٢) .

١٦ - (و جنات الفافاً)

و لنخرج بذلك الغیث المنصب أشجار البساتین و ثمار الحدائق ، الاشجار المتعانقة الافنان ، والمتشابكة الأغصان ، لتداخل بعضها فی بعض لتقارب الاشجار و كثرتها ، و تشعب أغصانها ، و لذلك تستر الارض و تجنّها من السماء .

قال الله تعالی : « هو الذی أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فیه تسیمون ینبت لكم به الزرع والزیتون والنخیل والاعناب ومن كل الثمرات ان فی ذلك لایة لقوم یتفكرون » النحل : ١٠ ـ ١١) .

وقال : « و أنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنّاه فی الارض و انا علی ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخیل و أعناب لكم فیها فواكه كثیرة و منها تأكلون » المؤمنون : ١٨ ـ ١٩) .

وقال : « و فى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب و زرع ونخيل صنوان و غير صنوان يسقى بماء واحد و نفضّل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون » الرعد : ٤) .

۱۷ - (ان يوم الفصل كان ميقاتاً)

ان يوم الفصل و هو اليوم الذى يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق بالقضاء : بين الكافر والمؤمن، بين السعيد والشقى، بين المصلح والمفسد ، بين البار والفاجر، بين المطيع والعاصى، بين المحسن والمسيىء ، بين المخلص والمنافق، بين الخاضع والمستكبر ، بين الصادق والكاذب ، بين الامين والخائن ، بين المفلح والخاسر، بين الظالم والمظلوم وبين المحق والمبطل . . . فينال كل طائفة ما يستحقه بعمله إن خيراً فخيراً و إن شراً فشراً .

و هذا اليوم هو الذى ينتهى إليه نظام الدنيا الجارى ، وتبدله بنظام آخر، وهو زمن وقوع النباء العظيم و ظهوره و صدقه الذى يستتبعه إجتماع الخلائق من الاولين والاخرين ، والحساب والجزاء ، وكان هذا اليوم معلوماً عندالله جل و علا من أول يوم خلق الله تعالى السموات والارض . . .

قال الله تعالى: « ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد » الحج : ۱۷) .

و قال : « ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين » الدخان : ٤۰) .

و قال : « قل إن الاولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم » الواقعة : ٤۹ ـ ۵۰) .

و قال : « هذا يوم الفصل جمعنا كم والاولين » المرسلات : ۳۸) .

و قال : « و امتازوا اليوم أيها المجرمون » يس : ۵۹) .

وقال: « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو » الاعراف : ۱۸۷) .

و قال : « قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم » الحجر : ٣٦ - ٣٨) .

١٨ - (يوم ينفخ فى الصور فتاتون أفواجاً)

يوم ينفخ فى الصور للبعث فتبعثون من قبوركم و تحيون ، فتأتون من قبوركم مسرعين إلى الموقف وموضع العرض والحساب من غير تلبث ، كل امة مع إمامهم فوجاً فوجاً من الاخيار و الاشرار ، من الابرار والفجار ، من السعداء والاشقياء ، من المحسنين و المجرمين ، من المحقين و المبطلين ، من المخلصين والمرائين ، من المفلحين والخاسرين ، من المصلحين والمفسدين ، من المؤمنين والكافرين ، من الامناء و الخائنين ، و بالجملة من عباد الرحمن وعبيد الشهوة و الشيطان . . : على صور مختلفة حسب العقائد : حقها و باطلها - و الاعمال : صالحها و فاسدها . . .

قال الله تعالى : « ونفخ فى الصور فاذاهم من الاجداث إلى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون إن كانت إلاّ صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون» يس : ٥١ - ٥٣) .

وقال : « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض إلاّ من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون» الزمر : ٦٨ - ٨٩).

و قال : « و نفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد و جائت كل نفس معها سائق و شهيد » ق : ٢٠ - ٢١) .

و قال : « يوم ندعوا كل اناس بامامهم » الاسراء : ٧١) .

و قال : « و نفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً»: ٩٠- ١٠٠) .

وقال ، « يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً » طه : ١٠٢) .

وقال : « ويوم نحشر من كل امة فوجاً ممن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاؤا قال أكذّبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علماً أما ذا كنتم تعملون » . النمل : ٨٣ ـ ٨٤) .

وقال: «يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام» الرحمن: ٤١) .

وقال : « خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر » القمر : ٧ ـ ٨) .

وقال : «يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون» المعارج : ٤٣ ـ ٤٤) .

١٩- (و فتحت السماء فكانت أبواباً)

وفتحت السماء يومئذ ، فصارت السماء حينئذ أبواباً ، و تبدل غير السماء .

وان من أعلام إنقراض هذا العالم المشاهد ، وانقطاع النظام الدنيوى ، و تحوّل هذا النظام إلى نظام يغايره إنفتاح السماء وإنطوائها وإنشقاقها وإنفراجها و إنكشاطها ، فيومئذ يتصل العالم الدنيوى بالعالم الاخروى وتبدل الارض غير الارض والسموات ...

قال الله تعالى: «يوم نطوى السماء كطىّ السّجلّ للكتب كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين » الانبياء : ١٠٤) .

وقال : « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » الرحمن : ٣٧) .

و قال : « فيومئذ وقعت الواقعة و انشقت السماء فهى يومئذ واهية » الحاقة : ١٥ ـ ١٦) .

وقال : «و إذا السماء فرجت» المرسلات : ٩) وقال : «وإذا السماء كشطت» التكوير : ١١) .

وقال : « يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار » ابراهيم : ٤٨) .

٢٠- (وسيرت الجبال فكانت سراباً)

وسيّرت الجبال يوم القيامة بعد أن زالت من مواضعها بالرجفة ، وقلعت عن مقارها بالاندكاك ، فصارت عندئذ كلا شيء لتفتت أجزائها و انبثاثها . و ذلك إذا اجتثت الجبال من اصولها ، فصيرت هباء منبثاً لعين الناظر كالسراب الذى يظن من يراه من بعد ماء و هو فى الحقيقة هباء .

قال الله تعالى: « إذا رجت الارض رجاً وبست الجبال بساً فكانت هباء منبثاً » الواقعة : ٤ ـ ٦) .

وقال: « فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتادكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة » الحاقة : ١٣ ـ ١٥) .

٢١ - (ان جهنم كانت مرصاداً)

راصد الشيء : الراقب له . والترصد : الترقب ، والمرصد : موضع الرصد، والمرصاد : مفعال ـ كمفضال ـ من أبنية المبالغة ، فكأنه يكثر من جهنم إنتظار الكفار والعاصين .

والمعنى: ان جهنم كانت منذ خلقت قبل القيامة معدة مترقبة متطلعة لمن يأتيها من الفجار والطاغين .

قال الله تعالى : « إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً » الكهف : ١٠٢) .

و قال : « و أعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً » الفرقان : ١١) .

و قال : « و أعد لهم جهنم و سائت مصيراً ـ فانا أعتدنا للكافرين سعيراً » الفتح : ٦ ـ ١٣) .

٢٢ - (للطاغين مآباً)

كانت جهنم قبل القيامة مترصدة للذين طغوا فى الحياة الدنيا بالكفر والعصيان، بالتكذيب والفساد ، بالضلال والاضلال ، و بالتجاوز عن حدود الله جل و علا والتولى بالطاغوت والشيطان، كانت هذه جهنم منزلاً يسكنونه ، و مأوى يأوون

إليه ، و مصيراً يصيرون إليه غداً .

قال الله تعالى : « و برزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى و آثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى » النازعات : ٣٦ ـ ٣٩) .

وقال: « و ان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم و غساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لامرحباً بهم انهم صالوا النار قالوا بل أنتم لامرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لناهذا فزده عذاباً ضعفاً في النار وقالوا مالنا لانرى رجالاً كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم أهل النار » ص : ٥٥ ـ ٦٤) .

و قال : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم و ساءت مصيراً » النساء : ٩٧) .

٢٣ - (لابثين فيها أحقاباً)

هؤلاء الطاغون حالكونهم لابثين فى جهنم معذبين بنارها أزمنة لا غاية لها ، و دهوراً من غير تحديد لها ، فكلما مضى زمن يعقبه زمن ، و مضى عليهم دهر يعقبه دهر هكذا أبد الآبدين من غير انقطاع ولا نهاية له . و تلجلج بعض المتجددين فى المقام غير وجيه جداً .

قال الله تعالى : « ان الذين كفروا و ماتوا و هم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون » البقرة : ١٦٢) .

و قال : « ان الذين كفروا و ظلموا لم يكن الله ليغفر لهم و لا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً و كان ذلك على الله يسيراً » النساء : ١٦٩).

و قال : « ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض جميعاً و مثله معه

ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبّل منهم و لهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها و لهم عذاب مقيم » المائدة : ٣٦-٣٧).

وقال : « ان الله لعن الكافرين و أعدّ لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لايجدون ولياً و لا نصيراً » الاحزاب : ٦٤ ـ ٦٥).

و قال : « ان المجرمين فی عذاب جهنم خالدون لا يفتّر عنهم و هم فيه مبلسون و ما ظلمناهم و لكن كانوا هم الظالمين و نادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق و لكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمراً فانا مبرمون أم يحسبون انا لانسمع سرّهم و نجواهم بلى و رسلنا لديهم يكتبون » الزخرف : ٧٤ ـ ٨٠).

و قال : « و أما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذی كنتم به تكذّبون » السجدة : ٢٠).

وقال: « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصبّ من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فی بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها و ذوقوا عذاب الحريق » الحج : ١٩ ـ ٢٢) .

و قال : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها » النساء : ٥٦) .

و قال : « ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون » فصلت : ٢٨) .

٢٤ ـ (لا يذوقون فيها برداً و لا شراباً)

لا يذوق هؤلاء الطغاة والمكذبون فی جهنم برداً يتبرّدون به ، ولاشراباً يرفع عطشهم ، بل لهم ظل من يحموم و شراب من حميم .

قال الله تعالى : « اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم و عذاب أليم بما كانوا يكفرون » الانعام : ٧٠) .

وقال : « إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها و إن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب و سائت مرتفقاً » الكهف : ٢٩) .

وقال: « وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لابارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرّون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أإذا متنا و كنا تراباً و عظاماً ءإنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل إن الاولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم » الواقعة : ٤١ ـ ٥٥) .

٢٥ - (الا حميماً و غساقاً)

لايذوق هؤلاء الطغاة في جهنم برد يبرد حرّها عنهم إلاّ الماء الحار، شديد الحرارة ، وبالغ الغليان ، ولاشراباً يرويهم من شدة العطش الذى بهم إلاّ صديد أهل النار ، فهم يذوقون فيها حميماً و هو ماء ساخن ، و غساقاً و هو ما يسيل من صديدهم .

قال الله تعالى : « هذا فليذوقوه حميم و غساق » ص : ٥٧) .

و قال : « وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ١٥) .

و قال : « و خاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم و يسقى من ماء صديد يتجرّعه ولا يكاد يسيغه و يأتيه الموت من كل مكان و ما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ » ابراهيم : ١٥ ـ ١٧) .

٢٦ - (جزاء وفاقاً)

هؤلاء الطغاة يجزون يوم القيامة جزاء موافقاً لعقيدتهم الباطلة ، مجانساً لأعمالهم الفاسدة ، مماثلاً لنياتهم السيئة .

قال الله تعالى: « فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا

يجحدون » فصلت : ٢٧ ـ ٢٨) .

وقال : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ـ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلاّ بما كنتم تكسبون » يونس : ٢٧ ـ ٥٢) .

٢٧ ـ (انهم كانوا لا يرجون حساباً)

ان هؤلاء الطاغين كانوا فى الحياة الدنيا ينكرون البعث والنشور و يكذّبون بآيات الله تعالى و يعصون الله و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و يتجاوزون عن حدود الله تعالى ولا يخافون محاسبة الله جل وعلا إياهم بأعمالهم وما فى صدورهم فى الدار الاخرة .

قال الله تعالى : « بل كانوا لا يرجون نشوراً و إذا رأوك إن يتخذونك إلاّ هزواً أهذا الذى بعث الله رسولاً » الفرقان : ٤٠ ـ ٤١) .

و قال : « كلا بل لا يخافون الاخرة » المدثر : ٥٣) .

و قال : « فنذر الذين لا يرجون لقائنا فى طغيانهم يعمهون » يونس: ١١) .

٢٨ ـ (و كذبوا بآياتنا كذاباً)

و هؤلاء الطغاة كذبـوا بالايات التكوينية والتدوينية ، والايات الآفاقية والانفسية وجميع الحجج البالغة . . . كذّبوا بها تكذيباً عجيباً، فأنكروا التوحيد والنبوة والبعث والحساب والجزاء إنكاراً شنيعاً، وكانوا يصرون عليه لفساد عقائدهم و اتباعهم أهواءهم حتى جحدوا الحق ، و لم يفكروا فى عواقب الكفر و لا فى تبعات الطغيان . . .

قال الله تعالى : « و إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها و إن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً و إن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذّبوا بآياتنا و كانوا عنها غافلين » الاعراف : ١٤٦) .

و قال : « ويوم نحشر من كل امة فوجاً ممن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاؤا قال أكذّبتم بآياتى و لم تحيطوا بها علماً أماذا كنتم تعملون » النمل : ٨٣ ـ ٨٤) .

وقال : « و كذّبوا واتبعوا أهواءهم و كل أمر مستقر » القمر : ٣)

٢٩- (وكل شيء أحصيناه كتاباً)

و كل شيء أحصيناه إحصاء ومنها العقائد البشرية وأعمالهم وما في صدورهم: صالحها و فاسدها ، حقها و باطلها ، حسنها وقبيحها ، و صغيرها و كبيرها . . . وأضبطناها في صحائف أعمالهم مبلغها وعددها ، فننبئهم بها يوم القيامة ،فلا يعزب عنا شيء من ذلك كله ، وإن غابت عن أذهانهم .

قال الله تعالى : «يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه» المجادلة : ٦)

وقال : « وأحاط بمالديهم وأحصى كل شيء عدداً » الجن : ٢٨)

و قال : « فلا تعجل عليهم انما نعدّلهم عداً ـ لقد أحصاهم و عدّهم عداً » مريم : ٨٤ ـ ٩٤)

و قال : « و حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً و عرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعداً ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه و يقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصيها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً »الكهف: ٤٧ - ٤٩)

٣٠- (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذاباً)

فيقال لهؤلاء الطاغين يوم القيامة حين يشربون الحميم والغساق،ويذوقون عذاب جهنم و حرّ نارها : ذوقوها أيها الطغاة هذه تبعات عقائدكم الباطلة ، و نياتكم السيئة ، وعواقب أعمالكم الفاسدة . . . فلن نزيدكم أيها الفجار والكفرة، أيها الطغاة وعبيد الشهوة ، وأيها المعتدون عن حدود الله وأتباع الشيطان وعبدة الاشتهار والمقام والرئاسة . . . إلاّ عذاباً نكراً، فنزيدكم عذاباً على العذاب الذى أنتم فيه لاتخفيفاً منه ولاترفهاً ، فما أنتم فيه لحظتكم تلك أهون مما تذوقونه في

كل لحظة آتية .

فانكم تنتقلون من عذاب دائماً إلى ماهو أشد منه حالاً بعد حال ، ولحظة بعد لحظة ، فتبادروا شرب ما بأيديكم قبل أن يشتد لهيبها ، ويزداد غلياناً كما انكم كنتم في الحياة الدنيا تزيدون على الكفر والطغيان ، وعلى العناد والعصيان.

قال الله تعالى : « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود و لهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق » الحج : ١٩ - ٢٢)

و قال : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزاً حكيماً » النساء :٥٦)

وقال : « الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون » النحل : ٨٨)

وقال : « مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً » الاسراء : ٩٧)

وقال: « وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولايكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ومن ورائه عذاب غليظ » ابراهيم : ١٥ - ١٧)

٣١- (ان للمتقين مفازاً)

ان للذين اتقوا الله جل وعلا باجتناب الكفر والطغيان ، بالتخلية والتحلية وبالتحذر عن الشرك والعصيان ، وأطاعوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فوزاً برضا الله جل وعلا ورضوانه ، وظفراً بكرامة الله وخيره ، ونجاة من نار جهنم و عذابها إلى الجنة ونعيمها ، وخلاصاً مما فيه أهل النار من النقمة والغضب والهوان إلى الرحمة والفضل والاحسان . . .

قال الله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون» النور : ٥٢)

و قال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً » الاحزاب : ٧٠ ـ ٧١)

و قال : « و من تق السيئات يومئذ فقد رحمته و ذلك هو الفوز العظيم » غافر : ٩)

وقال : « ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » مريم : ٧٢)

وقال : « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً » مريم : ٨٥ ـ ٨٦)

و قال : « و ينجي الله الذين اتقوا الله بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون » الزمر : ٦١)

و قال : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم » التوبة : ٧٢)

وقال : « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم » المائدة : ١١٩)

وقال : « وسيق الذين اتقوا الله ربهم إلى الجنة زمراً حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها و قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين و قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين» الزمر : ٧٣ ـ ٧٤)

وقال : « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين » النحل : ٣٠)

٣٢- (حدائق واعناباً)

لهؤلاء المتقين في جنات النعيم حدائق ذات بهجة ، وبساتين مبتهجة، تضم

من كثير الاشجار ، مختلف الثمار بما تشتهيه الانفس و تلذالاعين ، و من أعمها نفعاً وأتمها فائدة وأقواها غذاء وألـذها طعماً هي الاعناب ، فانها شراب وإدام و طعام ودواء وفاكهة ، فهم يتمتعون بهاوبثمار الجنة و فواكهها وهم فيهامكرمون.

قال الله تعالى : « ان المتقين فى ظلال و عيون و فواكه مما يشتهون » المرسلات : ٤١ - ٤٢)

وقال : « اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم » الصافات : ٤١ ـ ٤٣)

وقال : « مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار اكلهادائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا » الرعد : ٣٥)

وقال : « و فيها ما تشتهيه الانفس و تلذالاعين وأنتم فيها خالدون و تلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون » الزخرف : ٧١ـ٧٣)

٣٣- (وكواعب أترابا)

وان للمتقين أزواجاً فتيات تكعّب ثديهن و تستدير مع إرتفاع يسير ، و هنّ مما ثلات فى الخلقة والصورة والحسن والجمال والشباب والقامة . . . وهن على صورة من الكمال ليس بعدها غاية حتى يقع تفاوف فيها .

قال الله تعالى : « وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب » ص : ٤٩ ـ ٥٢)

و قال : « و عندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون » الصافات : ٤٨ ـ ٤٩)

وقال : « إنا أنشأناهن انشاءفجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً لاصحاب اليمين» الواقعة : ٣٥ ـ ٣٨)

٣٤ - (و كأساً دهاقاً)

و إن لهؤلاء المتقين فى الجنـة كأساً ممتلئة من شراب الجنة متتابعة لا يصدعون عنها و لا ينزفون .

قال الله تعالى : « يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لافيها غول و لا هم عنها ينزفون » الصافات : ٤٥ ـ ٤٧) .

٣٥ - (لا يسمعون فيها لغواً و لا كذاباً)

لا يسمع هؤلاء المتقون فى الجنة باطلاً من القول ، ولاتكذيباً من واحد لغيره ، و ذلك ان الجنة إذا شربوا لم تتغيّر عقولهم ولم يتكلموا بكلام لافائدة له ، و لا يكذّب فيها بعضهم بعضاً بخلاف أهل الدنيا ، فالمتقون لايسمعون فى الجنة عند شرب الخمر و غيرها من الاحوال . . . و هم لا يتكلمون إلاّ بما هو حق له أثره المطلوب ، و بما هو صدق مطابق للواقع ، فمن نعيم أهل الجنة و صفائهم و سرورهم ألا يدخل على أنفسهم شيء مما يكدر صفاءهم من لغو القول و هجره و فحشه . . . لما يحكـم عليهـم من الخلة والصفاء ، فلا تتكلـم اولئك الجاريات بلغو على أزواجهن و لا يكذّبنهم .

قال الله تعالى : « وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية لايسمع فيها لاغية » الغاشية : ٨ ـ ١١) .

و قال : « لا يسمعون فيها لغواً ولاتأثيماً إلاّ قيلاً سلاماً سلاماً » الواقعة : ٢٥ ـ ٢٦) .

و قال : « يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها و لا تأثيم » الطور : ٢٣) .

وقال : « جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتياً لا يسمعون فيها لغواً إلاّ سلاماً و لهم رزقهم فيها بكرة و عشياً تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً » مريم : ٦١ ـ ٦٣) .

و قال : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى

من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهـم و تحيتهم فيها سلام و آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » يونس : ٩ ـ ١٠) .

٣٦ - (جزاء من ربك عطاء حساباً)

ان الله تعالى يجزي هؤلاء المتقين يوم القيامة بما تقدم جزاء من ربك على ايمانهم وتقواهم، يعطيهم الله جل وعلا عطاء كافياً وافياً، حساباً حسب درجات أعمالهم لكل واحد منها من عشر أمثالها إلى سبعمأة ضعف، وإلى مالا انقطاع له لصميمهم على زيادة الايمان والتقوى و صالح الاعمال . . . في الحياة الدنيا .

قال الله تعالى : « من خشي الرحمن بالغيب و جاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها و لدينا مزيد » ق : ٣٣ ـ ٣٥) .

و قال : « ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهومؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » غافر : ٤٠) .

و قال : « من آمن و عمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون » سباء : ٣٧) .

و قال : « و أن ليس للانسان إلا ما سعى و أن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى » النجم : ٣٩ ـ ٤١) .

و قال : « من عمل صالحاً من ذكر أو انثى و هـو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة و لنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » النحل : ٩٧) .

و قال : « رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة و ايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا و يزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب » النور : ٣٧ ـ ٣٨) .

و قال : « إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة و رزق كريم »

الأنفال : ٢ ـ ٤) .

وقال : « و من أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً كلاً نمد هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك وماكان عطاء ربك محظوراً انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلا » الاسراء : ١٩ ـ ٢١) .

٣٧ ـ (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لايملكون منه خطاباً)

رب السموات السبع والارض مثلهن ومابينهما الرحمن الذى وسعت رحمته كل شيء فى هذه الحياة الدنيا : من المؤمن والكافر ، من السعيد والشقى، من المخلص والمنافق ، من المصلح والمفسد ، ومن الغنم والذئب . . . وبهذه الرحمة الواسعة الشاملة كان الانسان مالكاً أن يتكلم بكل ما أراد ، وإن لم يكن له أن يتكلم بما لا يعنى ولايجوز . . . ولكن الاخرة ليست له هذه المالكية إذ لايملك يومئذ الجن والانس والملائكة والروح من الله تعالى خطاباً له جل وعلا بالشفاعة و غيرها من وسائل التخلص . . .

قال الله تعالى : « الملك يومئذ لله يحكم بينهم » الحج : ٥٦)

و قال : « الملك يومئذ الحق للرحمن و كان يوماً على الكافرين عسيراً » الفرقان : ٢٦) .

و قال : « يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » غافر : ١٦) .

٣٨ ـ (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون الا من أذن له الرحمن و قال صواباً)

يوم الفصل يوم يقوم الروح مع قداسته والملائكة مع كثرتها مصطفين لا يتكلم يومئذ أحد من الجن والانس ، ولا الملائكة والروح فى شفاعة وماسواها إلا من أذن له الرحمن فى التكلم، ولايأذن لاحد إلا من قال قولاً صواباً لايشوبه

خطاء قولاً حقاً لايدخله باطل ، قولاً صدقاً لايعتريه كذب . . . و ليس هـو إلاّ المقربين من عباده المخلصين والابرار ، المتقين الذين اتخذوا إلى ربهمآباً .

قال الله تعالى : « ويوم تشقق السماء بالغمام ونزّل الملائكة تنزيلاً الملك يومئذ الحق للرحمن » الفرقان : ٢٥ ـ ٢٦)

وقال : « كلا إذا دكت الارض دكاً دكاً وجاء ربك والملك صفاً صفاً » الفجر : ٢١ ـ ٢٢)

وقال : « لايملكون الشفاعة الاّمن اتخذ عند الرحمن عهداً » مريم :٨٧)

وقال : « يومئذ لاتنفع الشفاعة الاّمن أذن لـه الرحمن و رضىله قولاً » طه : ١٠٩)

وقال : « يوم يأت لاتكلم نفس إلاّ باذنه » هود : ١٠٥)

و قال : « ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً اولئك لا خلاق لهم فى الاخرة ولايكلمهم الله ولاينظر إليهم يوم القيامة ولا يـزكيهم و لهم عذاب أليم » آل عمران : ٧٧)

وقال : « ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب و يشترون بـه ثمناً قليلاً اولئك ما يأكلون فى بطونهم إلاّ النار ولايكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم و لهم عذاب أليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعـذاب بالمغفرة فمـا أصبرهم على النار » البقرة : ١٧٤ ـ ١٧٥)

وقال : « ويوم نبعث من كل امة شهيداً ثم لايؤذن للذين كفروا ولاهـم يستعتبون » النحل : ٨٤)

٣٩- (ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآباً)

ذلك اليوم ـ يوم الفصل ـ هو يوم الحق والقضاء العادل الحاسم ، الثابـت الذى يأتى لامحالة ، ولايتخلّف عن وقوعه ، فاذاكان كذلك فمن شاء النجاةمن هوله وبلائه والتخلّص من ناره وعذابه ، وأراد الفوزبالجنة ونعيمها اتخذ إلـى

ربه ملجأ بالايمان والطاعة، ومرجعاً بالتقوى وصالح الاعمال . . .

قال الله تعالى : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ـ قل انما امرت أن اعبدالله ولاإشرك به إليه أدعوا وإليه مآب » الرعد : ٢٩ـ٣٦)

وقال : « وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ماله من نفاد » ص : ٤٩ ـ ٥٤)

٤٠- (انا أنذرناكم عذاباقريباًيوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً)

انا أنذرناكم أيها الطغاة والكافرون ، والفجار والمكذبون بهذا الحديث، ويوم الفصل والأدلة التي سيقت لكم فيه عذاباً قريباً يوم القيامة الآتي لامحالة ، يوم ينظر كل امرىء ماقدمت يداه من خير أوشر ، من كفر أو ايمان ، من صدق أو كذب ، من طاعة أومعصية ، من تقوى أوطغيان ، ومن صالح الاعمال أوفاسدها... ويقول الكافر يومئذ حين رآى ماكان عليه من فساد العقيدة و كساد العمل وسوء النية في الحياة الدنيا ، وما رآه من مآل أمره من جهنم وحميمها وغسّاها ،وهي مرصاد له : ياليتني كنت تراباً ولم ابعث و لم أر يومئذ ما كنت عليه في الحياة الدنيا ، أو كنت خاضعاً لأمر الله تعالى ونهيه .

قال الله تعالى : « وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير إذاالقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميّز من الغيظ كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قدجاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أونعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لاصحاب السعير » الملك : ٦ ـ ١١)

وقال : « وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين »غافر :١٨)

وقال : « إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد » سبأ : ٤٦)

وقال : « وأنذرهم يوم الحسرة إذقضى الامروهم فى غفلة وهم لايؤمنون » مريم : ٣٩)

وقال : « وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ان الله لعن الكافرين و أعدّ لهم سعيراً » الاحزاب : ٦٣ ـ ٦٤)

وقال : « سال سائل بعذاب واقع ـ انهم يرونه بعيداً ونراه قريباً »المعارج : ١ ـ ٧)

وقال : « كل امرىء بما كسب رهين » الطور : ٢١)

وقال : « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرةضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترةاولئك هم الكفرة الفجرة »عبس: ٣٧ ـ ٤٢)

وقال : « علمت نفس ما قدّمت وأخّرت » الانفطار : ٥)

وقال : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » آل عمران : ٣٠)

وقال : « ولتنظر نفس ما قدّمت لغد » الحشر : ١٨)

وقال : « وأما من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه و لم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية » الحاقة : ٢٥ ـ ٢٧)

وقال : « وجيىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان و أنى له الذكرى يقول ياليتنى قدمت لحياتى » الفجر : ٢٣ ـ ٢٤)

وقال : « يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا» الاحزاب : ٦٦)

وقال : « ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً » الفرقان : ٢٧ـ ٢٨)

وقال : « ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات

ربنا ونكون من المؤمنين بل بدالهم ماكانوا يخفون من قبل ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا ومانحن بمبعوثين ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » الانعام : ٢٧ـ ٣٠)



﴿جملة المعانى﴾

٥٦٧٣- (عم يتساءلون)

عن أى شىء يتساءل الكافرون بعضهم عن بعض تارة ، و عن النبى الكريم ﷺ تارة اخرى وعن المؤمنين ثالثة .

٥٦٧٤- (عن النباء العظيم)

عن الامرذى الشأن الذى تغطى خبره كل خبر ، فتتجه اليه الانظار، وتشغل به الخواطر

٥٦٧٥- (الذى هم مختلفون)

هذا النباء هو الذى كان الكفار وأذنابهم يختلفون فيه .

٥٦٧٦- (كلا سيعلمون)

ليس الامر كما كان عليه أصحاب الاختلاف فى النباء ، هم سيعلمون حقية النباء وما يحل بهم على إختلافهم فيه .

٥٦٧٧- (ثم كلا سيعلمون)

ثم ليس الامر كما كان عليه هؤلاء من تكذيب النباء ، هم سيعلمون صدقه وعاقبة تكذيبهم .

٥٦٧٨- (ألم نجعل الارض مهاداً)

ألم نجعل لكم هذه الارض التى تعيشون عليها ممهدة صالحة للسير والا ـ ستقرار عليها .

٥٦٧٩- (والجبال أوتاداً)

أولم نجعل الجبال للارض أوتاداً كيلاتميد بأهلها ، و يحفظ توازنها فـي حراكها .

٥٦٨٠- (وخلقناكم أزواجاً)

وخلقناكم أيها الناس ذكوراً واناثاً ليتم التزاوج ، و يجرى بينكم سنة التناسل .

٥٦٨١- (وجعلنا نومكم سباتاً)

وجعلنا نومكم سبباً لانقطاعكم عن الحركة للراحة والسكون .

٥٦٨٢- (وجعلنا الليل لباساً)

وجعلنا لكم الليل ظرفاً للراحة والسكون .

٥٦٨٣- (وجعلنا النهارمعاشاً)

وجعلنا لكم النهار زمناً لسعيكم وحركتكم إلى الاكتساب .

٥٦٨٤- (وبنينا فوقكم سبعاً شداداً)

وبنينا فوقكم أيها الناس سبع سموات محكمات : محكمة الخلق ، وثيقة البنيان .

٥٦٨٥- (وجعلنا سراجاً وهاجاً)

وجعلنا لكم الشمس فى السماء سراجاً بالغة فى الضوء ، شديدة الحرارة.

٥٦٨٦- (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً)

وأنزلنا إليكم من السحاب التى تتحلب بالمطر ماء كثير السيلان ، عظيم الانصباب المتتابع . . .

٥٦٨٧- (لنخرج به حباً ونباتاً)

لنخرج بذلك الماء المنصب حبوبات كثيرة ، و نباتاً مختلفاً متاعاً لكم ولا نعامكم .

٥٦٨٨ - (و جنات ألفافاً)

و لنخرج بذلك الماء لكم أشجار البساتين ، و ثمار الحدائق ، المتعانقة الافنان والمتشابكة الاغصان .

٥٦٨٩ - (ان يوم الفصل كان ميقاتاً)

ان يوم الفصل ـ يوم القيامة ـ كان معلوماً عندالله جل و علا من أول يوم خلق الله تعالى السموات والارض .

٥٦٩٠ - (يوم ينفخ فى الصور فتاتون أفواجاً)

يوم ينفخ فى الصور للبعث ، فتأتون فوجاً فوجاً من قبوركم مسرعين إلى موقف الحساب والجزاء .

٥٦٩١ - (و فتحت السماء فكانت أبواباً)

و يومئذ فتحت السماء ، فصارت حينئذ أبواباً .

٥٦٩٢ - (و سيرت الجبال فكانت سراباً)

و سيرت الجبال يومئذ بعد أن زالت من مواضعها بالرجفة ، فصارت كلا شيء لتفتت أجزائها و إنبثاثها .

٥٦٩٣ - (ان جهنم كانت مرصاداً)

ان جهنم كانت قبل القيامة مترصدة .

٥٦٩٣ - (للطاغين مآباً)

للذين طغوا فى الحياة الدنيا بالكفر والعصيان ، منزلاً يسكنونه ومرجعاً يرجعون إليه .

٥٦٩٥ - (لابثين فيها أحقاباً)

حالكونهم ماكثين فى جهنم ، معذبين بنارها أزمنة لا غاية لها .

٥٦٩٦ - (لا يذوقون فيها برداً و لا شراباً)

لا يذوقون فى جهنم ما يتبردون به ، و لا ما يرتفع به عطشهم .

٥٦٩٧ - (الا حميماً و غساقاً)

لا يذوقون فى جهنم إلا الماء الحار ، شديد الحرارة و صديد أهل النار وقيحهم .

٥٦٩٨ - (جزاء وفاقاً)

هم يجزون يوم القيامة بهذا الجزاء جزاء موافقاً لماكانوا عليه من العقائد الباطلة ، والاعمال الفاسدة و سوء النية .

٥٦٩٩ - (انهم كانوا لا يرجون حساباً)

ان هؤلاء الطاغين كانوا فى الحياة الدنيا لا يرجون محاسبة الله جل وعلا إياهم بأعمالهم و لا يخافون عذابه .

٥٧٠٠ - (و كذبوا بآياتنا كذاباً)

و هم كذبوا بآياتنا كلما رأوها و سمعوها تكذيباً عجيباً من غير خجل بأنها آيات ربهم .

٥٧٠١ - (و كل شيء احصيناه كتاباً)

و كل شيء أحصيناه إحصاء و منها عقائدهم الباطلة ، و أعمالهم الفاسدة و ما فى صدورهم . . .

٥٧٠٢ - (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذاباً)

فيقال لهؤلاء الطاغين يوم القيامة : ذوقوا هذا العذاب ، فلن نزيدكم أيها الطغاة إلا عذاباً نكراً ، كما كنتم تكذبون بآياتنا تكذيباً نكراً .

٥٧٠٣ - (ان للتقين مفازاً)

ان للذين اتقوا الله جل و علا فوزاً برضاه تعالى و منزلاً فى رضوانه .

٥٧٠٢ - (حدائق و اعناباً)

إن لهم فى جنات النعيم حدائق ذات بهجة و أعناباً .

٥٧٠٥ - (و كواعب أترابا)

و ان لهم فيها فتيات تكعب ثديهن و تستدير مع إرتفاع يسير ، مما ثلات في الخلقة والجمال لكى يكون فى جميعهن تنافس أزواجهن على السواء .

٥٧٠٦ - (و كأساً دهاقاً)

و ان لهم فيها كأساً ممتلئة من شراب الجنة متتابعة . . .

٥٧٠٧ - (لا يسمعون فيها لغواً و لا كذاباً)

لايسمع هؤلاء المتقون بسبب شربهم خمر الجنة فيها باطلاً من القول ، ولا تكذيباً من واحد لغيره .

٥٧٠٨ - (جزاء من ربك عطاء حساباً)

ان المتقين يجزون يوم القيامة بماتقدم ذكره جزاء من ربك يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم على ايمانهم و تقواهم ، مضافاً على ذلك لهم عطاء من الله جل وعلا حسب درجات أعمالهم . .

٥٧٠٩- (رب السموات والارض ومابينهما الرحمن لايملكون منه خطاباً)

رب السموات السبع والارض مثلهن ومابينهما من الموجودات الحية وغيرها ، الرحمن ، لا يملك يوم القيامة أحد من الجن والانس والملائكة والروح من الله تعالى خطاباً له بالشفاعة و غيرها .

٥٧١٠- (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون الا من أذن له الرحمن و قال صواباً)

يوم الفصل يوم يقوم فيه روح القدس والملائكة مصطفين ، لايتكلم يومئذ أحد من الجن والانس ولا الروح والملائكة فى شفاعة وماسواها إلا من أذن له الرحمن فى التكلم ، و لا يأذن لأحد فيه إلا من قال قولاً صواباً .

٥٧١١ - (ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآباً)

ذلك اليوم الحق الثابت الذى لا يتخلف عن وقوعه ، فمن شاء النجاة من هوله ، والفوز بالجنة و نعيمها اتخذ إلى ربه ملجاه بالايمان والتقوى و صالح

الاعمال . . .

٥٧١٢ - (انا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً)

إنا أنذرناكم أيها المكذبون بيوم الفصل عذاباً قريباً، يوم ينظر كل امرىء ما قدّمت يداه من خير أو شر ، و يقول يومئذ الكافر ، حين رأى ما قدمت يداه من الكفر والمعصية : يا ليتني كنت تراباً و لم احشر ، و كنت على ما كنت بعد الموت ، أو كنت خاضعاً لأمر الله جل و علا و نهيه .



﴿بحث روائي﴾

وقد وردت روايات كثيرة بأسانيد عديدة عن الطريقين : ان قوله جل وعلا: «النباء العظيم» هو الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى نبذة منها :

فى شواهد التنزيل للحاكم الحسكانى الحنفى ـ وهو من أعلام العامة ـ باسناده عن أبى حمزة الثمالى قال: سئلت أباجعفر ـ يعنى الامام الباقر عليه السلام ـ عن قول الله تعالى : «عم يتساءلون عن النباء العظيم» فقال :كان علىّ يقول لاصحابه : أنا والله النباء العظيم الذى اختلف فىّ جميع الامم بالسنتها ، والله مالله نبؤ أعظم منى ، ولالله آية أعظم منى .

وفيه : باسناده عن أبان بن تغلب قال : سئلت أباجعفر عليه السلام عن قول الله : «عن النباء العظيم» قال : النباء العظيم علىّ ، وفيه إختلفوا لان رسول الله ليس فيه إختلاف .

وفى الكافى : باسناده عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السلام قال : قلت له: جعلت فداك ! ان الشيعة يسئلونك عن تفسير هذه الاية : «عم يتساءلون عن النباء العظيم» قال : ذلك إلىّ إن شئت اخبرتهم ، وإن شئت لم اخبرهم ، ثم قال : لكننّى اخبرك بتفسيرها، قلت: «عم يتساءلون»؟ قال: فقال: هى فى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول : مالله عزوجل آية هى أكبر منى ، ولالله من نباء أعظم منى .

وفى الروضة : فى خطبة ـ وهى خطبة الوسيلة ـ لمولانا الامام امير المؤمنين على عليه السلام قال عليه السلام فيها: «ألا وانى فيكم أيها الناس كهارون فى آل فرعون و كباب حطة فى بنى إسرائيل ، و كسفينة نوح فى قوم نوح انى النباء العظيم ، و الصديق الاكبر ، وعن قليل ستعلمون ماتوعدون . . . » الخطبة .

وفى بصائر الدرجات للصفار رضوان الله تعالى عليه ـ فى حديث ـ قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: ما لله آية هى أكبر منى ، ولالله من نباء أعظم منى ، ولقد فرضت ولايتى على الامم الماضية فأبت أن تقبلها .

وفيه : باسناده عن عبدالرحمن بن كثير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله : «عم يتساءلون عن النباء العظيم قال: النبأ العظيم : الولاية وسئلته عن قوله : « هنالك الولاية لله الحق» قال : ولاية أمير المؤمنين عليه السلام .

وفى البحار : بالاسناد عن علقمة انه قال : خرج يوم صفين رجل من عسكر الشام عليه سلاح ، و فوقه مصحف وهو يقرء : « عم يتساءلون عن النباء العظيم » فأردت البراز إليه، فقال على عليه السلام : مكانك وخروج بنفسه، فقال له : أتعرف النباء العظيم الذى هم فيه مختلفون ؟ قال : لا فقال عليه السلام : أنا و الله النباء العظيم الذى فيه اختلفتم و على ولايتى تنازعتم و عن ولايتى رجعتم بعد ما قبلتم ، وببغيكم هلكتم بعد ما بسيفى نجوتم ، ويوم الغدير قدعلمتم ويوم القيامة تعلمون ما عملتم ثـم علا .

قولـه عليه السلام «البراز» أى القتال معه .

وفيه : روى الاصبغ بن نباته ان علياً عليه السلام قال : والله أنا النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون . حين أقف بين الجنة والنار ، و أقول : هذا لى وهذا لك .

و فى تفسير القمى: باسناده عن الحسين بن خالد عن أبى الحسن الرضا عليه السلام فى قوله: «عم يتساءلون عن النباء العظيم» قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام ما لله نبأ أعظم

مني ، وماالله أكبر مني ولقد عرض فضلي على الامم الماضية على إختلاف ألسنتها فلم تقرّ بفضلي .

وفي التهذيب: في الدعاء بعد صلاة الغدير المسند إلى الامام الصادق عليه السلام : «شهدنا بمنك ولطفك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت ربنا ومحمد عبدك ورسولك نبينا وعلى أمير المؤمنين والحجة العظمى وآيتك الكبرى والنبأ العظيم الذي هم فيه يختلفون» .

وفي مفاتيح الجنان: للشيخ المحدث عباس القمي رضوان الله تعالى عليه - في زيارة الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير - : «السلام عليك أيّها النباء العظيم الذي هم فيه مختلفون وعنه يسئلون» .

و في عيون الاخبار: باسناده عن ياسر الخادم عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام : ياعلي أنت حجة الله وأنت باب الله ، وأنت الطريق إلى الله وأنت النبأ العظيم ، وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الاعلى . الحديث .

و في أمالي الشيخ الطوسي قدس سره - في حديث طويل - باسناده عن إبن عباس قال: كناجلوساً مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذهبط عليه الامين جبرئيل ، ومعه جام من البلور الاحمر مملوّ مسكاً وعنبراً ، وكان إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبيطالب عليه السلام و ولداه الحسن و الحسين عليهما السلام - إلى أن قال - فلما صارت في كفّ الحسن عليه السلام قالت : بسم الله الرحمن الرحيم : «عم يتساءلون عن النباء العظيم الذي هم فيه مختلفون» الحديث .

و في تفسير القمي: في قوله تعالى : «ألم نجعل الارض مهاداً» قال : يمهد فيها الانسان «والجبال أوتاداً» أي أوتاد الارض .

و في الكافي: باسناده عن مسعدة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث - : «فخلق الجبال فأثبتها على ظهرها - الارض - أوتاداً من

أن تميد بما عليها ، فذلّت الارض و استقرّت . . . » الحديث .

و فى نهج البلاغة : - فى الخطبة الاولى - قال إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « فطر الخلائق بقدرته و نشر الرياح برحمته و وتّد بالصخور ميدان أرضه . . . » الخطبة

اقول : الميدان : التحرك والتموج .

و فى العلل : باسناده عن يزيد بن سلام - فى حديث - انه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ! أخبرنى لم سمى الليـل ليلاً ؟ قال : لانـه يلائل الرجال من النساء جعله الله الفة و لباساً ، و ذلك قول الله عزوجل : « و جعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً » قال : صدقت . الحديث . . .

و فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام - فى خطبة - : « فهى مسدلـة الجفون بالنهار على أحداقها، وجاعلة الليل سراجاً تستدل به فى إلتماس أرزاقها، فسبحان من جعل الليل لها نهاراً و معاشاً ، والنهار سكناً و قراراً » .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى: « وجعلنا الليل لباساً » قال: يلبس على النهار .

قيل : و لعل المراد به انه يخفى ما يظهـره النهار ، و يستر ما يكشفه .

وفيه : فى قوله تعالى : « وجعلنا سراجاً وهّاجاً » قال : الشمس المضيئة .

و فى الكافى : باسناده عن عاصم بن حميـد عن أبى عبد الله عليه السلام قال : ذاكرت أباعبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية ؟ فقال : الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسى ، والكرسى جزء من سبعين جزء من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر ، فان كانوا صادقين فليملئوا أعينهم من الشمس ليس دونها حجاب .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « أنزلنا من المعصرات » قال: من السحاب « ماء ثجاجا » قال : صباً على صبّ .

و فى تفسير العياشي : عن محمد بن على الصيرفى عن رجل عن أبىعبد الله عليه السلام : « عام فيه يغاث الناس و فيه يعصرون » بالياء : يمطرون ثم قال : أما سمعت قوله : « و أنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً » .

قوله عليه السلام : « يعصرون » بالياء أى بضم الياء مبنياً للمفعول ، والمعنى : انهم يمطرون ، و استشهاده عليه السلام بقوله : « و أنزلنا من المعصرات » دليل على أنه عليه السلام أخذ المعصرات بمعنى الممطرات من أعصرت السحابة إذا أمطرت .

وفيه : عن على بن معمر عن أبيه عن أبىعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » مضمومة ، ثم قال: « وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً » .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « جنات ألفافاً » قال : بساتين ملتفة الشجر .

و فى البرهان : عن جامع الاخبار عن إبن مسعود ، قال : كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال : ان فى القيامة خمسين موقفاً على كل موقف ألف سنة ، فأول موقف خرج من قبره مؤمن بربه ، موقن بجنته و ناره ، مؤمن بالبعث والحساب والقيامة ، مقراً بالله ، مصدقاً بنبيه و بما جاء من عندالله عز- وجل ، نجى من الجوع والعطش قال الله تعالى: «فتأتون أفواجاً» من القبور إلى الموقف كل امة مع إمامهم .

و فى المجمع : وفى الحديث عن البراء بن عازب قال : كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فى منزل أبى أيوب الانصارى فقال معاذ : يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: «يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجاً . . . » الايات؟ فقال : يا معاذ سئلت عن عظيم من الامر ، ثم أرسل عينيه ثم قال : يحشر عشرة أصناف من امتى أشتاتاً قد ميزهم الله من المسلمين ، و بدل صورهم بعضهم

على صورة القردة . وبعضهم علي صورة الخنازير ، وبعضهم منكسون أرجلهم من فوق ، ووجوههم من تحت ثم يسحبون عليها .

و بعضهم عمى يترددون ، و بعضهم صم بكم لايعقلون ، و بعضهم يمضغون ألسنتهم ، فيسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذرهم أهل الجمع و بعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم ، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار ، و بعضهم أشدّ نتناً من الجيف ، وبعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم .

فأما الذين على صورة القردة فالقتات ـ أي النمامون ـ من الناس، و أما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت ، وأما المنكسون على رؤسهم فآكلة الربا ، والعمى الجائرون في الحكم ،والصم والبكم المعجبون بأعمالهم ، والذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم ، والمقطعة أيديهم و أرجلهم الذين يؤذون الجيران ، والمصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان ، والذين هم أشدّ نتناً من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات، ويمنعون حق الله في أموالهم والذين يلبسون الجباب فأهل الفخر والخيلاء .

اقول : رواه الزمخشري في الكشاف ، والبحراني في البرهان والحويزي في نور الثقلين والقرطبي في الجامع لاحكام القرآن ،والنيسابوري في غريب القرآن وغيرهم من المفسرين والمحدثين .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « وفتحت السماء فكانت أبواباً » قال : تفتح أبواب الجنان وقوله : « وسيرت الجبال فكانت سراباً » قال : تسير الجبال مثل السراب الذي يلمع في المفازة .

وفي نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على عليه السلام في خطبة ـ : « وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها ، وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها ، فسكنت من الميدان برسوّ الجبال في قطع أديمها » .

وفيه : قال عليه السلام ـ في خطبة اخرى ـ : « فسكنت على حركاتها من أن

تميد بأهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها ، فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها وأجمدها بعد رطوبة أكنافها ، فجعلها الخلقه مهاداً وبسطها لهم فراشاً فوق بحر لجّى لا يجرى وقائم لا يسرى ، تكر كره الرياح العواصف ، وتمخضه الذوارف ، إنّ فى ذلك لعبرة لمن يخشى » .

وفيه : قال عليه السلام - فى خطبة - : « وتذلّ الشم الشوامخ ، والصم الرواسخ ، فيصير صلدها سراباً رقراقاً ومهدها قاعاً سملقاً »

قوله عليه السلام : « الشم الشوامخ » : الجبال العالية ، وذلّها : تدكدكها ، وهى أيضاً . الصم الرواسخ ، فيصير صلدها ، وهو الصلب الشديد الصلابة سراباً ، وهو : ما يتراءى فى النهار فيظن ماء والرقراق : الخفيف ومعهدها : ما جعل منها منزلاً للناس . والقاع : الارض الخالية ، والسملق : الصفصف المستوى ليس بعضه أرفع ، وبعضه أخفض .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « ان جهنم كانت مرصاداً » قال : قائمة « للطاغين مآباً » قال : منزلاً . وقوله : « لابثين فيها أحقاباً » قال : الاحقاب : السنين ، والحقب سنة والسنة ثلاثمأة وستون يوماً ، واليوم كألف سنة مما تعدون .

وفيه : باسناده عن حمران بن أعين قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله : « لابثين فيها أحقاباً لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً » ؟ قال : هذه فى الذين لا يخرجون من النار .

و فى المجمع : وروى نافع عن إبن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يخرج عن النار من دخلها حتى يمكث فيها أحقاباً ، والحقب بضع وستون سنة ، والسنة ثلاثمأة وستون يوماً كل يوم كألف سنة مما تعدون فلا يتكلن (فلا يتكلمن ظ) أحد أن يخرج من النار .

أقول : رواه السيوطى فى الدر المنثور باختلاف غير يسير إذ فيه « ثمانون » بدل « ستون » .

و في معاني الاحبار : عن الامام جعفر الصادق عليه السلام في قول الله عزوجل: « لا بثين فيها أحقاباً » قال : الاحقاب ثمانية أحقاب ، والحقب ثمانون سنة ، والسنة ثلاثمأة وستون يوماً ، واليوم كألف سنة مما تعدون .

و في راوية عن هلال الهجري عن الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : الحقب ثلاثمأة سنة ، كل سنة ثلاثمأة وستون يوماً ، كل يوم ألف سنة .

و في رواية : عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لو أن دلواً من غساق يهراق إلى الدنيا لأنتن أهل الدنيا .

وعن عبدالله بن عمر انه قال : أتدرون أي شيء الغساق ؟ قالوا : الله أعلم ، قال : هو القيح الغليظ ، لوأن قطرة منه تهراق بالمغرب لانتن أهل المشرق ، ولو تهراق بالمشرق لانتن أهل المغرب .

و في رواية : عن أبي برزة (بردةخ) قال : سئلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أشد آية في القرآن؟ فقال : قوله تعالى : « فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً » أي « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » و « كلما خبت زدناهم سعيراً » .

و في شواهد التنزيل : باسناده عن إبن عباس في قوله تعالى : « ان للمتقين مفازاً » قال : هو علي بن أبيطالب عليه السلام هو والله سيد من اتقى الله وخافه، اتقاه عن إرتكاب الفواحش ، وخافه عن إقتراف الكبائر « مفازاً » نجاة من النار والعذاب ، وقرباً من الله في منازل الجنة .

و في تحف العقول : عن سبط المصطفى الامام المجتبى الحسن بن علي بن أبيطالب صلوات الله عليهم أجمعين انه قال : « إعلموا أن الله لم يخلقكم عبثاً وليس بتاركم سدى كتب آجالكم ، وقسّم بينكم معائشكم ليعرف كل ذي لب منزلته ، وان ماقدرله أصابه ، وما صرف عنه فلن يصيبه ، قد كفاكم مؤونة الدنيا وفرغكم لعبادته ، وحثكم على الشكر ، وافترض عليكم الذكر، وأوصاكم بالتقوى ، وجعل التقوى منتهى رضاه ، والتقوى باب كل توبة ورأس كل حكمة

وشرف كل عمل .

بالتقوى فازمن فازمن المتقين قال الله تبارك وتعالى : « ان للمتقين مفازاً» وقال : « وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لايمسّهم السوء ولاهم يحزنون» فاتقوا الله ، واعلموا أنه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ويسدّده في أمره ، ويهيّىء له رشده ، ويفلجه بحجته ، ويبيض وجهه ، ويعطيه رغبته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى: « ان للمتقين مفازاً » قال : يفوزون، وقوله : « وكواعب أتراباً » قال : جوار، وأتراب لأهل الجنة .

وفيه : وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال في قوله : « ان للمتقين مفازاً »

قال . هي الكرامات « وكواعب أتراباً » أي الفتيات النواهد .

قوله عليه السلام : «النواهد» :النسوة اللاتي كعب ثديهن وأشرف .

وفي أمالي الشيخ الطوسي قدس سره باسناده عن الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام ـ في حديث طويل ـ قال: «حتى إذاكان يوم القيامة حسب لهم حسناتهم ثم أعطاهم بكل واحدة عشر أمثالها إلى سبعمأة ضعف، قال الله عزوجل: « جزاء من ربك عطاء حساباً » وقال : «اولئك لهم جزاء الضعف بماعملوا وهم في الغرفات آمنون».

وفي شواهد التنزيل : باسناده من أبي حمزة الثمالي قال : دخلت على محمد بن علي عليهما السلام فقلت له: يابن رسول الله حدّثني بحديث ينفعني؟ قال: ياأباحمزة كل الناس يدخل الجنة إلاّ من أبى، قلت: هل يوجد أحد يأبى أن يدخل الجنة؟! قال: نعم من لم يقل : لاإله إلاّ الله، محمد رسول الله . قلت : اني تركت المرجئة والقدرية والحرورية وبني امية يقولون : لاإله إلاّ الله ، محمد رسول الله فقال : أيهات أيهات إذا كان يوم القيامة سلبهم الله إياها فلم يقلها إلاّ نحن وشيعتنا،

والباقين منها براء، أما سمعت الله يقول: «يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون إلاّ من أذن له الرحمن وقال صواباً» يعني من قال : لا إله الاّ الله ، محمد رسول الله .

وفيه :باسناده عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلاّ من أذن له الرحمن» قال :إذا كان يوم القيامة خطف قول : لا إله الاّ الله عن قلوب العباد في الموقف الاّ من أقرّ بولاية علي عليه السلام وهو قوله :«إلاّ من أذن له الرحمن» يعني من أهل ولاية علي عليه السلام ، فهم الذين يؤذن لهم بقول: لا إله إلاّ الله .

وفي الكافي : باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال : قلت :«يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون» الاية ؟ قال : نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون صواباً. قلت: ما تقولون إذا تكلمتم قال :نمجد ربنا ونصلي على نبينا ، ونشفع لشيعتنا ، ولا يردّنا ربنا. الحديث .

اقول : رواه الطبرسي في المجمع عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام ورواه الكراجكي رحمة الله تعالى عليه في كنز الفوائد عن معاوية بن وهب عن أبي عبدالله عليه السلام وروى عن الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام مثله .

وفي الاحتجاج: قال الامام علي عليه السلام في جواب سؤال الزنديق عن قوله تعالى .«يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون إلاّ من أذن له الرحمن وقال صواباً» ثم يجتمعون في موطن آخر يستنطق فيه أوليائه وأصفيائه ، فلايتكلم أحد إلاّ من أذن له الرحمن، وقال صواباً، فيقام الرسل ،فيسئلون عن تأدية الرسالة التي حملوها الى اممهم . الحديث .

وفي الدر المنثور: عن إبن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: الروح جند من جنود الله ليسوا بملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل ثم قرأ : «يوم يقوم الروح والملائكة» قال : هؤلاء جند وهؤلاء جند .

وفي البرهان: بالاسناد عن أبي خالد القمّاط عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه،

قال: إذا كان يوم القيامة، وجمع الله الخلائق من الاولين والاخرين في صعيد واحد خلع قول لا إله الا الله من جميع الخلائق إلا من أقر بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وهو قوله تعالى: «يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً».

وفي المجمع: وروى علي ابن إبراهيم باسناده إلى الصادق عليه السلام قال: هو ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «يوم يقوم الروح والملائكة صفاً» قال: الروح ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مع الائمة عليهم السلام.

وفي التوحيد: عن مولى الموحدين أمير المؤمنين الامام علي عليه السلام - في حديث طويل حاكياً أحوال موقف أهل المحشر -: «ثم يجتمعون في مواطن اخر، فليستنطقون، فيفر بعضهم من بعض، فذلك قوله عزوجل: «يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبته وبنيه» فليستنطقون: «فلا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً» فيقوم الرسل عليهم السلام فيشهدون في هذا الموطن، فذلك قوله عزوجل: «فكيف إذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً».

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «انا أنذرنا كم عذاباً قريباً» قال: في النار، وقال: «يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً» أي علوياً، وقال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: المكنى أمير المؤمنين أبو تراب.

وفي البرهان: بالاسناد عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قوله تعالى، «يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً» يعني علوياً يوالي أباتراب.

اقول: في ان الكافر يتمنى يوم القيامة أن يكون في الحياة الدنيا شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي العلل: باسناده عن عباية بن ربعي قال: قلت لعبدالله إبن عباس: لم كنى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً أبا تراب؟ قال: لانه صاحب الارض، وحجة الله على أهلها بعده، وبه بقاؤها وإليه سكونها، ولقدسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا كان يوم القيامة، ورآى الكافر ماأعد الله تبارك وتعالى لشيعة علي عليه السلام من الثواب والزلفى والكرامة قال: «ياليتني كنت تراباً» أي من شيعة علي عليه السلام وذلك قول الله عزوجل: «ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً».



﴿ بحث فقهي ﴾

ومما اتفق عليه المحققون من فقهاء المفسرين و غيرهم قديماً و حديثاً :
ان المعاد هو أصل من الاصول الاعتقادية لابدلكل مكلف من الاجتهادوالتفكر في الادلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، والحجج الواضحةمن الآياتالتكوينية والتدوينية والآفاقية والانفسية الدالة علىلزوم البعث والمعاد للحساب والجزاء، واتفقوا على منع التقليد فيه من أحد ، وأن من أنكره فهوكافر ، و استدلوا على ذلك بآيات كثيرة قرآنية :

منها : قوله تعالى : « عم يتساءلون ـ لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً » النباء : ١ ـ ١٦)

وذلك ان الآيات الكريمة تحث الانسان على التفكرفي نواميس الكونو مشاهد الوجود الدالة على المعاد الذى كان يتردد فيه المشككون و ينكره المنكرون والايمان به .

وان المعاد : هو الاعتقاد بان الله جل وعلا يعيد الخلائق ويحييهم بعدموتهم يوم القيامة للحساب والجزاء ، فيفصل فيه بين المحق والمبطل ، و بين المؤمن والكافر . . . بالقضاء ، والمعاد هو الشخص بعينه : بجسده و روحه بحيث لو رآه الرائي لقال : هذا فلان .

و يجب على كل مكلف أن يؤمن بجميع ما في القرآن الكريم والسنة القطعية من الجنة و نعيمها ، والنار و عذابها ، و من الميزان والصراط وموقف

الحساب والاعراف والكتاب الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها ، و ان الناس مجزبون بأعمالهم إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً . . .

ولايجب عليه أن يعرف كيف تكون الاعادة، هل هى من قبيل إعادة المعدوم أوظهور الموجود أوغير ذلك ؟؟؟ و كذلك لايجب عليه أن يعرف حقيقة الجنة و كيفية النار ولون الميزان و طول الصراط وعرض الموقف و حدود الاعراف و أوراق الكتاب . . .

فتلجلج المتفلسفين فى المعاد الجسمانى وبعض المتفقهين أخيراً فى تشكيك كون المعاد أصلاً من اصول الدين الاسلامى غير وجيه ، مدفوع عليهم ، فانه مخالف للادلة الاربعة القطعية . . .

و لو كانوا مترددين فى أصل المعاد ـ جسمانياً وروحانياً معاً ـ أو كانوا مترددين فى كون المعاد أصلاً من الاصول الاسلامية فهم من زمرة الكافرين من غير ترديد .



﴿ بحث مذهبي ﴾

يستدل بقوله تعالى : « ألم نجعل الارض مهاداً ـ و جنات ألفافاً » النبأ : ٦ ـ ١٦) على صحة البعث ووقوعه ولزومه بوجوه :

احدها ـ باعتبار قدرة الله جل وعلا ، فان من قدر على إنشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ، ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة أقوى وأقدر .

والايات الكريمة بهذا الاعتبار في معنى قوله تعالى : « أولم يـروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير » الاحقاف : ٣٣)

وقوله جل وعلا : « وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ولـه المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ضرب لكم مثلا من أنفسكم» الروم : ٢٧ ـ ٢٨) .

ثانيها ـ باعتبار علم الله تعالى وحكمته ، فان من أبدع هذا العالم ،وأوجد تلك المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ، ومنافع جميلة عائدة إلى الخلق يستحيل أن يفنيها بالتمام ، ولا يجعل لها غاية وعاقبة باقية ثابتة .

والايات الكريمة بهذا الاعتبار في معنى قوله جل وعلا : « وما خلقنا السماء والارض و ما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا » ص : ٢٧) و قوله سبحـانـه : « أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » المؤمنون : ١١٥ ـ ١١٦) وقوله تعالى : «أيحسب

الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » القيامة : ٣٦ ـ ٤٠)

ثالثها ـ باعتبار نفس الفعل ، فان اليقظة بعد النوم نموذج للبعث بعد الموت، يشاهده كل إنسان فى كل يوم من نفسه ، و كذا إخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينهما كل حين .

والايات الكريمة بهذا الاعتبار فى معنى قوله تعالى : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الارض بعد موتها و كذلك تخرجون ـ و من آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون » الروم : ١٩-٢٣)

وقوله سبحانه : « الله يتوفى الانفس حين موتها و التى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى إلى أجل مسمى ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » الزمر : ٤٢)

فكأنه جل وعلا يقول : ألم نفعل تلك الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقيّة البعث الموجبة للايمان به ، فمالكم تخوضون فيه إنكاراً ، وتتساءلون عنه إستهزاءاً ؟ ؟ ؟

ويستدل بقوله تعالى : « جزاء وفاقاً ـ جزاء من ربك عطاء حساباً ـ فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً » النباء : ٢٦ و٣٦ و٣٩) على إختيار الانسان فى الاعمال والعقائد من غير إجبار فيها ، فان الايات الكريمة تقرر بصراح ان ما يناله الناس من عقاب وثواب انما هو جزاء لاعمالهم و كسبهم الاختيارى .

ويستدل بقوله جل وعلا : « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ـ يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً » النباء : ٣٨ ـ ٤٠) على المعاد الجسمانى ، وعلى تبدل البسائط والاعراض على الاجسام . .

﴿في حقيقة النوم والضرورة اليه﴾

قال الله تعالى: «وجعلنا نومكم سباتاً» النباء: ٩)

وما ورد في القرآن الكريم والروايات الواردة عن أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين من حد النوم شيء لخفاء أمره جداً، مع كونه من الحاجات الحيوية للانسان والحيوان، وانه من ضروريات الحياة إذلا حياة بدونه. وقد قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «ما من حي إلا و هو ينام خلا الله وحده عزوجل».

قال الله تعالى: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم» البقرة: ٢٥٥)

وقد دلت على ذلك التجارب في الحيوانات فان الكلب مثلاً لايعيش أكثر من خمسة أيام بدون النوم، ولا يستطيع الانسان أن يعيش زمناً طويلاً بغير النوم، و إذا مضى عليه يومان، وهو لم ينم يتغير لونه، ويحصل له آلام في رأسه، وضعف عن مزاولة أعماله، و إذا زاد عليها يتحلل جسمه، و إذا استمر ذلك تتوقف الجوارح عن الفعالية فيضمحل الجسم.

و ان الواقع العلمي والكوني يبرهنان على الضرورة الحيوية إلى النوم لكل حي: نبات وحيوان وإنسان، وإن لم يصل العلم بعد إلى ضرورة الجماد إلى النوم كغيره لما فيه من روح الجماد على ما ورد في كثير من الروايات، و لعله سيصل.

و ان ظاهرة النوم في الكائن النباتي تظهر غالباً في اختلاف حالة التنفس

و تصاعد الدبوس النباتية ، فهى تعاكس عملية التنفس بين الليل والنهار ، ففى النهار تأخذ الكربون و تدفع الاوكسيجين ، و فى الليل تأخذ الاوكسيجين و تدفع الكربون ، و لذلك نراها تصعّد دبوسها فى الليل أكثر مما فى النهار ، وفى البعض من النباتات نرى حالة تشبه حالة الحيوان ، كوردة الأبريسم وأقاقيا، فانهما تجمعان أو راقهما ليلاً .

ثم نرى فى الكائن الحيوانى أن حالتى النوم واليقظة لزام له دون استثناء ، و كلما تكامل مخ الحيوان نرى الاختلاف بين حالتيه أكثر ، والنظم فيهما أظهر ، و لقد دلت الفحوص حول مختلف الحيوان أن لوضح النهار ، و ظلم الليل غالباً تأثيراً عميقاً فى نومها و يقظتها ، فقد نرى الطير تأخذ فى دورها الفعال منذ إشراق الشمس ، و تلجأ إلى أكنانها عند غروبها . . و أثبتت التجربة ان النور الشديد فى ظلم الليل يجعل الطير تأخذ فى دور النهار .

ثم نرى فريقاً آخر من الحيوان أن نومها لا يناط بالليل ، فتجعل الليل نهاراً والنهار ليلاً كالعكس ، دون تمييز بينهما للنوم والعمل ، ثم نرى ثالثاً تعكس الامر تماماً فتجعل النهار ليلاً ، فتأخذ كلا كعكسه كالخفاش .

قال الامام مولى الموحدين أمير المومنين على بن أبيطالب عليه السلام « فهى مسدلة الجفون بالنهار على أحداقها ، وجاعلة الليل سراجاً تستدل به فى التماس أرزاقها ، فسبحان من جعل الليل لها نهاراً و معاشاً والنهار سكناً و قراراً » .

ثم نرى البعض من الحشرات أنها لا تعرف النوم طوال أشغالها الطويلة الزمن كالنمل ، فهى تدور فى تهيئة أرزاقها فى غير الشتاء ثم تستريح و تنام فى الشتاء ، و لكن الانسان لا يستطيع الادمان فى الشغل و ترك النوم لأكثر من عشرة أيام ثم الموت قطعاً ، و على أية حال لا تجد حياً فى الكون إلا و هو بحاجة شديدة إلى النوم ، مهما اختلفت أوقاته و مقاديره ، و من ثم نرى القرآن الكريم يمنّ على الانسان بجعل النوم سباتاً .

و من آيات الله عزوجل : ان الانسان لم يعرف فى مدى حياته على وجه الارض ما به حياته ، و كلما أخذ بتعريفه إعترف بالعجز والجهل .

و قد تكلم فيه العلماء قديماً وحديثاً - رجماً بالغيب - ثم أظهروا العجز و اعترفوا بالجهل عن حقيقة النوم ، كما ان العلماء الحديثة - مع تقدم العلم - يقولون : ان تحديد النوم من أصعب معضلات علم الفيزيولوجيا جداً .

و ان هناك - فى تعريف النوم - مذاهب ثلاثة .

أحدها - ما ذهب إليه الالهيون و هم الذين يقفون على ما ورد فى الدين الاسلامى ، و يسكتون ما سكت عنه الدين ، و قد أشرنا إليه آنفا .

ثانيها - ما ذهب إليه الفلاسفة والمتكلمون من طريق النظر والاستدلال ، و تبعهم العلماء الحديثة ، و لكن على الاسلوب العلمى التجريبى و لكنهم غير مصونين عن الزلل والخطاء و لهم فى حقيقته تعاريف :

فمنهم من قال : ان النوم هو ريح تقدم من أغشية الدماغ ، فاذا وصل إلى العين فترت و إذا وصل إلى القلب نام . وهذا من قبيل تعريف الشيء بسببه .

و منهم من قال : ان النوم هو حالة تعرض للحيوان يقف فيها النفس عن الحس والحركة الارادية لا عن أفعال القوى الطبيعية النباتية ، ويلزم النوم رجوع الروح النفسانى الذى هو محل القوى الحساسة والمحركة عن الآلات ، و هى الاعصاب إلى المبدإ وهو الدماغ ، و إنقطاع الروح عن الآلات إلى المبدإ لا بالكلية ، بل ينبعث منه شيء يسير إليها . و ان النوم هو حبس الروح البخارى فى تجاويف الدماغ ، من حصر الرطوبات للروح .

و منهم من قال : ان النوم والرؤيا من الاحوال الخاصة بالنفس والنوم هو غؤور القوى الظاهرة فى أعماق البدن ، و إنخناس الارواح من الظاهر إلى الباطن ، والمراد بالارواح ههنا أجسام لطيفة مركبة من بخار الاخلاط التى منبعها القلب ، وهى مراكب القوى النفسانية والحيوانية ، ولهذا إذا وقعت سدة

فى مجاريها من الاعصاب المؤدية للحس بطل الحس ، و حصل الصرع والسكتة ، فاذا ركدت الحواس و رقدت بسبب من الاسباب بقيت النفس فارغة عن شغل الحواس لانها لا تزال مشغولة بالتفكر فيما تورد الحواس عليها .

فاذا وجدت فرصة الفراغ، و ارتفع عنها المانع واستعدت للاتصال بالجواهر الروحانية الشريفة العقلية التى فيها نقشت الموجودات كلها ، فانطبع فى النفس ما فى تلك الجواهر من صور الاشياء لاسيما ما يناسب أغراض الرائى و يكون إنطباع تلك الصور فى النفس كانطباع صورة فى مرآة من مرآة ، فان كانت الصور جزئية ، و وقعت من النفس فى المصورة و حفظتها الحافظة على وجهها من غير تصرف المتخيلة صدقت الرؤيا و لا تحتاج إلى تعبير ، و إن وقعت فى المتخيلة حاكت ما يناسبها من الصور المحسوسة و هذه تحتاج إلى تعبير و تأويل .

ولما لم تكن تصرفات الخيال مضبوطة، واختلفت باختلاف الاشخاص والاحوال إختلف التعبير، و إذا تحركت المتخيلة منصرفة عن عالم العقل إلى عالم الحس، و اختلطت تصرفاتها كانت الرؤيا أضغاث أحلام لا تعبير لها ، و كذلك لو غلبت على المزاج إحدى الكيفيات الاربع رأى فى المنام أحوالاً مختلطة .

و قد قال علماء العلوم النفسية الحديثة : ان النوم حال من الاحوال الجسمية و انه يشتمل حقيقة على عنصر يفوق خاصة كل ما يمكن مشاهدته من هذه الوجهة فى حال اليقظة ، وإن كانت هذه المسئلة لم تفسر للآن بطريقة مطلقة بان خاصة تعويض القوى التى تشاهد فى النوم الطبيعى هى خاصة ذاتية له لا يمكن للراحة التى يأخذها الانسان فى أثناء يقظته أن تحصلها له ، فان لحظات من النوم أو فترة صغيرة من فقد الشعور بالذات تحدث أحياناً تقوية حقيقة يستحيل الحصول عليها حتى لو اضطجع الانسان يقظاً ساعات حال سكون تام فى الظلال .

و قالوا : ان الانسان فى حالته الاعتيادية لا يعيش إلاّ بجزء صغير من انيته الجليلة و أما بقيتها فيظهر فى غير هذه الحالة العادية ، و يثبت انها تابعة

لعالم روحاني تنزلت منه ، و تعلقت به أشد تعلق مع وجودها في هـذا الجسد ، و انه متى إنحلّ هذا الجسد عادت إلى ذلك العالم الروحاني وحييت فيه حياة أرضى من هذه الحياة .

و ان الانسان في تركبه من جسم مادي يشتمل على روح تستمد وجودها من العالم الروحاني و من العالم الارضي ، و ان الحوادث تدل على الانسان في حالة النوم يثبت وجود هذه الخاصية فيه، والتجارب قد أثبتت ان الانسان قد يرى في نومه حوادث مستقبلة ، فتحدث كما رأى ، و ان الانسان يحمل جسماً ترشده و تملكه روح ، فنعيش معاشر الناس في عالمين معاً :

نعيش في حياة كوكبية في هذا العالم المادى الذى أعدّ جسمنا ليؤثر فيه ، و نعيش معيشة كونية في العالم الروحاني . و غير ذلك من التعاريف مما مال إليه علماء الفيزيولوجيا مع تلجلج ، من غير أن يكون ذلك كله تعريفاً لحقيقة النوم ، بل كلما تقدم العلم مرحلة في دورة مسئلة النوم المعقدة كان يعقب هذا التقدم رجوع إلى الوراء لخفاء أمره .

ثالثها - ما ذهب إليه القشريون الماديون على إختلاف تقوّلاتهم في حقيقة النوم ، و من العجيب انهم يتقوّلون فيما هم ينكرونه في الواقع ، إذ عمت أعينهم القلبية فلا يرون إلّا المادة و قشر العالم بعين رؤسهم ، و ينكرون ما ورائها :

فمنهم : من يقول: ان النوم يحصل بتجمّع حاصلات الانحلال في الدماغ، و هذه الحاصلات تسلب من الدم وقت الراحة .

و منهم : من يقول : ان حامضاً يتخزن أثناء عمل الاعضاء ويزيد إلى حدّ لا يعود باستطاعة الجسم إحتماله ، فيتخلص منه بالنوم .

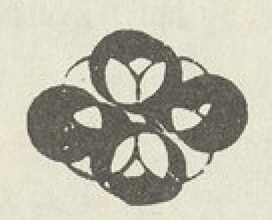
ومنهم : من يقول : ان عمل الاعضاء يولد مواد تسمى بروتوجين تجلب الشعور بالنوم و هذه المواد تتجمع باليقظة ، و تنحل بالنوم بواسطة التأكسد .

و منهم : من يقول: ان في أثناء قضاء الاعضاء لوظائفها تتجمع موادخصوصية

ليست حوامض عضوية ولا أنواع لوكرمايين بل مولدات ميكروبية سامة، و إن تعذر علينا أن نتحقق طبيعة المواد التى تحصل بعد قضاء الوظائف، ومنها ينتج التعب والنوم، و يكون النوم راجعاً حقيقة إلى نوع من التسمم الذاتى، فالنوم مسبب عن هذا التسمم يسمى بسم «التريبا توزم».

و منهم: من يقول: ان النوم ظاهرة غريزية تتوقف الوظائف بها عن العمل، و ان الانسان لا ينام بسبب التسمم أو الاعياء بل ينام منعاً لهما، و ان النوم ظاهرة قوية تحصل بعد أن تتجمع فى الجسم الحواصل الصادرة عن عمل الوظائف...

هذا ملخص ما يتقوّل به العلم المادى عن النوم، و هو رأى خشن غليظ يشعر بان أصحابه لايزالون فى عماية. قال الله تعالى فيهم: «و قالوا ما هى إلاّ حياتنا الدنيا نموت و نحيى و ما يهلكنا إلاّ الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون» الجاثية: ٢٤).



﴿ضرورة النوم وأوقاته﴾

وفي المقام بحثان : أحدهما - في الضرورة إلى النوم ليلاً ونهاراً . ثانيهما - في أوقات النوم ليلاً ونهاراً :

أما الاول: فان النوم الطبيعي لكل إنسان ثمان ساعات في كل ليلة ونهار معاً، وهذا هو المحدد في الدين الاسلامي ، وان الزيادة والنقصان بحسب العادة ، فمن كان متساهلاً غير ساع في عمله ينوم أكثر ممن يكون ساعياً ، فاذا نقص النوم عن ست ساعات يوجب الفتور والضعف في الجسم ، والآلام في الرأس، وتضعف شهوة الاكل، وإذا زاد على ثمان ساعات، يجلب الكسل، وهو غير نشيط في الحياة ، هذا إذا كان الانسان غير مفرط ولامفرّط في عمله .

وقد تختلف الضرورة باختلاف السن والعمل ، فان الصبي يحتاج إلى النوم أكثر مما يحتاج إليه الشاب والكهول ، وان الكسل المتساهل ينوم أكثر من الفعّال الساعي .

وأما الثاني: فما يستفاد من قوله تعالى: «وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً» النباء : ١٠و١١) ان الليل لصالح الراحة والمنام ، والنهار لصالح السعي و النشور وهذا هو الاصل الاول في قرار الليل عن حركات التعب ونهضات النصب لتجديد قوى الحياة ، ونشور النهار لابتغاء فضل الله جل وعلا ورحمته ، وإن كان للانسان أن يلفق بينهما ويعكسهما ، وقال تعالى : «ومن آياته منامكم بالليل و النهار» الروم : ٢٣)

وهذا جعل ثان ينوب عن الأول شيئاً ما عند الحاجة ، وفيما لزم عكس الامر و إن كان الالتزام بالاول أحرى وأصلح لراحة الانسان، وهذه الحرية في تبديل وقت المنام للانسان هي في عداد فضائله على سائر الحيوان الملزمة خلقياً بأوقات خاصة لاتتبدل.

فترى في آيتي النباء فكأ كأ بين الليل والنهار للنوم والسعي حينما آية الروم تجمع بينهما للامرين لكيلا يظن أن في نوم النهار ، وسعي الليل محظوراً ، بعد ما نعلم أفضلية المنام في الليل والسعي في النهار، والواقع الملموس يشهد ان قليل النوم في الليل أربح بكثير من كثير النوم بالنهار، وان نوم النهار يأتي بالكسل والفشل .

وقد وردت في المقام روايات كثيرة عن طريق أهل بيت الوحي عليهم السلام نشير إلى نبذة منها :

في قرب الاسناد : باسناده عن الامام سيد الشهداء الحسين بن علي عن أبيه عليهما السلام قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : النوم أول النهار خرق ، والقائلة نعمة ، و النوم بعد العصر حمق ، والنوم بين العشائين يحرم الرزق .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «خرق» أي يوجب الضعف والكسل ، وهذا محسوس لامراء فيه ، و«القائلة» أي نوم القيلولة ، ووقتها نحو الظهر بساعة .

وفي البرهان : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل : «والمقسمات أمراً» قال : الملائكة تقسم أرزاق بني آدم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فمن نام فيما بينهما نام عن رزقه .

وفي التهذيب : باسناده عن سليمان بن حفص المروزي قال : قال أبو الحسن الأخير عليه السلام : إياك والنوم بين صلاة الليل والفجر ، ولكن ضجعة بلانوم ، فان صاحبه لايحمد على ما قدّم من صلاته .

وفيه : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنما على أحدكم إذا انتصف الليل أن يقوم فيصلي صلاته جملة واحدة ثلاث عشر ركعة ، ثم إن شاء جلس فدعا، وإن شاء نام ، وإن شاء ذهب حيث شاء .

وفي الفقيه : عن محمد بن علي بن الحسين قال: أتى أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ! اني كنت ذكوراً ، وإني صرت نسياً ، فقال : أكنت تقيل؟ قال: نعم ، قال: وتركت ذلك ؟ قال : نعم، قال : عد، فعاد فرجع إليه ذهنه.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «تقيل» أي تنوم قيلولة .

وفي وسائل الشيعة : وروى : قيلوا فان الله يطعم الصائم في منامه ويسقيه

وفيه : وروى : قيلوا فان الشيطان لايقيل .

وفي قرب الاسناد : باسناده عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان أعرابيا أتاه ، فقال : يارسول الله اني كنت رجلاً ذكوراً فصرت منسياً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لعلك اعتدت القائلة فتركتها ، قال : نعم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فعد يرجع إليك حفظك إن شاء الله .

وفي الفقيه : باسناده عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال : سئلته عن النوم بعد الغداة ، فقال : ان الرزق يبسط تلك الساعة ، فأنا اكره أن ينام الرجل تلك الساعة .

وفيه : وقال الصادق عليه السلام : نوم الغداة شوم يحرم الرزق ويصفر اللون .

وفيه :وقال الصادق عليه السلام : نومة الغداة مشومة تطرد الرزق ، وتصفر اللون، وتقبحه وتغيره، وهو نوم كل مشوم، ان الله تعالى يقسم الارزاق ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فاياكم وتلك النومة .

وفيه : قال : وكان المن والسلوى ينزل على بني إسرائيل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فمن نام تلك الساعة لم ينزل نصيبه، وكان إذا انتبه فلا يرى نصيبه احتاج إلى السؤال والطلب .

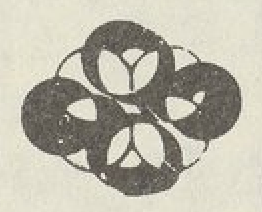
وفيه: باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان إبليس انما يبث جنود الليل من حين تغيب الشمس إلى مغيب الشفق ، ويبث جنود النهار من حين تطلع الفجر إلى مطلع الشمس ، وذكر ان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول : أكثروا ذكر الله عزوجل

فى هاتين الساعتين فانهما ساعتا غفلة ، و تعوذ وابالله عزوجل من شرّ ابليس و جنوده ، وعوّذ واصغار كم فى هاتين الساعتين ، فانهما ساعتا غفلة .

وفى الخصال باسناده عن سليمان بن حفص البصرى عن جعفربن محمد عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ماعجت الارض إلى ربها عزوجل كعجيجهامن ثلاثة: من دم حرام يسفك عليها، أوإغتسال من زنا، أوالنوم عليهاقبل طلوع الشمس

وفى بصائر الدرجات: باسناده عن أبى حمزة عن على بن الحسين عليه السلام -فى حديث- قال : لاتنامنّ قبل طلوع الشمس فان اكرهها لك ، ان الله يقسّم فى ذلك الوقت أرزاق العباد على أيدينا يجريها .

اقول : وقدورد فى بعض الروايات جواز النوم بين الطلوعين، فيحمل على الكراهة .



﴿النوم والراحة﴾

وقد مرّ سابقاً انه ماورد في القرآن الكريم ولا في الروايات الصحيحة ما يعرفنا بحقيقة النوم ، وليس علينا المقاولة فيما لاعلم لنا به ، ولا طريق ، و هذا أوضح برهان على عجز الانسان عن المعرفة بجميع ما يتعلق بنفسه فضلاً عن واقع العالم ، ومعرفة كنه خالقه ، ولنا التعرض بما ورد في المقام فنشير إلى ماحققناه :

في الاحتجاج : فيما سئل الخضر أمير المؤمنين علي (علياً ظ) عليه السلام عنه فقال: أخبرني عن الرجل إذانام أين تذهب روحه ؟ فأجاب عنه :فان روحه متعلقة بالريح، والريح متعلقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة ، فان أذن الله بردتلك الروح على صاحبها جذبت تلك الروح الريح ، وجذبت تلك الريح الهواء، فرجعت فسكنت في بدن صاحبها ، وإن لم يأذن الله عزوجل برد تلك الروح على صاحبها جذبت الهواء الريح ، فجذبت الريح الروح ، فلم ترد على صاحبها إلى وقت ما يبعث .

وفي نفحات الرحمن : قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : يخرج الروح عند النوم و يبقى شعاعه في الجسد ، فبذلك يرى الرؤيا ، فاذا انتبه من النوم عادت الروح إلى الجسد بأسرع من لحظة .

و في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن النوفلي « قال قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام : المؤمن يرى الرؤيا فتكون كما رآها ، و ربما رآى الرؤيافلاتكون شيئاً ؟ فقال : ان المؤمن إذا نام خرجت من روحه حركة

ممدودة صاعدة إلى السماء فكلما رآه روح المؤمن في ملكوت السماء في موضع التقدير والتدبير فهو الحق ، وكلما رآه في الارض فهو أضغاث أحلام ، فقلت له : وتصعد روح المؤمن إلى السماء ؟ قال : نعم .

قلت : حتى لا يبقى منه شيء في بدنه ؟ فقال : لا ، لو خرجت كلها حتى لا يبقى منه شيء إذاً لمات ، قلت : فكيف يخرج ؟ فقال : أما ترى الشمس في السماء في موضعها وضوءها وشعاعها في الارض فكذلك الروح ، أصلها في البدن وحركتها ممدودة »

و في رواية : ان في آدم نفساً وروحاً ، بينهما مثل شعاع الشمس ، فالنفس التي بها العقل والتميز ، والروح التي بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت ، وتتوفى النفس وحدها عند النوم .

فتبقى الحياة كشعاع الشمس بعد غروبها أو قبل طلوعها ، فحال الانسان حين النوم كالوقت بين طرفي العصر والعشاء وكالوقت بين الفجر وطلوع الشمس فلا يعد ان من الليل ولا من النهار على سبيل الاستقلال ، وقد أثبت العلماء الجدد شعاعاً على النائم يحس به بعض النائم ثقيل الصوت ، وبعضهم خفيفه على إختلاف شدة الشعاع وضعفه وليس ذلك الشعاع على الميت .

و في جامع الاخبار : سئل أبو بصير أبا عبدالله عليه السلام : الرجل نائم هنا ، والمرأة النائمة يريان انهما بمكة أو بمصر من الامصار أروحهما خارج من أبدانهما ؟ قال : لا يا أبا بصير ! فان الروح إذا فارقت البدن لم تعد إليه غير انها بمنزلة عين الشمس هي مركوزة في السماء في كبدها وشعاعها في الدنيا .

و في البحار : عن أبي الحسن عليه السلام يقول : إن المرء إذا نام ، فان روح الحيوان باقية في البدن ، والذي يخرج منه روح العقل ، فقال عبدالغفار الأسلمي : يقول الله عزوجل : « الله يتوفى الانفس حين موتها ـ إلى أجل مسمى » .

أفليس ترى الارواح كلها تصير إليه عند منامها ، فيمسك ما يشاء ويرسل

ما يشاء ؟ فقال له أبوالحسن عليه السلام : انما يصير إليه أرواح العقـول ، فأما أرواح الحياة فانها في الابدان لايخرج إلاّ بالموت ، ولكنه إذا قضى على نفس المـوت قبض الروح الذي فيه العقل ، و لو كانت روح الحياة خارجة لكان بـدناً ملقا لا يتحرك ، و لقد ضرب الله لهذا مثلاً في كتابه في أصحاب الكهف حيث قال : « و نقلبهم ذات اليمين وذات الشمال » أفلاترى ان أرواحهم فيهم بالحركات ؟

أقول : ان المراد بالروح التي في خبر أبي بصيرهي « روح الحياة » أو المراد بالخروج في بعض الاخبار إعراضها عـن البدن ، و توجهها إلـى عالمها الاصلية ، وهي عالم الملكوت كما يظهرمن التمثيل بالشمس .

وفي أمالي الصدوق رحمة الله تعالى عليه باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : النوم راحة للجسد ، والنطق راحة للروح ، والسكوت راحة للعقل .



﴿النوم والموت﴾

قال الله تعالى: « الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى إلى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » الزمر : ٤٢)

ان الله جل وعلا يقبض الانفس عن الابدان بأن يقطع تعلقها عنها، وتصرفها فيها إما ظاهراً و باطناً و ذلك عند الموت ، و إما ظاهراً فقط ، و هو فى النوم « فيمسك التى قضى عليها الموت » فلا يردّها إلى البدن ، فيموت الانسان واقعاً « ويرسل الاخرى » النائمة إلى بدنها عند اليقظة « إلى أجل مسمى » وهو الوقت المضروب لموته .

فالفرق بين الموت والنوم : ان فى الموت ينقطع تعلق النفس الناطقة ، و فى النوم يبطل تصرفها الاختيارى ، فالمراد من خروج النفس الناطقة فى الرواية المتقدمة بطلان تصرفها فى البدن ، والمراد من الروح الجسم البخارى اللطيف الذى يكون من لطافة الأغذية وبخاراتها ، وله دخل عظيم فى نظام البدن .

فالنوم صورة مصغرة من الموت ، وإنطلاق الروح فى حال النوم وسياحتها ورحلتها المنطلقة بعيداً عن الجسد ليس كانطلاقها إنطلاقاً مطلقاً بعد الموت و إرتحالها إلى ماوراء المادة حتى ترجع إلى الجسد حين البعث بل لها نوع تعلق للجسد ، وشعاعها باق عليه .

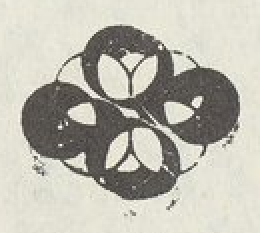
ولعل هذا هو النكتة فى إختلاف التعبير فى قوله تعالى : « الله يتوفى الانفس

حين موتها . . . » الزمر : ٤٢) وقوله جل وعلا : « وهو الذى يتوفاكم بالليل و يعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم » الانعام : ٦٠)

وفى البحار : بالاسناد عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : كان فيما وعظ به لقمان إبنه أن قال : يابنى إن تك فى شك من الموت فارفع عن نفسك النوم و لن تستطيع ذلك ، وإن كنت فى شك من البعث فادفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك فانك إذافكرت فى هذا علمت ان نفسك بيد غيرك ، وإنما النوم بمنزلة الموت، وإنما اليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت .

وفى رواية : « ان النوم أخ الموت » .

وعن بعض الحكماء : النوم موتة خفيفة ، والموت نومة طويلة .



﴿ آداب النوم والنائم ﴾

واعلم أن للنوم والنائم آداباً إذا رعيت ، احتسب عبادة :

في العلل : باسناده عن أحمد بن عامر الطائي عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام ؛ كان علي بن أبيطالب عليه السلام بالكوفة في الجامع إذقام إليه رجل من أهل الشام فسئله عن مسائل ، فكان فيما سئله أن قال له: أخبرني عن النوم على كم وجه هو ؟ قال : النوم على أربعة أوجه : الانبياء تنام على أقفيتهم مستلقين ، وأعينها لاتنام متوقعة لوحي الله عزوجل ، والمؤمن ينام على يمينه مستقبل القبلة ، والملوك وأبناءها ينام على شمائلهم ليستمرؤا مايأكلون ، وابليس مع إخوانه و كل مجنون وذوعاهة ينام على وجهه منبطحاً .

وفي الفقيه : باسناده عن أنس بن محمد عن أبيه جميعاً عن جعفر ابن محمد عن أبيه - في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام - قال: ياعلي النوم أربعة: نوم الانبياء على أقفيتهم، ونوم المؤمنين على أيمانهم، ونوم الكفار، والمنافقين على يسارهم، و نوم الشياطين على وجوههم .

وفيه : وقال عليه السلام : من رأيتموه نائماً على وجهه فانبهوه .

وفيه : وقال عليه السلام ثلاث فيهن المقت من الله عزوجل نوم : من غير سهر، وضحك من غير عجب ، وأكل على الشبع .

وفي الخصال : باسناده عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قالت ام سليمان بن داود لسليمان: إياك و كثرة النوم بالليل، فان كثرة النوم بالليل

تدع الرجل فقيراً يوم القيامة .

وفيه : عن الامام علي عليه السلام قال : لاينام الرجل على وجهه ، ومن رأيتموه نائماً على وجهه فانبهوه إلى أن قال : ليس في البدن أقل شكراً من العين ، فلاتعطوها سؤلها فتشغلكم عن ذكر الله عزوجل ، إذانام أحدكم فليضع يده اليمنى تحت خده الأيمن فانه لايدري أينتبه من رقدته أم لا .

وفي البحار : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انه قال : مر أخي عيسى عليه السلام بمدينة، وإذا أهلها أسنانهم منتثرة، ووجوههم منتفخة، فشكوا إليه فقال: أنتم إذانمتم تطبقون أفواهكم ، فتغلي الريح في الصدر حتى تبلغ إلى الفم ، فلايكون لها مخرج فترد إلى اصول الأسنان فيفسد الوجه ، فاذانمتم فافتحوا شفاهكم وصيّروه لكم خلقاً ففعلوا فذهب ذلك عنهم .

وفي فروع الكافي: باسناده عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام انه كره أن ينام في بيت ليس عليه باب ولاستر .

وفي قرب الاسناد : باسناده عن أبي البختري عن جعفر عن أبيه عن علي عليه السلام انه كره أن يبيت الرجل في بيت ليس له باب ولاستر .

وفيه: باسناده عن عبدالله بن ميمون القداح عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا آوى أحدكم إلى فراشه فليمسحه بضفة إزاره فانه لايدري ماحدث عليه بعده .

وفي العلل: باسناده عن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إذا آوى أحدكم إلى فراشه فليمسحه بطرف إزاره فانه لايدري ما حدث عليه ، ثم ليقل : اللهم إن أمسكت نفسي في منامي فاغفرلها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين .

وفي رواية : «إذا نام العبد على طهارة رفع روحه إلى العرش» وان للعبد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصلياً، حتى يستيقظ، ويدخل في شعاره ملك

فان تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك، واستغفر الله تعالى له.

وفي رواية: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح»

أقول: ومن غير مراء ان المراد من العالم: من عمل بما علم، لا مطلق من علم وإن كان فاسداً، متجاوزاً عن حدود الله، مبتدعاً في دين الله محللاً لحرام الله ومحرّماً لحلال الله جل وعلا، وسالكاً على غير سيرة أهل بيت الوحي (عليهم السلام). قال رسول الله الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): «أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه ورجل علّم علماً فانتفع به من سمعه دونه» واعلم ان للنوم والنائم آداباً كثيرة أهمها عشرة:

الاول: الطهارة والسواك، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش، فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق»

الثاني: أن ينوي النائم القيام للعبادة والذكر والدعاء والتفكر في الايات التكوينية والتدوينية، وفي الآيات الآفاقية والانفسية وتحصيل المعارف الاسلامية والحكم القرآنية...

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلّي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة من الله تعالى عليه».

الثالث: أن لا يبيت من له وصية الا ووصيته مكتوبة عند رأسه، فانه لا يأمن القبض في النوم، فان من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة.

الرابع: ان ينام تائباً من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين، لا يحدث نفسه بظلم أحد، لا في نفسه ولا في عرضه ولا في ماله ولا يعزم على معصية إن استيقظ، ولم يكن هو نائماً، والناس منه خائف.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أوى إلى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد

غفر لهما اجترم».

الخامس: أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة والفقراء ينامون على التراب، فعليه أن يترك ذلك أو يقتصد فيه، فانه أرق للقلوب وأجدر بتواضع النفوس وأوجب للترحم على الفقراء واليتامى والمساكين...

السادس: أن لا ينام مالم يغلبه النوم، ولا يتكلف إستجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام لصلاة الليل، فقد كان نومهم غلبة، وأكلهم فاقة، وكلامهم ضرورة، ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون.

السابع: ان ينام مستقبل القبلة كاستقبال المحتضر لا كاستقبال الميت.

الثامن: الدعاء عند النوم، وخاصة آية الكرسي وآخر البقرة وآخر الكهف وسورة الفاتحة والمعوذتين.

التاسع: أن يتذكر البعث والحساب والجزاء عند النوم، فان النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث. قال الله تعالى: «الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها» الزمر: ٤٢)

والعاشر: الدعاء عند التنبه واليقظة. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عند تيقظه: «لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار» فجدير لكل مسلم أن يكون آخر ما يجري على القلب عند النوم هو ذكر الله تعالى، وأول ما يرد على قلبه عند اليقظة ـ هو ذكر الله جل وعلا، ومن رعى تلك الآداب فهو ينوم في فراشه بيسير، وكلما أراد التيقظ يستيقظ بلا تأخير.

﴿النوم الحلو ومستحباته﴾

ان الروايات الواردة في المقام كثيرة نشير إلى نبذة منها :

١- في الكافي باسناده عن جابر قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم عليه السلام ، وإن مات كان في جوار محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

٢- وفيه : باسناده عن أبي اسامة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : من قرأ « قل هو الله أحد » مأة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ما قبل ذلك خمسين عاماً .

٣- وفيه : باسناده عن عبدالله بن طلحة عن جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأ : « قل هو الله أحد » مأة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة .

٤- في وسائل الشيعة : بالاسناد عن قيس بن ربيع عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من آوى إلى فراشه فقرأ « قل هو الله أحد » عشر مرة حفظ في داره و في دويرات حوله .

٥- في الكافي : باسناده عن عبدالله سنان عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : من قرأ إذا آوى إلى فراشه : « قل يا أيها الكافرون » و« قل هو الله أحد » كتب الله له براءة من الشرك .

٦- في ثواب الاعمال : باسناده عن درست عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأ « ألهاكم التكاثر » عند النوم وقى فتنة القبر .

٧- في وسائل الشيعة : عن أبي الحسن موسى عليه السلام انه قال : يستحب أن يقرأ الانسان عند النوم إحدى عشر مرة : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » .

٨- في التهذيب باسناده عن عامر بن عبدالله بن جذاعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : مامن عبد يقرأ آخر الكهف حين ينام إلاّ تيقظ في الساعة التي يريد .

٩- في الفقيه : وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من قرأ عند منامه : «قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ . . . » الاية سطع له نور إلى المسجد الحرام حشو ذلك النور ملائكة يستغفرون له حتى يصبح .

١٠- في ثواب الاعمال : باسناده عن محمد بن هلال عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : ما من عبد يقرأ : « قل إنما أنا بشر مثلكم . . . » إلى آخر السورة إلاّ كان له نور من مضجعه إلى بيت الله الحرام ، فان من كان له نور إلى بيت الله الحرام كان له نور إلى بيت المقدس .

١١- في الفقيه : وروى ان أمير المؤمنين عليه السلام قال لرجل من بني سعد - وذكر حديثاً يقول فيه - : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له ولفاطمة : ألا اعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم ؟ إذا أخذتما منامكما فكبّرا أربعاً وثلاثين تكبيرة ، و سبّحا ثلاثاً وثلاثين تسبيحة ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين تحميدة ، فقالت فاطمة: رضيت عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

١٢- في المجمع : عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : من بات على تسبيح فاطمة عليها السلام كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

١٣- في التهذيب : باسناده عن محمد بن مسلم قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : إذا توسّد الرجل يمينه فليقل : « بسم الله اللهم اني أسلمت نفسي إليك ووجّهت وجهي إليك ، وفوّضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، وتوكلت عليك رهبة منك ورغبة إليك ، لاملجأ ولامنجا منك إلاّ إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ،

و برسولك الذى أرسلت ، ثم تسبّح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام و من أصابه فزع عند منامه فليقرء إذا آوى إلى فراشه المعوذتين و آية الكرسى .

١٤- وفيه : باسناده عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال : لا يدع الرجل أن يقول عند منامه : « أعيذ نفسى وذريتى و أهل بيتى و مالى بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة و من كل عين لامة » فذلك الذى عوّذ به جبرئيل الحسن والحسين عليهما السلام .

١٥- فى الفقيه : باسناده عن بكر بن محمد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من قال حين يأخذ مضجعه ثلاث مرات : « الحمدلله الذى علا فقهر ، والحمد لله الذى بطن فخبر، والحمد لله الذى ملك فقدر ، والحمد لله الذى يحيى الموتى ويميت الاحياء وهو على كل شىء قدير » خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه .

١٦- وفيه : باسناده عن معاوية بن عمار عن أبى عبدالله عليه السلام قال : إذا خفت الجنابة فقل فى فراشك : اللهم انى أعوذبك من الاحتلام ومن سوء الاحلام ومن أن يتلاعب بى الشيطان فى اليقظة والمنام .

١٧- فى وسائل الشيعة : بالاسناد عن سعد الاسكاف عن أبى جعفر عليه السلام انه قال : من قال هذه الكلمات فأنا ضامن أن لا يصيبه عقرب ولا هامة حتى يصبح : « أعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولافاجر من شرما ذرأ ، ومن شر مابرأ ، ومن شر كل دابة هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم » .

١٨- وفيه باسناده عن العباس بن هلال عن أبى الحسن الرضا عن أبيه عليهما السلام قال : لم يقل أحد قط إذا أراد أن ينام : « ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتها إن أمسكهما » إلى آخر الاية فسقط عليه البيت .

أقول : وتمام الاية . . . من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً «فاطر:٤١)

١٩- فى الخصال: باسناده عن سلام بن غانم عن أبى عبدالله عليه السلام قال:من قال حين يأوى إلى فراشه : « لاإله الا الله » مأة مرة بنى الله له بيتاً فى الجنة ، ومن

استغفر الله حين يأوي إلى فراشه مأة مرة تحاتت ذنوبه كما يسقط ورق الشجر.

٢٠ـ في التهذيب: باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون» قال: كان القوم ينامون و لكن كلما انقلب أحدهم قال: الحمد لله رب العالمين ولا إله إلا الله والله أكبر

٢١ـ في الكافي: باسناده عن داود بن فرقد عن أخيه أن شهاب بن عبد ربه سئلنا أن نسئل أبا عبدالله عليه السلام وقال: قل له: إن امرأة تفزعني في المنام بالليل، فقال: قل له: إجعل مسباحاً و كبّر الله أربعاً وثلاثين، وسبّح الله ثلاثاً وثلاثين، واحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وقل: «لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويحيي وهو حي لايموت بيده الخير، و له اختلاف الليل والنهار وهو على كل شيء قدير» عشر مرات.

٢٢ـ و فيه: باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: تسبيح فاطمة عليها السلام إذا أخذت مضجعك، فكبّر الله أربعاً وثلاثين، واحمده ثلاثاً وثلاثين، وسبّحه ثلاثاً وثلاثين، و تقرأ آية الكرسي والمعوذتين و عشر آيات من أول «والصافات» وعشراً من آخرها.

٢٣ـ في ثواب الاعمال: باسناده عن سلام الحناط عن أبي عبدالله عليه السلام قال من استغفر الله مأة مرة حين ينام بات، وقد تحاتت عنه الذنوب كلها كما يتحات الورق من الشجر، ويصبح وليس عليه ذنب.

٢٤ ـ في الكافي: باسناده عن أبي اسامة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من قرأ «قل هو الله أحد» مأة مرة حين يأخذ مضجعه غفر له ماقبل ذلك خمسين عاماً، قال يحيى: فسئلت سماعة عن ذلك فقال: حدّثني أبو بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ذلك، و قال: ياابا محمد أما انك إن جرّبته وجدته سديداً.

و غير ذلك من الروايات الواردة في هذا الباب، فمن أراد النوم الحلو

والسكون والراحة والطمأنينة فى فراشه ، واليقظة متى شاء فعليه المواظبة على ما أوردناه حسب وسعه ، ولقد ثبتت لى بالتجربة ، والحمد لله رب العالمين على نعمه كلها ، وصلى الله على محمد و آله المعصومين لما هدونا إلى مافيهراحتنا و سعادتنا . . .



﴿النوم الهائل و مكروهاته﴾

نهى الدين الاسلامي كل امرىء عن النوم وحده لما يتعقب عليه من الهول والخوف والشر والفساد . . . من العدو والأراذل والسارق . . . و قدوردت فيه روايات كثيرة منها :

فى الكافى : باسناده عن إبن القداح عن أبيه قال : نزلت على أبى جعفر عليه السلام فقال : يا ميمون من يرقد معك بالليل ؟ أمعك غلام ؟ قلت : لا، قال: فلاتنم وحدك ، فان أجرأما يكون الشيطان على الانسان إذاكان وحده .

اقول : ولا يقصر الشيطان فى إبليس الذى أبى واستكبر عن السجدة لآدم عليه السلام بل انه قد يطلق عليه وعلى أحزابه . . .

وفيه : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال : قال : ان الشيطان أشد ما يهم بالانسان حين يكون وحده خالياً لاأرى أن يرقد وحده .

وفى رواية الحلبى : فلا تبيتن وحدك ولاتسافرن وحدك .

وفيه : باسناده عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام انه قال : لاتشرب و أنت قائم ولاتبل فى ماء نقيع ، ولاتطف بقبر ، ولا تخل فى بيت وحدك ، ولا تمش فى نعل واحد ، فان الشيطان أسرع ما يكون إلى العبد إذا كان على بعض هذه الاحوال ، وقال : انه ماأصاب أحداً شىء على هذه الحال ، فكاد أن يفارقه إلا أن يشاءالله عزوجل .

وفيه : باسناده عن إبراهيم بن عبدالحميد عن أبى الحسن موسى عليه السلام قال

ثلاث يتخوّف منها الجنون : التغوط بين القبور ، والمشى فى خف واحد، والرجل ينام وحده .

و فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبان بن تغلب قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : ان المؤمن ليهول عليه فى منامه ، فتغفر له ذنوبه ، وانه ليمتهن فى بدنه ، فتغفر له ذنوبه .

وفى الكافى : باسناده عن معاوية بن عمار عن أبى عبدالله عليه السلام قال : إذا رأى الرجل ما يكره فى منامه ، فليتحوّل عن شقه الذى كان عليه نائماً، وليقل « انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا و ليس بضارهم شيئاً إلاّ باذن الله » ثم ليقل : « عذت بما عاذت به ملائكة الله المقربون و أنبياءه المرسلون و عباده الصالحون من شر ما رأيت ومن شر الشيطان الرجيم » .

وفى رواية : و تقرأ الحمد لله والمعوذتين وقل هوالله أحد ، و تتفل عن يسارك ثلاث تفلات فانه لايضره مارأى .

اقول : وهذا للمؤمن ، وأما الظالم فلا بدله من ردّ ما ظلم ، والاسترضاء عن المظلوم ، ولابد للعاصى التوبة وهكذا . . .

وربما يهول على النائم، وله موجبات كثيرة أهمها المعصية والظلم والطغيان . . . وقد يكون بسبب كثرة الاكل ، وهذا فى أكثر الناس، وقد يهول على المؤمن فى منامه ، وهذا إما لتركه الطهارة والذكر فى منامه ، وقد يكون لارتكابه بعض الصغائر . . .

وما يمكن أن يعالج به الهول والاضطراب والخوف فى النوم بعد الايمان وترك المعصية هوالمواظبة على مستحبات النوم . . .

﴿في ذم كثرة النوم وضررها﴾

ومن البديهي ان كثرة النوم تضر بدنيا الانسان ودينه معاً لانها هي الموجبة للضعف والكسل في الافعال، فيتبعه الفقر، والموجبة للتساهل والتوان في العبادات والطاعات . . حيث ان إكثاره يقل الاوقات التي يمكن فيها العمل والعبادة .

في الكافي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان الله عزوجل يبغض كثرة النوم و كثرة الفراغ .

وفيه : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كثرة النوم مذهبة للدين و الدنيا .

وفيه : باسناده عن بشير الدهان قال : سمعت أباالحسن موسى عليه السلام يقول : ان الله جل وعز يبغض العبد النوّام الفارغ .

وفي الفقيه : قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام : ان الله تعالى ليبغض العبد النوام ، ان الله ليبغض العبد الفارغ .

وفي أمالي الصدوق: رضوان الله تعالى باسناده عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قالت أم سليمان بن داود لسليمان: يابني إياك و كثرة النوم بالليل، فان كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيراً يوم القيامة .

وفي البحار : قال أبو جعفر عليه السلام : قال موسى عليه السلام : يا رب أيّ عبادك أبغض إليك ؟ قال: جيفة بالليل بطّال بالنهار .

وفي تحف العقول : في وصية أبي عبدالله عليه السلام لابن جندب : يابن جندب أقل

النوم بالليل والكلام بالنهار فمافي الجسدشئى أقل شكراً من العين ، واللسان ، فان امسليمان قالت لسليمان عليه السلام : إياك و النوم فانه يفقرك يوم يحتاج الناس إلى أعمالهم

وفي أمالي الصدوق: في خبر الشيخ الشامي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: يا- شيخ من خاف البيات قل نومه .

وفي الخصال : في رواية: أربعة القليل منها كثير: النار، القليل منها كثير، والنوم، القليل منه كثير، والمرض ، القليل منه كثير، والعداوة القليل منها كثير.

وعن بعض الصلحاء : انه قال نزل على أضياف ؛ فعلمت أنهم من العقلاء فقلت لهم : اوصوني بوصية بالغة حتى أخاف الله تعالى ، فقالوا : نوصيك بستة أشياء :

اولها - من كثر نومه فلايطمع من رقة قلبه .

ثانيها - من كثر أكله فلايطمع في قيام الليل .

ثالثها - من اختار صحبة ظالم فلايطمع في استقامة دينه .

رابعها- من كان الكذب والغيبة والنمامة والجساسة عادته وشغله ، فلايطمع في أن يخرج من الدنيا مع الايمان .

خامسها - من كثر إختلاطه بالناس فلايطمع في حلاوة العبادة .

سادسها - من طلب رضى الناس فلايطمع في رضى الله تعالى .

وفي الخصال : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :أول ماعصى الله تبارك وتعالى. بست خصال : حب الدنيا ، وحب الرياسة ، وحب الطعام ، وحب النساء ، وحب النوم وحب الراحة .

وفيه : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ثلاث فيهن المقت من الله عزوجل :نوم من غير سهر ، وضحك من غير عجب ، وأكل عن(على ظ) الشبع .

وفي معاني الاخبار : عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان لابليس كحلاً ولعوقاً وسعوطاً فكحله النعاس ولعوقه الكذب وسعوطه الكبر .

وفي تفسير العياشي : عن علي بن أبي حمزة عن أبي الحسن عليه السلام قال: لاتعوّد عينيك كثرة النوم ، فانها أقل شيء في الجسد شكراً .

وفي الخصال : - في الاربعماة - قال أمير المؤمنين عليه السلام :السكر أربع سكرات : سكر الشراب وسكر المال وسكر الطعام (الرئاسة خ) وسكر الملك (و سكر النوم خ) .

وفي رواية : «أخّر نومك إلى القبر ، وفخرك إلى الميزان ، وشهوتك إلى الجنة ، وراحتك إلى الاخرة ، ولذتك إلى الحور العين» .



«النوم والتوحيد»

قال الله تعالى : « ومن آياته منامكم بالليل والنهار و ابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » الروم : ٢٣) .

و من قدرة الله جل و علا المطلقة ، و علمه الشامل ، و حكمته التامة ، ومن آثار رحمته الواسعة ، وتدبيره فى نظام الكون عامة والعالم الانسانى خاصة : انه تعالى جعل النوم موتاً لنا ، و نحن أحياء ، فألبسنا الحياة والموت معاً . . نحيى ونموت، ونموت ونحيى و كل ذلك فى كل يوم من أيامنا فى هذه الحياة الدنيا.

و من البديهى : ان النوم ليلاً نعمة عظيمة إلهية كما ان حركة الانسان و سعيه نهاراً من النعم الربانية ، ولولا النوم لما استقامت للانسان حياة ، وهذا مما يدل على ضعفه و عجزه و جهله و عدم إستقلاله ، و على قدرة الله جل وعلا و قواه و كماله و إستقامه . . . فالنوم آية دالة على كمال العلم وغاية الحكمة و نهاية القدرة لخالق هذا العالم ، و دالة على الحياة بعد الموت ، ولو لم يكن الليل لم يكن سكن ، و لو لم يكن النوم لم يكن سبات .

قال الله تعالى : « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون و من رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون » القصص : ٧١ ـ ٧٣) .

ولو لم يكن سبات لم يكن حياة إذ لاتكون حياة لحيّ في العالم من ذاته إلاّ الله تعالى الذى « لا إله إلاّ هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولانوم له مافى السموات و ما فى الارض » البقرة: ٢٥٥).

و هو الحى الباقى الذى لاسبيل عليه الموت والفناء ، الحى الذى لم يزل بالحياة موصوفاً لم تحدث له الحياة و لا يعتريه الموت ، والله جل و علا وحده هو الذات الذى له صفة الحياة ثابتة دائمة بدوام ذاته ، و وجوب وجوده لذاته ، فالنوم ينافى كون الحياة ذاتية لان الموت أشبه شيء بالموت كما ورد : « النوم أخو الموت » .

فلا تأخذه فتور يعترى الانسان عند بداية النوم يعبّر عنه بالنعاس والسنة فضلاً عن النوم ، فانه وحده هو القيوم : القائم بذاته ، والقائم بتدبير الخلق فى ايجادهم و أرزاقهم و حفظهم و رعايتهم ، و فى جميع ما هم فى حاجة إليه ... فمن جاز عليه النوم والسنة لا يكون قيوماً .

فلا تأخذه سنة ولانوم لانه جل وعلا متصف بالوحدانية والحياة الذاتيتين ، و انه تعالى وحده هو القائم بتدبير كل شيء بذاته ، والسنة والنوم مما احتاج إليه خلقه ومنهم الانسان للراحة بعد العمل ، والنوم بعده لتستكمل الاعضاء قوتها ، و لتأخذ الاعصاب حظّها من السكون حتى تقوم بعملها على وجه يليق بها بعد ، و ليس هذا لله سبحانه و تعالى .

فالاية الكريمة تدل على امهات المسائل الألهية فانها دالة على أنه جل و علا موجود واحد فى الالوهية متصف بالحياة ، واجب الوجود لذاته ، موجود لغيره إذ القيوم هو القائم بنفسه ، المقيم لغيره ، منزه عن التحيز والحلول ، ومبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ، و لا يعتريه ما يعترى الارواح .

فالله جل وعلا واحد فرد فى ذاته ، و فى جميع صفاته و إضافاته و سلوبه ، لان جميع صفاته الحقيقية يرجع إلى صفة واحدة وهى وجوب الوجود الذى هو

عبارة عن الوجود المتأكد الصرف القائم بذاته، و كذلك جميع إضافاته من القادرية والعالمية والرازقية والمبدأئية والسببية والتقدم يرجع إلى إضافة واحدة و هى قيوميته جل و علا للاشياء كلها ، و كذا سلوبه كسلب الجوهرية والجسمية والتحيز والحلول والعجز والفتور والتقصير والتغير كلها يرجع إلى سلب الامكان عنه مطلقاً .

فلا شريك له فى السلوب كما لا شريك له فى الاضافات كلها ، فهو واحد فرد فى ذاته وجماله وأفعاله و جلاله ، ومنزه عن المثل والشبيه والمثال والنظير ، و أما إطلاق المثال عليه فى بعض الايات القرآنية والروايات من باب الاطلاق على الشىء باسم شبيهه تفهيماً على الخلق ، و تقريباً أفهامهم لدرك حقيقة نسبته تعالى إلى العالم و كيفية نظمه للموجودات ، و حكمته و صنعه للاشياء و إن لم يكن شىء منها مثالاً له بالحقيقة لعدم اتحاد شىء من الاشياء معه سبحانه فى إضافاته و نسبه إلى ما سواه لكن كل منها شبيه بالمثال لكونه مقرباً من وجه .

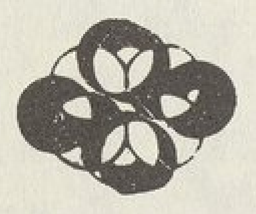
و قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى مناجاته مخاطباً لله عزوجل : « لسنا نعلم كنه عظمتك إلا انا نعلم أنك حى قيوم لا تأخذك سنة و لا نوم ، لم ينته إليك نظر ، و لم يدركك بصر ، أدركت الابصار ، و أحصيت الاعمال ، و أخذت بالنواصى والاقدام » .

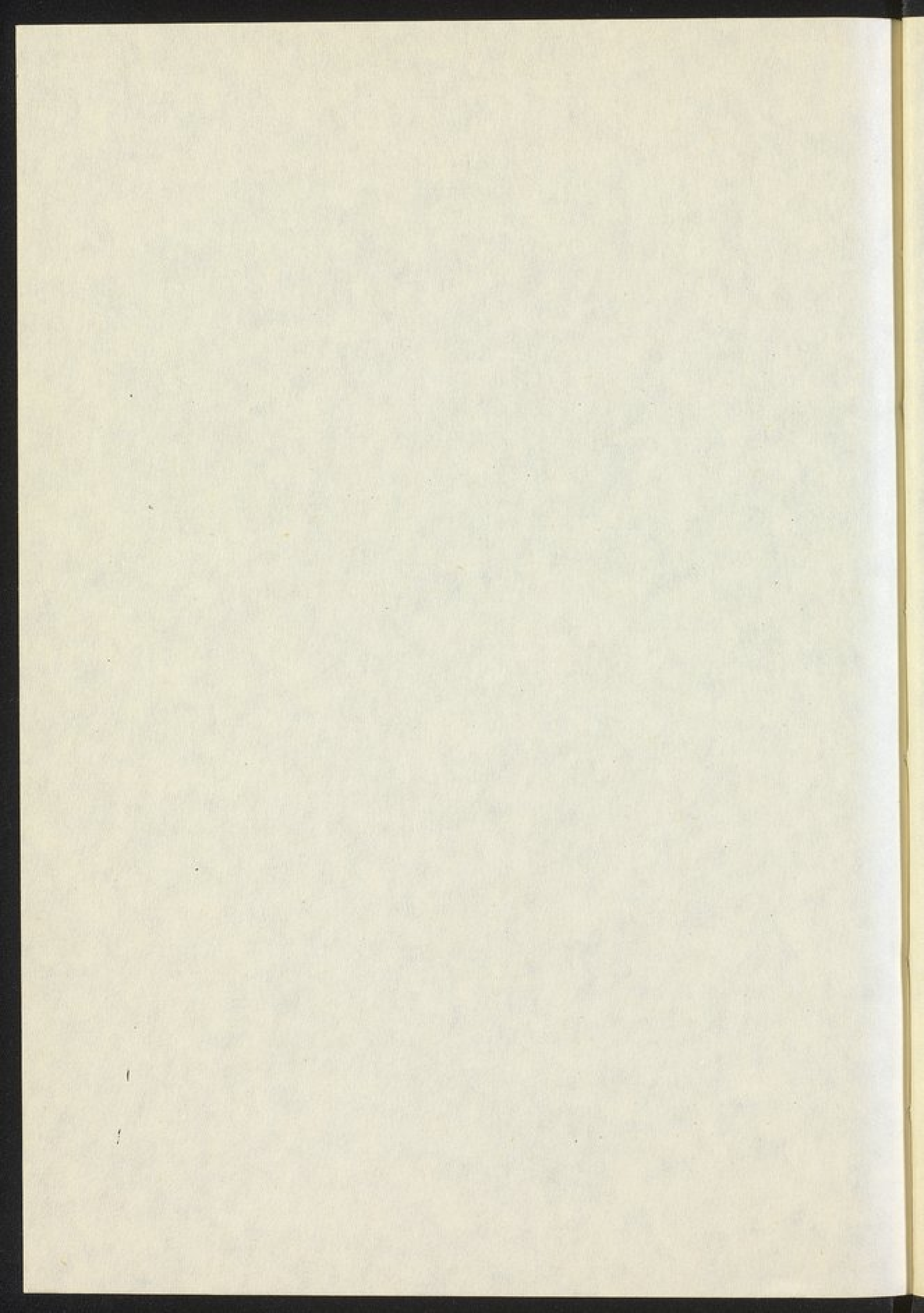
و عن إبن عباس انه قال : ان موسى عليه السلام سئل الملائكة هل ينام الله تعالى ، فأوحى الله تعالى إلى الملائكة ، وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثاً فلايتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه قارورتين ، فأمسكهما ثم تركوه و حذروه أن يكسرهما ، فجعل ينعس و ينتبه ، و هما فى يديه فى كل يد واحدة حتى نعس نعسة ، فضرب إحداهما بالاخرى فكسرهما .

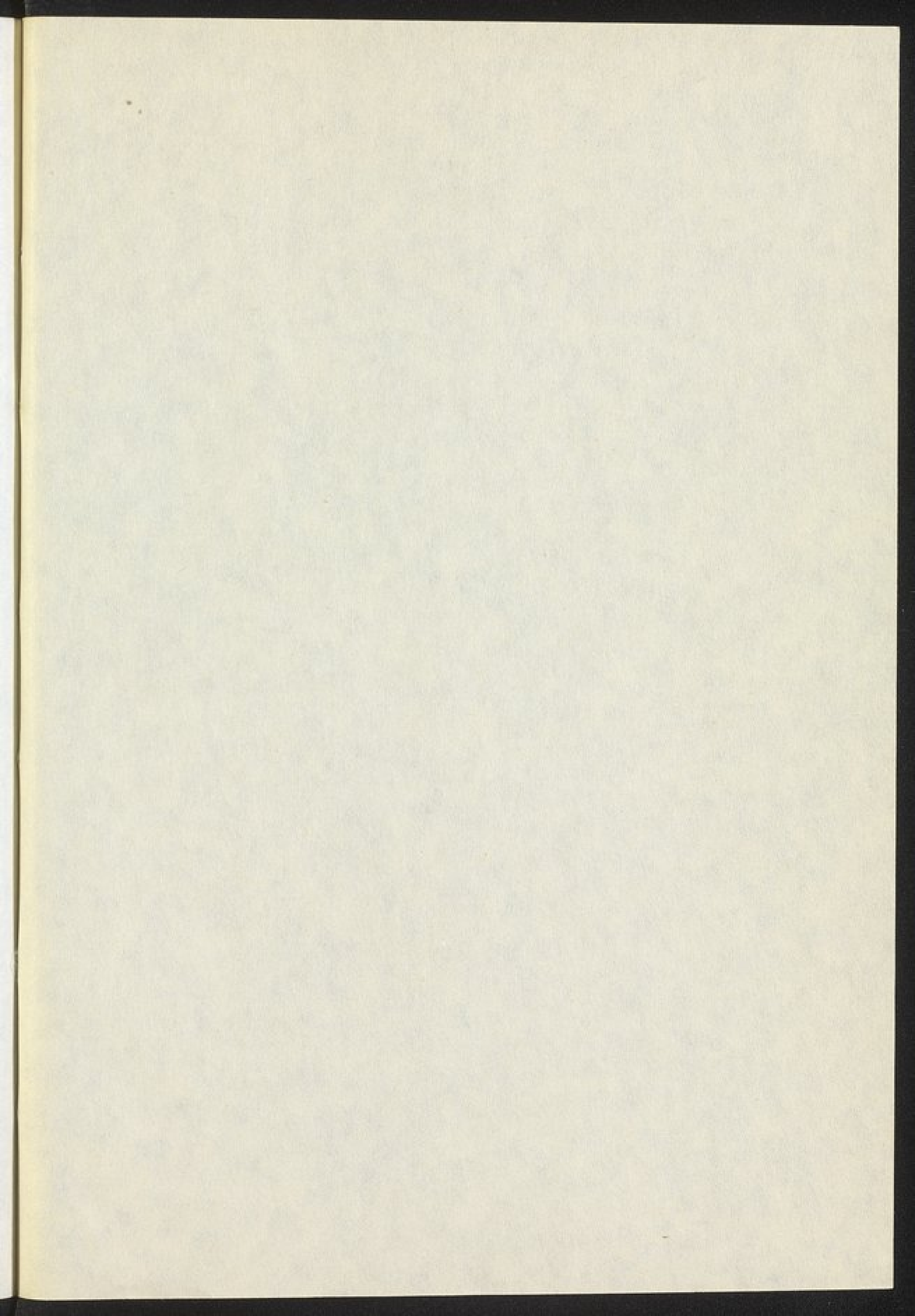
أقول : و من الضرورة ان موسى بن عمران عليه السلام لم يكن جاهلاً عن ذلك ،

و انما ذلك من الله جل و علا تعليم لقومه حتى يعرفوه بما يخالف ما اعتادوه من النوم ، و انه لو نام أو نعس الانسان لانكسر ما في يده من القوارير . . . فلو نام الله سبحانه لاختل النظام .

تمت سورة النبأ والحمد لله الاولى والاخرة
وصلى الله على محمد وآله الطاهرة



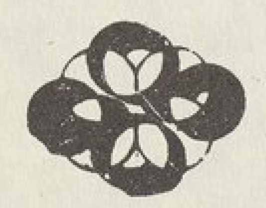




فهرس ماجاء في تفسير سورة الانسان

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

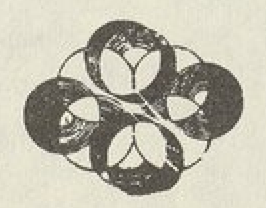


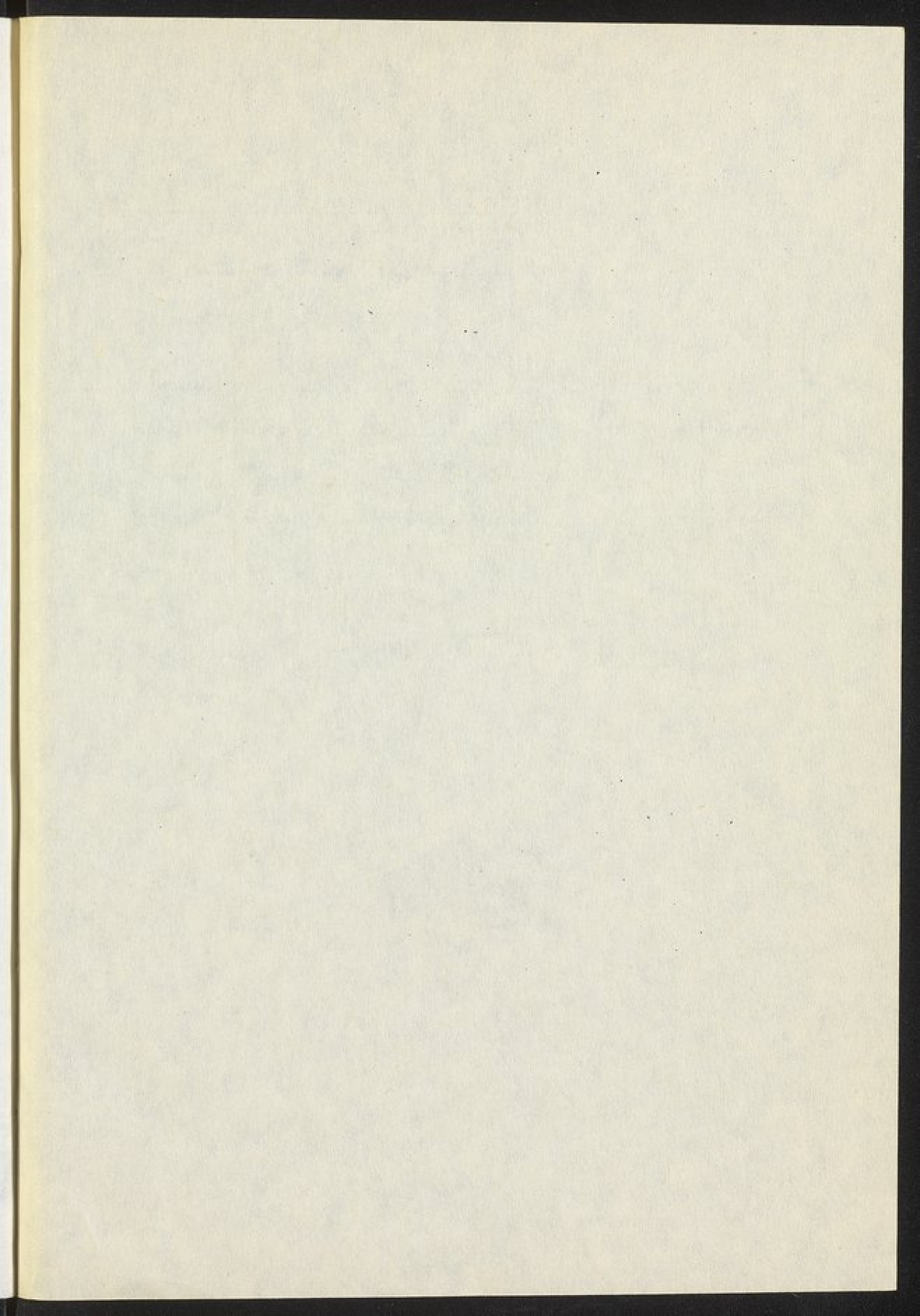
الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة الانسان وفيه بصيرتان.

احداهما: وفيها خمسة عشر أمراً:



البصيرة الثانية : وفيها امور أربعه :

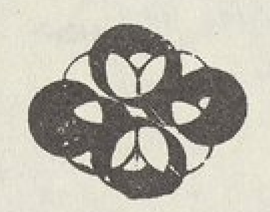




فهرس ماجاء فى تفسير سورة المرسلات

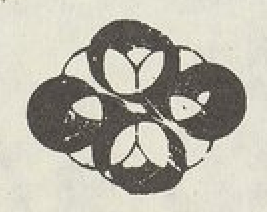
يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :



الفصل الثانى : فى مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها فى سورة المرسلات وفيها

البصيرة الواحدة : وفيها سبعة امور :

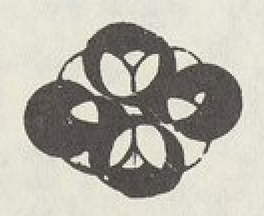




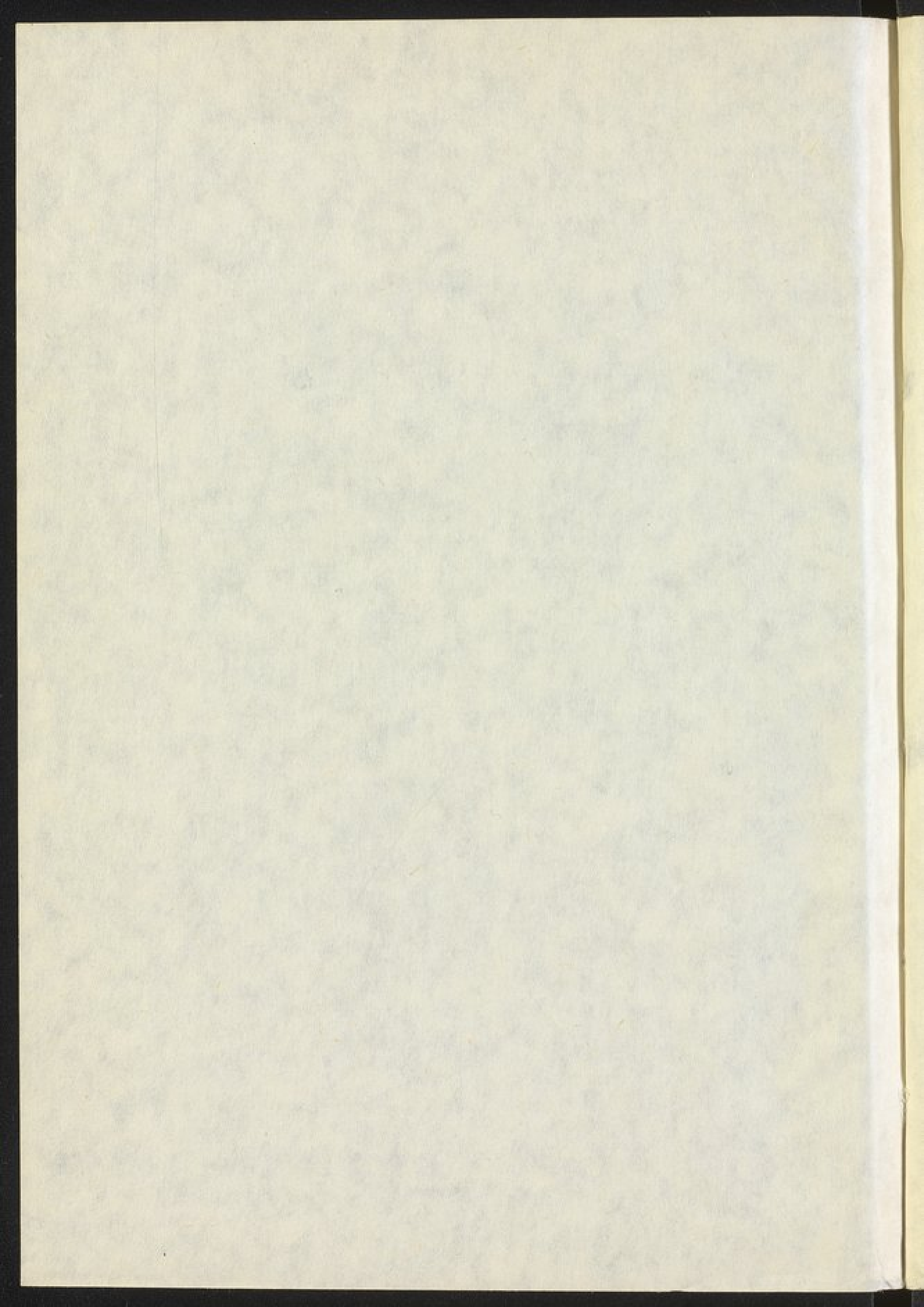
فهرس ماجاء في تفسير سورة النبأ

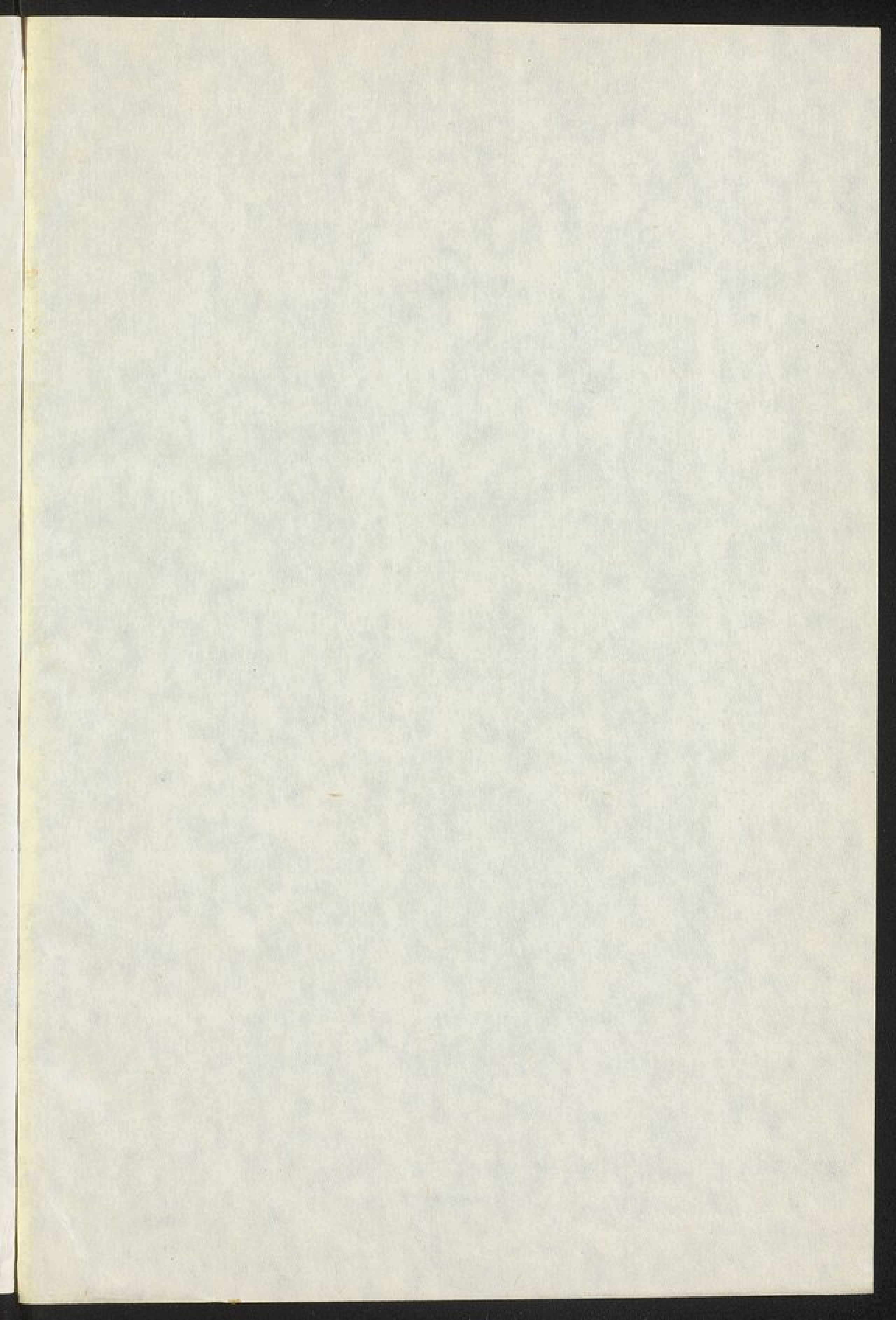
يدور البحث حولها على فصلين :

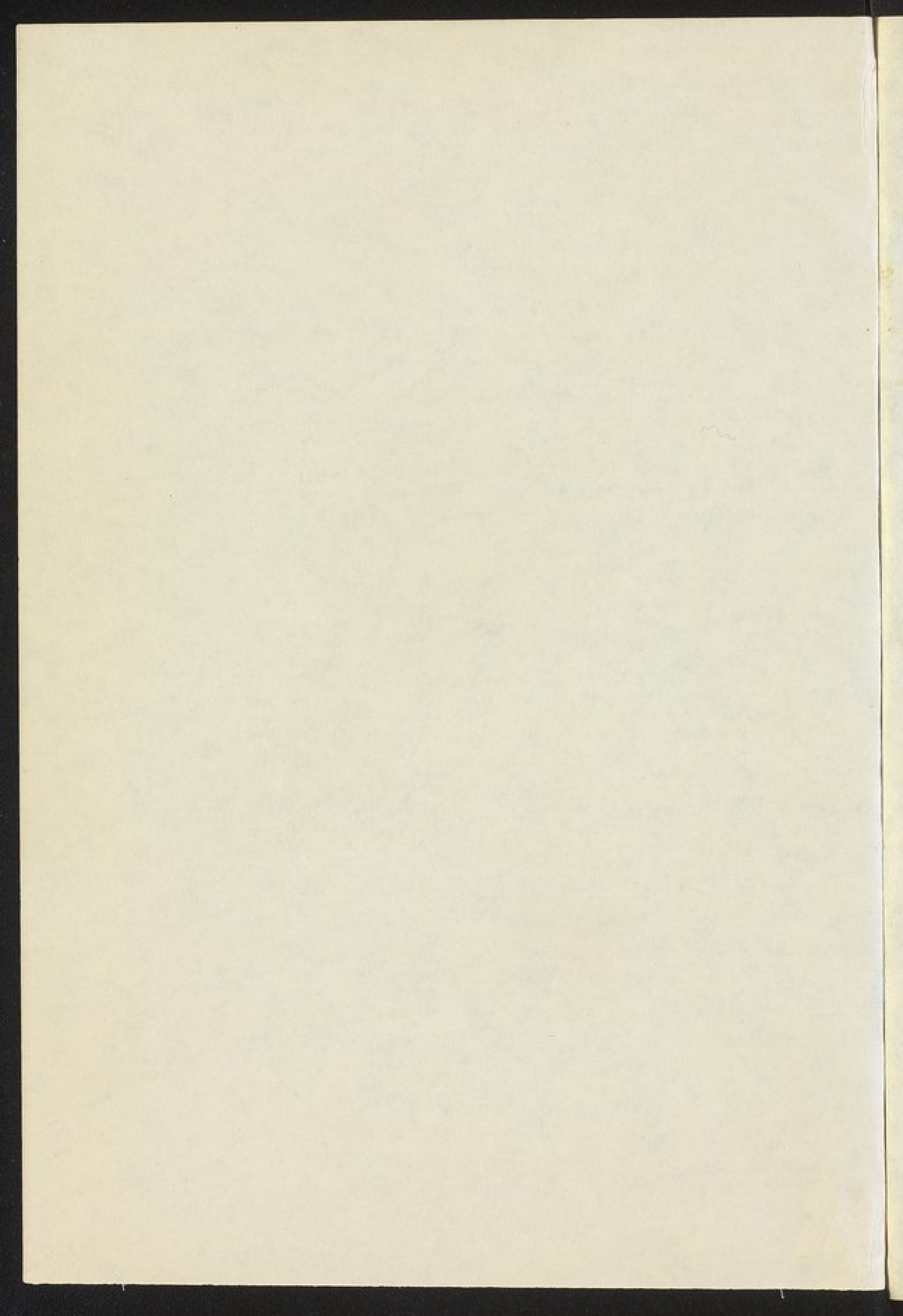
الاول: في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

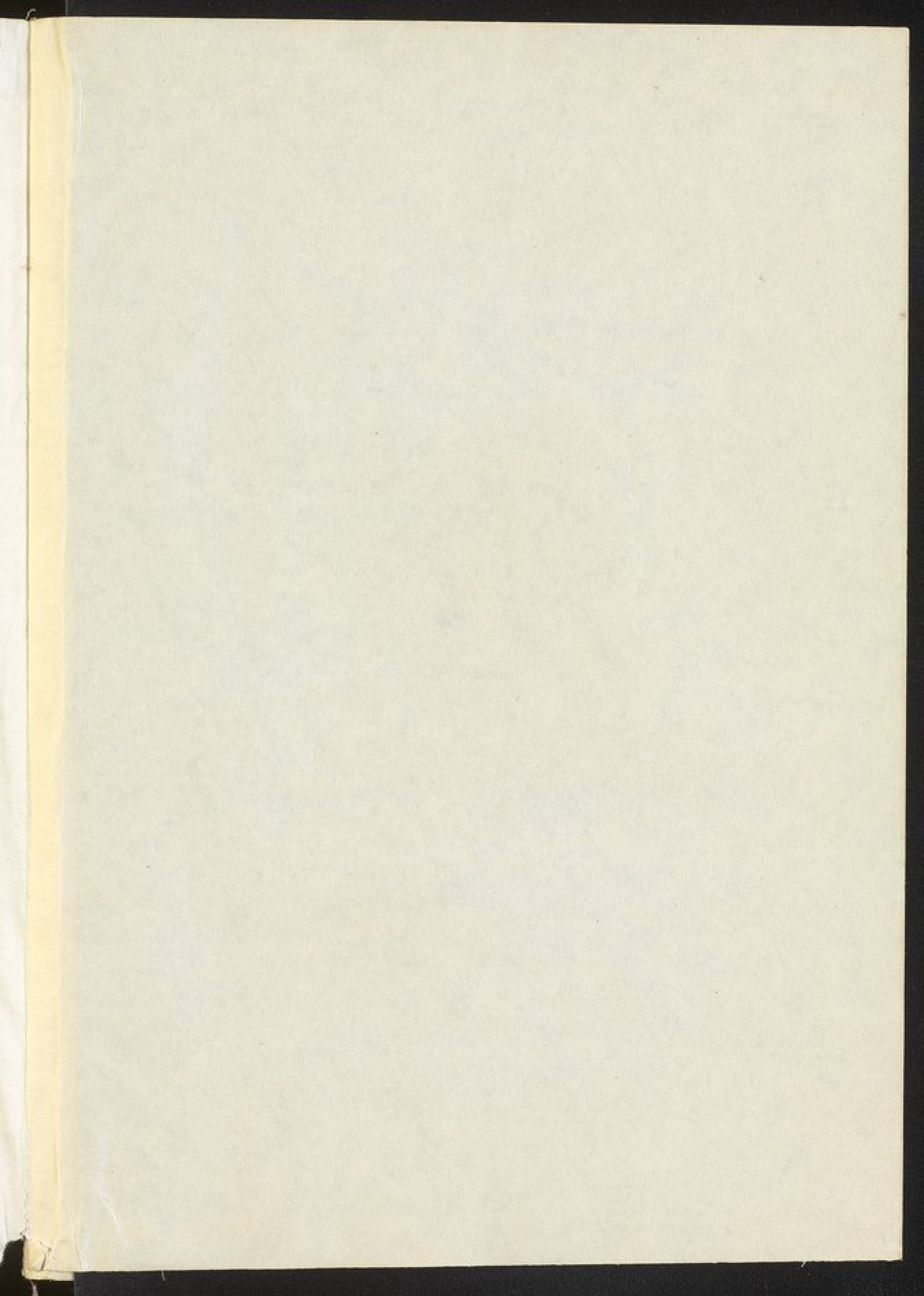


الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة النبأ وفيها تسعة امور:










VETUS & TESTA-
NOVUM MENTUM
DEI·SUB·NUMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

